عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون

أستاذ اللغة العربية
وعضو « المجلس الاسلامي الاعلى »

الكفاح القومي والسياسي

الأخضر

مِن خِلال مُذكِرات مُعاصِر

الفترة الاولى 1920 - 1936

الجزء الأول

ENAL
المؤسسة الوطنية للكتاب

أستاذ اللغة العربية
وعضو «المجلس الاسلامي الاعلى»

الكفاح القومي والسياسي

من خلال مذكرات معاصر

الفترة الاولى 1920 - 1936

الجزء الأول

ENAL
المؤسسة الوطنية للكتاب

رقم النشر : 1279 / 82
المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر 1984

تقـــديم الـكتــاب

بقلم الأستاذ المولود   بن عمار مهري

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ، فمن المعلوم لدى اهل العلم والفكر ، ان علم التاريخ من اجل العلوم البشرية ، واعظمها نفعا ، لما فيه من عظات الدهر العظيمة ، وعبره الجليلة ، وهو مرآة صافيه ، تتجلى فيها احوال الامم والشعوب الغابرة والحاضرة ، فيه يتوصل الى معرفة اخبار الماضين والحاضرين ، والاطلاع على احوالهم وعقائدهم ومعارفهم ، وارتقائهم وانحطاطهم ، حتى كـان العالم بالتاريخ عاش مع اهل القرون الماضية وعاصرها ، ولذلك يقـول الشاعر الحكيم

ومن وعى التاريخ في صـــدره   اضاف اعمــارا الى عمــره

ثم ان التاريخ علم نافع جدا فهو اخو ثقه وصدق ، لا يعرف المداراة ولا المجاملة ، ولا التحيز ، ولا السير مع الهوى والتيارات الحزبية ، والعواطف النفسية ، فهو اصدق شاهد في حكاية كل ما وقع في جميع الدهور والازمان ، وهو اجل وسيلة لحمايه الحقائق التاريخية من كذب الكاذبين ، وتدليس المدلسين وتزييف المزيفين ، ولذلك يقول حسن بن زيد : لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التــاريخ . ويقــول امير الشعراء شوقي في هذا المعنى :

واخدع الاحياء ما شئت فلن   تجد التاريخ في المنخــــدعين

ولذلك يحكى ان يهوديا اظهر كتابا ذكر فيه انه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن اهل خيبر وفيه شهاده جمع من الصحابة

منهم علي ومعاويه وسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ ابي بكر الخطيب فتامله وقال :

هذا الكتاب مزور ، فقيل له من اين علمت ذلك ؟ قال : فيه شهادة معاوية وهو اسلم يوم الفتح ، وكان الفتح فى السنه الثامنة من الهجرة ، وكان فتح خيبر فى السنة السابعه ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظه قبل خيبر بسنتين . وهذا من اجل مزايا هذا العلم ، ولهذا يقول الصفدي ــ فى التنويه به ــ التاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة ، واخبار الماضين لمن عاقرتهم الهموم ملهاة ، وانشد

لولا الاحــاديث ابقتها اوائلنـــا من الندى والردى لم يعرف السمر

وبالجملة فلعلم التاريخ فوائد كثيرة ومنافع جمة غزيرة فمنهـــا انه يغرس فى الشخص التفكير الصحيح ، والآراء الصائبة التي تكـون له نبراسا فى طريق الوصول الى ادراك الاشياء على حقيقتها والى حصدها من التجارب ، والاطلاع على احوال الامم وما اعتراها من الاحداث فى مختلف العهود والازمان . وبذلك يزداد عقلا ويصبح قدوه لغيره ولكل مكرمة وفضل اهلا ، لانه فاز بفضيلة العقل المطبوع المسموع ، ولذلك يقول الشاعر الحكيم فى هذا المعنى :

رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع . فــلا ينفع مسموع .

اذا لم يك مطبوع . كما لا تنفع الشمس ، وضوء العين ممنوع .

ويكفي علم التاريخ فضلا ان القرآن الكريم كما قال بعض العلماء

ثلثه تاريخ وقصص . وثلثه توحيد . وثلثه احكام

هذا وقد اطلعني الاخ الروحي الاستاذ عبد الرحمن بن العقون على تاليفه النفيس فى التاريخ الا وهو : « كتاب الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر » فوجدته مشتملا على اهم فتــرة فى تاريخ الجزائر الحديث تعتبر بداية انطلاق للحركات الوطنية الجزائرية . اذ هذه الفترة كما قال المؤلف تمتد مما بعد الحرب العالميه الاولى مباشرة « 1914 ــ 1918 » اي ابتداء من ظهور حركة الامير خالد رحمه الله تعالى الى قيام ثورة فاتح نوفمبر 1954 . وهذه الفتره رغم اهميتهـــا وغناها بالاحداث المحلية والعالميه التي قلبت الاوضاع فى اكثر المعمورة لا يزال الكثير من جوانبها غير معروف لدى الكثير من شبابنا المثقف . ولهذا حملت الغيره الدينيه والوطنية الاخ عبد الرحمن بن العقون على كتابة تاريخ هذه الفتره المهمة التي تعتبر زبــدة وخلاصة الــكفاح الوطني والسياسي الجزائري .

ولقد قام الاخ عبد الرحمن بهذا الواجب الوطني احسن قيام ، فكتب تاريخ هذه الفترة بنزاهة واخلاص محافظا على الأمانة التاريخية ، ومتباعدا عن العواطف النفسيه والتيارات الحزبية ، لانه من خير من يعلم ان التاريخ اعدل شاهد ، لا يحابي ولا يجامل احدا ، فهو مرآة صافية تتجلى فيها الاحداث والاشياء على حقيقتها . ومع هذا فان الاخ عبد الرحمن من خير من يكتب عن هذه الفترة الفنية بالاحداث الجسيمة لانه عاشها ، لكن لم يعشها على هامش الاحداث بعيدا عن اهوالها ، بل خاض غمارها فى اكثر ادوارها لانه من رواد الحركة الوطنية الذين رفعوا لواءها ، وتحملوا مسؤوليتها من اول شبابه الى زمن شيخوخته ، ولم تثنه عن القيام بواجبه الديني والوطني السجون والمعتقلات التي قاسى ويلاتها وتجرع مرارتها فى حوادث الثامن ماى 1945 . وثورة فاتح نوفمبر 1954 الخالده ، بل استمر على القيام بذلك الواجب العظيم بحزم وثبات ، حتى طلعت شمس الحريه والسيادة والاستقلال على ربوع الجزائر الماجده ولهذا كانت كتابه الاخ عبد الرحمن عن هذه الفترة نابعة من القلب ، ومبنية على اساس متين من التحقيق .

هذا ولقد طبقت فرنسا من اول الاحتلال السياسة الصليبية على الشعب الجزائري ، فقد استولت على املاكه واهدرت ثرواته وجرعته كؤوس الذل والهوان . وعملت بجميع الوسائل الدنيئة على القضاء على شخصيته العربية ، وعقيدته الاسلامية ، كما عبثت بجميع مقدساته الدينية ، وامجاده الوطنية ، لكن تلك الخطوب الجسيمة والكوارث العظيمة ، لم تزد الشعب الجزائري الا تفانيا فى حب دينه ووطنه والتضحية فى سبيلهما بكل عزيز ونفيس ، فقام بثورات عظيمة فى مناسبات عديدة كانت طليعتها المقاومه الكبرى التي قام بها البطل الخالد الامير عبد القادر ــ طيب الله ثراه ــ والتي سجلها التاريخ فى صفحاته الذهبية باحرف من نور وقد كاد ان ينتصر على الغاصب المحتل ويسترجع السيادة الوطنية الكامله ، ولكن عاكسته الظروف القاسية ، وعرضت امور منعته من اتمام واجبه المقدس . كما ان الثورات العديدة التي قام بها الشعب بعده اصيبت بالفشل لنفس الاسباب . ولكن ذلك لم يوهن عزيمة الشعب الجزائري المجيد ، ولم يحمله على الاستسلام واليأس من الانتصار فى النهاية على الاستعمار الفرنسي البغيض وتطهير الوطن المحبوب من دنسه وارجاسه ، بل بقيت روح البطولة والتضحية كامنة فيه . ففي السنوات التي سبقت الحرب العالمية الاولى ازداد الضمير الوطني الجزائري يقظة وانتباها واحساسا بالالم المشترك ، الذي يحز فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من الاحداث الخطيرة ، والاعتداءات الفظيعة التي اصيبوا بها من طرف الدول الاوروبية

المسيحية ، حيث تمالؤا وتظاهروا على تجزئة العالم العربي والعالم الاسلامي ، وكنتيجة لذلك ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى على المسرح السياسي بالجزائر حركة الامير خالد ، وهي اول حركة ظهرت في الجزائر بزعامة الامير خالد الذي التف حوله كل غيور على دينه ووطنه للدفاع عن حقوق الشعب الجزائري ، والنضال في سبيل تحقيق اهدافه السامية .

فلقد اخلفت فرانسا ـ كعادتها ـ ما وعدت بـ الشعب الجزائري من تحقيق امانيه بعد الانتصار ، حيث اجبرته على المشاركة في تلك الحرب التي ضحى فيها الشعب الجزائري بمئات الآلاف من ابنائه

ثم اتسعت دائرة تاسيس الحركات الوطنيه للقيام بالكفاح السياسي الذي يمضي في صعوده وتآزره واتساع دائرته حتى يصل الى القمة ، بتفجير ثورة نوفمبر الخالدة التي ضرب فيها الشعب الجزائري اروع الامثال في البطوله والشجاعه ، وقوض اركان الظلم والطغيان وانتزع بصموده ومواقفه الشريفة في ميادين الوغى والحرب ، اعجاب العالم والاحرار في كل مكان ، وحقق الغايه الشريفه التي ضحى من اجلها بالتضحيات الغاليه ، الا وهي حصول الجزائر الماجدة على الحرية والاستقلال

ومن خصائص ثوره نوفمبر المباركة انها حررت القارة الافريقيه بتمامها، وحطمت اركان الاستعمار في جميع انحاء العالم . ولذلك اصبحت قدوة حسنة ، ومثالا يحتذى لدى الشعوب الراغبه في الحصول على الحرية والسيادة والاستقلال ، ولهذا فني ارجو ان يوفق الله شبابنا الى العناية بدراسة تاريخ وطنهم الحافل بالامجاد ، وتاريخ الحضارة الاسلامية الزاهرة التي على اساسها بنيت المدنية المعاصره ، ليطلعوا على مفاخر ومآثر اسلافهم الكرام ، وليستمدوا منها العزم والحزم والعزة الاسلامية، والقوه المعنويه التي تعينهم على بناء حاضرهم على اساس ذلك الماضي المشرق الذي هو ينبوع سعادة امتهم ، فكل امه لا تستطيع المحافظة على كرامتها وسيادتها وعزتها الا اذا كانت على صلة متينة بماضيها ، محترمة له ، ومحافظه على قيمها وما يصون شخصيتها ، وبنت حضارتها على اساس حضارة اسلافها ، وبذلك تكون لها المكانة المرموقة ، والصدارة بين الامم الراقيه . وهذه ايها الشبان مسؤوليتكم ، وتلك ضريبة شبابكم ، فسارعوا الى القيام بهذا الواجب العظيم ، لتعيدوا ماكان لاسلافهم الكرام ، من مفاخر وامجاد ، ولتحقيق هذه الغاية الشريفة ، يجب عليكم ان تتسلحوا بالثقافة الواسعه ، والقيم الروحية ، والمثل

العليا ، التي صنعت في كل قلب من قلوب اسلافكم عظمتـــه وقوته ، فتحولوا في مدة وجيزة الى قادة فكر ، واساتذة حضارة وعرفان ، وعمت حضارتهم وانوار علومهم جميع الاوطان ، وقد شهد لهم بذلك اكابر علماء اوربا المنصفين ، ومن ذلك العالم الفرنسي الكبير ((سيدوا)) حيث قال في التنويه بالحضارة الاسلامية وعلماء المسلمين : ((وان نتاج افكارهم الغزيرة ، ومخترعاتهم النفيسة تشهد انهم أساتذه اوربا في جميع الاشياء)) وقال ايضا العالم الامريكي ((الدكتور سارطون)) في الرد على بعض المغرضين المستنقصين لحضارة العرب وعلومهم ((ولذلك فان العرب كانوا اعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة : القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر))

وختاما فاني اشكر الاخ الاستاذ عبد الرحمن على مجهوداته العظيمة ، في سبيل تاليف هذا النتاج النفيس . وارجو الله تعالى ان يكسو كتابه هذا حلل الرضى والقبول حتى يعم النفع به ، وان يمده بالتوفيق .

المولود مهري

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

مقـــــدمة

لاشك أن كل من أراد أن يكتب عن كفاح الشعب الجزائري وجهاده فى العصر الحديث ، ستصادفه عقبات ، وتلفه اعتبارات تجعله يتردد بين المضي قدما ، مهما كانت الموانع والنتائج ، أو يتراجع مكتفيا بتقديم أعذار لنفسه ، يراها أعذارا مقنعة . حتى لا يندفع فى مخاطرة لا سلامة له منها للوقوع فى أحد أمرين :

اما وضع نفسه تحت طائلة اللوم والعتاب ، وهذا فى أحسن الظروف ، ان لم تكن اللعنة والطرد ينصبان عليه وعلى أصله وفصله ، وذلك اذا أتى بالحقيقة التاريخية .

واما سوف ينجر تحت مغالبة الظروف الحاضرة بما تزخر به من تزييف للتاريخ ، ولكل شيء ..! وما ترزح به الحقيقة تحت بهر هذا التزييف ، سوف ينجر فى التيار ، مراعاة لهذا الظرف أو ذاك ، أو ممالأة لشخصية أو حزبية ، أو .. رغبة ، أو رهبة .

واذن لا يقول الا قولا معادا كما قال غيره قبله ، فيكون نسخة لغيره ، أو يكتب هراء سخيفا لا روح فيه ولا محتوى مفيدا ، لأنه صادر لا عن اقتناع أو عقيدة !

هذه الوضعيه هي التي جعلتني ــ برغم طلبات كثير من الاخوان وتشجيعاتهم ــ أتردد منذ سنوات : أأكتب أم أسكت ؟ وقد عز علي السكوت ووبخني الضمير أكثر من مرة ، لاسيما حين أتذكر أنني كنت ــ وأنا منذ سني الشباب ــ أسجل حوادث هي الآن ، حينما أذكرها ،

تظهر لي معينا يمكن الاغتراف منه ، أو على الأقل اعتباره نقطة انطلاق صحيحة لا تشوبها أية شائبة غير شريفة .

ثم ، وهذا جيل ذلك العصر الذي عاش الأحداث الكبرى وتذوق حلوها ومرها ، وجاب أغوارها وأنجادها ، فهو للكتاب رصيد ثمين ، ومرجع حي لاستقاء الحقيقة التاريخية من معينها ، وفرصة غالية يحسن اهتبالها .

وبعد ذا وذاك فمن أين تأتي تلك الأحداث التاريخية التي تقلب وضعا سيئا ، أو تكشف تزييفا مغرضا مستبدا ، أو تصحح مسيرة غالطة ؟ اذا لم ينهض بعض أفراد الشعب بمهمة المخاطرة ! .

ثم ــ ومهما تراكم الغبار واشتد الظلام ، واكفهر جو الشعوب ، وغلب عليها الجهل والباطل ، وركنت النفوس الى الأغراض السافلة ــ فلا تعدم قولة الحق أنصارها .

لا أزعم بهذا أنني ابن بجدتها الذي بعث لتصحيح الأوضاع أو ليأتي بالتنزيل الذي لا يقبل التأويل . وانما هي محاولة قد تكون فجة ، وقد تكون جريئة مندفعة ، ولكني رجوت منها أن تكون ــ بالتالي ــ عود الثقاب الذي يومىء الى المصابيح عسى أن تجود بأنوارها الكاشفة . فهي ستبوح بالحقيقة التي ربما تكون جارحة للبعض المتسرع ، ولكنها تسدد المسيرة ، وتوجه عجلــة تاريخنا الحدبث نحو وجهته الحقيقية و ... الأصلية .

وأنا ، فى هذه النبذة من تاريخ كفاح الشعب الجزائري الحديث ، لا أريد أن أتجــاوز الكفــاح السياسي ، أي أنني أريد أن أكتب ــ فحسب ــ عن فترة تمتد مما بعد الحــرب العالمية الأولى مباشرة 1914 ــ 1918 أي ابتداء من ظهور حركة الأمير خالد الى قيام الثورة التحريرية فى فاتح نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1954 م وهي الفترة التي يمكنني أن أتحقق بأحداثها ، والتي يمكن فعلا أن يطلق عليها « عهد الكفاح السياسي » المركز المنظم ، الهادف ، وهو الكفاح الذي تفجرت عنه ثورة فاتح نوفمبر 1954 ، وهو الكفاح الذي تتبلور من خلاله

النسبة الحقيقية لهذه الثورة التي تبناها كل دخيل ، وادعاها كل عاطل كسيح ! •

وسأقسم هذا العهد الى ثلاث فترات : الأولى من سنة 1920 الى سنة 1936 ، والثانية الى سنة 1945 ، والثالثة من سنة 1945 الى قيام الثورة التحريرية عام 1954 م •

وبما أنني عشت هذا العهد ـ ولله الحمد ـ بقضه وقضيضه وبخيره ـ ان كان فيه خير ـ وبشره ، فانني ألتزم للقاريء الكريم أن أكون مجردا للحقيقة ، والحقيقة وحدها ، لا يغرني عنها جاه أو منصب ، ولا تلويني عنها حزبية ، ولا تقودني أغراض غير شريفة ! ذلك ، أولا : ارضاء لضميري ، وثانيا : رغبة وضع هذه الفترة الهامة الحاسمة التي تتجاوز ثلث قرن من الزمن ، أمام القاريء على حقيقتها التاريخية المجملة ، مستعينا بعد الله بأحداثها التي حضرتها شخصيا ، أو سمعا ، أو تواترا ، أو بأخذها مباشرة ممن حضرها أو عاشهـا شخصيا • أو بنقلها من مصادرها التي لا تتهم عقليا • ثم أفحصها في النهاية على ضوء ما لدي من مذكرات وذكريات •

وقد حرصت على أن أكون أكثر توخيا للحقيقة بكل ما استطعت من جهدي ، عسى أن أحرز على اقتناع المواطن ، اذا كان قارئا : أنه يقرأ حقيقة تاريخية لم تشوه محياها أوساخ تزييف ، أو يدنس نصاعتها سيء أغراض • وعلى اطمئنانه ، اذا كان بحاثة أو مراجعا ، بأنه يضع يده على مصدر موثوق ومرجع غير متهم •

وهذا الظن ـ وأرجو أن أكون موفقا للوقوف عند حده ـ هو الذي جرأني على تقديم هذه المذكرات للقاريء وقد أسميتها :

الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر

راجيا منه جل وعلا الرضى والتوفيق لما توخيته ورجوته وهو حسبي ونعم الوكيل •

في عاصمة الجزائر
يوم 22 ربيع الثاني 1404 هـ
موافق 25 يناير 1984 م

ارهاصات الفترة الأولى

واذا كان الغرض هو تأريخ هذه الفترة 1920 — 1954 م الغنية بالأحداث الجسام ، المحلية والعالمية، والتي قلبت أوضاع قرون فهدمتها ، وأتت على منشآت دهور فطاحت بها ، ابتداء من حركة الأمير خالد وما صاحبها بعد الحرب العالمية الأولى ، فانه كما لا يخفى ، أن حركة الأمير وما تبعها لم تكن وليدة الصدفة أو الارتجال — أو مقطوعة النسب — بل انها نتيجة تفاعل تاريخي امتد منذ الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م وتبلور فى ثورات مسلحة أزعجت المحتل زمنا طويلا ، وبرهنت فى مدى التاريخ على أصالة الشعب الجزائري ، وعمق قوميته العربية الاسلامية ، وعلى مدى تعلقه بحريته واستقلال وطنه . وانما هذه الثورات كانت فى كل مرة ، تؤول الى الفشل ، وذلك لأسباب زمنية منطقية ، اختصرها فى شيئين :

أولا : أن الاستعمار الأروبي كان فى عنفوان انطلاقه ، وقد خطط لاحتلال أوطان الشعوب الضعيفة ، واستعد لكل الاحتمالات ، بينما كانت هذه الشعوب تعاني من الضعف والانحلال والتمزق على نفسها ، وكانت الجزائر الهدف القريب والمفضل لغارات الدول الأروبية المتعاقبة ، الأمر الذي أثقل كاهلها وأضعف قوتها (1) .

---

1 — يقول الاستاذ علال الفاسي : « لم يكن احتلال الجزائر الا مظهرا كبيرا من مظاهر التآمر الغربي على التوسع لصنع الأسواق والبحث عن المواد الاولية ، ولم تكن الجزائر الا القنطرة الأولى التي مدها الغرب ليجتاز عليها الاستعمار الى البلدان العربية والافريقية ، بصفتها الطريق الضرورية لحماية مراكز الاستنزاف والاستغلال فى الهند وجاراتها ، والن فلا غرابة اذا رأينا الفتوحات الغربية فى بلاد العرب تعقب الانتصارات الفرنسية فى الجزائر .. لا غرابة اذا رأينا فرنسا تمد يدها لاحتلال تونس ثم مراكش .. (من كتيب « ثورة الجزائر » لعلي الشلقاني ، المقدمة » .

ثانيا : كانت هذه الثـورات الجزائرية ينقصها التخطيط الدقيق ، وتعوزها الشمولية ، فقد كانت عبارة عن انتفاضات جهوية تفجرها شخصيات محترمة ، أو قبائل متوزعة تحت تأثير الروح الوطنية القوية ، وايمان وجداني ديني صادق ، فتندفع لمقاومة المحتل الذي لم يستطع الرضوخ والاستسلام اليه ، ولكن دون التوفر عـلى العدد اللازمة والتدريب الضروري• وفي جواب سكان قسنطينة الى الغازي «مكماهون» ـ كما سيأتي ـ دليل أي دليل • فمن الطبيعي ، اذن ، أن تتغلب عليها القوات الاستعمارية ، المجندة ، المدربة ، والمسلحة بأحدث الأسلحة لذلك العصر •

لا يعني هذا استنقاصا لثوراتنا التاريخية التي أذعن لها حتى الأجانب، ووصفوها ، ووصفوا الشعب الجزائري بأوصاف سنبقى نعتز بها في تاريخنا القديم والحديث • ومن ذلك ما قاله الأستاذ م• ايميري :

« ان أهم سبب في استمرار وعنف المقاومة الجزائرية هو التلاحم الجماعي الذي لم تكن فرنسا قادرة على فهمه وتجريده من حدته » (2) •

ومنه شهادة الدوق دوليانز اذ يقول : « ••• أنه بالرغم من أن « الجيش العربي » قد تشتت ••• فان الشعب قد بقي صامدا بفضل وحدته وأخلاقه ••• ؟ ومهارته » • (3)

وغير هذا كثير ، مما يثبت على كل حال حرارة المقاومة الجزائرية وصمودها الطويل ، وان لم تتوفر لها ـ كما قدمت ـ أسباب الانتصار من التخطيط والشمولية والقوة المادية ، وهي حقيقة تاريخية لا تصم بأي استنقاص مقاومة شعبنا النبيلة ، بل أن ذلك مما يشرفها ويشرف القـائمين بها ، حيـث أن ضـعفهم لم يتخـذوا منـه ذريعـة الى الاستسلام • (4)

---

2 ـ الحركة الوطنية الجزائرية ، سعد الله ، ج 1 ص 86 .

3 ـ الحركة الوطنية الجزائرية ، سعد الله ، ج 1 ، ص 87 •

4 ـ يقول الشلقاني عند كتابته عن ثورة الجزائر التحريرية : « غير ان الجزائر لم تشاهد ثورة شعبية بهذه القوة وهذا الاتساع ، ولم تعرف معركة وطنية بلغ فيها الوعي الوطني هذا الوضوح والتصميم الا في ثورة عام 1954 .. ويقول ـ فيما يبدو لنا ـ أن الجزائر لم تشاهد ثورة وطنية عامة الا في سنة 1954 » • (ثورة الجزائر ، ص 86) •

لمحة من التـــاريخ القـــديم

هذه لمحات من التاريخ القديم تتصدر الكلام عن حركة الأمير خالد لنبني عمل « الفرع » على أساس من جهاد «الأصل» ، ومن جهة أخرى فان حركة خالد برزت اثر سياسة استعمارية كانت مليئة بالأمل ، بما كانت تزخر به من وعود وتصاريح ، يوم أن كـانت فرنسا ترزح تحت عبء الحرب العالمية الأولى .

ولكي نحيط نصيبا بالوضعية يجب أن نرجع الى ما قبل سنة 1891م لنتابع تسلسل الأحداث التي وقعت فيما أسميه « فترة الخمود » ، وأعني الفترة التي أعقبت الثورات المسلحة التي امتدت نحو نصــف قرن . وظهر بعدها الشعب الجزائري وكأنه استسلم للواقع المفروض .

ومن أبرز أحداث هذه الفترة مجيء « لجنة بحث » الى الجزائر عرفت بلجنة « جول فيري » ، فما هي الأسباب والوقائع التي أدت الى ايفاد هذه اللجنة البرلمانية الى القطر الجزائري ؟

سياسة الانتقام والتكفير واللجنة البرلمانية

لقد أوفدت الحكومة الفرنسية هذه اللجنة البرلمانية تحت رئاســة جول فيري (Jules Ferry) الشهير بسياسته المتزنة ، وذلك لتبحث أسباب القلق وعدم الاستقرار الذي وقع في الجزائر بســبب سياسة الانتقام بالتجويع والتفقير والارهاق ، وخاصــة سياســة الاندمــاج والتكفير ، التي أحيتها حكومة الجمهورية الثالثة بعد سقوط حكــم الامبراطورية ، وذلك بسبب عزمها على حذف المحاكم الشرعية التي هي آخر ما تبقى بيد المسلمين من حالاتهم الشخصية والوطنية . وقد كان من ملزمات هذه السياسة ، التخلي عن التشريع الاسلامي وذهاب الشخصية الجزائرية ، والاندماج رأسا في الجنسية الفرنسية .

كانت مهمة هذه اللجنة البحث في مطالب الشعب الجزائري والتعرف على أسباب القلق العظيم الذي ساوره ، والذي أقامت حوله الصحافة

الفرنسية ضجة كبرى . ولنترك الكلام للمرحوم المجاهد الشيخ محمد ابن العابد الجلالي يحدثنا في كتابه « تقويم الأخلاق » :

« وفي اعتقادنا أن الضجة الصحافية النيابية التي وقعت أخيرا حول اقتراح حذف المحاكم الشرعية الاسلامية ، وتعويضها بمحاكم صلحية هي ضربان عرق الحياة في جسم الشعب الجزائري عندما لمسه ذلك الاقتراح بيده الخشنة وذلك الاقتراح يرشدنا الى السبيل الذي تريد الحكومة آن تقدمنا معه — ونعلم علم اليقين أن حذف المحاكم الشرعية يتبعه — طبعا — حذف المدارس الثلاث (5) لأن مهمتها الوحيدة تخريج الموظفين للقضاء ، وفي زوالها زوال الصبغة الرسمية لوجود اللغة العربية التي هي مجمع شتات الشعب الجزائري » .

ويضيف الأستاذ ابن العابد : « وكأن الحكومة أحست بخطورة هذا المسلك فأرادت آن ترجع عنه الى غيره مما يصح تطبيقه على روح العصر ، فشكلت لجنة « الثمانية عشر » سنة 1891 م من أعضاء مجلس الشيوخ تحت رئاسة السياسي الشهير «م.جول فيري» وباشرت هذه اللجنة عملها بحكمة ونشاط ، وأخيرا وجهت استفتاء لجميع القطر الجزائري ... »

كانت هذه اللجنة لخصت أعمالها في ثمانية عشر بندا وهي كما يلي: التعليم ، الأحكام العدلية الاسلامية ومحاكمها ، الضرائب والجبايات ، اعانة الفقراء والمساكين . الملك المشاع (6) وتأسيس الملكية . أخذ الملك للمصلحة العامة ، أخذ الجار بذنب الجار . وهو ما يعبر عنه فى الاصطلاح الحديث « الضمان المشترك » ، القوانين الزجرية ، التجنيد، التجنيس ، الانتخابات العمومية ، مجلس الشوري العام ، المجلس الأعلى ، النيابة الأهلية في البرلمان ، المجلس الجنائي ، الغابات ، الربا، وظيفة الوالي العام ، هذه النقاط مستوحاة من مطالب الجزائريين (7) .

---

5 — المدارس الثلاث هي المسماة المدارس الفرنسية الاسلامية : احداها في العاصمة والاخرى في قسنطينة والثالثة بمدينة تلمسان .

6 — الملك المشاع يسمى في العرف الجزائري «أرض العروشية» .

7 — الا تلمس في اكثر النقط الروح الاسلامية والعزة العربية ؟ الاحكام الاسلامية ، الشوري ، الربا ...

لقد كانت هذه المسائل أخذتها اللجنة من مجموع تشكيات ومطالب الشعب الجزائري . وبعد أخذ ورد قررت أن تستفتي فيها الشعب . ولاعتبارات وجيهة فوض الأمر الى المرحوم الدكتور محمد بن العربي النائب ببلدية الجزائر العاصمة ، فقبل هذا التفويض واقترح أن يكون الجواب حصوريا « شفاهيا » أمام اللجنة . على هذه المسائل وبواسطة وفد يذهب الى العاصمة الفرنسية فقبل اقتراحه . واختار معه صديقه الشيخ محمد بن رحال لما يعرف فيه من مقدرة ووطنية صادقة ، واجتمع الشيخان بعاصمة الجزائر ثم أبحرا الى فرنسا .

وفي باريس أجرى الشيخان مناقشتهما مع اللجنة المذكورة ، وكان موقفهما كما يلي باختصار :

1 — التعليم : ينبغي تعميم التعليم لجميع الطبقات ولكن بصفة اختيارية لا اجبار فيها . ويمكن للأهلي الجزائري أن يتوصل بمجهوده حتى الى التعليم العالي . والى الطب وجميع الفنون العلمية . ولا بد من الاعتناء بتعليم اللغة العربية وأصول الفقه الاسلامي .

2 — العدلية الاسلامية ومحاكمها : منذ صدر الأمر المؤرخ في يوم 10 سبتمبر — أيلول — 1886 م باستبدال الشريعة الاسلامية بشريعة أخرى وضعية أحس الأهالي بألم خفي بدأ يدب فى مفاصل هيئتهم الاجتماعية أفقدهم الراحة وألزمهم القلق . ثم يدحض دعوى أن المحاكم الفرنسية أصلح من المحاكم الاسلامية لما فى هذه من قلة كفاءات ومن رشوة ...

ويذهب وفد الشيخين للتدليل على ذلك فيقول : فالقرآن العظيم هو دين وشريعة ، وأداة فهمه هي العربية ، وعادات المتمسكين به غير عادات غيرهم — يعني المسلمين والفرنسيين — وفي اختلاف اللغة والعادات ما يحمل على الاعتقاد بأن الحاكم الفرنسي المكلف بالأقضية بين المسلمين — خصوصا اذا كان حديث السن — هو في الوطن الجزائري بمنزلة القاضي المسلم اذا أسندت اليه خطة القضاء في الجهات الشمالية من بلاد فرنسا ، فلا يأتي الا بالعبث لجهله أخلاق القوم وطباعهم ... الخ ... الخ .

3 ـ اعانة الفقراء والمساكين : ان غرض الشريعة الاسلامية من فرض الزكاة هو القيام بضروريات بيت المال ... ولذلك ينبغي للحكومة أن تتدارك « تكية الفقراء » بزيادة شيء من دخل الزكاة . فقد كان ايراد هذه الدار لمدة خمسة وعشرين عاما يبلغ مائة وعشرة آلاف (110.000) فرنكا ، ولم يكن من الفقراء الا سبعمائة (700) (8) حتى صار في يومنا هذا بالتناقص الى أربعين ألفا (40.000) فرنك ، يأخذ نصفها مستخدمو المصلحة ويبقى النصف لعدد خمسة عشر ألفا (15.000) نسمة غالبهم عجزة ..

ثم يقول : ان ميزانية هذه المصلحة لم تكن من ميزانية الحكومة العامة بل أنها من ريع الأوقاف الاسلامية ، وقد كان دخلها في عهد الحكم التركي خمسين مليونا من الفرنكات (50.000.000) ينوب الجزائر العاصمة منها سبعة ملايين (7.000.000) كانت تنفق في القيام بمائة وخمسة عشر من بيوت الله ، منها خمسة عشر جامعا كبيرا ، فالايراد المشار اليه كان وحده للقيام بمصالح المساجد ومرتبات أصحاب الخطط الشرعية . واسعاف الفقراء والمساكين ... (9)

4 ـ الملك المشاع وتأسيس الملكية : مما عرض على اللجنة في هذا البند أن الجزائريين لما كانوا عائلة واحدة مرتبطة بالأرض تحت نظر رئيسها ، لا يتم قوامهم الا بالشياع في ملكية الأرض ، لأن في تجزئتها ما يؤدي الى الفساد . أما اليوم فان مظالم كبرى تنزل على العائلة المشتركة في الملكية . وذلك حين يباع سهم أحد الشركاء لأجنبي ، ثم يعلن هذا بيع الأرض كلها بالمزاد ، ويؤول أمر العائلة كلها الى التعاسة والشقاء ...

---

8 ـ لاحظ قلة الفقراء وكثرة مبالغ الزكاة ، ان قيمة 100 فرنك اذ ذاك تساوي تقريبا عشرة الاف بحسب القدرة الشرائية سنة 1980 .

9 ـ الظاهر أنه يوجد خلط بين ريع الزكاة والاوقاف . فهل الزكاة كانت مخصوصة بالفقراء كما هو المعلوم ، كما أن الأوقاف كانت في الاكثر تنفق على المشاريع الخيرية الدينية ! .

5 ـ أخذ الجار بذنب الجار : لا يعقل أن يؤخذ البريء بجريرة المجرم بلا مشاركة له في عمله ، ان تحميل القبيلة كلها خسارة ما أتلفه فرد منها ، لا يقبل أبدا ونعارضه بكل قوانا •••

6 ـ القانون الزجري أو «الانديجينا» : هذا القانون مخصوص بالأهالي دون غيرهم . وملخصه تفويض الأمر الى وكلاء الحكومة في الجهات التي تحت عهدتهم ••• وهو عبارة عن سيف معلق على رؤوس الأهالي يمنعهم حتى من التوجع بآلامهم . فضلا عن مطالبتهم بالحقوق الضرورية . فهو يعطي التفويض لحكام الجهات أن يعاقبوا من شاءوا من المسلمين بدون معقب •••

7 ـ التجنيد : معارضة قانون التجنيد الاجباري في الجيش الفرنسي وطلب جعله اختياريا لأسباب دينية واجتماعية •

وطلب مساعدة المجندين اختياريا على الترقيات العسكرية •

8 ـ التجنيس : الزام الأهلي بالتجنيس بالجنسية الفرنسية عبارة عن اكراهه على ترك شريعته ودينه الذي تعهدت الدولة باحترامه ••• فمقتضى الحرية أن يبقى باب التجنيس مفتوحا بدون منع ولا اكراه •

9 ـ الانتخابات البلدية : انتخاب أعضاء المجلس البلدي يجب أن يكون على النمط الفرنسي . برفع التشديدات وبشمول حق الانتخاب لكل من يدفع معلوم (الباتينده) (*) أو بيده شهادة ابتدائية . وابطال جميع القوانين المختصة بالمنتخب الأهلي . ومساواته للفرنسيين •

10 ـ مجلس الشوري العمومي : النظام الحالي لهذا المجلس من قبيل تلهية الصبيان بالنسبة لنيابة الأهالي الذين لا يجاوز عددهم ستة مع أربعة وثلاثين فرنسيا . ومع ذلك فالستة أشخاص لا ينتخبون بل تعينهم الادارة من موظفيها •• فمن الواجب أن يمنح هذا المجلس حرية

(*) ـ نوع من الضرائب ، الغالب انه يتعلق بالتجار .

أوسع وأن يزاد في عدد أعضائه الأهالي • وأن ترخي الحكومة حبل الخناق على رقاب الأهالي حتى يمكن سماع صوتهم الحقيقي •

11 ـ المجلس الأعلى : هذا المجلس في الغالب ينظر في كل المصالح التي تخص الأهالي ، ومع ذلك فليس فيه نواب عنهم ، يطلب انتخاب نواب من طرف الجزائريين ليرفعوا اليه حاجاتهم •

12 ـ نيابة الأهالي في مجلس الأمة الفرنسي : ان من حسن الطرق لتفهم مطالب الأهالي بقصد ترقيتهم ، أن ينتخب أعضاء منهم ذوو كفاءة ومقدرة للنيابة عنهم في مجلس الأمة • أو ـ على الأقل ـ تأليف وفد كل سنة يتوجه ليحضر جلسات المجلس مثلما كان في عهد نابليـون الثالث من سنة 1860 الى سنة 1870 م •

13 ـ المجلس الجنائي : كما أن هذا المجلس ينتخـب أعضـاءه الامبراطور . من الأهالي والفرنسيين للنظر في الأقضية بين الخصوم . وقد أصبح اليوم مركبا من نواب النزلاء لا غير ••• فالأولى من ذلك ـ مراعاة للانصاف ـ اناطة القضاء بمجلس مخصوص يكون مسؤولا لدى الحكومة •

14 ـ الغابات : يطلب الأهالي من الحكومة أن تعين لهم أماكن ترعى فيها دوابهم ومواشيهم بشروط معقولة تحت مسؤولية الراعي . بعد ما أخرجتهم من الغابات بدعوى الحريق الموهوم •

15 ـ الربا : لقد عم الربا سائر جهات القطر بما ينذر بخطر داهم . ينبغي اقامة بنك عقاري يقترض منه عموم الفلاحين من الأهالي وغيرهم بفائض قليل ••• وذلك كي لا يضطر الفلاح الى المرابين من اليهود فيحملونهم على بيع أملاكهم بأقل ثمن ، وتقام بجهات القطـر شعب زراعية وصناديق مالية احتياطية •

16 ـ وظيفة الوالي العام : ••• بما لنا من حق النيابة عن الأهالي وتمثيلهم لدى اللجنة المحترمة ، نرغب أن يكون الوالي العام حرا عام

التصرف ، قوي السلطان . لا مسؤولية لأحد عليه الا لمجلس الوزراء . وليس كما هو الآن موضوع تحت تصرف الكولون (المستعمرين) لا يستعملونه الا لمضرة الأهالي .

17 — المجابي والضرائب : يتشكى الأهالي من وقر الضرائب ويطلبون تخفيف عبئها . وتنظيم هيئة تراقب الجباة ، لما في سلوكهم من الحيف والاعتساف ...

18 — أخذ الملكية للمصلحة العامة : قد وضح الوفد المضار التي تلحق الملاكين الأهالي من أخذ الملك للمصلحة العامة ، وطلب تطبيق القانون الذي يجري على الأفرنج . وأن يسوى بين ابن البلد والنزيل في قبوله من ضمن المزايدين في شراء أراضي الحكومة .

هذا ونجد في آخر هذه المذكرة ما يلي :

ولما انتهت الجلسة قام جناب م . فيري رئيس اللجنة خطيبا قائلا :

« ان اللجنة لمبتهجة كل الابتهاج بما صرح به النائبان المحترمان من المقاصد النبيلة ، وهي تشكرهما على الشواهد التي أقاماها على موالاتهما لفرنسا وتعلقهما بأذيالها (10) وتؤكد لهما بأنها تنظر في مطالبهما بغاية الاعتناء ومزيد الرغبة بما اشتملت عليه من الحقوق» .(11)

حرر في غرة اشرف الربيعين سنة 1309 هـ — 1891 م .

التوقيع : الدكتور محمد بن العربي
عضو مجلس بلدية الجزائر
من بن رحال ملاك بندرومه» (12)

10 — هذا هو منطق الفرنسيين دائما يقولون النائب ما لم يقل ، وهذه وعودهم التي لم تنفذ ابدا .

11 — راجع نص مطالب الوفد كاملا في «تقويم الاخلاق» لمحمد بن العابد الجلالي ، ص 70 — 81 .

12 — انظر ترجمة حياة الرجلين في « تقويم الاخلاق » لمحمد بن العابد الجلالي ، ص 57 — 61 .

تعليق لازم :

يقول ابن العابد : نقلت هذه المطالب ... وهي كما يراها القارىء في غاية الاعتدال الذي لا كلفة ولا مشقة فيه . لكنها ــ مع الأسف ــ لم تزل الى الآن ــ أي سنة 1926 ــ واقفة موقف السائل أمام باب البخيل ترجو نواله بشيء يسد بعض حاجاته (هكذا) ولم تحظ بمطلوب رغم الالحاح الشديد بتكرارها على لسان البعض من رجال الوطن » .

وانتصرت الكتلة المستعمـرة !

وبالفعل فقد امتدت المطالب والتذمر من الجزائريين ، وامتدت المماطلة والغطرسة من الفرنسيين حتى أدى الحال الى قلق عظيم وصفه الكاتب الفرنسي « ميفيل أندري » بالغليان (13) . بل أن النتيجة التي ظهرت بعد تلك الضجة . والوفود الرائحة الغادية بمطالب الحقوق ، وبالرغم مما وجدت تلك المطالب من تجاوب من بعض أنصـار التقدم . في المجلس الوطني الفرنسي ، فان النصر الأخير كان حليف الكتلة المستعمرة في الجزائر ؛ وذلك باستصدار قانون 23 أغسطس 1898 الذي يعطي للوالي العام في الجزائر الحكم المطلق مساعدا لمجلس استشاري يسمى « المجلس الأعلى » (14) .

ثم ألحق بقرار 19 ديسمبر ــ كانون الأول ــ 1900 م الذي يعطي الاستقلال المالي للجزائر . استجابة لرغبة (الكونون) الكتلة المستعمرة ــ وهو ما يسميه بعض الكتاب « بالحكم الذاتي » . حتى تستأثر بالتصرف في الميزانية الجزائرية حسب هواها بواسطة المجلس النيابي المالي الذي أسس لنفس الغرض . ويتألف من 69 عضوا : 48 منهم عن المستوطنين المستعمرين أي بنسبة 24 نائبا عن الفلاحين . و 24 نائبا عن أصحاب الحرف ؛ من الفرنسيين . بينما لم يعط للجزائريين الا 21 نائبا فقط .

---

13 ــ الحركة الوطنية الجزائرية ، سعد الله ، ج 1 ، ص 134 .

14 ــ لا مجال للمقارنة بين مطلب الوفد الجزائري السابق بحرية الوالي في تصرفه وبين هذا القانون الذي يحمله تحت سيطرة الكولون بفضل المجلس الأعلى الذي يتكون منهم .

على أن النواب الفرنسيين ينتخبون من مواطنيهم انتخابا حرا بينما النواب الجزائريون يعينون بواسطة الادارة •

وقد اعتبرت فرنسا هذا الاجراء ترضية للمسلمين في حين أن هذا الاجراء ــ عند التعمق ــ كان على خلاف المطالب التي قدمها الوفد الجزائري المتكون من عضوين كما تقدم . ذلك أن من المطالب تحرير الوالي العام من سيطرة المستعمرين في الجزائر . بحيث لا يكون مسؤولا الا أمام مجلس الوزراء في فرنسا • على أن يكون هو محرر اللوائح ومجري التراتيب ولكن انجازها وتعيين الولاة انما يكون من طرف الوزراء . وبذلك يتخلص من قبضة النفعيين » • (15)

ومن الطبيعي أن لا تكون هذه الحلول تضميدا لجراح الجزائريين ولا أن ترضي مطالبهم المتقدمة . فقد استمر القلق وتعددت المحاولات الفرنسية الغير مجدية ، والتي كان المستعمرون دائما يجهضون المجدى منها ، لما يتمتعون به من سيطرة •

زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية

وأمام عدم الاستقرار في الجزائر ، والذي دام طويلا . وفي زحمة المناقشات الحامية في المجلس الوطني الفرنسي ، ارتأى رئيس الجمهورية الفرنسية المسيو «لوبي» أن يقوم بزيارة استطلاعية للجزائر • وقد دامت رحلته من العاشر الى السادس والعشرين من أفريل ــ نيسان ــ 1903 م •

وقد كان «لوبي» أقرب تجاوبا لمطامح الجزائريين حيث أنه صرح بأن سياسته كانت ضد الاندماج ، وأكد لهم بأن فرنسا ستترك لهم الحرية في ممارسة دياناتهم والبقاء على حضارتهم وتقاليدهم القديمة •

والذي يتتبع حوادث الجزائر في هذه الفترة 1892—1912 م يتحقق أن روحا جديدة نشأت في التفكير الوطني الجزائري . هذا التفكير

---

15 ـ تقويم الأخلاق ، ص 81 .

الذي حير كبار السياسيين والكتاب في فرنسا وغير فرنسا ، حتى أن الكاتب ميفل أندري يعترف في مقال نشر بجريدة « صدى باريس » بأن في الجزائر « غليانا » غير أنه ينسب هذا الغليان لأسباب خارجية فيقول : أنه يوجد في الجزائر غليان موجه من « القسطنطينية » والقاهرة عبر برلين •

ويقول : وبعد شهر واحد فقط اعتقلت السلطات الفرنسية في الجزائر وفدا قبرصيا بتهمة نشر دعاية « القومية الاسلامية » ضد فرنسا ••• ويضيف هذا المراسل : ان الجزائريين قد استقبلوا المسلمين القبرصيين « بتقديس » •

وقد استجوبت السلطات الفرنسية أعضاء الوفد واحتفظت بمحضر الاستجواب غامضا ، ثم أجبرتهم على مغادرة الجزائر • (16)

اسباب الغليان الحقيقية

ان رد الغليان الى عوامل خارجية ، كما ينسبه الكاتب ، انما جريا على قاعدة معروفة لدى أكثر الكتاب الأجانب ، نحو شعوب المستعمرات . والا فان علاقة الجزائريين بالعالم الاسلامي ، وخاصة المشرق العربي ، ليست بالأمر الجديد ، فمن حق الشعب الجزائري ، بل من واجبه أن لا تؤثر عليه أية قوة ليتخلى عن وجوده وشخصيته اللذين يتمثلان في انتمائه الى العالم الاسلامي العربي •

على أن حماس الشعب الجزائري لدينه وقوميته لم ينطفيء في يوم من الأيام ، برغم العوامل القاسية التي نزل بها الاستعمار عليه • والحقيقة أنه ، مهما كانت علاقة الجزائر الروحية نحو المشرق العربي ، أو نحو تركيا بالذات ، في ذلك العصر ، فان روح التمرد على الظلم التي عرفت بها الجزائر طوال تاريخ الاحتلال الفرنسي هي المسيطرة ، وهي التي يجب أن نفسر بها «الغليان» الذي أشار اليه الكاتب الفرنسي فيما نقلته عنه آنفا •

---

16 – ح و ـ ج ، سعد الله ، ص 134 نقلا عن «التايمز» و «لوماتان» .

وهذه الكاتبة الأمريكية جـوان غليسبي (Joan Gellespie) تقول في كتابها « الجزائر الثائرة » الذي وصفه المعرب خيري حماد بأنه يعرض القضية الجزائرية عرضا تاريخيا وعلميا صادقا . ويبين أسباب ثورتها — يعني ثورة فاتح نوفمبر 1954 — ودوافع نضالها ، مستندا الى الحقائق والأرقام بكل تجرد وواقعية وموضوعية . تقول الكاتبة تحت عنوان « طلائع الحركة القومية » :

« يعتبر الشعور القومي في الجزائر مزيدا من نوعـه بين المشاعر القومية في العالم المعاصر ، حتى بالنسبة لتلك المشاعر الموجـودة في البلاد المجاورة للجزائر ، والواقعة في الشرق الأوسط وأفريقيا » (17).

بيد أن الغليان الذي أشرت اليه آنفا ، بعد ما كان يتفجر ثورات مسلحة في مختلف أنحاء الوطن ، وأثناء مختلف الأزمنة ، قد بدأ يتخذ أشكالا جديدة . مما دل على تبدل الفكر الوطني كما قدمت ، وهو ما يمكن أن تعبر عنه ببداية عهد المقاومة السياسية .

وهكذا ، فبعد تلك الضجة التي أعقبتها زيارة رئيس الجمهورية لوبي الى الجزائر اتخذت قرارات من باب « ذر الرماد في العيون » مثل : اتخاذ مبدأ انتخاب المسلمين بمجالس العمالات (Conseil Général) سنة 1908 ، والاستجابة لبعض المطالب التي عرضتها اللجنة البرلمانية السابقة الذكر ، غير أن المستعمرين ، بما يتمتعون به من اليد الطولى في الاستئثار بتفسير النصوص في الجزائر ، جعلوا كل قرار لصالحهم ، بحيث أن قرار الانتخابات الذي يشرك الجزائريين في المجلس العمالي بنسبة الثلث لم تسمح الادارة الجزائرية الا لنائبين اثنين .

تقول الكاتبة غليسـبي : ... وتقرر أن يكون للجزائريين الثلث في التمثيل في اللجان المالية « المجلس المالي » (Délégation financière)

---

17 — من هذا التفسير «للبلاد المجاورة» نفهم ان الكاتبة تعني الشرق الاوسط وافريقيا بصفة عامة وليس كما يتبادر للذهن من الجوار : تونس والمغرب وليبيا .

ومع ذلك لم يعين الآ جزائريان في الفترة الأولى . وهما يستان الى الطبقة الثرية من أصحاب الأراضي • (18)

بل تذهب الكتلة المستوطنة الى ارهاق المسلمين بشتى الوسائل من القاء القبض الجماعي ومنع المسلمين من الحج عام 1908 ، وبكثير من القرارات الظالمة التي تعطي للسلطات الاستعمارية في الجزائر صلاحيات واسعة لقمع المسلمين والزج بهم في السجون دون أية محاكمة • ومنها قانون « لانديجينا » (l'indigénat) الذي بقي سيفا مصلتا على الأهالي منذ 1856 م

تقول الكاتبة غيليسبي : « بعد فرار الأعداد الكبرى من المدن الى الأرياف ، ثم الهجرات على نطاق واسع الى الشرق الأوسط طيلة القرن التاسع عشر ، وبعد الاضطرابات الاقتصادية التي أدت الى خفض ماتملكه الطبقة الوسطى من ثروات . وبعد وقوع مجاعة 1867 م التي أدت الى وفاة عدد كبير من الضحايا ••• وكانت مدينة قسنطينة ــ استثناء لما وقع في المدن ــ الأخرى ــ قد انتعشت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . فأصبحت مركز المعارضة الدينية والسياسية للحكم الفرنسي . وكانت للطبقة الوسطى في هذه المدينة جذور عريقة وتقاليــد ثقافية وفكرية رفيعة ، وانفتاح على داخل البلاد . وقدرتها على السيطرة على الطبقة التركية المتحكمة في الحقل الثقافي • وتمكنت الطبقة المثقفــة المختارة بمعونة باي قسنطينة من تجنب الدمار الذي ألحقه الفرنسيون بالمدن الجزائرية الأخرى » •

وتضيف الكاتبة : « وليس من الغريب ــ والحالة هذه ــ أن تكون هذه المدينة مسقط رأس الكثيرين من زعماء الثورة الجزائرية ــ تقصد ثورة التحرير ــ » • (19)

---

18 ــ الجزائر الثائرة ، ص 34 .

19 ــ المصدر السابق ، ص 33 .

وهكذا تذهب الكاتبة الأمريكية مستخلصه رأيا في تبدل المقاومة الجزائرية أسلوبا ومكانا فتقول : « وأدى القضاء على الثورة بمنطقة « قبيلي » ــ بلاد القبائل ــ الى نهاية فترة من الوطنية الريفية وبداية فترة أخرى من جهود أهل المدن يقودهم سكان قسنطينة للحصول على امتيازات من الفرنسيين عن طريق الوسائل السلمية ، وظلت الطبقة المختارة في الناحيتين السياسية والدينية في مدينة قسنطينة مترابطة مشتبكة . وهكذا ربضت المعارضة للحكم الفرنسي في تعابير دينية » . (20)

انها من الكاتبة لمحة موفقة كل التوفيق لأن التاريخ يساندها ، والواقع الذي ادركه الكثير منا يشهد بذلك ، فكما أن المقاومة المسلحة كانت تعتمد على الدين كانت المقاومة السياسية كذلك . فالمقاومة المسلحة التي أبداها الأمير عبد القادر ، ثم ما لحق بعدها من ثورة المقراني . وابن الحداد ، وأولاد سيدي الشيخ ، وغيرهم ، كانت ترتكز على العقيدة الاسلامية ، سابقا ولاحقا .

أولا ــ لأن الشعب الجزائري شعب متمسك بالاسلام غيور على عقيدته وعلى روابطه مع العالم الاسلامي .

ثانيا ــ لأن معاهدة الاحتلال كانت تلتزم للجزائريين بحفظ دينهم ومعتقداتهم وأخلاقهم وعوائدهم ، فلذلك كان المكافحون الجزائريون يميلون الى صبغ حركتهم بصبغة اسلامية مبتعدين عن مظاهر القومية.

أولا ــ لأن عقيدتهم الدينية تتجاوب . بل توجب الجهاد والمقاومة .

ثانيا ــ للتقية من الاستعمار المتربص .

وسنرى في هذا الكتاب كيف أن المقاومة السياسية في العصر الحديث هي الأخرى بدت مرتكزة على الدين بواسطة ثلة كبيرة من علماء القطر الجزائري الذين يحملون في دخيلتهم روحا دينية صادقة

---

20 ــ نفس المصدر والصفحة .

ووطنية متدفقة ، كانوا نشروا قدرا كبيرا من الوعي الوطني « الثوري» ولكن بواسطة دروسهم الاسلامية . ومن هؤلاء المشائخ : عبد القادر المجاوي ، وحمدان الونيسي ، وصالح بن مهنا ، وأحمد الجيباتني ، وكلهم من قسنطينة .

ومنهم عبد الحليم بن سماية ، وعمر راسم من العاصمة ، وغيرهم . كما جاء من بعدهم تلامذتهم كعبد الحميد بن باديس ، والمولود بن الموهوب ، وعمار بن أحمد العطوي ، وعمر بن قدور ، وغيرهم كثير ، فواصلوا المهمة بالدروس كأشياخهم ، وبالصحافة وبغيرها من وسائل النشر المحدثة ، في الجزائر وحتى في المشرق العربي ، وفي تركيا .

وقد تبلورت كل تلك الجهود في ظهور حركة سياسية ناهضة ولكنها دون نظام حزبي ، وبالاضافة الى عدم الاستقرار المتواصل ، والى ما سمي بحركة « القومية الاسلامية » ، والى حركة الهجرة الجماعية ، كان هناك عوامل جديدة على مسرح الحوادث الجزائرية ، وذلك بظهور حركة اجتماعية أكثر منها سياسية ، وهي ما سميت « بحركة الجزائر الفتاة » ، وقد أصبحت حقيقة واضحة ، وبدأت تلعب دورا هاما في توجيه السياسة المحلية ، وقد أظهرت نفسها نشيطة بفعالية كحركة نهضة في عدة ميادين : كالانعاش الثقافي ، والهيجان السياسي ، في مظهر من الاتجاهات الحديثة مرتكزا على الاتجاه المحافظ في الطبقات الاجتماعية ، غير أنه لم يبلغ درجة التنظيم الحزبي ، لأن الأحزاب السياسية بالمعنى المتعارف عليه لم تكن بعد موجودة في الجزائر .. (21)

أما الكاتبة غيليسبي فقد أسمت هذه الحركة المتقدمة الذكر : «حركة الجزائر الفتاة » .

فتقول : « وتم القضاء على ثورة أخرى في عام 1907 وفي عام 1911 م اذ فرقت السلطات بالقوة مظاهرات جرت احتجاجا على نتائج الانتخابات المزيفة التي وقعت في ذلك التاريخ . وتألف في نفس الوقت

---

21 - ح-و-ج ، سعد الله ، ص 153-169 .

أول حزب جزائري . قدر له أن يكون قصير العمر ، وقد دعي هذا الحزب « بحزب الجزائر الفتاة » (22) ، وأعلن موافقته على الالتزامات التي فرضت حديثا على الجزائريين لأداء الخدمة العسكرية الالزامية دفاعا عن فرنسا ؛ ولكنه طالب بتوسيع تمثيل الجزائريين في الجمعيات والمجالس المنتخبة ، وبتطوير التعليم وتوسيعه : وبانهاء الضرائب الخاصة المفروضة على العرب ؛ والغاء قانون السكان الأصليين (l'indigénat) هذا القانون الذي يرتكز على أربع قوائم :

1 ـ الاعتقال الاداري .

2 ـ مصادرة المكاسب .

3 ـ المسؤولية المشتركة .

4 ـ قانون الغاب المرهق .

---

22 ـ ربما كانت هذه التسمية مستوحاة من اسم : (تركيا الفتاة) هذه الحركة التي كانت سبب تذمر كبير في العالم العربي .

التجنيد الاجباري وكفاح الجـزائريين

لم يكن لمحاولات الجزائريين التي تقدم بيانها منذ 1891 الى 1912 م اية نتيجة معتبـرة ، فرغم الوفـود الغـاديات الرائحات ، والعرائض المتعددات وحتى الأعمال المسلحة ، وقد كان على رأس المطالب التخلي عن فكرة التجنيد الاجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي ، فقد اتخذ البرلمان الفرنسي في النهاية ، يوم الثالث من شهر فبراير ـ شباط ـ 1912 قرارا باجبار الجزائريين على الخـدمة العسـكرية بصفتهم رعايا فرنسيين ، وكان ـ كما هو متوقع اذ ذاك ـ لهذا القرار صدى عميق تفجرت منه الحالة في الجزائر على أشكال من المقاومة والكفاح •

فقد قابل الشعب هذا القرار بحملات من الاحتجاج ، بمظاهرات صاخبة ومقاومة عنيفة ، وعرائض بتوقيع السكان في كل ناحية ، زيادة على الكتابة في الجرائد وتوزيع المنشورات ، وحتى مراسلة الصحافة الأجنبية خارج الوطن ، فقد بعث المكافح السيد عمر بن قدور بمقال لجريدة « الحضارة » التركية ونقلته عنها الجريدة التونسية «المشير» بتاريخ العاشر سبتمبر ـ أيلول ـ 1911 م وصف فيه اجتماعا عاما عقد بعاصمة الجزائر ، وخطب فيه الشيخ عبد الحليم بن سمايـة معارضـا للتجنيد باسم الجزائريين ، ويقول سعد الله (1) :

« ••• وبناء على تقرير ابن قدور فان ابن سماية قد سأل الجمهور عندما وقف للكلام : ما اذا كان يرضيهم أن يتكلم باسمهم بخصوص الموضوع • وعندما أجابوا بالايجاب في صوت واحد أخبر شيخ البلدية

---

1 - ح-و-ج ، سعد الله ، ص 174 .

ورئيس الاجتماع ــ وهو فرنسي طبعا ــ أن الجزائريين يجب أن يرفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ، حتى ولو رضيت فرنسا بتعويضهم بالحقوق السياسية ــ على خلاف ما قبلته جماعة النخبة ــ لأن اجبارهم على الخدمة العسكرية يخالف دينهم ؛ وحين أيد وجهة نظره بآيات قرآنية اتهمه بعض « الفرنسيين المزعومين » ــ اشارة لجماعة النخبة كما كان يسميهم المحافظون ــ بسوء الفهم • وبعد مشادة كلامية بين المحافظين وجماعة النخبة انتهى الاجتماع ــ بناء على قــول ابن قدور ــ بالرفض التام للتجنيد الاجباري ؛ سواء مع الحقوق السياسية أو بدونها » •

وحقق شخصيا الأخ الفاضل البركة الشيخ السعيد أبو حجر هذا الموقف من عمر بن قدور ؛ وقد كان من رفقائه ، بأنه نشر مقاله « أو تقريره » بجريدة الحضارة التركية عدد 70 يوم 8 أغسطس ــ آب ــ 1911 م ؛ كما ذكره في كتاب «الجزائر والأصالة الثورية» • (2)

والمقال طويل جدا نقتطف منه ما يأتي : فبعد ديباجة الرسالة المؤرخة في 28 يوليو (جويليه) 1911 ، وبعد أن يذكر عدم مبالاة الفرنسيين بارادة الشعب الجزائري ولا يقرأون له الا ولا ذمة ؛ بينما هم يصرخون كل يوم بمنهم علينا بنظامهم وعدلهم ••• وبعد أن يذكر وقائع جلسة المجلس البلدي بعاصمة الجزائر التي رفضوا فيها التجنيد وأحالوا رئيس الجلسة الى الرأي العام ليعرض عليه القرار لأنه لا يمكن لأعضاء المجلس البلدي وحدهم اتخاذ أي موقف ضد ارادة الشعب • بعد هذا كله يقول :

« ولما وقع الاستدعاء وتسابق المدعوون الى دار المجلس البلدي والتأم الجمع في قاعة المفاوضات ، دخل رئيس المجلس المسيو « دوغلان » وجلس في كرسي الرئاسة وافتتح بقوله : ان الحكومة الفرنسية رأت

---

2 ــ راجع هذا الكتاب ص ص •

الآن أن تحشر أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها الحربي ، تنفيذا لمشروع المسيو ميسمر (Mismer) وزير الحربية الحالي ، وأنها وجهت الى الوالي العام في هذا الشأن أمرا تحثه على استشارة المجالس البلدية في الأقطار الجزائرية ... ولما أتم شيخ المدينة مقاله قام الأستاذ العالم العلامة الشيخ « عبد الحليم بن سماية » البقية الصالحة والجهبذ الناسك ... وخاطب الملأ الاسلامي قائلا : تريدون مني أن أتكلم بالنيابة أم لا تريدون ذلك فأصمت ؟ فأجابه الملأ بلسان واحد : تكلم أيها الأستاذ .

فتقدم جنابه وشرع في الكلام شروعا جميلا وأتى على خط مستقيم واستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين اذ أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسوية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة ، ولو نالوا من الحرية ما يخول نبغاءهم التربع في دست رئاسة الجمهورية . ودعا جنابه الى أن الحرية والحقوق السياسية اذا منحت للمسلمين مقابل تجنيدهم تكون هناك الضربة القاضية على القومية الدينية والجنسية ، اذ يقع اندماجهم بالأمة الفرنسوية نهائيا .

ولما اسهب في الخطاب محتجا ومعارضا انبرى له من فئة المتفرنجين أحد زعمائها ، وخاطب رئيس المجلس البلدي بقوله : قد أسهب في الموضوع على حين أن المسألة لا علاقة لها بفلسفة القرآن ... فأجابه الأستاذ الخطيب : « اني أتكلم مع رجل عالم ، يدري الأمور ويتبصر فيها ، فذروني أتكلم مع جنابه والا فتكلموا أنتم معشر الخشب المسندة » .

يقول ابن قدور : قال هذا واستأنف السير خارجا من قاعة المفاوضة ، فاسترجعه رئيس المجلس مستأنفا لهذا الشأن قائلا له : أنت الذي تتكلم واني لا أصغى لأحد دونك من هذه الجماعة ، واني لمسرور بك جدا ... فتمكن اذ ذاك الأستاذ عبد الحليم من اتمام كلامه ، ولما أتمه صاح الأعيان بأنهم موافقون تمام الموافقة على احتجاجه ورفضه المشروع .

ثم أعرب المفتي الحنفي (3) السيد «محمد بوقندوره» عن رأيه بأنه موافق على كلام الأستاذ عبد الحليم ، وانتهت المفاوضة بقرار رفض التجنيد ، سواء بنيل الحقوق السياسية أم لا • ولم يفلح المتفرنجون في معارضتهم •••

وبحسب تقرير ابن قدور فان خطبة ابن سماية التي تملأ نحو ست صفحات ، كانت وثيقة وطنية صريحة لم يكن أجرأ منها ولا أثقل وطأة من أية معارضة في العهد الاستعماري لذلك العهد •

ومن أنشط الأدوار في هذه الحملة هو الذي لعبه أعضـاء بلدية مدينة الجزائر ، فتحت قيادة « لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين » (4) ناور هؤلاء الأعضاء بحكمة لبسط القضية أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي ، ففي 27 ماي — آيار — 1912 م بعث هؤلاء الأعضاء عريضة هامة الى « حكومة الجمهورية والمجلس الوطني الفرنسي » ، وقد عبروا فيها على أن قانون التجنيد الاجباري الصـادر في فيفري (شباط) من نفس العام كان :

أولا : معاديا للديمقراطية لأنه كان مطبقا على الفقراء فقط •

ثانيا : مهينا للجزائريين لأنه وعدهم تعويضا قدره (250 فرنكا) وهو تعويض جعلهم يشعرون بأنهم كانوا «مرتزقـة» لا جنـودا « بفخر واحترام » •

ثالثا : غير عادل لأنه جعل الجزائريين يعملون في الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدل سنتين مثل الفرنسيين • كما أن ذلك القانون كان

---

3 ـ كان حسب النظام الديني زمن الاحتلال مفتيان في كل مركز عمالة أحدهما مالكي المذهب والثاني حنفي ، وهو نظام عتيق منذ العهد التركي •

4 ـ لعله من الحقائق التاريخية ان تعد هذه الحركة «لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين» في اول امرها ، اول حزب سياسي ، بما قدمته من نشاطات عامة ، خاصة في حملة معارضة التجنيد الاجباري ، فالاجتماعات والعرائض والمظاهرات التي انتشرت في جميع انحاء الوطن ، زيادة على الوفود لفرنسا ، كانت ولا شك بتأثير هذه الحركة ، ولو انها اصيبت بنكسة بانقسامها في الاخير تحت تأثير تهاون المتفرنسين بقضية الجنسية الجزائرية ، وانفصال الامير خالد عنها فانشأ جمعية الاخوة الجزائرية سنة 1922 كما سيأتي تفصيله •

غير عادل لأنه فرض على الجزائريين حملا جـديدا دون أن يعطيهـم الحقوق السياسية والمدنية التي هي ضرورية ولا استغناء عنها •

وقد اشتملت العريضة على اقتراحات ومطالب ، منها بناء هذا القانون على الحرية والعدالة والمساواة ، والمطالبة بنهاية كاملة لقانون الأهالي الخاص «لانديجينا» وللمحاكم الزجرية ، والاعتراف بمبـدأ المساواة في كل شيء لا سيما بخصوص المسؤولية ونوزيع الضرائب والتمثيل النيابي الجاد والـكافي للجزائريين ، بمـا في ذلك المجلس الـوطني الفرنسي ••

ولا يخفى ما في هذه العريضة من نقاط كانت ضد مطالب المحافظين ، ولكن كتلة المتفرنسين تغلبت عليهم باثباتها ضمن العريضة » • (5)

بيان «الشباب الجزائري» : (6)

ومن نشاطات هذه الحركة تكوين وفد من الشخصيـات الآتية ، ذهب الى فرنسا وقدم عريضة أطلق عليها « بيان الشباب الجزائري » الى رئيس الوزراء « بوانكاري » •
وكان الوفد مؤلفا من السادة :

الدكتور بن تامي	نائب بلدي مدينة الجزائر
مختار حاج سعيد	محامي بمدينة قسنطينة
بو شريط علاوة	نائب بلدي قسنطينة
الدكتور موسى	نائب بلدي قسنطينة
حاج عمار	نائب بلدي مدينة جيجل
جودي	نائب بلدي بسكرة
بن عصمان :	نائب بلدي (بيجو)

---

5 – ح–و–ج ، سعد الله ، ص 210 – 211 .

6 – ح–و–ج كلود ، ص 23–24 ، وبعض المؤرخين يعبر عنه بـ « بيان النخبة » .

ابن ديدوش نائب بلدي تلمسان

قارة علي من اعيان عنابه

وهذا الوفد مكن قائمة مطالب الى م • بوانكاري رئيس الوزراء يوم 26 جوان ـ حزيران ـ 1912 وتشتمل على المطالب التي ينتظر أن تكون مقابل تجنيد الجزائريين •

ان مضمون هذه القائمة هو الذي أطلق عليه فيما بعد « بيان الشباب الجزائري » (Manifeste de Jeune Algérien) والغالب أن هذه القائمة التي تثبت نصها فيما يلي ليست بدون شك ، النص الكامل ، ولو أنها أعطت زبدة النص ، وهي تؤلف عده عرائض سابقة «للشباب الجزائري » في القضية العسكرية والسياسية ، وقد قدمت منها خلاصة بتاريخ 2 جويلية ـ تموز ـ 1912 الى البرلمان الفرنسي بواسطة النائب البرلماني م ميسيمي (Messimy) باسم لجنة العرائض (J.O.R.F.) بدار البرلمان الوثائق البرلمانية 1912 (1475–1470) •

وهذا نص البيان : ان الأهالي الجزائريين مستعدون لأداء كل واجباتهم كمواطنين نحو أم الوطن ، ولكنهم يعتبرون أن هذا الحمل الجديد « التجنيد » يتطلب كمقابل «مجازاة» تحسين حالتهم • فمن جهة فانهم يعتبرون كأمر لازم :

أ ـ تخفيض مدة الخدمة العسكرية الى سنتين مثل الفرنسيين •

ب ـ الاستدعاء للجندية يكون من سن العشرين عوض الثامن عشر ، لأن المجند في هذا السن لا يكون مكتمل البنية •

ج ـ حذف المنحة التي تعطى للجندي ، لأن عائلاتهم ستكون مسرورة أكثر عندما تحس بأن أبناءها يؤدون واجبهم بالجيش الفرنسي دون مقابل جارح

ومن جهة آخرى يطلبون أن يعوضوا تعويضا حقيقيا بما يلي :

1 ـ اصلاح النظام الزجرى •

2 ـ تمثيل حقيقي وكـاف في المجالس الجزائرية والفرنسيـة في (Metropole)

3 ـ توزيع الضرائب توزيعا عادلا •

4 ـ تصريف مداخيل الميزانية تصريفا عادلا بين طبقات السكان •

وأمام نشاط « لجنة الدفاع » هذا الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا قامت في وجهه كتلة من النواب المسلمين ، فأصدرت لائحة باسم الفرع العربي من المجلس المالي ، صوتت عنها بالاجماع يوم 8 جوان ـ حزيران ـ 1921 ، وهذا نصها الساخر :

« بعض الصحافة الأهلية اتخذ من قضية تجنيـد الأهالي الجزائريين مقفزا للمطالبـة بحـق الجنسية الفرنسيـة لكل الأهـالي الجزائريين المسلمين •••

وقد أخذ تجمع صغير من المحتجين يتأهب للذهاب الى فرنسا ليطالب باعطاء الجنسية الفرنسية لزملائنا •••

وتضيف : أن أعضاء ما يسمى « بلجنة الدفاع عن مصالح المسلمين» ليسوا هم أولئك المثلون الحقيقيون للسكان المسلمين في الجزائر ، وليسوا بالمعبرين عن أنفاس زملائنا ••• الذين هم نحـن والممثلون الوحيدون الشرعيون المأذونون •••! (7)

وتختم : ان الوقت لم يحن بعد ليطالب زملاؤنا أن يكونوا مواطنين فرنسيين » • (8)

عريضة مدينة الخروب

ومن أحسن العرائض التي قدمت للحكومة الفرنسية أثنـاء هذه الحملة ، العريضة الآتية التي وجدت نصها بين أوراق شيخنا عمار ابن أحمد العطوي «مهري» فأثبتها هنا بالحرف والنص :

7 ـ الممثلون الشرعيون على شريعة فرنسا التي عينتهم نعم ! اما التمثيل الحقيقي للشعب فلا ...

8 ـ المرجع السابق ، ص 23 .

قسنطينة في ماي 1912

الى فخامة رجال مجلس الأمة للجمهورية الفرنسية العظيمة . .

بعد اهداء ما يليق بالمقام من التعظيم والاحترام فاننا نحن الواضعون خطوط أيديهم أسفله من مسلمي سكان الخروب من أيالة قسنطينة : قد أزعجنا ما بلغنا من أن الدولة الجمهورية عزمت على ادخال مسلمي وطن الجزائر في العسكرية فتحيرنا للغاية وتألمنا للنهـاية لأن عهدنا بالدولة الفرانسوية الفخيمة منذ ثمانين سنة من حين استيلائها أنها ذات عدل وانصاف ، وخولتنا في هذه المدة الطويلة نعما غزيرة . فلما فاجأتنا بهذا الأمر اندهشنا اندهاشا عظيما وانا نرجـو من مراحمها واحسانها أن لا تلزمنا بذلك فانا نراه عين الاذلال والاحتقار والجبر والقهر الشديدين ، لأن كل انسان لا يرضى أن يكون مجبورا مقهورا على شيء أصلا ، سيما من كان من مثل رعية هذه الدولة الرؤوفة دولتنا العزيزة ذات الحرية التامة فانهم تربوا في مهد احسانها وعدم ضغطها .

وبحسبه فاننا نطلب من رجالها الفخام أن يزيلوا عنا هذا الالزام وأن يرفعوا عنا هذا الأمر المؤلم القاسي وان صممت الدولة ولا محالة ولم تنظر لفقرنا ولا لذلنا ولا لعدم من يأخذ بساعدنا فلتعطنا الحقوق التي يتمتع بها كل من انخرط في سلك العسكرية ، اذ لا يحسن عقلا ولا عادة أن يكون في وطن ثلاثة عناصر : عنصران متمتعان بسائر الحقوق زيادة على الحرية والمساواة التامتين والعنصر الثالث ممنوع من جميعها . ثم اذا عرضت مدافعة على ذلك الوطن يدعى العنصـر الثالث لها ويقال له دافع على وطنك . فأي وطن لهذا الذليل الحقير الممنوع من كل حق والحال أنه بمرأى ومسمع من أخويه المشترك معهما في تعمير ذلك الوطن هما يتمتعان بلذائذه الحسية والمعنـوية مثل الوظائف العالية والحرية النامية ، ويراهما ينتخبان غيرهما لكل خطة وينتخبان من غيرهما ، وهو مندحظ في وسط الذلة متروك في مزبلة الاحتقار لا يذوق في ذلك الوطن الا القهر والجبر .

ورجال الدولة الفخام لا نظنهم يوافقون على جبرهم مسلمي الجزائر على العسكرية من غير مساواتهم لأخويهم من المعمرين الفرنسيين واليهود في سائر الحقوق الممنوحة لهما • ففي هذه الحالة فان الدولة لا تستفيد منهم ثمرة دخولهم في العسكرية • اذ تكثير العنصر الغالب بالعنصر المغلوب واعتماد الأول على الثاني انما يكون اذا كان المغلوب غير مقهور وغير مهموم • ولا يكون كذلك (أي في فائدة الدولة) الا اذا رأى نفسه مساويا لذلك الغالب في سائر الحقوق • هنالك تكون للمغلوب وطنية يدافع عنها مدافعة الأسود الكواسر ، ويحب الغالب اذ ذاك محبة قلبية ويفديه بالنفس والولد والمال •

أما اذا لم يتوصل بالحقوق فانه لا يرى لنفسه وطنية حتى يدافع عنها ، واذا سيق لقتال عدو ينساق مذعورا مجبورا لمولا يخفى على رجال الدولة الفخام انسياق المجبور المقهود فلا تحدثه نفسه الا بأن ثمرة هذا الانتصار الا القتل والأسر وقطع الأيدي والأرجل • ثم اذا رجع بخفي حنين من ذلك القتال بعد الأتعاب الشديدة والجراحات العديدة لاقاه الاحتقار والذلة والانكسار •

فيا أنصار الانسانية هل هذا هو الانصاف الذي يفعله الغالب الرحيم مع المغلوب الضعيف ؟! ويا حماة الضعفاء ووكلاء المنكوبين ، ويا من تغذوا بلبان الحرية والانسانية والاصداع بكلمة الحق ! نحن رعية لكم نشكوكم الى أنفسكم ونرفع ما ضرنا منكم اليكم • اذ لا ناصر لنا سوى رجال دولتنا الفخيمة الذين لا يرضون بما يؤلمنا ويضرنا •

فنحن لا نرضى بالعسكرية بكل وجه الا اذا قهرتمونا عليها وجبرتمونا على أدائها ، فنطلب اذن أن تساووا بيننا وبينكم في سائر حقوق الوطنية ليتأتى لنا الدفاع عنها والذب عليها بقلب صاف وفرح وسرور من غير ذلة ولا احتقار ومن غير تجرع كأس القهر والانكسار ، بشرط عدم ادخالنا في الجنسية أصلا اذ لا ملازمة بين الحقوق والجنسية ، فكل منا على دينه وجنسيته كما كنا منذ ثمانين سنة ، ونحن أخوة في الحقوق والمدافعة على الوطن بل على سائر التراب الفرنسوي حيثما كان •

ولا يدعي الملازمة بين الحقوق والجنسية الا من يريد أن يغبننا في حقوقنا من أعداء الانسانية التي تسعى في تعزيزها دولتنا الفخيمة •
وأملنا وطيد في رجال الدولة الفخام ووكلاء مجلس الأمة الأحرار بأن يلتفتوا نحو شكايتنا ويعيروها بعضا من الاعتبار ويرفعوا عنا عظيم مصيبتنا ، كما هو شأنهم في كل مهم رفع اليهم ، وكما هي عادتهم في دفع كل ضيم قدم لديهم •

والسلام من المسلمين الساكنين بالخروب من أيالة قسنطينة الواضعين خطوط أيديهم أسفله •

انتهى

في الجانب المظلم احـــرار

هذا ، ولاتمام بحث جميع جوانب هذه الفترة المبكرة يحسن أن نضيف الى ما تكلمنا عنه من مطالب وكفاح الجانب الجزائري ، بعض مواقف الجانب الآخر من أحرار الفرنسيين ، مما ربما يعطينا بعض الميزات التي تزودنا بشيء من الضوء لنسير به في الفترة المقبلة •

ففي الوقت الذي يضفي التاريخ على كفاح الجـزائريين شيئا من قداسة الجهاد فى سبيل الحق ، مثلما يسجل على المستعمريـن ــ فى جانبهم المظلم ــ أنانيتهم وسفالتهم في محاربة حق الشعوب في الحياة ؛ نرى أيضا ــ في هذا الجانب المظلم نفسه ــ بصيصا من النور يومض هنا وهناك بفضل بعض الشخصيات الحرة التي لا يعدمها كل زمان في كل أمة من الأمم •

ففي هذا الجانب ــ أثناء تلك الفترة ــ ربما أمكن أن نعد فئة من أحرار الفرنسيين ، بقطع النظر عن انتسابهم الحزبي ، كانت تؤيد مطالب الجزائريين للحقوق ، التي بدأت تحرج شيئا فشيئا بعض الضمائر ، في مفتتح القرن العشرين ، ومن هذه الفئة الاقتصادي « شارل جيد » (Charles Gide) والبرلماني ميسيمي (Messimy) والمهنـدس شارل ميشال (Ch. Michel) شيخ مدينة تبسة •

الذ . . من فخامة رجال المجلس الامة الجمهورية الفرانسوية العظيمة ابعد اعداء ما يلحق بالمغاربي من الذين يخيفهم والحجة او
بافنائي الواضعون بحكومة ايديهم اسفله من مسلمي سكان الجزائر ولا بالة فستجيبه فدا زعمنا ما بلغنا من
ان الدولة الجمهورية عزمت على ادخال مسلمي وطن الجزائر العسكرية فتحيرنا للغاية وتالمنا للنعمة لان عهدنا
بالدولة الفرانسوية الفخيمة منذ ثمانين سنة من حين استيلائها على انها دات عدل وانصاف وخولتنا في هذه المدة الطويلة
نعما غزيرة فلما جاءتنا بهذا الامر اندهشنا اندهاشا عظيما وانزعجنا انزعاجا اعظم واحسانها لا تلزمنا بذلك
فانا نراعي الذلة والاحتقار والجبر والقهر الشديد لان كل انسان لا يرضى ان يكون مجبورا مقهورا على شيء ولا سيما
سيما وان من مشروعية هذه الدولة الرفيعة دولتنا العزيزة ذات الحرية التامة بانهم تربوا معها احسانها وعدلها
فعظمها وحسبه بانا نطلب من رجالها النجباء ان يزيلوا عنا هذا الهم لانا وان يرفعوا عنا هذا الامر المؤلم الذي
وقع من الدولة والحالة ولم تنظر لبغناء ولا الذلة والاعتناء من يأخذ بساعدنا ويتقضينا الحقوق والتي يتمتع بها الفرنسوي
الامر في سلك العسكرية اذ لا يستوي عنصر ولا عادة ان يكون في وكمن لهما فيه عناية عنصران متمتعان بسائر الحقوق
زيادة على الحرية المساوات التامتين والعنصر الثالث ممنوع من جميعها ثم اذا فرضت مدافعة على ذلك الوطن يدعى
العنصر الثالث لها ويقال له دافع على وطنك بانفس وكون لهذا الذليل الحقير الممنوع من كل حقوق الحال انه من اي ويسميه من
اخويه المشتركين معهما في تعمير ذلك الوطن يتمتعان بلذايذه الحسية والمعنوية مثل الوظايف العالية والحرية التامة
وبه انما يتمتعان عن جميع المزعجات ويتخلصان من غير ما هو منه في وسط الذلة ويدخل في زبلة الاحتقار لا يذوق من
ذلك الوطن الا الهم والجبر ورجال الدولة النجباء لا نظنهم يوافقون على جبر مسلمي الجزائر على العسكرية
من غير مساواتهم لاخويهم في التعمير الفرنسيس واليهود في سائر الحقوق والممنوحة لهما فتعين استفادة الدولة منهم
والحالة هذه من دخولهم في العسكرية اذ تكثير العنصر الغالب بالعنصر المغلوب واعتماده على المنابر انما يكون اذا
كان المغلوب غير مقهور وغير مهضوم ولا يكون كذلك الا اذا رأى نفسه مساويا للغالب في سائر الحقوق فهنالك
تكون للمغلوب وطنية يدافع عنها مدافعة الاسود الكواسر ويحب الغالب اذ ذاك محبة قلبية ويفديه بالنفس والولد
والمال اما اذا لم يتوصل بالحقوق فانه لا يرى لنفسه وطنية حتى يدافع عنها اذ اسؤلنا الا عمر وينساق مع ... الى
مقهورا ويا لا ينبغي على رجال الدولة النجباء انساق المقهور وله تحدثه نفسه الا بان تجرة هذا الانتصار يستبعد
به اناس اخرون ولا يستطيع هو من ذلك الانتصار الا القتل والاسر وقطع الايدي والارجل ثم اذا رجع بخفي حنين من ذلك
القتال بعد الا تعاب الشديدة والاهانات العديدة لا فائدة الا الاحتقار والذلة الا انكسار ولا ادخار الانسانية ما هذا الا انصاف
الذي يفعله الغالب الرحيم مع المغلوب الضعيف ويا حماة الضعفاء ويا كلاء المنكوبين ويا من تغذوا بلبان الحرية والانسانية
والامداد بالحرية رعية لكم نشكوكم الى انفسكم ونرفع ماذا يأمنكم اليكم ادلة لناسوتي رجال دولتنا الفخيمة
الذين لا يرضون بما يذلنا ويضرنا فنحن لا نرضى بالعسكرية بكل وجه الا اذا قمتم علينا وجبرتمونا على الدخول فيها
فاطلبوا ان تساووا بيننا وبينكم في سائر حقوق الوطنية ليتاتى لنا الدفاع عنها والذب عليها بقلب صاف وبه ويسر ومن
من غير ذلة ولا احتقار ومن غير تجرع كاس القهر والا نكسار بشرط عدم ادخالنا في الجنسية اصلا اذ لا ملازمة بين الحقوق
والجنسية فلا منا على دينه وجنسيته كما كنا منذ ثمانين سنة ونحن اخوة في الحقوق والمدافعة على الوطن بل على سائر
التراب الفرنسوي حيث ما كان ولا يدعى الملازمة بين الحقوق والجنسية الا من يريد ان يغبننا في حقوقنا من اعداء الانسانية
التي تسعى في تفريق ولتنا الفخيمة واهلنا وتكيد في رجال الدولة النجباء وفي بلد في مجلس الامة الاعلى فلا يلتفتوا الى
شكايتنا بهم وما يعضا من الاعتبار ويرفعوا عنا مصيبتنا كما هو شأنهم في رفع الهم وكما في عادتهم في دفع كل ضرر
فدائيهم والسلام من المسلمين الشاكين بالخوف من ايالة قسنطينة الواضعين خطوطهم بايديهم اسفله

وقد أنشئت حتى بعض التجمعات مثل « جمعية التقارب الفرنسي الجزائري » برئاسة شارل جيد • ومثل بعض الجرائد كجريدة «الاسلام» و « الرشيدي » و « كوكب افريقيا » فضلا عن الوفود الذاهبة الى فرنسا من العنصرين وكادت تسفر هذه الجهود على شيء من النجاح بقرار 13 جانفي «كانون الثاني» 1914 الذي رفع عدد النواب الأهالي الى الثلث بالنسبة الى الفرنسيين ، وأعطى للتجار الأهالي الملتـزمين وللذين عملوا في الجندية الفرنسية ، ولأصحاب الشهادات الفرنسية حق الانتخاب ، كما أعلن البرلمان أنه سيوافق على الحقوق التي لا تتنافى مع السيادة الفرنسية (9) ، الا أن اعلان الحرب العالمية الأولى جمد ذلك القرار ولم ينفذ شيء • (10)

من الدفاع السلبي ضد التجنيد :

ومن انتفاضات الشعب الجزائري ضد التجنيد الاجباري ما هو سلبي ولكنه معبر تعبيرا بليغا ، كاختفاء الشبان وهروبهم الى أدغال الجبال ، وكحركة الهجرة الى البلاد الاسلامية بصفة واسعة جاوزت كل تصور بحيث وصفها أحد الكتاب الأجانب وهو «ن•ديمونطي» في كتابه « الجزائر » بأنها « الهلع الحقيقي وأنها توشك أن تكون وباء أخلاقيا » •

أما الكاتب « ميللي فيليب » فله في الهجرة رأي آخر ، فهو ينسبها الى سوء معاملة المسلمين كرعايا ، وللضيق الجسدي والفكري الذي ضربهم في بلادهم فخرجوا حيث يتنفسون • ولا شك أن التجنيد في جيش أجنبي يعد من الضيق الجسدي وحتى الفكري » • (11)

أما الدكتور صلاح العقاد فيقول عن الهجرة : « وفي هذا التاريخ سنة 1912 م قررت الجمعية الوطنية الخدمة العسكرية الاجبارية على

---

9 ــ ربما كان الاعلان تحت ضغط احتياجات الحرب •

10 ــ الحياة السياسية في مدينة الجزائر لمحفوظ قداش ، ص 37 •

11 ــ ح ــــوج ، سعد الله ، ص 141 •

الجزائريين بصفتهم رعايا فرنسيين ، ومع أنها أخذت بمبدأ البدل المالي الا أنه لم ينتفع سوى عدد قليل جدا من الجزائريين بهذا المبدأ ، لانتشار الفقر بينهم • (12)

ويضيف العقاد : « وكان لهذا القرار صدى عنيف بين الجزائريين الى حد أن هاجر على اثره جماعات متلاحقة من وهران الى الشام • ولما كان هذا القرار قد صدر قبيل اعلان الحرب العالمية الأولى بزمن قصير ، فقد دفعت الجزائر ثمنه غاليا • » (13)

تعليق على الأحداث

عندما نتصفح هذه الانتفاضات الشعبية الجبارة أمام قوة استعمارية كانت ولا زالت في عنفوان امتدادها وقوتها ، وقد قضت على كل المحاولات من أنواع المقاومة المسلحة وغيرها ، سنعرف ولا شك مايتمتع به الشعب الجزائري من رصيد وطني ، فبالرغم من الضربات القاسية الممتدة من القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين ، والتي قد كسرت حدته بالهزائم التي يتلوها التشريد والتعذيب والتفقير ، وكل أنواع الارهاق ، وأرغمته في النهاية على الرضوخ الممض ، برغم كل ذلك لا زالت عزة في النفس وكرامة في الشخص الجزائري •

فاعلان الأستاذ ابن سماية في اجتماع عام يرأسه ممثل الدولة الاستعمارية : « ان الجزائريين يجب أن يرفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ، حتى ولو رضيت فرنسا بتعويضهم بالحقوق السياسية ، لأن اجبارهم على الخدمة في جيش أجنبي ، يخالف أوامر دينهم » وكانت الحقوق السياسية هي أعلى ما يرجوه الشعب الجزائري

---

12 ـ يقصد الكاتب بمبدأ «البديل المالي» أن الشخص المدعو للجندية يمكن له أن يدفع مقابل تجنيده مبلغا من المال ليعطى لاحد الفقراء الذي يتطوع مكانه ـ أي أنه يشتري ، أو يكتري ، أحدا ليؤدي عنه الواجب التجنيدي ـ غير أنه لم ينتفع بهذا المبدأ الا المستوطنون الفرنسيون بما لهم من امكانيات مالية ، أو قليل من الجزائريين المحظوظين بهذه الامكانية .

13 ـ كتاب المغرب العربي ، ص 170 .

في ذلك الوقت ، فهذا الاعلان الجرىء من رجل موظف ، أمام الحاكم الغاشم ، يعتبر جهادا أي جهاد !

ثم ، وهذه العريضة « الشعبية » التي قدمها سكان قرية الخروب ، وقد كانت بعد سنة تقريبا من الاجتماع الذي قـدم فيه ابن سماية تصريحاته المتقدمة ، وفى أثناء هذه السنة وقع ما وقـع من حوادث وتطورات سنأتي على ذكر بعضها ، تصرح هذه العريضة « بأن قبول الجزائريين لمبدأ التجنيد الاجباري عين الاذلال والاحتقار ، وفيه من الجبر والقهر الشديدين ••• ولم يزل الجزائري يرى أن كرامته لا تقبل الجبر والقهر فتقول العريضة : « لأن كل انسان لا يرضى أن يكون مجبورا مقهورا على شيء ، أصلا » •

وعندما تتتبع العريضة ، على ما فيها من شكر وخضوع «تكتيكي» للدولة الفرنسية ورجالها الفخام ••• أو «للتقية» فاننا نجدها تطفح وطنية وعزة وكرامة ، ويظهر ذلك في مثل التصريح الآتي بما معناه : أن هذا الأمر لا يرضخ له الشعب الجزائري الا تحت القهر والقوة اللتين فقد أمامهما كل امكانياته في حروبه المتواصلة طيلة القرن الماضي وبعضا من القرن الحاضر ، وانما اذا لم ترحم هذه الدولة الغالبة المغلوب بالقوة الغاشمة ، لأنه لم يجد من يأخذ بساعده في تلك العصور المظلمة، فليكن اجبارها هذا الشعب على الخدمة العسكرية في جيشها الأجنبي مشروطا بتساوي الغالب والمغلوب في الحقوق كما استويا في الواجبات•

ثم لا تزال العريضة ــ بكل صراحة ــ تندد بالظلم وتشهر بالقهر ، ولا تألوا جهدا في اظهار وطنيتها والمحافظة على شخصيتها التي تتمثل فى المحافظة على دين الشعب وجنسيته ، فهي تقول : « ••• فنحن لا نرضى بالعسكرية « التجنيد » بكل وجه الا اذا قهرتمونا عليها وجبرتمونا على الدخول فيها ، فنطلب حينئذ أن تساووا بيننا وبينكم في سائر حقوق الوطنية ليتأتى لنا مشاركتكم في الدفاع من غير ذلة واحتقار ومن غير تجرع كأس القهر والانكسار • ثم ••• وبشرط عدم ادخالنا في الجنسية ــ الفرنسية ــ أصلا » • هذه الجنسية التي تراها فرنسا شرفا ويراها

الشعب الجزائري سبة . » اذن فكل منا يجب أن يبقى على دينه وجنسيته ، اذ لا ملازمة بين الحقوق والجنسية ، ولا يشترط الملازمة بينهما الا من يريد أن يغبن شعبنا في حقوقه ، من أعداء الانسانية والحق » .

وهكذا ـ كما يقال التاريخ يعيد نفسه ـ فبالرغم من تطور الكفاح مع تطور الزمن والشعوب ، فاننا نجد الجزائري دائما قد يمكن أن يفرط في كل شيء عزيز في هذه الحياة الا في دينه وجنسيته التي يراها جزءا من عقيدته ، ففي حملة المقاومة السياسية التي وقعت أثناء الثلاثينات من القرن العشرين ، وكانت تطغى فيها حملة الاندماج ـ كما سيأتي لنا في حينه ـ نرى العرائض التي كانت قدمت لوزير الداخلية الفرنسي «يني» الذي جاء الجزائر في جولة استطلاعية عن سياسة الاندماج التي تزعمها «م.فيوليت» الوالي العام السابق اذ ذاك والنائب البرلماني ، تتكلم بنفس اللهجة وبنفس الروح والمنطق . وها هي نبذة من عريضة قدمها نواب ناحية وادي الزناتي من ايالة قسنطينة ـ اذ ذاك ـ تقول :

... اذا ثبت أن بروجي فيوليت ثبوتا لا يقبل النقيض أنه لا يمس بعقائدنا وتقاليدنا الدينية ، فاننا نقبله ... ملاحظين من جهة أخرى ، أنه نظرا لتعهد فرنسا ـ ووعد الحر دين ـ بأنها تحفظ الجزائريين في دينهم وتقاليدهم القومية ـ يعني معاهدة الاحتلال سنة 1830 م ـ فاننا نرجو من عدالتها أن تتعهد في البرنامج المذكور على منحه دون أدنى تبديل : لا في الجنسية ولا في الدين ، لا في الحال ولا في المآل ..(14) .

الهجـرة التاريخية الجماعية

في الحقيقة أن هجرة الجزائريين من وطنهم ، خاصة الى البلاد الاسلامية ، لم تنقطع على امتداد تاريخ الاحتلال الفرنسي ، وبخاصة

---

14 ـ سنثبت نص هذه العريضة في وقتها ان شاء الله .

بعد الثورات المتعددة والتي يعقبها الفشل ، وتتعقب دولة الاحتلال المجاهدين وقراهم بالتقتيل والتشريد ثم تنثني على الشعب بحجز أراضيه ومصادرة ممتلكاته ، وبالضغط والقهر وأنواع الانتقام العنصري والديني • وكل ذلك يشهد به التاريخ باعتراف جميع المؤرخين بيد أن الهجرة بعد قرار التجنيد الاجباري ، مضافا الى محاولة التجنيس والسيطرة على الأماكن والشؤون الدينية والتعليم العربي ، أخذت شكلا جديدا • فبعدما كانت الهجرة من فرادى وعائلات تطورت بعد قرار التجنيد الى رحيل قبائل برمتها ، ونزوح مئات العائلات ، تاركة أملاكها وضياعها وكل عزيز لديها ، « هروبا من أرض الكفر » وفرارا من الحكم الاستعماري الظلوم •

وكتب مارشاند في مجلة « الشؤون الديبلوماسية والاستعمارية » سنة 1921 م عن الهجرة الجماعية فنسبها لأسباب عدة ، أقتطف منها ما يلي :

« ••• وعندما أصبح واضحا أن قانون التجنيد الاجباري كان سيصدر لا محالة ، باع هؤلاء أملاكهم (15) وأخذوا نساءهم وأطفالهم ثم غادروا وطنهم (16) •

ويقول الدكتور العقاد : ••• ويقابل هذا التوسع في الاستيطان ـ يعني استيطان الفرنسيين الجزائر ـ هجرة الجزائريين الى الخارج والتي بدأت تظهر سنة 1912 م ، وقد ظهر نوعان من المهاجرين : النوع الأول يتمثل في هؤلاء الذين استنكروا الخضوع لقانون الخدمة العسكرية الاجبارية ، أو ضاقوا بنوع الحياة الغريبة التي فرضت عليهم •

---

15 ـ ... باعوا أملاكهم ... اي أملاك يبيعونها ! فاذا كانت اثاثا أو رياشا أو حيوانات يمكن بيعها ولكن بأبخس الأثمان . أما الأملاك العقارية أو الأراضي فليس الى بيعها من سبيل .

16 ـ أكثر المهاجرين قصدوا سورية ومنهم من اتجه الى فلسطين والحجاز . هذا عدا المهاجرين الى تونس والمغرب الاقصى ، وقد عد المهاجرين الى القطرين الشقيقين الاخيرين بعض الكتاب الأجانب بنحو 20 الفا . ح ـ و ـ ج ، سعد الله ، ص 145 .

ففي هذه السنة خرجت ثمانمئة عائلة (800) من تلمسان ورحلت الى الشام حيث قدمت لها السلطات العثمانية بعض المساعدات المادية .. ويضيف : والنوع الثاني من الهجرة يتعلق بأسباب اقتصادية : وقد سبق أهل القبائل الى ممارستها (يعني سكان بلاد زواو) فخرج منهم سنة 1912 م خمسة آلاف ، وتزايدت الهجرة بشكل ماحوظ أثناء الحرب وحتى سنة 1924 م » (17)

ان الهجرة التي ذكرها العقاد ووصفها بالهجرة الاقتصادية هي الاغتراب نحو البلاد الفرنسية نفسها ، وتعتبر هذه الهجرة نواة نزوح الجزائريين نحو البلاد الفرنسية حيث يعملون الأعمال المجهدة ويرسلون ثمرة جهودهم الى عائلاتهم التي تركوها في الوطن ، وكانت فرنسا في حاجة الى الأيدي العاملة — خصوصا أثناء الحرب — ففتحت الأبواب على مصاريعها ، وكانت الأجرة التي يتقاضونها عن عملهم بفرنسا أفضل بكثير من الأجرة المهينة التي يقدمها المستوطنون للاهالي . فلذلك تفاقست أعداد المغتربين الرجال الى أن بلغت مئات الآلاف . بينما تضاءلت الهجرة الى المشرق العربي للسبب الآتي ، وهو غلق الحدود .

فقد أثبت المؤرخون أن هذه الهجرة الجماعية الهائلة قد حيرت الفرنسيين وجعلتهم يغلقون الحدود الجزائرية ، ويراجعون في الوقت نفسه سياستهم المتحجرة المتغطرسة ؛ فقرروا — تحت ضغط الغضب العام الجماعي تراجعا ، ولكن الى أي مدى كان هذا التراجع ؟ ذلك ما ستجده بعد من هذا الكتاب .

ولقد كان ، الى جانب الهجرة التي حيرت الفرنسيين ، عوامل أخرى أحدثت ضغطا كبيرا على المستعمرين وحكومتهم . ومن ذلك الضجة الكبرى التي حدثت في الشرق الأوسط . وحتى في غير الشرق الأوسط ؛ ومنها ما كان من أثر عالمي من النهضة العربية ، والتي سماها الكتاب الأجانب « القومية الاسلامية » وتبعهم حتى بعض الكتاب

---

17 — المغرب العربي ، ص 171—172 .

العرب أخذا ــ على ما أظن ــ من انصياع العالم الاسلامي كله الى الخلافة العثمانية ، اذ ذاك • فظهرت وحدة المسلمين تحت قيادة واحدة وكأنها قومية بالمعنى الذي ظهر مؤخرا في العالم الأوروبي بعدما كان مشتتا على قبائل لا يربطها أيما رابط •

أما العالم العربي ــ بفضل الحضارة الاسلامية ــ فقد كان يتوفر على جميع الخصائص ، الخمسة أو الثلاثة ، التي تكون أمة من الأمم • ولذا فان الشعب الجزائري ظل منذ الفتح الاسلامي جزءا لا يتجزأ من العالم العربي • على خلاف ما اعتمده مؤلف كتاب « ثورة الجزائر » السيد الشلقاني ، من أن الجزائر اذا توفرت لها بعض العناصر الخمسة في أوائل القرن التاسع عشر ، فان البعض الآخر لم يكن قائما أو كان ضعيفا » (18) • وربما عدنا الى الموضوع في مناسبة أخرى •

الجزائر ونهضة العالم الاسلامي والعربي

لكي نقف على حقيقة الوضع في الجزائر أثناء ظهور النهضة الاسلامية في المشرق ، يحسن أن نرجع قليلا الى ما قبل هذه الفترة لنرى كيف أن الجزائر ، بعد تلك الثورات المتتالية ، والحروب غير المتكافئة طيلة نصف قرن من الزمن ، وكانت خاتمتها ــ اذا استثنينا ثورة «بوعمامة» سنة 1881 ــ هزيمة ثورة المقراني سنة 1871 م التي كانت ضربة قاضية على روح التمرد على الاحتلال الأجنبي في الجزائر •

لقد كان انتصار الجيش الفرنسي على هذه الثورة العارمة آخر مسمار يدق في قلب المقاومة المسلحة في الجزائر ، والذي فتح الأبواب ليعم الاحتلال كل مناطق الوطن تقريبا ، كما فتح النوافذ لنشر الرعب والخوف والذل بين الجزائريين ، وأعطى فرصة للفرنسيين لتجهيل الشعب الجزائري بعد تفقيره الذي تم على مدى امتداد المقاومة المسلحة،

---

18 ــ ثورة الجزائر ، ص 95 •

وذلك بمصادرة الأراضي وتشريد ملاكيها ، والضرب على أيدي الأهالي في المشاركة في الحياة الاقتصادية ، مما أدى الى وقوع مجاعة عامة في سنتي 1867 -- 1868 م ، والتي ذهب ضحيتها ، حسب التقدير الرسمي ، كما يقول الدكتور العقاد ، ثلاثمائة ألف شخص (300•000)•

والحقيقة أنها تتجاوز نصف مليون نسمة ، ومن المؤرخين من قدر أن حروب المقاومة كلفت الجزائر نصف سكانها • ولقــد بلغت القسوة بالفرنسيين الغالبين في ثورة عام 1871 م الى مصادرة خمسة ملايين هكتارا من الأراضي التي يملكها الثوار ، وتأميم مليونين وخمسمائة ألف هكتار أخرى ، زيادة على مبلغ مائة فرنك (100) على كل بندقية كضريبة حرب • وبالتالي اصدار قانون بالمسؤولية المشتركة الجماعية على كل خسارة تحدث في ممتلكات المحتلين المغصوبة • (19)

تدفق هجرة الاوروبيين الى الجزائر حلم الاستعمار

لقد تدفقت سيول هجرة الأوروبيين الى الجزائر عقب تلك الفترة 1871 — 1881 م لتوزع عليهم في النهاية تلك الملايين من هكتارات الأراضي العربية المصادرة ، ولتبني لهم القرى الفــلاحية وتقدم لهم القروض السخية للاستغلال ، بينما نزلت كلاكل الذل والفقر والجهل على الأهالي ، ولنترك تصوير الحالة الى الدكتور العقاد نقلا عن توفيق المدني : (20)

« بلغ الاستعمار الأوروبي ذروته في الفترة ما بين 1870 — 1914 م فتمت سيطرة المستوطنين خلالها على ثروات البــلاد وعلى ادارتها ، وتحطمت أركان المجتمع الجزائري ســواء كانت للقبيلة أم للهيئــات القيادية في المجتمع التي تعتمد على الأصل أو المال أو الزعامة الدينية ، وتحول معظمهم الى عمال لخدمة الرأسمالية الاستعمارية ، ومن الطبيعي

---

19 — ح—و—ج ، سعد الله • نقلا عن فافرو وآرون ، ص 66 •

20 — المغرب العربي ، ص 166 •

أن يقترن بهذا البؤس المادي انتشار الجهل . فأوشكت الثقافة العربية على الاندثار . ويلاحظ أن بقية حملة الثقافة العربية لم يظهروا الا في المدن الجنوبية حيث تخف وطأة الاستعمار » .

ويضيف المدني : « وقد انتهى هذا الوضع الى اعتقاد المستوطنين بتفوقهم العنصري ، وايجاد تبرير فلسفي لاحتفاظهم بامتيازاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فوصفوا العرب بأنهم جنس غير قابل للتثقيف :

واعترف هانوتو أحد المؤرخين المتخصصين في شؤون الاستعمار بأن الادماج قد طبق لصالح المستوطنين ، وأنه من المستحيل ادماج عنصر السكان الأصلي في البيئة الفرنسية اجتماعيا وثقافيا ، لأسباب تاريخية وروحية . وقال أن تطبيق نظام الادارة والقضاء الفرنسي عليهم لا يدل أبدا على أن هذه الحواجز قد تخطيت . واذن فقد شهدت الجزائر نوعا مهينا من سياسة التفرقة العنصرية ، يدل على ذلك أن القليل من الجزائريين الذين تجنسوا حسب تشريع سنة 1865 ، بل حتى الذين اعتنقوا الكاثوليكية ، لم تتغير نظرة المستوطنين اليهم فسموهم بالمسلمين الكاثوليك » ، ورفضوا أن يكونوا معهم أغلبية في المجالس المحلية المشتركة . (21)

وهذا ما يدل على أن كلمة مسلم في ذهنوم لا تعني دينا معينا بل تعني ذلك الجنس المحتقر «جنس السكان الأصليين» (22) . ا هـ

---

21 ـ بل رفضوا حتى دفن موتاهم في مقابرهم ، بعدما رفضهم المسلمون . ونتج عن ذلك احداث مقابر خاصة بالمتجنسين من العرب لازالت قائمة الى الآن بمختلف جهات الجزائر .

22 ـ ان تهرب المستعمرين من اطلاق كلمة «العربي» على الجزائري لها مغزى سياسي ، وهو انكار شخصيته العربية حتى تمكن فرنسته ، غير أنه اذا تعارضت هذه الفرنسة مع مصلحتهم السياسية أو الاقتصادية ، تصير اجراما في حق العربي الذي يدعيها . والضح من ذلك أن المقصود بالفرنسة عند المستعمرين هو الوطن الجزائري ليكون خصيصا لهم جزء من فرنسا ، وليس المقصود الساكن الوطني الأصلي لانه في هذه الحالة سينافسهم في حقوق المواطن ، كما ستقف عليه في كثير من الحوادث الاتية في هذا الكتاب ان شاء الله .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل ان سوء النية التي كان يضمرها المستعمرون ، والحقد الديني والعنصري الذي كان يدفعهم ، والكراهية للجنس العربي ، هذه الأشياء جعلتهم يتوسلون بأحسن الوسائل ليتوصلوا الى قتل كل روح معنوي وشريف في الجزائري ، الأمر الذي حير الأحرار في العالم فجعلوا يهاجمون أعمالهم . فمن بين الهجومات الحرة الصادقة ضد النظام الفرنسي في الجزائر ما كتبه المؤرخ والعالم الاجتماعي البريطاني الأستاذ «براوني» فقد هاجم طريقة « البعث الحضاري الفرنسي » في «التسرب السلمي » في الجزائر عن طريق الكحول وغيره من الوسائل اللاأخلاقية ، والتي ترتكب باسم الحضارة والتقدم . وقد قال براوني : ان هذه السياسة تذكره بأن عنصر الايمان « لم يغير الا شكله فقط » .

ويذهب براوني الى حد أن يقول : فان كل من يقدر « ملامح الشرف والرجولة والاستقلال » هاته الملامح التي يتميز بها الجزائري سيشمئز عندما يراه الآن ... قد أصبح في حالة دنيا . مجردا من المطامح الشرعية ، ومن الأهداف المثالية ! جاهلا ، لا مباليا ، ممتعضا بصفة عامة ... وكثيرا ما لا يجد الملجأ والسلوى الا في الخمر التي منحته اياها الحضارة كعزاء على حريته واستقلاله الضائعين . » .

فماذا كان يمكن للشعب الجزائري أن يفعل والحالة هذه ؟! (23) انه الركود في الأوحال ، أو الركون الى الخيال ، وهذا ما أطلق عليه «فترة الخمود » .

فترة الخمود

لقد انهار الجزائري ووقع في وحل الهزيمة المنكرة تحت وطأة الخوف والارهاق ، المتعددة الجوانب ، وركن الى الكسل والخمول والتوكل على الغير ، كما صار يستعين حتى بالحجر والشجر لتنقذه من

23 ـ ح ـ و ـ ج ، سعد الله ، ص 109 ، نقلا عن رسالة براوني الى «التايمز» بلندن في 5 اغسطس 1911 .

البلوى ، شأن كل ضعيف متهالك ، وعزيز ذل ، وغني افتقر ! أو جاهل فقد رشده ! .

ولولا بقية من مثقفين في الزوايا الطرقية والكتاتيب القرآنية ــ وهذا اعتراف بالحقيقة التاريخية يجب على كل رجل شريف ــ لفقدت الجزائر شخصيتها الى الأبد . ولكان الاستعمار الفرنسي قد نجح في عزلها عن مجتمعها الذي يتمثل في العالمين العربي والاسلامي ، بما استعمله من وسائل جهنمية لهذا الغرض ، ولكانت الجزائر أصبحت أندلسا ثانية . لكن هذه الفئة القليلة كانت ــ تحت ستار الدين كما تقدم ــ تجاهد للابقاء ولو على أقل شيء يمت به الشعب الجزائري لمجتمعه الأصلي .

ولئن كان المشتهر عن فترة الخمود أنها كانت مليئة بالخرافات والخيالات الشعبية ، فانه يظهر لي أن هذه الفئة المثقفة ــ حفاظا منها على مبدأ « دفع المفسدة » التي تتمثل في «الدفاع على ابقاء الشخصية» فقد استغلت الميول الشعبية للخيالات أو للمعجزات ، لتوجهها في اتجاه شبه تنظيمي اجتماعي على أساس من العقيدة ، فأقامت للجماهير الشعبية اجتماعات دينية في المساجد والزوايا ، حفاظا على ايمانها وعقيدتها الاسلامية ؛ واجتماعات ترفيهية ترشح بنفس الروح الدينية في المقاهي والمجتمعات الخاصة حيث تقرأ عليها الغزوات الاسلامية . والبطولات العربية من أمثال سيدنا علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن جعفر ، وخالد بن الوليد ، وهو تدبير تكتيكي ، تعلوه عزة نفسية واخلاص لله من رجال تشبعوا بالروح الدينية وألفوا نسيم الحرية وعزة الحكم الوطني فلم يتحملوا وقر الاحتلال ، ومثل هؤلاء الأول هو المقاوم العظيم الأمير عبد القادر .

ولما كان الاحتلال مفروضا بقوة السلاح لجأوا الى أضعف الأشياء يتوسلون بها للابقاء على الشخصية الوطنية الى أن تجيء ساعة الخلاص . وأنا لا أوافق بعض الكتاب الذي يقول : « ان الجمهور الجزائري جمهور مستسلم لارادة الله ... الذي سينقذه ذات يوم من « الرومي » ... !

فالجمهور الذي قاوم الاستعمار مدة قرن وتزيد ، وهو يؤمن لا شك بالقضاء والقدر ، لا يحسن أن يصفه الناس بالجمهور المستسلم ، أو ينبذه بالاتكالية غير الشرعية ، وانما هي القوة ! القوة التي لا ترحم ، القوة الاستعمارية التي كانت في عنفوان امتدادها عبر جميع العالـم ، زرعت فيه القنوط فخمد خمـود الشرارة تحت الـركام ولـكنه لم يستسلم .

ودليلي على ذلك أن هذه الفئة بأعمالها تلك تمكنت من اقامة سياج روحي سميك اعتصم الشعب من ورائه واحتمى بحصانته ، حتى اذ ظهرت نهضة العالم الاسلامي والعربي كان لا زال له ، لحسن الحظ وبفضل تلك الفئة المؤمنة . نصيب من خميرة القومية في الجـزائر ، فبرزت بعض الشخصيات لتتجاوب مع حركة النهضة الشرقية .

ملامح النهضة الاسلامية العربيـة

على أن النهضة الاسلامية العربية في المشرق كانت المنفذ الذي بزغ نوره في الوقت اللازم بملامحها المشرقة ، ليس المعالم الشرقي وحسب ، بل حتى للمغرب العربي بأسره ، هذه النهضة التي كانت ــ في نظري ــ مزدوجة النزعة مبدأ وان تلاقت هدفا .

النهضة الاسلامية العربية ذات شقين : ديني وسياسي

فهنالك حركة دينية استعملت الاصلاح الديني والتعليم الاسلامي وسيلة لنهضة الشعوب الاسلامية والعـربية ، وهي حـركة الشيخ جمال الدين الأفغاني ، ومن بعده محمد عبده ورشيد رضا وغيرهما .

وهنالك حركة سياسية تكاد تكون بحتة ، استعملت اثارة الشعور والحماس الوطني مطعما بالروح الاسلامية ، لاسترجاع حرية الشعوب واستقلالها ، وأذكت جذوة الوطنية في الشعوب العربية بالخصوص . وتزعمها شكيب أرسلان منذ بداية القرن العشرين ، واتصل بالشيخ

محمد عبده ، ورشيد رضا ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل ، وحفني ناصيف ، وأحمد شوقي ، وحافظ ، والبارودي ، وغيرهم .

وقد كان أرسلان في كل ذلك ــ كما قال ناشر كتابه « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » : كان أمير البيان في صولاته الفكرية وجولاته السياسية من الأوائل الذين حركوا فترة الجمود الفكري والسياسي في الأمة الاسلامية ... »

وكفاح أمير البيان شكيب أرسلان غير خفي على أحد ، ولعل تطوعه للجهاد في ليبيا ــ طرابلس ــ ، لما اعتدت ايطاليا عليها ، يعطينا كثيرا عن فكرته الثورية التي يراها لا تكون ذات جدوى الا اذاخالطتها العقيدة الدينية . اذن فنهضة العالم العربي كانت نسيجا من الحركتين السياسية والاصلاحية الدينية ، فكما أن حركة جمال الدين ومحمد عبده حركت الضمير الديني ، فحركة شكيب أرسلان حركت الضمير الوطني ، وكلاهما يلتقيان في نهاية المطاف عند الهدف .

الجزائر والنهضة الاسلامية العربية

ورغم أن الجزائر كانت مذلولة مقهورة ، مضروبا عليها بستار من حديد ، حسيا ومعنويا ، والذي زادها عزلة وغربة اقتناع الرأي العام الأجنبي ، وحتى بعض الأقارب ، بأن الجزائر لا تشكل جزءا من العالم العربي أو الاسلامي ، وانما هي قطعة فرنسية حسبما أشاعت فرنسا ، فبالرغم من كل ذلك فانها لم تنفك على اتصال باخوانها في العالمين العربي والاسلامي ، وبوسائلها الخاصة ، متخطية كل العقبات والحواجز .

فمن ناحية الحركة الدينية الاصلاحية لم تعدم أسباب الاتصال على ضآلتها ، فهناك بعض الشخصيات ذهبت رغم الحواجز الى المشرق العربي حيث انتسب بعضها لجامع الأزهر في القاهرة ، وأخذت على عديد من العلماء في المدينة المنورة والقاهرة ودمشق وغيرها ، ثم رجعت تحمل علومهم وأفكارهم لتبثها في الوسط الجزائري المتعطش الى

العربية والعلوم الصحيحة ، ومن هؤلاء المشائخ : محمد البشير الابراهيمي ، والمولود بن الصديق الحافظي ، والطيب العقبي وغيرهم .

وهناك الاتصالات الدينية عن طريق حج بيت الله الحرام وزيارة مسجدي النبي صلى الله عليه وسلم ، والأقصى . هذا عدا اقتناء الكتب الشرقية والصحافة بطريق أو بأخرى ، رغم غلق الحدود واقامة السدود ! .

وهذا زيادة على الشخصيات الجزائرية التي هاجرت أو أبعدت وعاشت في المشرق العربي وفي تركيا ، وبقيت على ارتباط مع الوطن الأم ، بنقل أفكارها وانتاجها اليه في الكتب أو في الصحافة ، بوسيلة أو بأخرى ، وبنقلهم أيضا لأفكار الحركة الاسلامية والنهضة القومية ، ومن هؤلاء : الأمير عبد القادر بسورية ، وحمدان الونيسي بالمدينة المنورة ، وحمدان خوجة بتركيا . والشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ المكي بن عزوز وغيرهم كثير . (24)

انما الشيء المؤسف ، والذي يشهد به التاريخ أنه ، بالرغم من أن الجزائريين لم ينقطعوا أبدا عن الاتصال باخوتهم في المشرق فان هؤلاء قد يئسوا تماما ليولوا وجوههم شطر المغرب العربي ، وبخاصة الجزائر التي كانوا يظنون أنها تفرنست نهائيا تصديقا منهم لدعوى الفرنسيين المستعمرين .

واذا اتفق وجاءت بعض الشخصيات في زيارات خاصة أو ترفيهية للجزائر فان الادارة الفرنسية تحيطها بسياج لا يسمح لها بالاتصال الا بمن يسبح بحمد فرنسا وبثقافة فرنسا وبحضارتها ، كما وقع مثلا للشيخ محمد عبده حينما زار الجزائر سنة 1903 م ، ورجع يحمل ذكرى سيئة عن الجزائريين . فقد نقل عنه أنه كان قد أصدم وحزن من حالة التدهور الواضحة بين مسلمي الجزائر ، ولا سيما من اختفاء اللغة العربية .

---

24 ـ طالع « حياة طاهر الجزائري واعماله العظيمة وكذا أعمال غيره من الجزائريين في كتاب الجزائر والأصالة الثورية » لخرفي صالح .

والحق أنه كما أن محمد عبده رجع حزينا من الجزائر . وهذا الحزن له ما يبرره بدون شك ، لأن الجزائر — كما قدمنا — كانت اذ ذاك تعيش « فترة الخسود » نتيجة عاملين على الأقل :

1 — اضطهاد الاستعمار الفرنسي للشعب وللثقافة الوطنية •

2 — تخلي أشقائها عنها في المشرق . فان الجزائريين أيضا ، أو الفئة المثقفة ثقافة عربية اسلامية كانت غير مسرورة بزيارة الشيخ ، أولا ، لعدم عمله على الاتصال بالطبقة الشعبية ، ثانيا ، بسبب ما أشيع عنه — وقد يكون الفرنسيون أنفسهم أو أذنابهم هم الذين أشاعوا — أنه كان ميالا لفرنسا ، وأنه كان يكره السياسة ، في الوقت الذي كانت فيه السياسة عند الجزائريين عبارة عن الماء والهواء ، ويقول : « لعن الله السياسة فانها مهما دخلت شيئا الا وأفسدته » • بل أن الوالي العام م • ليطو صرح في البرلمان الفرنسي أن عبده عند زيارته الجزائر أعطى فتوى لفرنسا بأنها لا تعتبر كافرة بل هي من أهل الكتاب ويجوز للجزائريين قبول حكمها » •

على أن الذي أكد هذه الاشاعات للوطنيين اذ ذاك اقتصار الشيخ عبده رحمه الله على مقابلة الشخصيات التي قدمتها له الادارة الفرنسية، وهي التي كانت تسمى «النخبة» أو «الرجل الحديث» والمراد بهم المثقفون ثقافة فرنسية ، وكانت هذه الجماعة تعتنق فكرة التفرنس والاندماج في العائلة الفرنسية ، كما تقدم في باب التجنيد ، ولم يحاول الشيخ — سامحه الله — بوسائله الخاصة الاتصال بالفئة التي كانت تحمل فكرة عربية اسلامية بحتة ، وقد كانت — لا شك — طموحة للقائه . ولكن غموض الموقف يجعلها تخشى المبادرة بطلب اللقاء •

وهذا ما جعل الكاتب الفرنسي «جوليان شارل أندري» (Julien Charles André) يثبت : أن زيارة عبده للجزائر لم تترك تأثيرا كبيرا على الجزائر ، لأنه تكلم أمام جمهور صغير ، ولأن •• الجزائر « ستبقى لأمد طويل أكثر البلاد الاسلامية انغلاقا في وجه الأفكار

الجديدة » وهذه الفقرة ، كما يبدو من نقلها بين قوسين . فهي من كلام الشيخ عبده .

على أن بعض المؤرخين يؤكد : اذا كان عبده شخصيا لم يؤثر كثيرا على الجزائريين فان أفكاره عن الاصلاح الديني وعن القومية الاسلامية كانت معروفة في كامل الجزائر .. لأن أفكار عبده التي نقلها عن الأفغاني الى الجزائر لم تكن بسبب زيارته ، بل باشتهارها بواسطة الجرائد والكتب الشرقية التي تصل الجزائر عن طريق تونس . (25) هذه ناحية الحركة الدينية باختصار .

أما من ناحية الحركة السياسية فلم يكن للاتصال ــ تقريبا ــ وجود مباشر ، اذا استثنينا الوعي القومي الذي يأتي على طريق الصحافة أو الكتب الشرقية . كما تقدمت الاشارة ، وانما الوسيلة الوحيدة هي الاتصال غير المباشر ، وذلك بطريق فرنسا أو بعض البلاد الأجنبية ، ومن أهم ما يحفظه التاريخ في مجال الاتصال السياسي ونشر الروح القومية في الأمة العربية عامة ، بما في ذلك المغرب العربي ، هي أعمال شكيب أرسلان رحمه الله ورضي عنه ، في أوروبا ، ومحاضراته ، ونشرياته المطبوعة وعلى رأسها مجلة « الأمة العربية » التي كان يصدرها في جنيف (سويسرا) باللغة الفرنسية ، كل ذلك كان له صدى كبير في مجال الفكر السياسي .

ومن الذي ينكر في مغربنا العربي على شكيب أن اتصالاته المباشرة وغير المباشرة ، بالحاج مصالي وعلال الفاسي والحبيب بورقيبة وغيرهم من العوامل الهامة في غرس روح الكفاح ، بروح عربية اسلامية ، ضد الاحتلال الفرنسي ؟ ومن هناك نشوء الفكرة الوطنية الصرفة ، وانتشارها في كل المغرب بأجزائه الثلاثة . فنشأت الأحزاب الوطنية الثلاثة : حزب الشعب الجزائري خليفة « نجم الشمال الافريقي »

---

25 - ح-و-ج ، سعد الله ، ج1 ص 136 .

بالجزائر . وحزب الدستور بقسميه اللجنة التنفيذية والديوان السياسي بتونس ، وحزب الاستقلال بالمغرب الأقصى • وكان لهذه الأحزاب بالفعل الفضل الكبير في تحرير هذه الأقطار المغربية وطرد الاستعمار الفرنسي منها •

وبهذه النبذة من ملامح النهضة الاسلامية نختم هذه الارهاصات التي تقودنا الى أن نتعرف على ما بعدها من الفترات •

* * *

الفترة الأولى : 1920 — 1936

العهد الجديد « الأول » :

لقد أثبت التاريخ ، بما لا يقبل شكا ، أن الحروب العالمية كلها كانت تلقيحا للشعوب . وتجديدا للحياة . ودفعا للبشرية الى الأمام • ومن هذه النظرة يصدق عليها المثل القائل : ومن الموت توهب أو تستقى الحياة ، كما قال الصديق الأكبر رضي الله عنه : « احرص على الموت توهب لك الحياة » •

ليس هذا دعوة الى الحرب أو مخبة لها . أو تجاهلا لويلاتها . وانما هي الحقيقة والواقع الذي اعترف به التاريخ وسجله عمليا •

لقد لبث العالم المستعمر (بالفتح) اذ ذاك . ولبثت الجزائر مع من لبث تحت الضغط والارهاق الاستعماري من جهة ، والوعود الكاذبة والتسويف والغطرسة الاستعمارية من جهة أخرى ، ولم تحظ الجزائر بأي حل لمشكلة من مشاكلها ، وبأي طموح من طموحاتها الشرعية الحقة . وبقيت الوعود تلو الوعود تترى من الدولة الفرنسية ، والتعرضات المتواصلة المتهالكة من كتلة المستعمرين حتى قامت الحرب العالمية الأولى التي كانت سببا جديدا في تجميد قرار 13 يناير 1914 المتقدم الذكر •

نعم لقد اندلعت الحرب العالمية أثناء شهر أوت — آب — 1914 م ودخلت الجزائر في غمرة جديدة بمفعول قانون الأحكام العرفية ، وتشديد الخناق على أية حركة من جهة ، والاشتغال بحالة الحرب وما أتت به من تجنيد لأبناء الجزائر وأموالها من جهة أخرى • فقد عمدت

فرنسا الى تجنيد الجزائر بكل امكانياتها : بشريا ، وماليا ، واقتصاديا ، دون أن يكون لها في هذه الحرب ناقة ولا جمل ، ومع هـذا فان حصتها من وقع هذه الحرب كانت بلا حدود .

واتجهت الأفكار حينئذ الى المستقبل ، وفتحت الجزائر ـ مرغمة ـ أبوابها للمشاركة في الحرب بجانب فرنسا وحلفائها بكل امكانياتها ، في حين أن وعود فرنسا بقيت ولا زالت تبذل بسخاء ... ومنها الوعود الجديدة وعلى رأسها وعود « كليمنصو » الذي قال ذات يوم يخاطب « الكتيبة الافريقية : ثقوا بأن هذه الراية عندما تعود من الحرب مخرقة برصاص النصر سيكون لكم نصيب من هذا النصر » . ولكن.؟

وتمتد الحرب ويقدم الجزائريون خيرة أبنائهم وأموالهم ولكن دون أن يروا بديلا أو يلمحوا أملا ، فتنفجر انتفاضات عفوية وفردية مثل هروب المجندين الى الجبال ، وقيام بعض المظاهرات ، وحتى الحوادث المسلحة ، كحوادث عام 1916 في جبال الأوراس والهقـار . ولكن الحكومة تقابل كل حركة بالحديد والنار ، أو بالوعود ! الأمر الذي حدا برئيس الوزراء م . بريون ليقدم الى البرلمان اقتراحا يقول فيه : « ان الوقت قد حان أن يتمتع الجزائريون بالحقوق المدنية » (1) ولكن ... دون جدوى .

انتصار الحلفاء كان كارثة على الشعوب الضعيفـة

وقد ظهرت أثناء الحرب آمال وآمال في المستقبل ، فتلك شروط « ويلسون » الشهيرة ، والتي من مشمولاتها « حق تقرير المصير » للشعوب المستعمرة ، وهذه الوعود السخية من فرنسـا التي كانت تقدمها أثناء حاجتها لتهدئة الحالة في مستعمراتها حتى تتفرغ للحرب الطاحنة الطويلة المدى . فرنت العيون وتطلعت النفوس حينئذ لليوم الذي يأتي بالخير العميم . والذي سوف تحظى فيه برؤية الأماني التي كان الحلفاء ، وعلى رأسهم فرنسا ، التزموا بها للشعوب المضطهدة ،

1 ـ ثورة الجزائر ، ص 159 .

بحق الحرية وتقرير المصير ، اذا هم انتصروا على ألمانيـا وحلفائها ، وبخاصـة شروط ويلسون الأربعـة عشر التي زرعت أملا كبيرا في الشعوب الضعيفة . حيث أنها كانت باسـم دولة ليسـت من الدول الاستعمارية ، وكانت تنعت « بدولة الحرية » ثم ، وهي أقوى دول الحلفاء ولم تشارك في الحرب التي كانت لا تمسها بأدنى سوء لبعدها عنها ، فكان ذلك مبررا لها بعدم مشاركتها في الحرب الا بشروط ، ومنها النقط الأربع عشرة التي تقدمت الاشارة اليها • من هذه الدولة؟ هي « دولة الولايات المتحدة الأمريكية » ـ تماما كما فعلت بعد في الحرب العالمية الثانية ، اذ دخلت هذه الحرب بجانب الحلفـاء وعند عجزهم النهائي ، على أساس «شروط الحلف الأطلنطي» •

الا أن الولايات المتحدة الأمريكية نكثت في الأولى كما نكثت في الثانية ؛ وخيبت آمال الشعوب التي كانت تعلقها عليها وحدها • بل أن انتصار الحلفاء كان كارثة على الشعوب الضعيفة •

لقد كان انتصـار فرنسا وبريطانيا على ألمـانيا وتركيا أثار شرهما للاحتلال والاستعمار ، فعوض أن تفيا بوعودهما الشخصية والدولية عمدتا الى «تركة» تركيا المهزومة ، والى مستعمرات افريقيا ، فوزعتا هذه حسب المصالح المشتركة على كتلة من الدول الغربية ؛ بعدما أخذتا حصة الأسد واقتسمتا الممتلكات التركية في المشرق العربي ، وجعلتاها تحت نفوذهما المباشر تقريبا •

فتنكرت بريطانيا «العظمى» لاتفاقيتها مع الثورة العربية التي كان يقودها شريف مكة الملك حسين بن علي ، وغدرت بهذا وطرحته في المنفى بجزيرة قبرص الى أن انتقل الى جوار ربه سنة 1930 بعد مكثه ست سنوات في المنفى • ثم احتلت بريطانيا العراق وفلسطين ، لتعطي هذه بعد الى اليهود • وتنازلت لفرنسا على سورية ولبنان ، وضمنت بذلك فرنسا السيطرة على مستعمـراتها في افريقيا ، وعلى رأسـها الجزائر •

ويصف الكاتب الانكليزي جيمس موريس في كتـابه « الملوك الهاشميون » حالة الغدر البريطاني للشريف حسين والأمة العربية بأبسط بيان ، أقتطف منه ما يلي :

وعندما تحركت الجيوش البريطانية الضخمة باتجاه الشمـال زحف العرب على جناحهم الأيسر تحت قيادة جعفر باشا النظامية .. بينما كانت القوات البدوية تزحف الى الشرق باتجاه دمشق ، ولم تحل نهاية أيلول «سبتمبر» حتى كانت الجبهة التركية قد انهارت ..

وفي مكة ، وعلى بعد ألف ميل تقريبا الى الجنوب ، استمع الملك حسين الى الأخبار برضى وابتهاج ... ولم تمض أسابيع حتى كانت الحرب قد انتهت . وأقيمت في دمشق ادارة عربية يرأسها الأمير فيصل بوصفه نائبا عن الشريف الأكبر ، وبدأ حلم المملكة الهاشمية الواسعة الرقاع في طريق التحقيق ، ووجد الحسين نفسه ، على الرغم من حنكته وتجاربه في السياسة الشرقية ، مرتبطا أمام هذا العالم المتضارب من السياسات الأوروبية في مؤتمر الصلح ، الذي ظلت بريطانيا وفرنسا تتزعمانه ، لا سيما بعد أن ظهرت مثاليات الولايات المتحدة (الأمريكية) وميولها الى العزلة .. وبعد أن بدت الدول الصغرى ، مخالب أو دمى، تحركها الدول الكبرى وتلعب بها حيث تشاء . وقد برهن العرب على أنهم مثل بقية الشعوب الصغيرة ، فقد فشل دهاء الحسين ، الطويل المدى ، أمام المطامح والمنافسات التي أخذت الآن تقبض بيديها على مصيرهم ، ولم يكن من شك في أن رغبة الحسين ، على ابقاء النقاط البارزة في اتفاقيته مع البريطان قائمة حتى انتهاء الحرب للوصول الى حل لها ، لم يكن يدور في خلده قط الا خاطر واحد ، هو أنها ستحل وفقا لرأيه وأن جميع المناطق التي طلب الاستقلال لها سـتقع تحت سيطرته ... »

« لكن سرعان ما تبينت له أحلامه ، وبصورة فظيعة ، سرابا خادعا ، فعندما وصل البلاشفة الى الحكم في روسيا عثروا في خزائن الحكومة القيصرية على وثائق سرية زلزلت أركان « الشراكة » البريطانية العربية فقد حسرت هذه الوثائق المربكة النقاب على أنه لم تمض بضعة أشهر

على الاتفاق بين بريطانيا والحسين ، حتى كاذ البريطـان قد عقدوا اتفاقية سرية مع حليفتين من حلفائهم لتقسيم الشرق الأوسـط ما بعد الحرب . الى مناطق نفوذ للدول الثلاث . وتبين أن بريطانيا لم تكن صادقة في عزمها على اعطاء العرب استقلالهم الكامل ، سواء في ظل حكم هاشمي موحد ، أو في ظل دول مستقلة متفرقة » .

« فقد اتفق الانكليز والفرنسيون ، بتصديق من روسيا ، على اقتسام ممتلكات السلطان السابقة فيما بينهم ... » .

ويضيف الكاتب : « ويقول بعض المؤرخين ان الحسين العجوز عرف حقيقة الوعـود التي أعطيت له قبل نشر الوثائق المذكورة بأمـــد طويل » (3) .

تقرير هام عن رئيس الوزراء الانكليزي

ولكي نلم بذلك الوضع أكثر ، يحسن أن أنقل للقاريء فقرات هامة مستخلصة من تقرير لرئيس الوزراء الانكليزي : م. كامبل بنرمان (4) . « لقد كانت بريطانيا ، بعد حادثة « فاشوده » ، وقد اجتمعت مصالحها مع فرنسا ، وتبددت الغيوم ، وقعت الاتفاق الودي ، أو الاتحاد القلبي، فاتحة الحرب العالمية الأولى ، وقد يلعب هذا الاتفاق الودي أو الاتحاد القلبي ، دورا فاصلا فى تاريخ الاستعمار الحديث ، وكان الاتفـاق المذكور يرمي الى تنسيق القوى وتكاتف مجهودات الدولتين فى الميدان الدولي . هذا بالنسبة لألمانيا .

وكان يهدف ثانيا الى تكوين جبهة من أهم الدول الاستعمارية ــ ألا وهي حينذاك ابريطانيا وفرانسا ــ حتى تدافعا عن مصالحهما المشتركة فى الشرق ، فيعمل (كرومر) فى مصر ، و (نيوطي) فى المغرب ، وتشتد فرنسافي سياستها المراكشية،وتحتل مدنها واحدة واحدة ثم تتوغل سياسيا

---

3 ــ الملوك الهاشميون ، ص 60ــ62 .

4 ــ نقلا عن تقرير مؤتمر « اتحاد المحامين العرب الثـــالث عام 1957 » ، ص 458 وما بعدها .

وعسكريا فى الديار المغربية وتفرض فى النهاية حمايتها على البلد عام 1912 م بمقتضى صكوك تعاقدية تتسم بالاكراه وعدم التكافؤ ...

ويمضي التقرير باحثا عن مواطن الخطر الذي ربما يهدد الامبراطورية الانكليزية الفرنسية ثم يقول : « ويتلخص هذا التهديد ، ويتصل هذا الخطر فى البلاد الناطقة باللغة العربية الواقعة جنوب البحر الأبيض المتوسط ، وهي يدين معظمها بشرائع سمحاء تؤدي الى التكاثر فى النسل وزيادة تعداد سكان هذه المناطق ، أمر احصائي مفروغ منه .. » وبعد احصائية حسابية بما يضـاف اليها من تقدم فني وعلمي يضيف التقرير :

« من هنا يأتي الخوف ، ومنه الخطر ... لأن الشعوب المذكورة عظيمة الحضارة جليلة المـآثر فى التاريخ لعبت دورها الخطير فى حل وتكييف مصائر البحر الأبيض فى القرون الماضية ، وهي اذا تنبهت تاقت الى الاستقلال ... واذا استقلت تكتلت ... والاستقلال والاتحاد قضاء على النفوذ الأجنبي ... » ويمضي الكاتب :

« ولذا يتحتم استمرار الوضع الراهن وابقاء هذه الجماهير الزاخرة والجموع البشرية على ما هي عليه من تفكك واضمحلال وتأخر فى ركاب العلم والصناعة والرقي .. وينبغي ايجاد الحل لكفيل والوسيلة الناجعة بتعطيل سير هذه البلاد وشل نموها ، وتحطيم نهضتها ... »

ويضيف : « والحل أوجدته بريطانيا وركزته في عقر ديار العرب ، ألا وهو الأخطبوط السياسي المسمى « صهيونية » . ويختم الكاتب فيقول :

« هذا ما يحمله تقرير كامبل بنرمان فى ثناياه . أخطر وثيقة ديبلوماسية تتعلق بالشرق العربي وتنظيم كيفية السيطرة عليه » (5) .

وينعطف الكاتب الى فترة أخرى فيقول : « ثم جاءت الحرب (العالمية الأولى) وانتصر فيها الحلفاء ، وبالأحرى دول « تقرير كامبل بنرمان »

---

5 ـ المصدر السابق ، ص 463 .

وقامت عصبة الأمم واستبعدت نظام الانتداب بمختلف مراتبه أو (ب ــ و ــ ج) حسب رقي البلاد المنتدبة وقابليتها للحكم الذاتي • ويشبه هذا العهد الى حد بعيد عهد الوصايات الحديث اللاحق للحرب العالمية الثانية ! والذي أخرجته أيضا هيئة الأمم المتحدة فى « ليك ساكس » •

ثم يقول الكاتب : ويمضي التقرير فيحقق شيئا فشيئا ••• وكأن وصاياه أصبحت ركن الحكم الانكليزي الركين فى الشرق العربي ، فتقع ليبيا سنة 1911 م فى أيدي الطليان ، ثم توقع فرنسا معاهدة الحماية مع الدولة الشريفية عام 1912 م وتستولي أسبانيا على ما تبقى من هذا القطر ، وتفرض بريطانيا الحماية على مصر عنوة عام 1914 م وتتمخض الحرب العظمى على الانتداب ، فيحطم المشرق العربي الواحد تلو الواحد، رغم تعهدات « مكماهون » و « كلايتون » ، وصبيانيات لورنس •

فتكون دويلة شرق الأردن سنة 1923 م ••• وتقوم فى لبنان أوطان قومية للأرمن والأرناؤوط ، وتقسم سورية الى خمسة أقسام ، وتجعل البقية الباقية منها وطنا قوميا للأكراد والأشوريين ••• »

وبعد ذكر تعهد بريطانيا بالوطن القومي لليهود سنة 1917 م يقول :

« ها هي صورة البلاد العربية بعد مضي سنوات عن تصميم الوزير الانكليزي الجبار ، وكأن يد القدرة ساهمت فى انجاح خطة التفكك ، فوجد الاستعمار شعوبا قد أعياها المرض وطمس الجهل عيونها وهتك الفقر ما تبقى لها من حيوية ، فأمعن فى سيرته ، وضربت دمشق بمدافع الفرنسيين ثلاث مرات فى ظرف عشرين عاما • وتلونت وتبدلت خريطة هذه المنطقة كيفما شاء هوى الشريكين ••• » (6) •

وهكذا نجد كارل بروكلمان يشرح لنا بعض الشيء أغراض الاستعمار الانكليزي فى البلاد العربية فيعقد فصلا بعنوان : « المراسلات بين الشريف حسين بن علي ومكماهون واتفاقية « سايكس بيكو » (7) •

---

6 ــ المصدر السابق ، ص 469 .

7 ــ اتفاقية سايكس بيكو نسبة لهاتين الشخصيتين ، فالاول (مارك سايكس) خبير بريطاني فى الشؤون الشرقية ، والثاني (ف . جورج بيكو) القنصل الفرنسي فى بيروت .

يقول : « ... وكان الشريف حسين الذي أدرك خــلال اقامته الاجازية فى اسطنبول ، ما كانت عليه الدولة العثمانية من ضعف (8) قد سعى منذ ربيع 1914 م الى الاتصال بالبريطانيين فى مصر بواسطة ابنه عبد الله رجاء أن يساعدوه على الاستقلال عن دولة الخلافة . فلما دخلت تركيا الحرب أعلن استعداده لأن يصم أذنيه عن دعوة « شيخ الاسلام » الى الاشتراك فى الجهاد ، أو الحرب المقدسة . ولكن بريطانيا كانت تطمع فى أن تستدرجه الى المشاركة الفعلية فى الحرب ضد الأتراك بعد أن أخفقت فى محاولتها حمل عبد العزيز بن سعود على مثل ذلك .

وهكذا شرعت بريطانيا توزع بواسطة الطائرات والسفن الحــربية نشرات الدعاية على الأهلين ، داعمة حملتها بمنع استيراد القمح المصري الذي كان الحجازيون فى أمس الحاجة اليه . وفى تموز (يوليو) سنة 1915 م انتهى الشريف حسين الى أن يكــون مستعدا ، شخصيا ، للدخول فى مفاوضات مع المندوب السامي البريطاني فى مصر « السير هنري ماكماهون » . وفى مذكرة بعث بها الى ماكماهون فى 15 تموز « يوليو » تكلم الشريف باسم الأمة العربية ، وعرض على بريطانيا مساعدة العرب لها اذا ما وعدتهم بالاستقلال فى كامل الرقعة الممتدة من « مرسين » الى « أطنه » (9) فى الشمال الغربي حتى الحدود الفارسية (فى الشمال) والمحيط الهندي (فى الجنوب) ، واذا أعلنت موافقتها على خلافة عربية (10) .

ولقد أجاب مكماهون على هذه المذكرة فى 30 أغسطس (آب) ، أي سنة 1915 مؤكدا أن بريطانيا لا تعارض فى انتقال الخلافة الى

---

8 ـ الواقع انه ليس ضعف تركيا هو الذي حمل الشريف حسين على الخروج عن طاعة الخليفة التركي ، بل أن تركيا هي التي تراجعت عن حماية الاسلام والعرب وانتهجت نهجا جديدا استعماريا أثار البلاد العربية كلها ضدها ، لا سيما البلاد الشرقية ، بحيث ما أعلن الحسين تمرده حتى تجاوب معه جميع الزعماء العرب فى المشرق .

9 ـ مرسين : مرفا يقع فى الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى بتركيا ، واطنه : مدينة فى الأناضول تقع على نهر سيحان يكب فى خليج اسكندرونه ويصلها بميناء مرسين خط حديدي . وبهذا تخرج البلاد العربية التي تقع فى الشمال الافريقي .

10 ـ فى كتاب الملوك الهاشميون : أن زعماء البلاد العربية والجمعيات السرية كانوا بايعوا الشريف حسين ليعلن الثورة ضد الأتراك اعتمادا على اعانة بريطانيا . انظر ص 25 وما بعدها .

رجل ينحدر من سلالة الرسول ، ولكنها ترى أن الوقت لم يحن بعد لتعيين الحدود النهائية لدولة عربية مستقلة ، لاسيما وأن كثيرا من العرب لايزالون يحاربون فى صفوف الأتراك » .

ويضيف بروكلمان : « ان ماكماهون أرجأ التقيد بمثل هذا الوعد ـ يعني استقلال جميع البلاد العربية التي تقع ضمن الحدود المذكورة ـ مراعاة للمصالح الفرنسية » (11) .

وهكذا تجد الدولتين الكبريين فى الاستعمار تعملان فى خط واحد وكأنهما تمثلان بالضبط ، فى شرق البلاد العربية وغربيها ما أثبته تقرير اتحاد المحامين العرب من مخططات تقرير رئيس الوزراء البريطاني كامبل بنرمان .

ففي الوقت الذي تنكرت فيه بريطانيا فى الشرق للعرب فى شخص الشريف حسين ومعاهدته مع ماكماهون باستقلال البلاد العربية بعد الحرب ، فعمدت الى الشريف حسين فأبعدته لجزيرة قبرص الى أن قبض ، وقسمت البلاد العربية فى الشرق حسب هواها ، كيف تحب ، وعلى من تحب . ومنحت شطرا عزيزا منها المغرباء من الصهاينة على حساب تشريد شعبها العربي . كذلك تنكرت فرنسا فى المغرب العربي للوعود التي كانت تبذلها أثناء الحرب .

ثم بدأت الدولتان من جديد فى تمتين حبالها الاستعمارية لخنق الشعوب المستضعفة ، بتواطؤ ، أو فى أحسن النيات ، بتغافل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتغيب ويلسون وشروط ويلسون . تماما مثلما وقع لمعاهدة « الحلف الأطلنطي » بعد الحرب العالمية الثانية .

عفوا ، لقد أتيت بهذه البسطة عن الحالة العامة التي خلقتها الحرب . خاصة فى العالم العربي ، بغية افادة القاريء « الحديث » عن أن الاستعمار ، قديمه وجديده ، تجمعه ملة واحدة ، ويقوده دين واحد ،

---

11 ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص 744 ـ 745 .

وأن ما خط لهذا الاستعمار يصلح للاستعمار الآخر ، اذن فلنرجع للوضعية الجزائرية لندرسها على ضوء وضعية العالم ، اذ ذاك •

« فبعد المقاومة الطويلة من الشعب الجزائري والكفاح ضد التجنيد والقوانين القمعية ، قامت مظاهرات عدائية ضد الفرنسيين ، قتل فيها عدد كبير من الفريقين وعمت البلاد موجة من الاستياء ، ففر بعضهم الى تركيا ، ونادى بعض آخر بالتحرر والجلاء فورا ، فلما أحست حكومة باريس بالخطر الداهم بدأت فى سياسة التلويح والوعود الخلابة• ولما انتهت الحرب العالمية الأولى فى عام 1918 م تشكل وفد من الضباط الذين كانوا خاضوا غمار الحرب ، برئاسة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر ، الذي رأى أن من حق الجزائر تقرير مصيرها كأمة مغلوبة على أمرها طبقا للمباديء التي أعلنها الدكتور ويلسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية عندما أعلنت هذه دخولها الحرب •

« وقد أحدثت هذه المباديء وعيا قوميا جديدا ، واحتوت على معان جديدة فى حكم الشعوب وتقرير العدالة العــالمية ، حيث أنها نادت بحرية الشعوب كبيرها وصغيرها وحقها فى تقرير مصيرها • وتقدم هذا الوفد الى الرئيس ويلسون (12) بمطالبه هذه التي لم تلق أذنا مصغية ، اذ سرعان ما نسي أو تناسى هذا الرئيس ، غداة النصر ، تلك المباديء التي أعلنها ، وبقيت الكفة الراجحة دائما فى جانب الأمم المنتصرة فى الحرب » •

« ويمضي المؤلف الجزائري : وما ان علمت الحكومة الفرنسية بهذه الخطوة حتى أصدرت القانون المسمى « بقانون 4 فيفري 1919 م » والذي يلغي قانون « الأهالي L'Indigénat » ، ويوسع فى حقــوق الجزائريين فيما يختص بانتخاب نوابهم فى المجالس البلدية والمالية» (13)•

---

12 ـ فى كتاب المغرب العربي : تقدم الوفد بمطالبه الى « مؤتمر فرساى » وهو الاصوب .

13 ـ لم ينفذ من هذا القــانون الا ما سمح به (الــكولون) برغم قصوره عن مطالب الجزائريين بكثير .

« وعندما أحيل الأمير خالد على التقاعد ـ يعني من الجيش الفرنسي ـ شكل هيئة أسماها « كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين » يتلخص هدفها فى أمرين : الأول الحصول للجزائريين على كامل حقوقهم ـ أي السياسية ـ ، الثاني ، اصلاح الحالة الاجتماعية » •

« ومن أهم ما طالبت به الكتلة : ايقاف سيل المهاجرين الأجانب للبلاد ••• وعبرت جريدة « الاقدام » لسان حال الكتلة عن ذلك أصدق تعبير ، وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ، فكانت لسانا صادقا يعبر عما يجيش فى صدر هذا الشعب المغلوب على أمره » (14) •

ونقلا عن طيبال فى « افريقيا الفرنسية » يقول سعد الله :

« ••• وقد سبقت الاشارة الى أن الجزائريين ، وخصوصا الطبقة المثقفة ، قد رفضوا اصلاح سنة 1919 ، وطالبوا بحق تقرير المصير باسم مبادي « ويلسون » ويضيف : وبناء على مصدر فرنسي مطلع فان هؤلاء الفتيان الجزائريين الذين كانوا يحلمون بالاستقلال ، قد وقعوا على عريضة موجهة الى ويلسون نادوا فيها بالحكم الذاتي للجزائر وطرد الفرنسيين » (15) •

بيد أن الكاتبة جوان غيلسبيي تتناول الموضوع بصفة أخرى فتقول تحت عنوان : اصلاحات كليمنصو :

« وأدت جهود العمال والجنود الجزائريين وتضحياتهم أيام الحرب الكونية الأولى ، وموجة السخط التي تعم الجزائر ، الى قيام اليسار الفرنسي بتأييد حركة الاصلاح ـ لاشك أنها تقصد حركة الكتلة بزعامة الأمير خالد ورفض رئيس الوزراء كليمنصو الاذعان لاعتراض المستوطنين على سلسلة من الاقتراحات المعتدلة ـ نعني التي قدمتها الكتلة ـ وصدر تبعا لذلك قانون فى عام 1919 م يسمح للمتعلمين الجزائريين

14 ـ الجزائر عبر الأجيال لمسعود مجاهد القاضي ، ص 130-131 .

15 ـ ح‍ـو‍ـج‍ـ ، سعد الله ، ص 324 .

بالحصول على الجنسية الفرنسية ، شريطة التحلي عن حقوقهم الخاصة بموجب القانون المدني الاسلامي » (16) •

على أية حال فان الحكومة الفرنسية بعد انتصارها فى الحرب أدارت ظهرها لوعودها الكريمة الخلابة ، وسلكت كأختها بريطانيا ، مسلك مخطط « تقرير كامبل بنرمان » ، ولذر الرماد فى العيون ، لجأت كعادتها الى حلول تربط الجزائر بفرنسا ـ كقطعة منها ـ سياسيا واقتصاديا دون السماح لشعبها حتى بالحقوق الطبيعية •

وبما أنها تعرف أن الشعب الجزائري غيور على عروبته شديد التمسك بدينه الذي تتمثل فيه شخصيته وكرامته الوطنية ، فهي دائما تربط اعطاء الحقوق الفرنسية بالتنازل عن قوانين الشريعة الاسلامية ، ابتداء من قانون « ساناتو كونسيلت فى 14 جويلية (تموز 1865 م) الى قرار 7 مارس (آذار) 1945 م الذي منحه الجنرال ديغول بعد الحرب العالمية الثانية ، مرورا باصلاحات قانون الرابع فبراير (شباط) 1919م •

اصلاحات قانون الرابع فبراير 1919 م

ان هذه الاصلاحات التي كانت الدولة الفرنسية قدمتها كترضية للأهالي الجزائريين جزاء مشاركتهم فى الحرب ، وبعد حملة متعددة الجوانب من الشعب الجزائري كان على رأسها الأمير خالد ، والتي طالب فيها الشعب بحق تقرير المصير ، وشارك حتى بعض الأحرار الفرنسيين •

لقد كانت اصلاحات الرابع فبراير ، التي طبلت لها الحكومة الفرنسية وزمرت وقام لها الكولون وقعدوا ، كانت فى نظر الأهالي ضربة قاسية للآمال التي علقوها على تضحياتهم الجسيمة فى الحرب ، كما كانت خيبة أمل كبرى لقادة الشعب الذين طالما أشبعوا بالوعود الزاخرة ، ففي الوقت الذي كان يطالب فيه الشعب بحق تقرير المصير أو على الأقل مساواة الجزائريين للفرنسيين فى جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثلما استووا فى الواجبات دون شروط ، جاء قانون

16 ـ الجزائر الثائرة ، ص 35 .

اصلاحات 4 فبراير 1919 م وكأنه يحمل الحلوى التي تقدم ، كتلهية ، للأولاد الصغار ، وفيه ما يلي وبكل احتقار .

1 ـ اعطاء الحق لبعض الطبقات للحصول على الجنسية الفرنسية بشرط طلبها والرضى بالتخلي عن القانون الاسلامي .. وبشرط معرفة اللغة الفرنسية !

2 ـ حق الانتخاب والترشح للمجالس البلدية والعمالية والمالية . وتقصير نسبة تمثيل الجزائريين فى هذه المجالس على الربع (17).

3 ـ الطبقة التي أعطاها هذا القانون حق الانتخاب والترشح لا ينالها قانون « لانديجينا » الا فى بعض المستثنيات مثل مخالفات الغـــاب .

4 ـ لها حق شراء واكتساب سلاح الصيد وذخيرته مثل الفرنسيين ويدخل فى ذلك حق الحصول على بعض الوظائف فى الدولة . ولكن لا يحق لهؤلاء كلهم الحصول عـــلى هذه الحقوق الا بالتخلي عن أحوالهم الشخصية الاسلامية .

على أن الذين يجري عليهم هذا القانون ، والذين بلغ عددهم فى جميع القطر الجزائري نحو أربعمائة ألف نسمة ، يجب أن يحصلوا على المؤهلات الآتية :

الضباط أو الجنود الذين خدموا فى الجيش الفرنسي ، معطوبـــو الحـــرب ، الملاكون ، التجار ، المثقفون بالفرنسية ذوو الشهادات ، الحائزون على أوسمة ، الموظفون ، أعضاء الغرفة التجارية والفلاحية . كل هؤلاء يشترط أن يجاوز عمرهم خمسا وعشرين سنة .

وفى الوقت الذي قابل المسلمون هذه الاصلاحات ، كما قلنا سابقا ، ببرودة واشمئزاز لأنها كانت ضربة قاسية لآمالهم ، وقامت المعارضة

---

17 ـ مقابلة : كانت نسبة المسجلين فى قوائم الانتخابات قبل هذا القانون نحو 25,000 فاصبحت 421,000 كما كان فى المجلس العمالي ستة نواب فاصبحوا عشرة ، وفى المجالس البلدية تضاعف العدد ، وأصبح نوابها المسلمون يشاركون فى انتخاب رئيس البلدية ونوابه بعد ما كانوا ممنوعين .

بحركة الأمير خالد ، تصدى المستوطنون لها وجندوا كل امكانياتهم ضدها ، فقد أقام هؤلاء ضجة كبرى بالاحتجاجات والاستنكارات لقرار الرابع فبراير ، واجتمعت « اتحادية رؤساء البلديات » التي كانت لها اليد الطولى فى تثبيت قدم الاستعباد والاستغلال للجزائريين ، وبعثت احتجاجا شديد اللهجة ذهبت فيه الى حد اتهـام الحكومة الفرنسية ـ حكومتهم ـ بأنها اغتنمت فرصة ذهاب الكثير من الكولون الى التجنيد للدفاع عن الوطن ، وفرصة مفعول الرقابة أثناء الحرب التي كممت أفواه صحافتهم ببيان الحقيقة ، وأصدرت قوانين تفسد بها الحالة فى الجزائر المستعمرة وتقضي على الانسجام ...!؟ الذي هو موجود بين الفرنسيين والأهالي فى الجزائر ... » .

وذهب وفد من رؤساء البلديات الى باريس وقصدوا رأسا كليمنصو رئيس الحكومة وأثاروا معه محادثة عاصفة . وذهب الحـال ببعض النواب البلديين بعاصمة الجزائر الى التعرض للمصادقة عـلى اقتراح بالثقة للوالي العام بالقطر الجزائري (م. جونار) (18) .

وعندما أرسل شيـخ مدينة قسنطينة (مورينو) ورئيس مجلسها العمالي برقية احتجاج الى الحكومة يطالب فيها بقهر الجزائريين ونشر النظام القمعي وافق مجلس عمالة الجزائر على نص هذه البرقية . وعندئذ رضخت الحكومة ـ كعادتها ـ وقابلت كل حركة من الجزائريين بكل شدة وقوة (19) .

---

18 ـ يقال ان جونار كان مثالا للعدالة فخلد اسمه بالأبيات التالية على مدخل « المدرسة الثعالبية » بالعاصمة :

فى كل جيـل من الاجيال اخيـار ... وخيرهم من له فى العلم اخبـار
بالعلم شاد بنـو اليونان دورهم ... وكان للعـرب فيـه بعـد آثار
كـل مضى تاركـا فى العلم منقبة ... كانهـا عـلم فى راسـه نـار
واستخلفوا دولة الجمهور قائمـة ... بكـل عـلم لـه فى العصر انوار
واصبحت آية العـرفـان مشرقة ... بالثعلبية نعم الاسـم والجـار
شيـدت ولتاريخها لحرسنا فتحت ... وذو الولاية نجـم العصر (جونار)

فتحت المدرسة الثعالبية ودشنت يوم 17 أكتوبر 1904 فى عهد وزير التعليم العام شومي Chaumé والوالي العام بالجزائر جونار Jonnart

19 ـ الحياة السياسية ، ص 32 .

من هو الأمير خالد ، وما حركته السياسية ؟؟

هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر بن محي الدين الهاشمي ، ولد بمدينة دمشق ، محل منفى العائلة وحيث كان يقيم أبوه الهاشمي ، يوم 20 فبراير ـ شباط ـ 1875 م وتلقى بدمشق تعليمه الابتدائي ، وتثقف على أيدي بعض الكرام من شيوخها ، ثم جاء أبوه الى الجزائر عام 1892 فأتم ابنه خالد دراسته الثانوية بالجزائر ثم بعث به أبوه سنة 1893 الى مدرسة (سان سير) العسكرية بباريس ، فتخرج منها ضابطا برتبة نقيب « قبطان » (1) .

ولذا عمل فى الجيش الفرنسي ثم شارك كاخوانه الجزائريين لما اندلعت الحرب العالمية الأولى بصفته ضابطا ، وكان وصول « العربي الجزائري » فى الجيش الفرنسي الى درجة ضابط ، شيئا غير معروف أبدا ، وفى أثناء الحرب ، وخلال عمليات بطولية من المجندين العرب سمع « القبطان » خالد من الوعود الفرنسية ـ وحتى من الحلفاء ـ ما جعله يمتليء حيوية وأملا ، لكن بعد أن ارتدت فرنسا عقب الانتصار فى الحرب ، وتمخضت وعودها عن الاصلاحات الهزيلة التي تقدم ذكرها والتي ، رغم أنها كانت دون آمال خالد ، ورغبة الشعب الجزائري ، فهي مشروطة بالتخلي عن قوانين الشريعة الاسلامية ـ رأى خالد أن الحقوق لا تعطى ولكنها تؤخذ بالكفاح والمثابرة . فأسس حركة سياسية ، روى بعض المؤرخين أن اسمها « كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين » وتقدم عن الحركة وفد يحمل عريضة بمطالب منها حق تقرير المصير ، كما تقدم

1 ـ انظر بقية حياته بتفصيل فى كتاب الحياة السياسية لمحفوظ قداش ، ص 40 وما بعدها .

قريبا . وأسماها سعد الله « الحزب الاصلاحي » وقال : وبعض الكتاب يطلق عليها « الحزب الوطني الاسلامي الاشتراكي » (2) وقد تكون هذه الأسماء كلها أطلقت على الحركة فى فترات متعددة ولو بصفة غير رسميـــة .

حركــة الاخـــوة الجزائرية

وبعضهم روى أن اسمها « الأخوة الجزائرية » وكان برنامجها اصلاحيا ولكنه واسع النطاق ، ان هذه الحركة « حركة الأخوة الجزائرية » وهو الاسم الصحيح لها ، لها سابقية فى « لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين » التي كانت أنشئت قبل الحرب ، فلما أعطت فرنسا بعض الحقوق للجزائريين بقرار 4 فبراير 1919 وكانت اشترطت التنازل عن قوانين الشريعة الاسلامية الخاصة ، رفض الأمير خالد ومن تبعه هذه الحقوق وقبلها بقية أعضاء اللجنة المذكورة من المتفرنجين متنازلين عن الحالة الشخصية الاسلامية ، فقرر خالد وجماعته انشـــاء « الأخوة الجزائرية » يوم 23 جانفي (يناير) 1922 (3) ، وفيما يلي بيان أهدافها مختصرة .

« ان الأخوة الجزائرية من واجبها الأول بيـــان تضحيات الأهالي الجزائريين المسلمين فى الحرب العالمية الكبرى التي انتصر فيها وطننا الثاني فرنسا » (Notre patrie adoptive)

« ان الأخوة الجزائرية تتقدم بطلب الغاء جميع القوانين الاستثنائية التي لازال يرزح تحتها الأهـــالي المسلمون ، فى أقـــرب وقت ممكن والرجوع الى القانون العام . ان هدف جمعيتنا بتدقيق هو الحصول عـــلى :

1 ـــ التطبيق التام لقانون الرابع فبراير 1919 .

2 ـــ التمثيل البرلماني للأهالي الجزائريين المسلمين ، وتطبيق المساواة التي ينص عليها القانون المذكور تطبيقا حقيقيا .

---

2 ـ ح ـو ـ ج ، سعد الله ، ص 331 .

3 ـ ح ـ و كلود نقلا من جريدة الاقدام ، ع 11 اوت 1922 .

اننا نطالب بسياسة المشاركة التي هي سياسة فرنسا ، والمشاركة فى تسيير الشؤون العامة ، ومباشرة تسيير شؤوننا الخاصة التي هي لا تنفصل ، فى الحقيقة ، عن شؤون فرنسا •

نطلب من جميع الجزائريين من غير تفريق لا فى الجنسية ولا فى الدين أن يساعدونا للقيام بهذه الرسالة التي هي أيضا أكثر لزوما وأكثـر ضرورة مما يجب القيام به فى الوطن • أيها المسلمون الذين يهتمون لشرفنا وكرامتنا ان واجبنا هو العمل والدفاع عن حقنا • ان فرنسا كريمة وشريفة ، ونريدها أن تعدنا من أبنائها الجديرين بنوتها » •

التوقيـــع : الرئيس امير خالد
الكاتب العام حميده

لقد كان الأمير خالد وطنيا صميما ومسلما خالصا ، ولكن يظهر أنه كان حسن الظن بفرنسيي فرنسا ـــ ككثير من السياسيين أثناء فترة 1920 ـــ 1945 ، فظن أن الحكومة الفرنسية لم تعط الجزائريين حقوقهم لأنها لم تطلع على حقيقة رغباتهم بسبب تهويش المستوطنين وادعاءاتهم المضللة ، فهو يريد أن يتجه الى الوطن الفرسي نفسه لينور الرأي العام فيه ، وذلك بالعرائض والصحافة ومجالس النيابات الى آخره ، فأسس حركته وأنشأ جريدة « الاقدام » لتكون اللسان الناطق بمطالب الحركة ، واتجه كليا الى فرنسا •

وهذه العقيدة التي اقتنع بها خالد ـــ أو اقتنع بتجربتها ـــ قد أظهرها فى كثير من المناسبات ، ولكن بمنطق المؤمن القوى بعيدا عن التملق ، ومن ذلك اقتحامه حفلا رسميا أقيم فى مدينة الجزائر لرئيس الجمهورية الفرنسية م • ميلران (Millerant) اذ ذاك •

لابد من اعادة مجد اجدادنا ولو بقطع نصف رقاب الجزائريين

هذه هي الكلمة التي اقتحم خالد الحفل ليقولها الى الرئيس الفرنسي• لقد كان رئيس الجمهورية الفرنسية (م • ميلران) عقد رحلة لأقطار الشمـــال الافريقي : تونس ، الجزائر ، المغـــرب الأقصى فى أوائل العشرينات ، وبالضبط فى شهر ماي 1922 ، ولما كان فى الجـــزائر

العاصمة ، وأقيم له احتفال رسمي بدار العمالة . صدرت الأوامر للشرطة بمنع غير المدعوين من الدخول ، وجاء الأمير خالد ـ وكان غير مدعو طبعا ـ فلما رآه عامل العمالة « والي ولاية الجزائر » وكان يعرف أنه لا يخضع لأوامر الشرطة ، ذهب اليه بنفسه ليمنعه من الدخول غير أن خالدا لم ينتظر بل عاجل عامل العمالة ودخل كالسهم الى أن وقف أمام الرئيس الفرنسي ، وبدأ يخطب . وكان بليغا فى اللغة الفرنسية ، الأمر الذي بهر الرئيس وحاشيته فبقوا منصتين وكأن على رؤوسهم الطير ، كما يقول المثل العربي ، الى أن كمل خطابه ثم انكفأ حينا خارجا وذهب رأسا لمركز « جريدة الصديق » (4) .

وفى جلسة مع الأصدقاء طلب منه رئيس تحرير الجريدة الشيخ المولود الزريبي أن يلخص له الخطاب الذي ألقاه أمام رئيس الجمهورية الفرنسية، فقال : لحينه : ان خلاصته « لابد من اعادة مجد أجدادنا ولو بقطع نصف رقاب الجزائريين » .

ويذهب الأخ الشيخ حسن الوارزقي ـ كشاهد عيان ـ يحكي عن زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية فقال : ودهب رئيس الجمهورية الى المغرب « مراكش » فى وقت المقيم العام « ليوطي » وامتدحه شاعر أسمر اللون يسمى عبد الله القباجي بقصيدة كان مطلعها :

زيارة من غدا يحـــمي الديــارا   تزيد المحتمين بــه افتخـــارا

فنشرت هذه القصيدة بجريدة السعادة وصبغت فيها بمياه الذهب ، قال الوارزقي :

وكنا يوما فى الجزائر جالسين بمقهى التلمساني ، وكان فى المجلس المشائخ الحفناوي بن ابراهيم المفتي « مدير جريدة المشير » ومحمود كحول ، وحميدو بن القريشي الذي كان مديرا لمحل الموهوب بن علي صاحب معمل التبغ والسجاير . وطلب الشيخ الحفناوي الجريدة ليقرأ القصيدة فلما قرأها قال ، وقد بدا فى ملامحه مظهر السخرية :

---

4 ـ جريدة الصديق ، برزت يوم 12ـ8ـ1920 م تحت ادارة الميزابي السيد تاجر محمد ابن ابي بكر ورئاسة تحرير الاستاذ المولود بن محمد الزريبي الازهري ، وكانت تصدر بعاصمة الجزائر .

« يا جماعة ! انني عشت كثيرا ، وخالطت كثيرا ، ولكنني لم أعرف فى حياتي « طحانا » مثل هذا (5) •

وفى قضية المطالب التي قدمت بعد هذه الزيارة ، فقد نشرت جريدة الاقدام افتتاحية بعنوان : « رغائبنا الأكثر استعجالا ، جاء فيها ما يلي (6)

1 ـ تمثيل الأهالي الجزائريين الغير المتجنسين بالجنسية الفرنسية فى البرلمان « الميتروبولي » •

2 ـ تمثيل الأهالي الجزائريين فى مختلف المجالس الجزائرية بنسبة خمسين (5/2) •

3 ـ الالغاء الكامل والنهائي لهذه القوانين الجائرة الخاصة « لانديجينا » التي تضع الجزائري تحت الاقامة الجبرية المراقبة ، وتقوده الى محاكم خاصة •

4 ـ نشر التعليم •

5 ـ تحديد الميزانية بالنسبة للقبيلة (الدوار) بواسطة « الجماعة » بدون ضغط خارجي •

6 ـ تشريك الأهالي ، وبصفة عادلة وفعالة ، فى الأراضي المعدة للاستثمار •

7 ـ مد الطرقات والسكك الحديدية فى النواحي الأهلية المنسية كليا •

8 ـ اختيار القياد « الرؤساء الأهالي » بواسطة الانتخاب أو بالمسابقة • (7)

9 ـ احترام تطبيق الفصل 14 من قانون 4 فبراير 1919 من لدن كل السلطات •

---

5 ـ كلمة « طحان » بالدارجة الجزائرية تعني « ديوثا » .

6 ـ الاقدام ، ع 4 اوت 1922 .

7 ـ لا يخفى ان هذا المطلب يشير الى ان الجزائريين الذين لا يتمتعون بحقوق قانون الرابع فبراير وهم الاكثرية الساحقة لا يمكن ان يبقوا مهملين بدون تمثيل .. وهي معارضة لطبقة للتجنيس .

وهكذا يتخذ الكفاح الوطني فى الجزائر وجهة جديدة منظمة فى شبه حركة حزبية ، ويفتتح بذلك عهد :

الكفـــاح السياسي الحـــديث

وهكذا يذهب خالد فى حركته الجديدة المتدلة ، مؤملا أن يتمكن من فتح السدود وهدم الحواجز التي تحول بين الجزائريين وفرنسيي : فيكتور هيجو ، وغوستاف لوبون ، وثورة الحرية فى 14 جويلية (تموز) 1789 م ، وأخيرا شروط ويلسون .

بيد أن فرنسا الاستعمارية غير فرنسا التاريخية التي قرأ عنها خالـــد فى المدارس الفرنسية . فهي لم تكن فى الواقع . تجهل حق الشعب الجزائري فى الحرية والكرامة ، وهي التي أحيت الحقوق الانسانية فى أروبا وجعلت من أمجادها التاريخية شعار تالوث « الحرية والمساواة والأخوة » .

فان فرنسا لما قصدت القطر الجزائري واحتلته سنة 1830 كانت قررت الحاقه نهائيا بأم الوطن ، واعتقدت أن الشعب الجزائري لقمة جبنة سائغة ، فهو سيحتضن المسيحية بدون عناء ، فقد أعلنت بقرار 22 جويلية (تموز) 1834 م أن الجزائر أرض فرنسية . وأصبحت بدستور عام 1848 جزءا مكملا لفرنسا . كما أعلن الجنرال بيجو بواسطة كاتبه الخاص أن الجزائر أرض خصبة لزرع المسيحية وأنه فى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائريين اله غير المسيح .. ! »

بل ان الكاردينال لافيجري يجعل احتلال فرنســا للجزائر رسالة الانجيل ليخلصها من القرآن فيقول : علينا أن نخلص هذا الشعب ، ونحرره من قرآنه ، ويجب أن نعنى على الأقل بتنشئة الأطفال على مبادىء غير التي شب عليها أجدادهم . ان واجب فرنســا تعليمهم الانجيل » .

ويضاف الى ذلك ما تحمـــله الجزائر من خيرات من المواد الأولية لشعبها وصناعتها ، وما تتوفر عليه من أسواق ، واستراتيجية حربية لاحتلال مستعمرات أخرى فى افريقيا أو فى الشرق الأدنى والأوسط .

والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط • فهذه كلهـا مطامع ربطت الفرنسيين بالجزائر ودفعتهم على استدامة الاحتلال مهما كلفتهم حروبه من نفوس وأموال وعتاد ، خاصة وقد خرجت بعد الحرب العالمية الأولى منتصرة ، وثاني دولة فى أروبا يمكن أن تعرض ارادتها على الضعفاء •

ولذلك قابلت حركة الأمير خالد ومطالب الجزائريين الطبيعية بكل احتقار ونجاهل . فأصدرت قانون الرابع فبراير المتقدم الذكر . والذي برغم ضآلة الحقوق التي سمح بها للجزائري ، فانه لا ينالها الا اذا توفر فيه شرطان على الأقل ، أولا . أن يكون مثقفا باللغة الفرنسية ، وثانيا : أن يتخلى عن القانون الاسلامي •

وهذا معنى « التمسيح » الذي طلبـه لافيجري . ومعنى هذا فى الشريعة الاسلامية هو الارتداد عن الاسلام •• ! وقد تبدل الزمن ، ومضت تسعون سنة ، وبقي لدى الفرنسيين كلام لافيجري صحيحا •

ولما رفض الأمير خالد هذه الاصلاحات أحالته الحكومة على التقاعد ومعنى ذلك طرده من الجيش الفرنسي توطئة لطرده من وطنه •

وبما أن اصلاحات الرابع فبراير مكنت الضباط الجزائريين وعلى رأسهم الأمير خالد ، من الترشح للانتخابات والفوز فيها فوزا ساحقا ، فقد أسس الأمير خالد وأتبـاعه المتخرجون حركته السياسية وركزت أهدافها ــ كما يقول الدكتور العقاد ــ فى اصلاح أحوال الجزائريين الاجتماعية . ومن أهم وسائلها ايقاف هجرة المستوطنين • أما فى ميدان السياسة فهي تطالب بمساواة الجزائريين بالفرنسيين فى حـق الانتخاب والتمثيل فى المجالس على مختلف المستويات ، وأصدرت الكتلة جريدة الاقدام لتكون لسان حالها ••

ويمضي العقاد فيقول : ورغم اعتدال هذه المطالب من وجهة النظر الفرنسية ، الا أن المستوطنين الفرنسيين لم يستسيغوا قط فكرة الادماج لأنها تتعارض ومبدأ التفوق العنصري •• كما رفضت هذا الادماج غالبية الجزائريين • وكان مصير خـالد هو الطرد والهجـرة الى مـصر سنة 1923 (1) •

---

1 ــ المغرب العربي ، ص 313 .

مطـالب خـالـد وهـو بالمنفى

فلما تولت الحكم فى فرنسا وزارة يسارية برئاسة « هيريو » فى عام 1924 ، تقدم الأمير خالد ـ مغتنما فرصة وجود حكم يساري بالمطالب الآتية وهو فى منفاه بالاسكندرية مضمنا اياها الرسالة التالية بتاريخ 3 جويلية (تموز) 1924 .

سيادة الرئيس :

ان الجزائريين ينظرون الى توليكم الحكم على أنه طالع سعد ، وعهد جديد لدخولهم فى طريق التحرير ، وباعتباري أحد المدافعين المتواضعين عن قضية أهالي الجزائر ، منفيا . لأنني دافعت عن مصالحهم الحيوية بصراحة ، فان لي الشرف أن أقدم الى رئيس الحكومة الفرنسية الجديد برنامج مطالبنا الأساسية :

1 ـ تمثيل الجزائريين فى المجلس الوطني الفرنسي بنسبة متعادلة مع الأوروبيين الجزائريين .

2 ـ الغاء كامل ونهائي للقوانين والاجراءات الاستثنائية وللمحاكم الزجرية وللمحاكم الجنائية ، وللرقابة الادارية مع تطبيق القانون العام الحقيقي والبسيط .

3 ـ تطبيق نفس الواجبات ونفس الحقوق للجزائريين مثل الفرنسيين بخصوص الخدمة العسكرية .

4 ـ توصل الجزائريين الى كل الدرجات المدنية والعسكرية دون تمييز آخر ماعدا الجدارة والقدرات الشخصية .

5 ـ تطبيق كامل لقانون التعليم الاجباري على الجزائريين مع حرية نشر التعليم .

6 ـ حرية الصحافة والاجتماع .

7 ـ تطبيق فصل الدين عن الدولة على الدين الاسلامي فى الجزائر .

8 ـ العفو العام .

9 ـ تطبيق القوانين الاجتماعية والعماليه على الجزائريين .

10 ـ الحرية المطلقة للعمال الجزائريين فى الذهاب الى فرنسا .

وبعد أن يختم الأمير خالد رسالته يقول : ... فدعونا اذن نحمل أملا راسخا فى أن رغباتنا الشرعية المشار اليها سابقا ستحظى بتقدير عال، وأرجو أن تتفضلوا سيادة الرئيس بقبول فائق تقديري .

التوقيع : الأمير خالد من المنفى (2)

رجوع خالد من منفاه الى فرنسا

يقول العقاد : فلما تولت الحكم فى فرنسا وزارة يسارية برئاسة هيريو فى نهاية سنة 1924 سمح له بالعودة الى فرنسا . وهناك أتيح له الاتصال بالوطنيين الجزائريين والمراكشيين فغرس فكرة العمل المشترك بين أجزاء المغرب . تلك الفكرة التي سيسير عليها مصالي الحاج فى بداية نضاله . واشترك الأمير خالد فى أول مؤتمر مغربي من نوعه انعقد فى باريس (يوم 7 / 12 / 1924) للنظر فى أحوال المغرب السياسية والاقتصادية والثقافية .

وكان من أعماله ارسال برقية تأييد الى الأمير الخطابي ومناضلي الريف المراكشي . (وأخرى الى الشعبين المصري والتونسي) وعندما عاد الى مقره بالاسكندرية اتهمته السلطات الفرنسية بالتعاون مع الخطابي وطالبت بتسليمه ، وتدخل الانكليز حتى سلمته الحكومة المصرية الى قنصلية فرنسا ، وانتهى به الأمر الى الاعتقال فى سورية الى أن توفي بها سنة 1936 (3) .

وها أنا أثبت فيما يلي أعمال المؤتمر المذكور أعلاه ونص عرائضه المرسلة الى الجهات المختصة :

2 ـ ليل الاستعمار ، جـو كلود نقلا عن نشرة لجنة افريقيا الفرنسية ، ص 530 .

3 ـ المغرب العربي ، ص 314 .

خلاصة عرائض مؤتمر العمال الشمال افريقيين 1924 (4)

« ان الاتحاد العالمي الذي أسس سنة 1922 بتحريض من « الشيوعية العالمية » لعمال المستعمرات المغتربين بفرنسا ، و « الجامعة العامة للعمل الموحد » ليبذلون جهودهم فى تنظيم الهجرة الجزائرية والشمال افريقية.

فاجتمع أول مؤتمر لعمال الشمال الافريقي فى ضاحية باريس وذلك يوم 7 ديسمبر — كانون الأول — 1924 • وبواسطة الحاضرين الذين بلغوا 150 مفوضا عين « مكتب مغربي » من خمسة عشر عضوا ، وانتخبت قائمة مطالب . ففي الميدان السياسي تطالب بتنفيذ مطالب الأمير خالد . بزيادة نقطة جديدة وهي « حق التصويت الموحد بواسطة كل الأهالي على درجة واحدة مع المواطنين الفرنسيين « وتشتمل هذه المطالب على كراسة مطالب اقتصادية واجتماعية مفصلة تفصيلا واسعا • (*)

واختتم المؤتمر أعماله باتتخاب عريضتي تعاضد ، أرسلت الأولى الى الشعب المغربي (المراكشي) والى عبد الكريم الخطابي ؛ والثانية الى الشعبين المصري والتونسي » •

نص عريضة الشعب المغربي وعبد الكريم

ان مفوضي العمال الشمال افريقيين بمصانع ضاحية باريس المجتمعين فى أول مؤتمر لهم فى هذا اليوم التاريخي 7 ديسمبر 1924 يهنئون اخوانهم المراكشيين وبطلهم القائد عبد الكريم بنجاحهم على الامبريالية الاسبانية . ويعلنون تضامنهم معهم فى كل أعمالهم فى سبيل تحرير أرضهم ، ويهتفون معهم :

عاش الاستقلال للشعوب المستعمرة ! لتسقط الامبريالية العالمية ' لتسقط الامبريالية الفرنسية ! » •

---

4 — ج-و- كلود ، ص 34—35 .

(*) يشير الكاتب فى تعليق لطول القائمة ويحيل القارىء الى تاليف :
Jules Jurquet (La Révolution N. Algérienne).

عريضة الشعبين المصري والتونسي

ان مفوضي العمال الشمال افريقيين بمصانع ضاحية باريس هم من خالص أفئدتهم مع اخوانهم المسلمين فى مصر • المهددين باعتساف وتجويع الاستعمار البربري (الهمجي) من الحكومة البريطانية . ويعلنون تضامنهم معهم فى كفاحهم من أجل الاستقلال التام للقطر المصري الشجاع •

ويبعثون فى الوقت نفسه للشعب التونسي معربين عن تأثرهم من موقفهم الشجاع فى وجه حكومة كتلة اليساريين . ويفضحون الجريمة التي اجترحت بواسطة عصابة الاستعمار ضد عمال بنزرت الذين يكافحون من أجل تحسين حالة حياتهم ، ويحيون قيام « الاتحادية العامة للعمال التونسيين : C. G. T. كسلاح موجه ضد الرأسمالية الفرنسية •

لتسقط امبريالية ألكتلة اليسارية ! » •

ولم تكن هذه المحاولة من أبناء المغرب العربي فى العمل الموحد . بالمحاولة الأولى ، بل فقد سبقتها أعمال ومحاولات ، من أجلها مذكرة « اللجنة الجزائرية التونسية » وفيما يلي مختصر هذه المذكرة التي أرسلت الى مؤتمر السلم العالمي سنة 1919 : (5)

مذكرة اللجنه الجزائرية التونسية الى مؤتمر السلم العالمي (*)

تعليق المؤلف : منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ، كان التونسي علي باش حامبه حاول تنظيم مؤتمر من مسلمي « الحماية التونسية » والمستعمرة الجزائرية ، وقبل عدة أيام من افتتاح مؤتمر السلم فى « فرساي » يوم 18 جانفي ـ كانون الثاني ـ 1919 م ولدت لجنة بفضل أخ علي باش حامبه ، محمد باش حامبه ، فوجهت الى مؤتمر

---

5 ـ المصدر السابق ، ص 25ـ31 .

(*) ج ـ و ـ كلود ، ص 25ـ29 .

السلم والى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مذكرة طويلة تتضمن اعلان « المطالبة بالاستقلال » وهذا نص الرسالة أو المذكرة مختصرا :

« ان الجزائر وتونس كانتا منذ الفتح الاسلامي » تمثلان دائما وطنا واحدا كانت عاصمته تونس . وكان يسكنها نحو سبعة ملايين نسمة من الأهالي الذين تجمعهم جنسية واحدة . ولسان واحد ، ودين واحد .

وفى كل الأزمنة قد تمتع هذا الشعب باستقلاله وحكم وطنه على أحسن حال ، وبصفة كانت ضمنت للجميع العدالة والحرية والأمن . ان المجتمع التونسي كان أقام ، بكل تضامن وتكافل . نظاما سياسيا واداريا وعسكريا بكل مقوماته .

أما التعليم فقد كان منتشرا فى جميع الوطن . والثقافة الثانوية والعليا كانتا مجانا كما كانتا فى متناول حتى الطبقات الشعبية الفقيرة . وهكذا كانت علوم الحقوق والأدب والفلسفة مزدهرة .

وفى الحقل الاقتصادي كانت الزراعة غنية مثمرة والأراضي كانت موزعة على السكان بصفة عادلة . أما العمال فقد كانوا على اختلاف أعمالهم تحميهم القوانين ويحصلون على موارد معيشتهم بكل وسع . وأما تجارنا فقد كانوا معروفين فى جميع منطقة البحر الأبيض المتوسط ، والموارد الوطنية كانت مقسمة على مختلف الأوساط الشعبية ، الأمر الذي وقف حاجزا أمام استغلال طبقة لأخرى . وانعدمت العبودية راسا .

ان شعبنا كان سيد نفسه . على أنه منذ القديم كان دائما له ارتباط بالخلافة الاسلامية ، ولكن الوطن يحكم نفسه بحيث كان يتوفر على حكومته الوطنية ، ماعدا رئيس الدولة فقد كان فى العهد الأول يعين من طرف الخليفة ولكن منذ سنة 151 هجرية (773) ميلادية فان الشعب هو الذي يرشح مواطنا يرضـــــاه وليس للخليفة الا الموافقة الأخيرة » .

وبعد أن تأتي المذكرة على أسماء العائلات التي أقامت الحكم الوطني في تونس منذ عهـد المهلبين Mehlabines (*) والأغـالبة والعبيديين والصنهاجيين الى الحفصيين ، يذكر أن هؤلاء كانوا أقاموا تحت سلطانهم المغرب الأقصى ومصر والأماكن المقدسة .. (**) وذلك بفضل حكمهم الذي كان مبنيا على العدالة والحرية وسعاده الأمة .

ثم تذكر المذكرة العهد العثماني الذي كان فيه الخليفة العثماني ليس له الا حق الموافقة على باي أو داي الدولة التونسية بعد اختياره من الشعب . وقد نعم الشعب في هذا العهد وكذا جميع الأجانب الذين كانوا يعيشون معه بالمساواة في جميع الحقوق بدون تفريق في العرق والدين والجنسية » .

وبعد سنة 1830 لما احتلت فرنسا الوطن الجزائري لجأ شعبنا الى استعمال السلاح ليدافع عن حريته ، وبعد 40 سنة من الكفاح والتضحية سقط تحت القوة الغاشمة ورضخ حينئذ للقوانين الجـائرة ، قوانين القـوة .

وهكذا بدأ المساس الخطير والمتكرر بحالة الأشخاص والمكتسبات والديانة ، وبلغه المغلوب ، وقد ذهب الغالب في فرض ارادته الظالمة المليئة بالتعديات والتحديات . وبعد قرن من الزمن لازال الجزائري يعامل كمغلوب مقهور ، مسلوبا كل الحقوق ولكنه موضوع تحت أداء كل الواجبات ، وحتى ضريبة الدم ! . وها هو اليوم تفرض عليه الجندية الاجبارية دون أن يمنح أي حق من الحقوق المدنية والسياسية التي لا يتمتع بها في الجزائر الا الفرنسيون واليهود والأجانب المتفرنسون ..

(*) ـ المهلبين أو المهالبة ، حكموا ولاة لتونس منذ العهود الأولى وأولهم يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي أوفده المنصور سنة 154 هـ ـ 771 م على راس ستين الفا فقضى على ثورة عمرو بن حفص بن قبيصة وابي حاتم الأباضي ودخل يزيد القيروان منتصرا يوم الاثنين 10 جمادي الثانية سنة 155 هـ ـ 772 م وفتح بذلك عهد الولاة المهلبين ، ولم تدم ولايتهم طويلا فقد انتهت في عهد الرشيد سنة 179 هـ ، والله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . (أنظر تاريخ اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الزمان لابن ابي الضياف) .

(**) العهدة في هذا الادعاء على محرري المذكرة .

ثم تنتقل المذكرة الى الكلام عن احتلال القطر التونسي فتقول : وبعد احتلال الجزائر تعطي فرنسا لنفسها الحق في احتلال تونس سنة 1881 مستعملة ما تعبر عنه باغارات التونسيين على الحدود الجزائرية ، وهكذا غزت الأرض التونسية بكل ما لدى الجمهورية الفرنسية من قوات ، وأخذت بصولتها شعبا صغيرا لا يريد الا أن يعيش حرا فى وطنه . وجاء الجنرال بريار بارفان Breart Parvint بجيوشه الى قصر باي تونس وتقدم الى سيادته يوم 12 ماي 1881 ودفع له مكتوب اتفاقية حررت مسبقا بواسطة الحكومة الفرنسية ، وأعطى له مدة ساعتين للامضاء فأمضاها الباي تحت الحراب والتهديد الفرنسي .

وأمام هذا التعدي الفاحش قام مجلس الأعيان ليحتج بالاجماع ضد هذه الاتفاقية التي هي خالية من أية شرعيه . وقام الشعب ليدافع عن حريته ولكنه وقع صريعا تحت ضربات الجيش الفرنسي . وألزم بعد ذلك الشعب التونسي بدفع الغرامة الحربيه تنفيذا للفصل الثامن من الاتفاقية الظالمة .

وهكذا احتجت تركيا ضد التعدي على سيادتها وضد ضم أرض تعتبر من مملكة تركيا التي ضمنتها اتفاقية برلين . وبعد أن تذهب المذكرة فى بيان الحالة التي أحدثها الاحتلال فى تونس والتي كانت فى مجملها تشبه ما حدث فى الجزائر . حتى أن نفس اتفاقية الحماية لم يبق لها أي معنى . لأن تونس فى الواقع وبحسب تصرفات الفرنسيين ضمت . كمستعمرة ، نهائيا الى فرنسا ، يقول :

« ان الشعب التونسي الذي قد أحرز على اتفاقيات : 1857 — 1861 وغيرهما والتي تعطيه حق التمتع بالمساواة العامة أمام القانون وتضمن له حريته الشخصية وممتلكاته . وتنص على أن الجرائم والجنايات والمخالفات . لا يمكن أن يحكم فيها الا محاكم تقام خصيصا . ونلاحظ أن التونسيين اليوم محرومون من حرياتهم الشخصية . بينما وضعوا تحت الجهل والشقاء وتحت دفع الضرائب التي تزيد في غنى الكولون.. وأكثر من كل ذلك فان التونسيين منذ عشرين سنة يدفعون دماءهم في

سبيل انتصار فرنسا أو الدفاع عن ممتلكاتها على أن الشعب التونسي والجزائري لم يخضعا أبدا لاستعمار فرنسا ولم يترطا أبدا فى استقلالهما.

وتذهب المذكرة لتوجه الأنظار الى أن هذه الحرب العالمية التي مست الانسانية كلها كفيلة أن تنذر بحرب أشد فظاعة طالما بقيت الشعوب التي لها شخصيتها وعوائدها وتراثها تسام وتباع بالمزاد كسلعة فى السوق ، فى حين أن الرئيس ويلسون فى تصريح شهر يناير 1917 يقول : « انه لا يمكن استقرار أبدا في عالم لا يوجد فيه استقرار في الأفكار ، وحيث لا يسود جو العدالة والحرية والقانون » ويصرح هذا البيان الذي يعتبر اعلانا حقيقيا لحق الانسان ، ويطالب لجميع الأمم فى العالم بغير تفريق فى الجنسية والدين . بحق تقرير مستقبلهم ومصيرهم بأنفسهم . ويقول : ان الشعب الأمريكي متضامن مع كل من يطالب بحقه فى القانون والسلم ... الخ .

وتشير المذكرة الى « اعلان حقوق الانسان » الذي صدر عام 1916 والذي شارك فيه العلماء والسياسيون وشخصيات تنتمي لجميع الأوساط والأحزاب ، والتي تعترف بحق جميع الأمم كبيرها وصغيرها فى الاستقلال ...

وتذكر تصريح الحزب الاشتراكي الفرنسي فى شهر أوت 1917 لفائدة حرية الشعوب . وكذا موقف البرلمان الفرنسي الذي صوت عليه يوم 5 جوان 1917 فى صالح حرية الشعوب أيضا . وبعد هذا الموقف ببضعة أيام فقط أجابت الحكومة الفرنسية روسيا برسالة اعترفت فيها بأن فرنسا لا يمكن أن تدخل فى حرب الا دفاعا عن حريتها وترابها . أو فى سبيل المحافظة على احترام استقلال الشعوب فى كل العالم .

وفى الزمن القريب صرحت حكومة الجمهورية الفرنسية التي يرأسها كليمنصو بأن فرنسا أثبتت فى نسخة مطالبتها حرية الشعوب المقهورة وأنها عازمة على حل قضايا هذه الشعوب حسب المخططات العليا للانسانية والعدالة .

وبعد أن تذكر بسواعيد فرنسا لبعض الشعوب الأروبية المقهورة وتضامنها معها على تحقيق رغباتها فى الاستقلال تقول : ان فرنسا ككل حكومات العالم التي هي فى الحرب تصرح بكل افتخار أنها مستعدة لاقامة سلم على قاعدة مباديء العدالة التي أعلنها الرئيس ويلسون » .

وأمام هذه التصاريح التي صدرت عن رجال فرنسا . كرجال دولة وحكم ، فقد صرنا نعتقد أن فرنسا مستعدة استعدادا كاملا لتنفيذ مبدا « حق تقرير الشعوب لمصيرها » وبدون استثناء بالنسبة للشعوب التي تحت سيطرتها » .

لكن وبكل أسف فان فرنسا لم تقف عند حد عدم الاعتراف بحق تقرير المصير بل عمدت الى الابقاء على النظام الظالم الذي لازالت ولن تزال تطبقه علينا منذ الاحتلال .

ان هذه الوضعية يجب أن تنتهي . ان شعوب افريقيا الشمالية يجب أن تتحرر من هذا الاستيلاء الذي لا يعرف الا منطق القوة الغاشمة المستقرة والدائمة .

ان الشعب الجزائري والتونسي قد دفع بدون حساب دماءه فى هذه الحرب وقد ساهم فى انقاذ الأوطان المغزوة مثل فرنسا وبلجيكا ، وفى تحرير شعوب مقهورة . فهل من العدالة ألا ينقذ هو من هذا الطغيان والاحتلال بالقوة ؟ لقد شارك منذ اليوم الأول فى الحرب العالمية فله الحق فى مشاركته فى السلم . فهل من العدالة أن يمنع حتى من ارسال نواب عنه الى مؤتمر السلم ؟ للمطالبة بحقه فى الحرية ، فى الوقت الذي قد حصل على الاستقلال أولئك الذين كان فى مساعدتهم ، مثل صربيا ، بولونيا ، تشيكوسلفاكيا ، يوغسلافيا وغيرها ، ثم حضروا هذا المؤتمر .

ان الشعب الجزائري والتونسي يطالب باستقلاله الكامل ويناشد الضمير العالمي الاعتراف بحقه فى تقرير مصيره ، ويوجه نظر مؤتمر السلم الذي سيجتمع قريبا الى مطالبه الشرعية ، هذا المؤتمر الذي

سيعدل خريطة العالم ويؤسس المباديء الجديدة للمحافظة على قوانين الشرف والشعوب » •

التوقيع : الشيخ صالح الشريف التونسي أستاذ فى جامع الزيتونة تونس

الشيخ محمد الخضر بن الحسين أستاذ فى جامع الزيتونة تونس

الشيخ محمد مزيان التلمساني أستاذ بمدينة تلسان . الجزائر

الشيخ محمد الشيبي التونسي

الشيخ محمد ميراز الجزائري

الشيخ حمدان بن علي الجزائري

كيف طرد الامير خالد من وطنه ؟

بالرغم من الخدمات العظمى التي قدمها النقيب خالد فى الجيش الفرنسي ، وبرغم دفاعه عن الوطن الفرنسي كأحد أبنائه حتى النصر . فان نشاطه السياسي كنائب ومطالبه الشرعية لشعبه جعلته لدى الفرنسيين عدوا لدودا . فعمدوا الى طرده من وطنه بكل وقاحة ونذالة •

لكن — على عادة الحكام الفرنسيين — فانهم لم يطردوه بأمر اداري دون مقدمات مبررة ••• بل انهم جندوا ضده عملاءهم وبعض الموظفين من الجزائريين . زيادة على كتلة المستوطنين الذين أقاموا ضجة ضده • فقد أمروا عملاءهم من النواب والموظفين الجزائريين ليقدموا عرائض ضده ، ويصرحوا فيها باسم الشعب أن الأمير خالدا لا يمثل الشعب ، وأنه — بمطالبه الطائشة — لا يمثل الا نفسه ، وأن الشعب الجزائري لا يريد الا أن يعيش في ظل العلم المثلث الرحيم •••!

وبعد ذلك عمدوا الى استدعائه وأمره بالخروج من وطنه مخفورا فاختار الذهاب الى المشرق العربي •

وتقول الكاتبة غليسبي بعد ما ذكرت التحولات الكبرى التي خلفتها الحرب العالمية : « قام نشاط سياسي بين الجزائريين من سكان المدن . وكان الزعيم البارز لهذه الحركة الأمير خالد ، حفيد بطل القرن التاسع عشر الأمير عبد القادر ، وقد حاول ، دون جدوى ، أن يوحد بين حركة المقاومة في الأرياف التي سارت نحو التأخر والزوال منذ عام 1871 م . وبين وطنية مدينية لا تزال في طور النشوء ، وقد كشفت حركته القصيرة العمر والتي أسماها « كتلة الجزائريين المنتخبين » عن تطرف الادارة الفرنسية . كما هاجمته اقطاعية المستوطنين والموظفين « الدينيين » الجزائريين الذين عينهم الفرنسيون .

وتضيف : « لكن الفرنسيين لم يأبهوا بالمطالب الاصلاحية التي قدمها ، ونفوه من البلاد عام 1924 » (6) .

وقد انتهت بنفي الأمير خالد حركته نظاميا ولكن الفكرة بقيت حية ، بل ان بذرتها أنبتت نباتا ناميا كلما مرت عليه الحوادث ازداد نموا وترعرعا . ولهذا ينبغي أن لا نبرح هذه الفترة من أيام كفاح الأمير خالد حتى نعطي ضوءا عن نشاطه الدؤوب أثناء تلك الفترة القصيرة للأسف والمليئة بالتحديات ! .

ومن حسن الحظ أن وفقت الى أخذ بعض المعلومات التي تتعلق بناحية من نواحي نشاطه ، من شخصيتين محترمتين أمينتين ، كانتا عاصرتاه ، واحداهما شاركته في أعماله السياسية ، وهذه شخصية صديقنا الفاضل الورع الشيخ السعيد بن أبي حجر أطال الله في عمره ، والأخرى هي شخصية أخينا الروحي فضيله الشيخ المولود بن شيخنا العلامة المرحوم الشيخ عمار بن أحمد العطوي (مهري) ، أخذا عن أبيه . فقد رويا لي ما يأتي :

كان شيخنا عمار رحمه الله اماما وخطيبا ومدرسا بجامع مدينة الخروب ، قرب قسنطينة ـ منذ عام 1911 . وكانت الحكومة الفرنسية

---

6 ـ الجزائر الثائرة ، ص 56 .

ـ كما تقدم ـ عزمت على تشريع التجنيد الاجباري على الجزائريين المسلمين ، وبسبب ذلك وقعت حركة كبرى من الشعب أدت الى غليان كبير ، كما تقدم بيانه فى هذا الكتاب بتفصيل ، وآل الأمر الى ظهور حركة شبه أحزاب سياسية قدمت فيها العرائض للدولة الفرنسية ، وذهبت وفود ، وكتبت صحافة . ومنها المعارض وهو الأكثر ، والمؤيد وهو الأقل . ومن العرائض المعارضة العريضة المتقدمة باسم سكان مدينة « الخروب » وما جاورها والتي حررت بقلم شيخنا عمار مهري .

ورغم أن فرنسا ذهبت فى خطتها غير مبالية ، وقامت الحرب العالمية الأولى ، وكان من اللازم أن تخمد كل حركة ، غير أن الحياة حينما تدب فى الكائن الحي لا يخمدها الا خالقها . فقد توقدت جذوة الروح القومية في الأمة ، ولم يكن من الممكن في تلك الفترة التعبير عنها الا بالانتصار الى تركيا الدولة الاسلامية التي كانت في صف المحور ضد الحلفاء في الحرب . وظهرت في سنة 1913 جريدة « الفاروق » لمنشئها الشيخ عمر بن قدور وكانت فكرة القومية الاسلامية قد ربطت الصلة بين ابن قدور وشيخنا عمار ، فكان هذا من معتمدي الفاروق ومن كتابها البارزين بناحية قسنطينة ، تارة برموز وتارة باسم مستعار ، وأخرى بالاسم الصريح .

ومما روى لي الشيخ السعيد أبوحجر عن فترة الحرب الحادثة الآتية: التي وقعت بالضبط عام 1917 م ، وبتأييد من الاخ المولود بن الشيخ عمار : أن أحد الضباط الأتراك من رجال المخابرات التركية نزل بمدينة الخروب ضيفا وقصد بيت شيخنا عمار حيث طلب منه أن يستقر بها أياما متنكرا ليسهل اتصاله من هناك بمدينة قسنطينة ونواحيها ، ويروي الشيخ السعيد أنه برغم تنكره فقد شك فى أمره نائب مدير شرطة البلدة ، الفرنسي فاستدعاه واستنطقه . غير أنه ، لما وجده نزيل الشيخ عمار . وكان هذا المسؤول الفرنسي يقدر الشيخ ، أولا ، لمكانته الدينية عند أهل البلد . ثانيا ، بما كان يحمله من تقدير واحترام له ، حتى أنه كان لا يدخن أمامه . وقد عرف أن هذا المسؤول الفرنسي كان اعتنق

ـ 7 ـ ظهرت جريدة الفاروق فى سلسلتها الأولى يوم 28 فبراير 1913 الى غاية سنة 1915 .

الدين الاسلامي خفية ، وعلى يدي الشيخ ، ونظرا لكل هذا فقد تغافل عن هذه الشخصية التركية ولم يخبر بأمرها السلطة .

ويقول الأخ المولود : ان السلطة الفرنسية قد اطلعت على الأمر ولكن بعد ذهاب ذلك الضابط التركي ، فعمدت الى ارسال برقية باسمه الى الشيخ عمار تقول فيها : « انني صديقك فلان واني في حاجة أكيدة الى شيء من المال ، فأرجو أن تبعث لي بعض المبلغ .

غير أن الشيخ عمار انتبه الى المكيدة وأرجع البرقية الى البريد معتذرا أنه لا يعرف هذا الشخص أبدا . (8)

ومما روى لي الشيخ السعيد الحادثة الآتيه : « كانت السلطات الفرنسية وزعت امرا على ائمة المساجد فى القطر ليخطبوا ضد تركيا لكونها **خرجت عن الطريق ، وهي تحارب دولتنا فرنسا التي** هي صديقة المسلمين .

وكان من الأئمة فى مدينة قسنطينة الشيخ الزواوي الفقون رحمه الله ولم يجد بدا من التكلم عن الموضوع ولو بكلمات قلائل ، فتكلم متخلصا بحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » . لكن الجماعة الوطنية لم يعجبها هذا الموقف من الشيخ ، وثارت ثائرة شيخنا عمار مهري فهجاه بقصيدة كان مطلعها :

يا زواوي الى الحق هل   سلم العلم لارباب العمل

وأرسلها الى جريدة أم القرى التي كانت تصدر بمكة المكرمة ، مع المرحوم محمد بن روتسلي الذي كان فى طريقه الى حج بيت الله الحرام فى تلك السنة ؛ ونشرتها الجريدة المذكورة وأخذ منها ابن روتسلي نحو مائة نسخة وزعت بسائر أنحاء الوطن الجزائري .

ولما انتهت الحرب وهزمت تركيا ورجع الأمير خالد الى الوطن ليفتح نشاطه السياسي بالمطالبة بتنفيذ الوعود التي وعدت بها فرنسا أثناء سعير الحرب . وجد ابن قدور والشيخ عمار منطلقا جديدا ، وهو المطالبة

---

8 ـ اعتذر الاخوان بنسيانهما اسم هذا الضابط لطول العهد .

بالحقوق الجزائرية ، فانضما الى الأمير . ووجد هذا ملجأ فى الخروب لدى شيخنا عمار ليمكن له الاتصال بالشخصيات المعروفة فى الناحية . خاصة بمدينة قسنطينة ، بعيدا عن الأنظار .

وكان من أنصاره فى الخروب جمع غفير منهم : الشيخ السعيد أبو حجر الذي كان من تلاميذ الشيخ عمار ، والشيخ محمد الكبلوتي من ناشري لواء القرآن العظيم تحفيظا وتصنيفا ، بما له من خط جميل . وعلاوة بن حمو من حفاظ كتاب الله أيضا ، والمرحوم اسماعيل أبو حجر ملاك . رحمهم الله أجمعين . والواقع أن مدينة الخروب كان سكانها كلهم وبصفة عامة مؤيدين للأمير خالد . ومن ثم امتدت يد الأمير الى قسنطينة فكان من أنصاره بها الدكتور موسى على الشريف الطبيب ، وعلاوة بن الونيسي ، وابن الحاج زايد ، والمحامي اسماعيل بن العقون ، ومحمد بن عبادو رحمهم الله .

ومما يروى الشيخ السعيد أبو حجر نفعنا الله بحياته : أن جماعة من المؤيدين للأمير فى بلدة الخروب ذهبوا الى قسنطينة ، وكان هو من بينهم ، لينشروا الدعاية للحركة فلما استقبلهم الشيخ المولود بن الموهوب وعرضوا عليه فكرة المشاركة فى حركة الأمير قابلهم بانكار شديد وقال لهم : انه ليس من أصحاب السياسة ولا يريد أن يمشي فى هذا الخط .. بيد أن الشيخ السعيد يردف فيقول : لكنه فى النهاية ظهر أنه من المؤيدين وانما اتخذ ذلك الموقف الانكاري تحسبا ممن عسى أن يكون بينهم من الوشاة الخونة .

ولم يكن الأمير خالد فى نشاطه يقتصر على ناحية قسنطينة وحسب بل كان له أنصار فى جميع نواحي الوطن كانوا يمثلون فى حركته شبه مراكز سياسية ومنهم : الحكيم موسى علي الشريف بمدينة قسنطينة ، وقد اشتهر بحماسه فى نصرة الأمير خالد ، حتى أنه لما نكب خالد بالقهر والنفي وكان من بين الأسباب برقيات من الأذناب تؤيد المستعمرين وترمي خالدا بالتشويش وعدم تمثيل الشعب . أمام كل هذا أصيب الدكتور موسى بمرض الأعصاب وانتابه القلق ، واستحال

الى سكير مخمور طول الوقت الى أن توفي — غفر الله له — يوم 16—3—1937 (9) ، وكان ميلاده فى 28—10—1882 م •

ومنهم الوطني الشهير محمد بن رحال فى ندرومه • ومنهم عباس بن حمانه فى تبسه • وقد اغتاله خديمه وهو فى المسجد باغراء من المستعمرين •

وأمام هذا النشاط الدؤوب الذي بدأ يأخذ شكل حركة حزبية منظمة ، لم يجد الاستعمار وسيلة لاخماده الا طرد صاحبه من الوطن ، وظن أن ذلك الطرد ستكون به نهاية هذه الحركة التي أقلقت نفوس المستعمرين وأقضت مضاجعهم ولكن الحياة اذا دبت فى أمة فليس لأية قوة من سبيل الى اخمادها •

فقد أخذت الفكرة طريقها فى النفوس وبدأت تظهر هنا وهناك بشتى المظاهر ، منها المعتدل ، ومنها المتطرف •• وكان من أبرزها وأدومها « حركة نجم الشمال الافريقي » (*) •

حزب النجم والحركة السياسيه التي سبقته

لكي نعرف الظروف الأخرى التي أدت الى تأسيس « حزب نجم الشمال الافريقي » وظهوره كأول حركة سياسية منظمة تنظيما حزبيا حسب العصر ؛ يحسن أن نلم قليلا بما سبقه من تشكيلات •

فبعد صدور قرار اصلاحات فبراير 1919 م حدثت لدى الجزائريين خيبة ظن أثارت ضجة كبرى ضد هذه الاصلاحات الهزيلة التي ما كان الجزائريون ينتظرون أن تقابل بها تضحياتهم الجسيمة أثناء الحرب ، بيد أنه كان لهذه الضجة موقفان : موقف موحد وآخر مختلف ، وكان

---

9 — مما أتذكره ان نشاط الحكيم موسى وشجاعته جعلا له سمعة كبيرة لدى الشعب ، حتى أن الشباب فى ذلك الوقت اتخذوه قدوة فصار يقلده في لباسه وحركاته .

(*) — قال لى غير متحقق الأخ م . صالح رمضان : مما ينسب الى الأمير قوله :

لا تظنوا أن خضبي لحيتي ... للهور الشيب في شرخ الشباب
انما الخضب ارهاب العدا ... حين يعلو صارمي فوق الرقاب

يمثل الموقفين على الأقل ـ كما ذكره كثير من المؤرخين الأجانب ـ ثلاث حركات شبه نظامية •

فالموقف الموحد أو المتفق هو معارضة هده الاصلاحات أصلاواعتبارها غير كافية وهي مخيبة للظن بصفة فظيعة •

والموقف المختلف يتمثل فى وسائل المعارضة وفى الهدف • وأمام هذا الموقف الثاني نجد ثلاثة عناصر : عنصر الوطنيين وهدفهم الاستقلال، وان بدأوا بطلب اصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية • وعنصر الاصلاحيين الاندماجيين وهدفهم المساواه بالعنصر الفرنسي ولو بالتجنيس • وعنصر المحافظين وهدفهم العيش تحت ظل فرنسا ، والقناعة بأي حق تقدمه تدريجيا ، لكن مع المحافظة على الأحوال الشخصية الاسلامية •

وهكذا نجد الكاتب الفرنسي « أوغيستان بيرنارد » .Augustin B يسمى هذه الاتجاهات أحزابا ويقول : الحزب المحافظ الذي كان مكونا من العائلات الاقطاعية القديمة • والحزب الليبرالي الذي كان يقوده جماعة النخبة الاندماجيون • والحزب الوطني الذي كان يسيطر عليه جماعة النخبة المنادون بالمساواة مع فرنسا •

وهناك كاتب فرنسي آخر قد تحدث أيضا عن ثلاثة أحزاب سياسية ولكنه استعمل طريقة مختلفة فى تقسيمها ، وان لم تختلف المعنى • فبناء على هذا الكاتب كان هناك :

1 ـ «حزب الفتيان» الجزائريين ـ جماعة النخبة ـ الذين كانوا ينادون بالاندماج •

2 ـ والحزب الوطني الاسلامي الذي كان تحت أولئك الذين ينادون بالمساواة ولكن داخل اطار الأحوال الشخصية الجزائرية الاسلامية • وأخيرا حزب « أصحاب العمائم القديمة » من بني : ••وي ••• وي •• أو «الاقطاعيين» (10) •

10 ـ جوج ، سعد الله ، ص 329 .

ويجدر هنا أن نشير الى أن هذا الانقسام ظهر مباشرة سنة 1919 بسبب حملة الانتخابات البلدية فى شهر نوفمبر (تشرين الثاني) 1919 ، وقد ذهب أمر هذه الانتخابات الى تعدي النطاق المحلي ، وظهرت بصفة رئيسية – فى مدينة الجزائر ثلاث كتل : اثنتان من الشباب الجزائري حيث لعبت المبادرة الشخصية دورها قطعا • ولكن ، لأول مرة، ظهرت المعركة فى نطاق سياسي أي « مع أو ضد الاندماج » وبالأحرى مع أو ضد التجنيس • (11)

فقائمة الشبان الجزائريين كانت بقيادة حاج موسى الذي دخل في النيابة البلدية بمدينة الجزائر منذ عام 1884 م ، وهو رجل متدين مرتبط كثيرا بالروح الاسلامية ، ولم تشتمل هذه القائمة على أي عضو يحمل فكرة التجنيس ، وأظهر شخصية فى هذه القائمة كانت شخصية الأمير خالد ، وكل أعضائها من أعيان مدينة الجزائر من غير المتجنسين •

أما قائمة أوليد عيسى وابن تامي فقد جمعت أيضا من أعيان المدينة المعروفين ، ولكنهم اما متجنسون بالجنسية الفرنسية أو مؤيدون لسياسة التجنيس •

وفى هذه الأثناء أعلنت « جريدة الأقدام » أن كل متجنس فى الجزائر لا يمكن أن يكون نائبا – بشرف – عن الجزائريين • لأن قائمة ابن تامي قد جمعت تقريبا كل المتجنيسين •

أما القائمة الثالثة فلم تظهر بها الا أسماء مجهولة أو تكاد ، باستثناء الأوروبيين الاثنين وهما الأستاذ موريس لاميرال الذي عرف بدفاعه عن المسلمين ، والصحافي باريكاند Barrucand مدير جريدة « الأخبار »•

وأثناء معركة الانتخابات التي كانت جد ساخنة ، خاطب خالد المنتخبين وقال لهم : انتخبوا القائمة الاسلامية اذا كنتم راغبين فى جنة الاسلام انتخبونا نحن لأننا مؤمنون » • (12)

11 – الحياة السياسية لقداش ، ص 41 .

12 – المرجع السابق ، ص 41 .

وباعتباره مرشحا فى قائمة اسلامية فقد ذكر الناس أن المسلم الحقيقي لا يجوز له أن ينتخب على فرنسي • كما ذكرهم بمواقف الأمير عبد القادر مع الجنرال بيجو Bugeaud في صفة تحد وبحكمة المهتدي الى الطريق الصحيح • ثم قال : ولا تنسوا كفاح عبد القادر ، ولا تنسوا أن أجدادكم قد استجابوا كلهم لنداء جدي لمقاومة الاحتلال •

وتكلمت الصحافة الأوروبية ، اذ ذاك ، عن دعاية خالد الدينية المتطرفة والتي هي ضد فرنسا ، وكتبت جريدة صدى الجزائر L'Echo d'Alger عن الحالة مستشفة فى كتابتها خطر القومية الاسلامية الذي يحمله حفيد الأمير عبد القادر ، بأنه لا يوجد أخطر منه : « خطر التعصب الاسلامي » الذي هو فى طريق « التفريخ » والذي لا ينتظر الا وقوع شرارة لكي يصبح جمرا يتقد » • (13)

ولم يتأخر رئيس القائمة الأخرى الدكتور بن تامي ليرمي خالدا بأشنع الصفات • ولكن فى النهاية فقد حصلت قائمة خالد على 940 صوتا فى أعلى مستوى وعلى 824 صوتا (*) فى أخفض مستوى • بينما لم تحصل القائمة المضادة الا على 392 صوتا فى أعلى مستوى • وعلى 107 أصوات فى أقل مستوى : قائمة بن تامي ، وانتصرت ، اذن ، انتصارا ساحقا قائمة حزب « الشخصية الاسلامية » وظهرت الصحافة الفرنسية فى الجزائر — فى اليوم الثاني — يكتنفها مظهر رعب شديد •

وفى جلسة 25 ديسمبر 1920 لمجلس النواب البلدي ، ألقى الأمير خالد خطابا طويلا ، وذكر فيه بأعماله السابقة التي كرسها فى ميادين الحرب لمصلحة فرنسا ، سواء فى المغرب أو فى فرنسا • وقال : انه كثيرا ما نودي به عند أحلك الأيام زمن الحرب ، عندما يحتاج اليه فى رد الهدوء والثقة لدى الجنود الجزائريين • وقال : ان عددا من أسرته قاتلوا فى الحروب وحوكموا أو أبعدوا بسبب عواطفهم الحسنة نحو

---

13 — المرجع السابق • ص 42 •

(*) — ان القائمة الآتية تشير الى ان اخفض مستوى 653 صوتا فليراجع •

فرنسا ، واليوم ــ وأنا أدخل الميدان السياسي جديدا وليس لي أي ماض في السياسة ــ فليس لي أي مقصد غير خدمة مصالح مواطني ، والمشاركة في تكوين سعادة وطني الجزائر ، وكذا في عظمة فرنسا .

يقول الكاتب آجرون شارل ، عن المناداه بخالد : في الوقت الذي تظهر لدى بعض الفرق المجندة الجزائرية بوادر فتور أو استرخاء ينادي خالد ليرجع الهدوء ..! ثم يتساءل آخرون : فهل سيكون خالد حفيد عبد القادر أول وطني جزائري ضمن نهضة العالم العربي الاسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط ؟! .

لكن الادارة الاستعمارية رفعت دعوى ضد انتخابه لأنه يعتبر ..! أجنبيا عن الجزائر وليس مواطنا ! ، وحكم مجلس دار العمالة conseil de préfecture بالغاء انتخابه ، وذلك بالرغم من مرافعة محاميه مثل الأستاذ « ملارمي » والتي أبان فيها بالحجة الدامغة مواطنته الشريفة ، وقرأ بعض شهادات رؤسائه في الجيش الفرنسي والتي تدل على بلائه واستبساله في الدفاع الشريف أثناء الحرب العالمية الأولى . (14)

وتتميما للفائدة وتسجيلا للتاريخ أنقل فيما يلي أسماء أعضاء قائمة خالد التي قدمت رسميا باسم وبرئاسة حاج موسى ، وعدد الأصوات التي تحصل عليها كل فرد منهم :

	اصوات		اصوات
حاج موسى	940	سيدي علي مبارك	784
الامير خالد	925	ابن رضوان	753
ابن العربي	901	بومدين سيدي	747
قايد حمود	873	بن عبي محمد	720
حاج عمار	867	بن مرابط	714
كراد خليفه	824	بن صمام الياس	653

14 ــ المرجع السابق ، ص 42 .

وبرغم محاربة الادارة الاستعمارية فان خالـدا لـم ينسحب مـن الميدان فقد ترشح مرة أخرى فى انتخابات فاتح فبراير (شباط) 1920 وتحصل على 2295 صوتا مقابل 245 صوتا فقط لخصـمه الدكتور تامزالي • وترشح أيضا فى انتخابات 18 أفريل (نيسان) 1920 وتحصل على سبعة آلاف صوت (7000) مقابل 2500 صوتا لخصمـه زروق محيي الدين •

وقد ترشح لهذه الانتخابات على أساس برنامجه الأول سنة 1919 وأصبح بفوزه نائبا فى المجلس العمالي Conseil général ونائبا فى المجلس المالي Délégation financière

وهكذا يعلق محفوظ قداش فيقول : يمكن أن تثبت أن انتصارات خالد كانت فوزا لأنصار الشخصية الاسلامية ، فخالد ، اذن ، هو رئيس « حركة الشبان الجزائريين الجديدة » • (15)

وحسبما أثبته قداش ، نقلا عن وثائق رسمية ، فان تلك الخيبة المريرة التي أصابت المسلمين الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى فى شخص الأمير خالد وبصفة عامة ، بالنسبة للحقوق الوطنية ، هذه الخيبة قد حملت المسلمين أثناء السنتين اللتين أعقبت الحرب على شبـه مقاطعة تامة لكل ما له علاقة بالادارة الفرنسية • حتى أن النواب الأهالي فى المجالس النيابية ، ولو أنهم يشاركون ظاهريا في الاجتماعات ، لاينبسون بنت شفة ، ولا يقدمون أي اقتراح ، ولا يدافعون عن أية نظرية أو يؤيدون ، فهم انما يستمعون من النواب الأوروبيين وحسب •

ولم ير أحد من النواب الأهالي شارك فى لجنة من اللجـان التي حضرت لاحتفالات ذكرى النصر يوم 14 جويلية (تموز) سواء لسنة 1919 أو لسنة 1920 • بل أنهم ، حتى فى القضايا الهامة ، ظهروا وكأنهم أجانب عن الوضع •

---

15 ـ المصدر السابق ، ص 43 .

كما لم يظهر أي جزائري يطلب أو يأخذ المنحة العسكرية التي قررها قانون السابع أوت (آب) 1917 لكل جندي تـرك عائلة من ورائه ، ولا حتى منحة الشيخوخة •

ويقول : ولم يظهر أي نائب أهلي فى الدفاع عن منوبيه بل أن أحد النواب المسلمين كلف بتسجيل طلبات المستحقين سنة 1922 فلم يأت للمجلس البلدي بأكثر من خمسة عشر اسما وكلهم أوروبيون وليس بينهم مسلم واحد • ولوحظ أيضا أن النواب الأهالي ، وفى جميـع المجالس ، لم يشاركوا أبدا ، أثناء هذه الفترة ، فى أي قضية وطنية فرنسية لا بالسلب ولا بالايجاب ، وخاصة فى كل ما يتعلق بالسيادة الفرنسية •

ويضيف قداش : « وعندما رجع الجيش الفرنسي من حرب الريف قرر المجلس البلدي فى الجزائر استقبال جنوده بحفلة اعتراف بالجميل ، وطرحت القضية على المجلس حيث اقترح تقديم لائحة اعتراف بالجميل والشكر للقادة : مثل كليمنصو ، بريان جونار ، هيريو •• فلم ينطق نائب مسلم بكلمة ولكنهم ، وهم قلة ، أظهروا وفاقهـم مع الأغلبية الأوروبية عند التصويت » • (16)

ويعلل قداش هذه الظاهرة بأنها نتيجة عدة نكسات أصابت النواب الأهالي منذ اللحظة الأولى عند تخرجهم سنة 1919 ، وعن عدة اخفاقات فى قضايا بينة الحق مؤيدة بقوانين الدولة الحاكمة نفسها تأييدا لا يقبل أي تغيير مضاد • ويستشهد لذلك بكثير من الوقائع منقولة من تقارير الجلسات الرسمية لمختلف المجالس • ونذكر منها بعض الوقائع ملخصة فيما يلي :

16 ـ ان هذه المواقف من النواب المسلمين فى أوائل القرن العشرين لا تعتبر ـ فى رأيي ـ الا من باب الدفاع السلبي عند العجز وهو نضوج سياسي على قدر كبير من الأهمية قلما يوجد من بيننا اليوم ونحن فى أواخر القرن العشرين . بل ونحن نتمتع بالاستقلال وبحكومة وطنية . فقد عجز نوابنا حتى عن هذا الدفاع السلبي ، وهم الكل فى الكل وليسوا بأقلية ، ولم يوفقوا الا الى التصفيق والهتاف ... وهم كارهون ! نعم •• كارهون وهذه هي الحقيقة .

1 ــ طالب النواب الأهالي بمساواة الموظفين المسلمين بزملائهم الفرنسيين ، وذلك باعطائهم منحة 25 ٪ « الجزائرية » ، ورغم تحصيلهم على موافقة مجلس النواب ، فقد تعرض عامل العمالة ــ والي الولاية ــ للقرار وأوقف تنفيذه •

2 ــ مرة أخرى يقدم النواب الأهالي اقتراحا بمساواة الموظفين الأهالي بزملائهم الأروبيين ، وبنوا الاقتراح على قاعدة عدلية ، وعلى تقييم غلاء المعيشة • وقام الأمير خالد بنداء السلطة وتذكيرها بأن القانون قد سوى فى هذه المنحة بين الجزائريين الذين ليسوا متجنسين بالجنسية الفرنسية وغيرهم وقامت معركة من أجل هذه المنحة أدت الى ارغام جميع أعضاء المجلس البلدي على قبولها لكن والي الولاية رفض تنفيذها مرة ثانية •

وبعد أخذ ورد ، رفعت القضية الى مجلس الدولة (Conseil d'Etat) وأمام مراجعات متكررة من النواب ، وبعد مظاهرات قامت هنا وهناك ، صادق وزير الداخلية الفرنسي فى مجلس الدولة على قرار المجلس البلدي • ولكن والي الولاية ــ رغم كل ذلك ــ قرر بأن هذه المنحة 25 ٪ لا يمكن تنفيذها الا بالنسبة للفرنسيين •

3 ــ كان النواب المسلمون قدموا احتجاجا ضد تصريحات مؤتمر رؤساء البلديات المستعمرين الذي انعقد بمدينة الجزائر يوم 28 مايو (أيار) 1920 ، ووصف هذه التصريحات أحد النواب المسلمين وهو الدكتور ابن العربي بأنها من نوع ما يزرع الكراهية والحقد والبغضاء في قلوب السكان المسلمين المرتبطين بولائهم الى أم الوطن • وحمل التبعة على الادارة التي تتغافل عن هذه الأعمال التي تؤدي الى ثورة نفسية لمجموع أغلبية السكان الذين من حقهم أن يقاوموا كل من يريد محقهم » • لكن كل ذلك لبث دون نتيجة وذهبت كل الجهود سدى ودون جدوى • (17) •

17 ــ جلسة المجلس البلدي فى 10ــ12ــ1920 و 12ــ5ــ1922 ، الحياة السياسية ، ص 57 •

وتذهب العنصرية بالمستعمرين الى حد الرفض لعضوية أي نائب أهلي بمكتب مساعدة الفقراء ، المسلمين الأهالي ، وفى لجنة المسرح الجزائري ... الخ .

زيارة رئيس الجمهورية ميليران

وجاءت زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية م . ميليران Mellerand فى ربيع سنة 1922 ، كما تقدم بيانه ، الى القطر الجزائري وصرح أثناء حفلة على العموم معترفا بوجود قضية سياسية أهلية ، وأعطت هذه الزيارة فرصة للنواب المسلمين وبعض الشخصيات الأهلية أن يخرجوا من صموتهم الطويل ، فصرحوا له بجميع الرغبات الأهلية ، وأطلعوه على أن الحوادث المتعاقبة جعلت الأهالي الجزائريين يعتقدون أن فرنسا عندهم صارت عبارة عن خيال بعيد ، كما كان يتخيلها الريفي الفرنسي فى عصر التأخر الأروبي .

وقد قال النائب ابن صيام فى تصريح له بمسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي : « ان النواب الأهالي والشخصيات صرحوا أمام رئيس الجمهورية بتصاريح تدل على ولاء واخلاص ، فقد قال النائب قايد حمود ـ حينما تكلم على استصلاح أرض « متيجة » بأن المجهود الفرنسي كان مرضيا » ، وتكلم الأستاذ ابن شنب ، حاملا كلمة هيئة التدريس الأهلية ، فشكر صنيع الرئيس الفرنسي بفتحه الكلام عن قضية المسلمين وحقوقهم وقال :

واذا كان نوع تنافر بين طائفتي السكان فى الجزائر فانما هو شيء عابر ، والرجاء أن لا يؤثر هذا التنافر على الوفاق الذي استمر بينهما من قبل . وختم : ان التقدم العلمي سيقدم أحسن تفاهم بين المسلمين والفرنسيين » .

وذهب النائب قايد حمود فى خطابه على ميليران الى حد أن قال : « ان الأهالي الجزائريين قد أعربوا بتضحياتهم الكبيرة عن ارتباطهم بأم الوطن ، وقد ظهروا كجزء تام لفرنسا ، واذا بقوا متأخرين فى ميدان

التمدن فحسبهم أنهم كانوا فى المستوى اللازم أمام ما تتطلبه الدولـة الفرنسيـة •

أما الأمير خالد فى خطابه أمام الرئيس ، فقد قال : بتدقيق ان زيارة السيد رئيس الجمهورية الفرنسية قبيل الاحتفال بذكرى مرور قرن على الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يمكن الا أن يصرح فيها بصوت جهوري : ان جميع سكان الجزائر لا فرق بين معتقدهم وجنسهم كانوا كلهم أبناء فرنسا ، ولذا فان الجزائريين يجب أن يعاملوا مثل الفرنسيين ، ولكي يكون هذا حقيقيا فان أول واجب هو الاعتراف للمسلمين بحق النيابة فى البرلمان •

ثم أضاف : « اننا جئنا لنطالب بتمثيل الجزائريين فى البرلمان الفرنسي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يدافعوا بواسطته عن حقوقهم ، كما يمكن لهم أن يعربوا لفرنسا عن مدى ارتباطهم وعن تأثرهم بمدنيتها التي نشرتها فى العالم ••• » • (18)

لكن رئيس الجمهورية الفرنسية لم يحجم أن يجيب : « ان قانون الرابع فبراير 1919 قد سوى بين الأهالي والفرنسيين فى جميع المجالس البلدية والعمالية والمالية ، ـ وكانت الحقيقة غير ذلك ـ وأن السرعة فى هذا الميدان قد يكون فيها أكبر الضرر سواء بالنسبة لفرنسا أو للجزائريين الأهالي ، ومن التعقل انتظار النتائج التي بدأنا بها » •

ومن جهة أخرى فقد ذهبت الصحافة الأوروبية مذهبا مشددا ازاء خطاب الأمير خالد ومما قالت :

« ان الأهالي الجزائريين الذين يطلب لهم خالد « المساواة » ليسوا أهلا لهذه المساواة ، فالشعب الذي لا زال يشتري زوجاته ، والذي ما فتيء سجينا فى عصبيته الدينية وفى تأخره ، لا يمكن أن يحظى بالحقوق التي استحقها الفرنسيون ، فالشيء الذي يستحقه الأهالي هو تثقيفهم

---

18 ـ المرجع السابق ، ص 63 •

وتعليمهم حتى يتوصلوا الى المستوى الذي يتفهمــون به الحضــارة الفرنسيــة » .

ويجيب الأمير خالد برفض هذا الادعاء رفضا كليا ، مبينا أن التقدم الأروبي الحديث كان بفضل الحضارة الاسلامية والعلوم الاسلامية ، واذا كان المسلمون اليوم فى الجزائر متأخرين فلأن ، من بين خمسة ملايين نسمة ، لا يدخل المدارس منهم سوى نحو الثلاثين ألفا » .

وفى مسألة شراء الزوجات يجيب خالد ، وبحجج واقعية ومفحمة : « ان الشيء الواقع عندكم فى أروبا هو العكس ، فالمرأة هــي التــي تشتريكم بالفعل ، وقد رأيت بعيني فتيات لا يتجاوزن اثني عشر عامــا يصطدن الرجال فى الشوارع جهارا ... » (19)

19 ـ جريدة الاقدام ، 9 يونيو ـ حزيران ـ 1922 .

الاستعمار الفرنسي وتمدين الجزائريين المزعوم

يجدر بنا هنا أن نبحث قليلا فى ميدان التربية والتعليم اللذين يتشدق بهما المستعمرون ، كما نعرج على شيء من التثقيف والتمدين الذي يدعي الاستعمار الفرنسي أنه حمله الى الجزائر .لقد ذكر المؤرخون الأمناء،وحتى الأجانب منهم : أن الشعب الجزائري كان صبيحة الاحتلال الفرنسي يتمتع ـ بالنسبة لعصره اذ ذاك ـ بثقافة ممتازة وتقدم ملحوظ ، بحيث أن الأمية فيه كانت لا تتعدى 20٪ ، ففي عام 1829 ، أي قبل سقوط الجزائر تحت الاحتلال بسنة واحدة ، كانت الثقافة الاسلامية منتشرة فى الجزائر انتشارا عظيما ، فقد كان بها أكثر من خمسمائة مركز (500) علمي ما بين كتاتيب ومدارس وغيرها . ولما نزل الفرنسيون البلاد عام 1830 م أشاعوا فى الأوساط المثقفة والعلمية اضطرابا شديدا فهاجر معظم الأساتذة من بطش الغزاة (1) . ولم يبق الفرنسيون على شيء من دور العلم التي كانت ملحقة بالمساجد وأضرحة الأولياء فى « الزوايا » ولم يولوا الفرنسيون المكتبات والمخطوطات الثمينة أدنى رعاية ، بل أهملوها بعدما نقلوا معظمها الى متاحفهم فى باريس .

وكان من بين المكتبات التي خربوها مكتبة الأمير عبد القادر التي كانت تعتبر من أهم المكتبات فى الجزائر ، فقد بعثروها على الطرقات

1 ـ من عجيب ما يؤثر عن الفرنسيين أنهم مغرمون بمحاربة الثقافة والمثقفين لدى الامم التي استعمروها ، وسواء ذلك فى العهود القديمة او الحديثة ، فكما شهد التاريخ ان غزاة الجزائر سنة 1830 كانوا حاربوا الرجال المثقفين وبطشوا بهم حينما وجدوا ، فقد رأينا باعيننا مثل ذلك حتى فى العصر الحديث ، ففي حوادث الثامن ماي 1945 كان زبانية التعذيب يبحثون من بين المعتقلين وحتى فى المستشفيات ، عن الطلبة Les talebes ، والمراد بهم اي انسان غير امي وخاصة معلمي القرآن العظيم ، فيعدمونهم او يعذبونهم العذاب الشديد ، حتى رأينا من المعتقلين من صار يخفي معرفته بالقراءة والكتابة وينكر ذلك اذا سئل . وهكذا وقع أثناء ثورة فاتح نوفمبر 1954 التحريرية . .

وعبثوا بها أيما عبث ، وكأنما أرادوا أن ينتقموا بهـا لأنفسهم من عبد القادر ! ..

ومن أشهر المدارس التي يرجع تاريخ تأسيسها الى عام 1346 ميلادي مدرسة سيدي أبي مدين بحاضرة تلمسان ، وغيرها من المدارس فى بقية المدن الجزائرية ، فقد كانت بمثابة مراكز للثقافة الاسلامية ، اشتغل فيهـا أساتذة متمكنون فى الفلسفة والفقه والأدب وعلـم الكـلام والفلك .. (2) .

كافيك أن الجزائر العاصمة وحدها كانت تتوفر على أكثر من مائة مسجد كلها فى منتهى الروعة والابداع الفني . وهذا بقطع النظر عن الكتاتيب التابعة لهـا والمدارس المنتشرة فى الأحياء . ولا يخـفى أن المساجد ، فى كل أدوار التاريخ الاسلامي ، كانت من أهم مراكز الثقافة العامة ، زيادة على التعليم الديني .

وما ان حل ركاب المستعمرين الفرنسيين حتى اندفعوا الى هدمها أو حجزها لتحويلها الى مراكز لآلاتهـم وحيواناتهم ، والى كنـائس لعبادتهم . ومن هذه المساجد فى مدينة الجزائر ، مسجد « علي بتشيم » الذي حول الى « كنيسة النصر » ومنها مسجد « كتشاوة » الذي حول الى « كنيسة الجزائر الكبرى » « كاتيدرائية » ... الخ .

وقد استمرت محاربة التعليم العربي والدين الاسلامي طيلة الاحتلال، وحتى بدون أن يعـوض الجزائريون بالتعليم الفرنسي الا فى القليل النادر .

ومما يثبت النية السيئة التي كان يبيتها المستعمرون الفرنسيون بقصد تجهيل الشعب الجزائري بعد تفقيره ، والتي استمرت حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى . هذه الحرب التي قدم فيها الشعب الجزائري أعز ما يملك من بنين وأموال ، صدور قرار بواسطة مدير التعليم العام سنة

---

2 ـ الجزائر عبر الاجيال ، ص 57 .

1927 ينص على أن أفضلية الدخول الى المدارس الفرنسيـــة يجب أن تختص بالأروبيين • ويدقق القرار : « أنه لا يمكن تسجيل الأهالي لدخول المدارس الابتدائية الا اذا اكتفى الأروبيون » • أما التعليم الثانوي أو العالي فهو ــ اذ ذاك ــ محرم على الجزائريين •

وأمام هذا التصرف العنصري الذميم وقعت مشادات كبيرة فى المجالس البلدية بالخصوص ، وانتشر تذمر كبير لدى آباء التلامذة ، وعندئذ نطق المدير العام للتعليم ، أي بعد سنة كاملة ، وبالضبط يوم 9 أكتوبر 1928 ، ليعلن أن القرار السابق الذي صدر عام 1927 كان مخصوصا بالمراكز التي لا زالت غير مستعدة لاختلاط الجنسين : أي العنصر الفرنسي والعنصر العربي • لكن ما معنى « عدم الاستعداد » لاختلاط الجنسين فى نظر المستعمرين الفرنسيين ؟ ان الذي عرفنـــاه عن سياسة التعليم والثقافة أثناء الاحتلال قد عرفنا معنى عدم الاستعداد لاختلاط العنصرين، ذلك أن المستعمرين يأنفون من اختلاط أبنائهم بأبناء الأهالي الوطنيين ، ويرون فى ذلك سبة وحطة ، زيادة على عدم تحملهم قذارة العـــربي « المقمل » ! يضاف الى هذا سياسة التجهيل التي كرست منذ اليوم الأول للاحتلال ، وقد أدت هاته النظرة العنصرية « الفجة » الى خلق مدرسة خاصة تسمى « المدرسة الأهلية » وهي السياسة التعليمية التي بقيت الادارة الفرنسية تتبعها فى الجزائر الى ما بعد الحرب العالمية الثـــانية •

وقد جاءت هذه الحرب بحق تقرير المصير للشعوب وتحريرها وظهرت انتفاضة كبيرة من الشعب الجزائري لطلب الحرية ، كما سيأتي بيانه ، ولكن ما كان من القادة الفرنسيين الا أن يعلنوا من جديد أن الجزائر تعتبر جزءا لا يتجزأ من فرنسا فلا يجري عليها حق تقرير المصير ، وأن شعبها شعب فرنسي وهو يتمتع بالحقوق الفرنسية •

وأمـــام هذا الحصار السياسي اضطرت فرنسا الى تعميم التعليـــم الاجبـــاري بالفرنسية والاختلاط بين العنصرين فى تحفـــظ واشمئزاز الكولون ! كما اضطرت الى اصدار قرار سابع مارس ــ آذار ــ

1944 الاندماجي ، لكن « الصيف ضيعت اللبن » كما يقول المثل العربي • فقد تبين جليا مصداق قوله تعالى « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » لقد كانت سياسة ابعاد الوطنيين الجزائريين عن التعلم مع الفرنسيين فى مدرسة واحدة ، وتكريس سياسة التجهيل ، مما أدى الى زهدهم للثقافة الفرنسية ، كما كانت من أجل الأسباب التي أبقت على الشخصية الجزائرية ووضعت حاجزا سميكا فى طريق اندماج العنصر المغلوب فى العنصر الغالب • والمنة لله ! •

والى هذا الحين فقط بدأت فرنسا تنتبه الى صدق النصائح التي كان يقدمها لها بعض النواب الاندماجيين من الجزائريين فى مناسبات كثيرة • وعلى سبيل المثال نذكر فيما يلي فقرات للنائب حمودو شكيكن بمناسبة دفاعه ضد سياسة التعليم المتحجرة العنصرية فيقول :

« وفى الوقت الذي يعلن فيه كل الجزائريين قبول دمج العنصر الأهلي بالعنصر الفرنسي ، والاتحاد بين الجنسين الفرنسي والأهلي قبيل احتفالات ذكرى القرن ، لا زلنا نرى التعرض لأقل مطالبنا (3) •

والعجيب أن هذه السياسة التعليمية لم تتغير الا قليلا ، حتى بعد الحرب العالمية الثانية ، وصدور قرار السابع مارس 1944 الذي يفرض ادماج الشعب الجزائري فى الشعب الفرنسي ، ونجد أثر التدمير من ذلك التصرف العجيب فى فقرات من مقال طويل كنت كتبته عام 1948 بعنوان « كيف الخروج من الحالة التعسفية التي تعيشها شعوبنا فى الشمال الافريقي » ؟ •

أقول : ••• ومن الضروري أن لا أختم هذا الموضوع دون التعرض لأعضل المعضلات وأشكل المشكلات وهي مشكلة التعليم ، فالتعليم بأقطار الشمال الافريقي ، وخاصة بالجزائر ــ ما زال خاضعا لنظام استعماري بغيض ، وما فتيء يتمشى ضمن برامج خاصة ، خططت فى زوايا

---

3 ــ راجع محاولات الاحزاب الاصلاحية الاندماجية فى هذا الكتاب فستجد العجب فى التنازلات من طرفها لاقناع الفرنسيين بسياسة المساواة وحسب ، ولكن الصلف الفرنسي لا يلين ولا يريد أن يتفهم .

الادارات الاستعمارية ، وتحت رقابة اخصائيين فى فن استغلال الأوطان واخضاع الشعوب الضعيفة بكيفية مدروسة منظمة ! فالادارة لا تبض للتعليم الأهلي الا بمقدار ، فى الوقت الذي تنفق بسخاء فى اقامة الثكنات والحصون العسكرية ، وعلى بناء مخافر الاذلال والتعذيب من سجون ومعتقلات ...

وبعد أن يتعرض المقال لما يقيمه الاستعمار من نظم بوليسية وخلق وظائف على حساب الشعب لمشردي الآفاق الأروبية وللنيابات البلدية التي لا تنطق ولا تسبح الا بحمده ، يضيف : ولذا لم تقم السلطات الاستعمارية للأهالي الا شيئا محدودا من المدارس الابتدائية الفرنسية التي لا تأوي الا نسبة ضئيلة ممن هم فى سن التعليم ، ومع ذلك فنظامها المشار اليه آنفا جعل منها آلة للتجهيل وموئلا لتضييع وقت التلميذ ، ثم التضييق على التعليم العربي فى المدارس الأهلية ... »

غفـــوة سيـاسيـــة

وهكذا تتضافر جهود المستعمرين على اخمـاد الجذوة الوطنية فى الشعب ، وتتراكم عوامل الخيبات المتكررة لدى النـواب الجزائريين فيتضاءلون وتبدو « غفوة سياسية » وصفها أحد الكتاب بانهيار كبير . ولاسيما بعد ابعـاد الأمير خالد الى البـلاد المصرية . وذلك بسبب الخضوع الذي ظهر فى النواب الأهالي والمناضلين ، فالنواب اقتصروا فقط على الاحتجاجات عن الأعمال الفظيعة ، وعلى تقديم مطالب متواضعة مع الاعراب فى كثير من المناسبات عن عواطفهم الفرنسية ومنهم نواب الحزب الشيوعي الفرنسي ــ فرع الجزائر ــ ونواب حركة الدكتور ابن تامي التي نشأت بعد الانفصام الذي وقع فى لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين ، وتدرجت بعد ذلك الى أن أسست بتاريخ 18 جوان ــ حزيران ــ 1927 « جمعية النواب المسلمين الجزائريين » .

لكن الشيء الوحيد الذي لم ينسه الجزائريون هو شخص الأمير خالد فانه ، بالرغم من منفاه بمصر وبعده عن الوطن ، قد رشح فى الانتخابات البلدية التي وقعت فى 10 ماي ــ أيار ــ 1925 . فقد ظهر تآلف فى سكان العاصمة ، بمناسبة هذه الانتحابات ودعي بـ « كتلة العمال والقرويين » ورشحوا من بينهم الأمير خالد فى غيبته ، ودعـوا فى خطبهم الانتخابية الى تحريره من النفي والاعتقال .

كانت قائمة هذه الكتلة تحمل عدة اتجاهات ، فمـن بينهم المسلم والشيوعي ، ومن بينهم أصدقاؤه فى الانتخابات الأولى ، وان تخلى البعض من هؤلاء عنه وترشح فى القائمة المضادة .

وفى هذه الانتخابات ظهر لأول مرة التزوير والضغط على المنتخبين الأهالي ، فقد قـــام رئيس الشرطة فى القسم الثاني بمدينة الجزائر باستدعاء مترشحي « كتلة العمـــال والقرويين » ، واستنطاقهم بقصد تفشيلهم . وبقي جالسا بأحد مكاتب الانتخاب الهامة طول النهار ، حيث انتزع من أيدي المنتخبين نحو ألف ورقة لكتلة خالد . وفى النهاية وبعد ظهور نجاحه أبطل انتخاب خالد بدعوى أنه ليس من سكان الجزائر .

ويظهر أن الشيوعيين وجدوا فرصة فى وطنية خالد وشهرته ليكونوا بجانبه عسى أن ينالوا بعض الكراسي (1) . ان هذه المواقف الوطنية من الحزب الشيوعي الفرنسي ، فى ظني ، هي التي جعلت المؤسسين الأوائل لحركة « نجم الشمال الافريقي» يركنون ـ فى موقف تكتيكي ـ ويقبلون بمشاركة الحزب الشيوعي الفرنسي ، والعمل تحت ظله . بينما كان هذا الحزب ، هو الآخر ، ينوي استعمالهم كمخلب يجابه به بقية الأحزاب الفرنسية التي تريد استغلال العمال الشمال افريقيين لفائدتها الا أن أعضاء النجم لم يلبثوا أن انتبهوا لنية الحزب السيئة فتنحـــوا وابتعدوا عنه بعد سنة واحدة (2) .

عهـــد التبلـــور

هذا . وان أعمال الأمير خالد ونشاطاته فى هذا الظرف القصير 1919 ـ 1925 م كانت تربو عن الحصر ، وكانت منتشرة عبر الوطن كله وفى كل ميدان ووسط ، فلو حاولنا تتبعها لطال بنا المقام ولكن لنكتف فى هذا الفصل بما قدمنا ، على أن نستخلص من هذه الفترة المدروسة شيئا هاما ، وهو أن الحركة السياسية الوطنية بعد اصلاحات عام 1919م

---

1 ـ الحياة السياسية ، س 80 .

2 ـ ان هذا « التكتيك » من الحزب الشيوعي الفرنسي هو الذي سار عليه بعد ، الحزب الشيوعي الجزائري فى سياسته الانتخابية ، فقد رأينا مرارا وتكرارا تظاهرات بجانب الحزب الوطني أثناء الانتخابات لاغراء الجماهير بوطنيته . وأنا شخصيا ، وفى انتخابات الجمعية الجزائرية سنة 1948 طلب مني أثناء مهرجان انتخابي فى عين مليلة وعين الفكرون مسؤول الحزب الشيـــوعي اذ ذاك أ . ان أكـــلم الجماهير التي حضـــرت لسمـــاع خطباء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، لتبقى صابرة فلا تتفرق حتى تسمع خطباء الحزب الشيوعي . بينما لم يطلب ذلك من مسؤولي حزب البيان وقد كانوا هم الذين يشغلون الساحة قبلنا .

وبعد التطاحن الذي نشأ بين الزعماء الجزائريين قد استقرت على ثلاثة اتجاهات ، واستمرت هكذا الى أن أعلنت « جبهة التحرير الوطني » الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1954 كما سيأتي لنا ان شاء الله .

بيد أن جميع هذه الحركات أصيبت بنوع خمود بعد سنة 1920 ، أولا ، بسبب ما أعقب فترة الحرب من وهن اجتماعي واقتصادي ترك الناس منشغلين عـلى أنفسهم . وثانيا ، بسبب النكسة التي سببتها الحكومة الفرنسية بخيانتها للوعود ، ومقابلتها كل تحرك بالقوة ، خاصة بعد ابعاد الأمير خالد فى شهر جويلية ـ تموز ـ 1923 الى مصر .

ولكي نلم نصيبا بالوضعية التي خلفتها الحرب أنقل بعض الفقرات من كتاب «الجزائر الثائرة » للكاتبة غيليسبي فيما يلي :

« وفي الحقبة التي تلت عـام 1920 م أدت البطـالـة المنتشـرة فى الجزائر . وحاجة فرنسا للقيام بالأعمال الانشائية ، الى هجرة كثير من الشبان الجزائريين الى فرنسا ، بحثا عن العمل ، وكان بين هؤلاء المهاجرين شاب يدعى مصالي أحمد (بن الحاج) الذي أصبح فيما بعد يسمى « بوالد الحركة الوطنية الجزائرية » والذي اعتمدت على حماسه الشخصي وعلى وجهات نظره اتجاهات الحركة الوطنية فى البلاد » .

وبعد أن تأتي الكاتبة على شطر من حياته تضيف : « ولما عجز عن أن يجد عملا له فى بلاده عاد الى فرنسا فى عام 1923 حيث عمل فى عدد من مصانع باريس ، كما عمل بائعا متجولا فى الشوارع . وواظب على تلقي الدروس فى معهد الدراسات الشرقية ، كما حضر محاضرات عدة فى جامعة (بوردو) وعاش كغيره من العمال الجزائريين حياة الكفاف وفى أوضاع شاقة ، واتصل بالطبقات العاملة الفرنسية ، وسرعان ما انضم الى الحزب الشيوعي ، ثم تزوج من شيوعية بارزة . وقد نفعته خدمته فى الخلايا الشيوعية الباريسية ، اذ أكسبته مزايا وتجربة تنظيميين أفاد منهما فيما بعد عندما شرع فى تنظيم الحركة الوطنية الجزائرية » (3) .

3 ـ الجزائر الثائرة ، تعريب خيري حماد ، طبع دار الطليعة ، بيروت ، ص 56-57 .

وتضيف الكاتبة : « وقام مصالي في عام 1925 — 1926 م بتأسيس حزب النجمة لشمال افريقيا ، وجعل عنايته الدفاع عن مصالح « مسلمي شمال افريقيا » من النواحي المادية والمعنوية والاجتماعية ، وغدا في عام 1927 رئيسا لهذا الحزب ، وشرع منذ ذلك التاريخ يضعف تدريجيا من ارتباطاته السابقة مع الحزب الشيوعي . وكان نجم الشمال الحزب الذي يمثل العمال الجزائريين والتونسيين والمراكشيين في باريس ، يطالب منذ نشأته بالاستقلال للشمال الافريقي كله ، وقد قدر لفكرة الشمال الافريقي أن تظهر أكثر من مرة في سير الحركة الوطنية الجزائرية (4) ، وسرعان ما سيطر العمال الجزائريون على الحزب ، واتجه اهتمام اخوانهم التونسيين والمراكشيين الى الأحداث الداخلية في بلادهم ذاتها .

وباستثناء الهدف العام في الحصول على الاستقلال ، فقد كانت للمناضلين الأوائل من حزب النجمة عقائد يشوبها الغموض وصفت بأنها نوع من « السطحية الماركسية ، والوطنية الجزائرية العاطفية والاسلامية المكثفة » (5) .

أما الدكتور العقاد في كتاب « المغرب العربي » فيحلل نفس الوضعية كما يلي : لما ضاق العيش بكثير من الجزائريين في بلادهم راحوا يبحثون عن العمل في مصانع فرنسا ومناجمها ، وتكونت بذلك في أوائل العشرينات ، طبقة عمالية كبيرة العدد في مختلف المدن الفرنسية ، فبلغ عدد النازحين في سنة 1924 وحدها مائة ألف نسمة (100،000) . وان كانت هذه الهجرة غير ثابتة ، لأن حركة العودة الى الجزائر كانت مستمرة . ولكن عدد الجزائريين ظل في تزايد مستمر » .

ويضيف : « وبالرغم من أن معظم هؤلاء كان يشتغل بأعمال غير فنية ، وتقل أجورهم عن أجور أقرانهم من الفرنسيين ، فان أحوالهم المادية

---

4 — ان الكاتبة تطلق كلمة « الحركة الوطنية الجزائرية » على احزاب : النجمة والشعب وانتصار الحريات وكلها في الواقع لمسمى واحد كما كان مشتهرا لدى العموم ، وحتى عند المستعمرين .

5 — لاشيراف «الوطنية الجزائرية » ، ص 249 .

كانت أفضل من مواطنيهم فى الجزائر الذين يعانون من البطالة أو الذين يعملون فى مزارع المستوطنين . فأضاف هذا عاملا جديدا لمساعدة مصالي الحاج » .

« أما العامل الثالث فهو سهولة التكتل فى الطبقة العمالية ، وسبب رابع هو شعور الجزائريين بحريات أوسع فى الأراضي الفرنسية » .

ويتفق العقاد مع الكاتبة غليسبي فيما بقي من أعمال مصالي ، بعدما قال : « ولد مصالي سنة 1898 م فى تلمسان عن والد فقير كان صانعا للأحذية (*) فلم تتح له فرصة التعلم الا بصورة محدودة . قاتل فى الحرب العالمية الأولى فى صفوف الجيش الفرنسي ثم عاد الى الجزائر سنة 1921 م ولما عجز عن أن يجد عملا له فى بلاده عاد الى فرنسا سنة 1923 .. » (6) .

لكن هل ان هذا الوضع الخانق : اقتصاديا واجتماعيا — كما تقدم — مكن للاستعمار أن يسيطر طويلا على الحالة ، وأن يظل مقيما السدود والحدود أمام تيار الحياة ؟! انه ، لاشك — كما هو من طبيعة الكون — أن الحرب ، كما أتت بالويلات والموت والخراب من جهة ، فقد نشرت من جهة أخرى ، شيئا من الوعي ، وأيقظت الشعوب من سباتها ، فهذه شروط « ويلسون » المشهورة ، وقبلها آثار اليقظة العربية والاسلامية . وتلك الدعاية الألمانية ضد الاستعمار التي صاحبت الحرب وأعقبتها بواسطة « جمعية الشعوب » و « مجلة الشرق الجديد » التي كانت تصدر ببرلين . يضاف الى ذلك ما أثاره نشاط الأمير خالد وبعض الزعماء الجزائريين صبيحة انتهاء الحرب ، وخاصة رجوع خالد الى البلاد الفرنسية بعد ما لبث فى البلاد المصرية فى المنفى مدة .

ففي البلاد الفرنسية تمكن خالد من جديد من الاتصال ببعض الجزائريين الذين هاجروا الى فرنسا تحت ظروف الحاجة للعمل ، كما

(*) — بل أب مصالي كان فلاحا ثم صار وكيلا لضريح مولاي عبد القادر بتلمسان .
6 — المغرب العربي للدكتور صلاح العقاد ، ط . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ؛ ونشر مكتبة الأنكلو المصرية ، ص 322 .

قدمنا ، ومنهم حاج علي عبد القادر وأحمد مصالي وغيرهما من العمال الجزائريين فزرع فيهم فكرة الاستقلال والحرية ، وذلك قبل أن يبعد نهائيا الى سورية . ويضاف الى هذا اتصال هؤلاء الجزائريين بالأمير شكيب أرسلان حيث حملوا عنه فكرة التحرير في ظل الشريعة الاسلامية كما سيأتي بيانه . وهذا بقطع النظر عن تأثرهم بل تشجعهم بدعاية العمال في فرنسا وخاصة عمال الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يدعو ـ اذ ذاك ـ الى استقلال الجزائر .

العهد الجديد الثاني :

تاسيس حزب نجم الشمال الافريقي

وهكذا ينشأ حزب نجم الشمال الافريقي أثناء عام 1926 تحت كل الظروف المتقدمة ، ويعتبر أول حركة سياسية جزائرية منظمة تنظيما حزبيا عصريا بجميع مؤهلاته ، وقد بدأ برئاسة الأمير خالد الشرفية ورئاسة حاج علي عبد القادر الفعلية ، ودعا هذا معه مصالي أحمد كأمين عام •

ويقال أنه تأسس بايعاز من الحزب الشيوعي الفرنسي ، وكان قصد هذا الحزب هو تكوين كتلة من العمال الشمال افريقيين ليستعملها فى أغراضه السياسية بعنوان الدفاع عن حقوق العمال • غير أن حركة النجم بعد مدة وجيزة تنصلت من الحزب الشيوعي وترأسها مصالي سنة 1927 ، ودخل الكفاح السياسي الجزائري فى عهده الجديد الثاني •

وهكذا يمضي نجم الشمال الافريقي فى طريقه الوطني الشبه ثوري ، وتقع اذن مشادات عديدة بين الشيوعيين والوطنيين وصلت لحد الضرب والعنف ، ولكن الوطنيين قرروا التباعد نهائيا عن الحزب الشيوعي (1) •

ولقد كان من أنشط وأبطال نجم الشمال ، المواطنون : حاج علي عبد القادر ، ومحمد جفال ، وأحمد بلغول ، وعلي عيمش (*) والرزقي

---

1 ـ عن الأخوين المناضلين : بن يوسف بن خده ، وسعد دحلب .

(*) ـ يقول مفدي زكريا فى الاصالة عدد 22 نخريجا عن (الباذله) أن مؤسس النجمة هو علي عيمش على خلاف ما أثبته لي ابن خده ودحلب وهو غلط منه ، فان عيمش لم يظهر كعضو بارز الا في الثلاثينات .

كمال . ومن مؤسسيه : رابح موساوي ، ومن مفاخره محمد طالب .

كان تأسيس حزب نجم الشمال الافريقي فى فرنسا ، بسبب أن المؤسسين له كانوا مقيمين كعمال بها . فى حين أن أرض الجزائر كانت محاصرة بالقوانين والجيش والشرطة الاستعمارية . بحيث كانت الجزائر تعيش حالة الطوارىء بسبب ما اكتشف المستعمرون من تنظيمات وتحركات للثورة ضد الفرنسيين نتيجة الفلق الذي أتت به النكسة . ولاعانة اخوانهم فى الريف المغربي الثائرين ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني . يقول الدكتور العقاد : « وقد يبدو غريبا أن تنشأ أول حركة قومية جزائرية مناضلة على أرض فرنسا ذاتها . وتفسير ذلك هو أن العيش قد ضاق بكثير من الجزائريين فى بلادهم ... ثم يضيف : أما العامل الثالث فهو سهولة التكتل فى الطبقة العمالية ، والرابع هو شعور الجزائريين بحريات أوسع فى الأراضي الفرنسية » . (3)

ويقول سعد الله : « فباسم الادعاء أن البولشفيين والألمان والقوميين الاسلاميين كانوا يشنون حملة معادية لفرنسا فى افريقيا الشمالية ، نفذت السلطة الفرنسية نوعا من « محاكم التفتيش » ومما يثير الاستغراب أن الذي طبق هذه الطريقة هو فيوليت الذي كان واليا عاما ، والذي سيصبح سنة 1936 أحد زعماء الجبهة الشعبية البارزين ، ففي 13 أكتوبر 1925 روى فيوليت أنه حين وصل الجزائر سنة 1924 وجد الشغب يحكم في كل مكان تقريبا في كل البلاد » (4) .

ولكي نعرف مدى الضيق الذي كان يعانيه الشعب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى نثبت فيما يلي بعض تصريحات الأمير خالد : « ان حقوق الأهالي دائما مغموطة ، ان الأهلي لا يصلح الا أن يكون جنديا ، أو ليدفع الضرائب الفادحة ولو ببيع آخر معزة يرضعها أبناؤه .. » .

3 ـ المغرب العربي ، ص 322 .

4 ـ ح-و-ج- ، ص 343 نقلا عن A. F. S. أكتوبر 1925 .

« ان بعض الأوروبيين يقولون لنا : لو كنتم تحت الحكم الألماني أو الانكليزي لندمتم وتأسفتم على المعاملة التي تعاملكم الآن بها فرنسا... » ويجيب خالد : اللهم لطفا ! هل يوجد قهر أكثر مما نحن فيه ؟ اذ المعاناة الطويلة التي أذقناها بالظلم لم تبق لنا الا أن تتمنى الموت . فسياسة الادارة المحلية لا ترتكز الا على تحطيم لغتنا وديننا ، وعلى تفقير شعبنا ، وقد نجحت هذه السياسة لحد بعيد ، لأن الجهل أخذ على الأهالي . والدين قد أضعف فيه ، وقد عمت فيه — تقريبا — الحاجة والفقر . ويذهب الحماس بخالد فيقول للفرنسيين :

« ان جميع اجراءاتكم الخاصة بالأهالي ضد هذا أو أولئك لا توقف التاريخ ، فان الأحداث ستعصف بهذه التعسفات كلها ، لأن الزمان في تطور ... ان فرنسيي الجزائر لا يتوقعون أبدا — وبأي حسرة — اليوم الذي سيضطرون فيه الى حزم حقائبهم والرجوع الى بلادهم الأصلية ... ألا تأخذون حذركم ؟ اننا دخلنا ، ولمدى طويل ، في دور حرب وطنية ، أو عالمية مدنية ، وما يدريني ؟! »

انكم تزرعون اليأس بأعمالكم في الجزائري ، انكم تغضبونه ! وحينما تحققون له بأعمالكم أنه لا يمكن له أن ينال تحت حكمكم شيئا سيثور ! انه سيحمل السلاح بيده ضدكم ، لأنه لا يخسر بذلك شيئا ، اذ أنه لا يكسب شيئا يخاف عليه . ان أعمالكم هذه ستجعل شعبنا يقول لكم يوما — ما .. ماذا جئتم تفعلون هنا ؟ ارجعوا من حيث جئتم !... (5)

وقد اختلف المؤرخون بعض الاختلاف في تاريخ تأسيس نجم الشمال الافريقي ، وفي نقاط برنامجه وأهدافه . فسعد الله يقول : أنشىء النجم في مارس 1926 في باريس من جماعة من أهالي افريقيا الشمالية أكثرهم من الجزائريين ، وقد أعلن عن الأمير خالد رئيسا شرفيا ، ولكن شيئا فشيئا فقد النجم أعضاءه التونسيين والمغاربة

5 — جريدة الاقدام ، 21 اكتوبر 1922 .

وأصبح منظمة جزائرية خالصة ، وكان هدفه الصريح هو الدفاع عن المصالح المعنوية والمادية لأهل افريقيا الشمالية وتثقيف أعضائه » • (6)

أما الكاتبة الأمريكية غيليسبيي فتقول : وقام مصالي فى عام 1925–1926 بتأسيس حزب النجمة لشمال افريقيا وجعل غايته الدفاع عن مصالح « مسلمي شمال افريقيا من النواحي المادية والمعنوية والاجتماعية » ، وغدا فى عام 1927 رئيسا لهذا الحزب • ثم تضيف الكاتبة : وكان الحزب الذي يمثل العمال الجزائريين والتونسيين والمراكشيين من باريس يطالب منذ نشأته بالاستقلال للشمال الافريقي كله » • (7)

وقد نجد تقريبا نفس المعنى عند العقاد اذ يقول : « وقام مصالي الحاج فى عام 1925–1926 بتأسيس حزب النجمة لشمال افريقيا وجعل غايته الدفاع عن مصالح مسلمي شمال افريقية من النواحي المادية والمعنوية ، وأصبح فى سنة 1927 رئيسا لهذه الهيئة ، وشرع منذ ذلك الحين يضعف تدريجيا من ارتباطاته السابقة مع الحزب الشيوعي ، حتى انتهى به الأمر الى الدخول فى صراع معه •••»

ثم يضيف : « وأراد مصالي الحاج أن يجعل من النجمة حركةللشمال الافريقي بأكمله فطالب بالاستقلال لأقطاره كلها » • (8)

على أن الشلقاني فهو يتكلم عن ميلاد الحركة الوطنية فى الجزائر بصفة عامة ، وعن حزب نجم الشمال الافريقي بفكرة رجل يساري أو شيوعي بالأحرى ، فيقول : وتنشأ لذلك ، فى ظل الحزب الشيوعي الفرنسي ، جمعية نجم شمال افريقيا ، ينشئها فى عام 1925 الحاج علي عبد القادر عضو اللجنة المركزية للحزب – يعني الحزب الشيوعي

---

6 – ح–و–ج– ، ص 425 •

7 – الجزائر الثائرة ، ص 57 •

8 – م–ع–ص 323 •

الفرنسي ــ للدفاع عن المصالح الأدبية والمادية والاجتماعية لمسلمي افريقيا » (9) •

فمن هذه الجولة نستخلص أن ميلاد « نجم الشمال الافريقي » كان في فرنسا باتفاق المؤرخين ، وبين سنوات 1925—1926—1927 على خلاف بينهم وقد كادوا يجمعون على أن برنامجه عند التأسيس كان اصلاحيا •

والحقيقة التي هي مأخوذة من مصادر محققة هي كما يلي : كان ميلاد حركة « نجم الشمال الافريقي » بمدينة باريس ــ فرنسا ــ يوم 2 مارس 1926 فى جلسة تحضيرية • وفى جلستين تاليتين : فى 20 جوان و 2 جويلية 1926 استكمل التأسيس ، وتولى رئاسته الفعلية أولا حاج علي عبد القادر ، وأعطيت الرئاسة الشرفية للأمير خالد ، والكتابة العامة لمصالي أحمد ، وعضوية : رابح موساوي ، وعلي الحمامي ، وعلي عيمش ، والرزقي كحال ، وأحمد بلغول ، ومحمد جفال ، ومحمد طالب •

وبعد التأسيس والشروع فى العمل ظهر حينا رد الفعل الحكومي يكتنفه شيء من الحذر والشكوك ازاء هذه الحركة الجديدة التي تحمل اسم الأمير خالد ، ويظهر ذلك فى تتبع ادارة الأمن العام لحركات وسكنات رجال المنظمة الجديدة ، ونرى شيئا من ذلك فى التقرير الآتي :

تقرير من شرطة باريس

صدر تقرير بتاريخ 28 جوان ــ حزيران -- 1926 عن دار ولاية الشرطة بباريس Préfecture de Police مصلحة شؤون أهالى شمال افريقيا وبامضاء آيت قاسي ، ودراجي ، وهما موظفان بالشرطة ، يقول التقرير :

---

9 ــ ثورة الجزائر ــ دار النديم ــ طبع دار الهنا ــ القاهرة ، ص 162 .

في أثناء جولتنا بالقسم الخامس عشر ، التقينا بأحد الأهـــالي الذي نعرفه باسم « ولد قادي رابح » يسكن بالقسم 15 المذكور وأبلغنـــا بما يلي :

كنت بمقهى بشارع لاكنال رقم 14 حوالي الساعة الثامنة ونصف فرأيت أهليين .. جزائريين ــ يدخلان المقهى ايطلبا الاشتراك فى جمعية اسلامية تحت اسم « نجم الشمال الافريقي » ، وقد شرحا للمستمعين أن هذه الودادية (الجمعية) وضعت تحت رئاسة الأمير خالد الشرفية ، ووضع اسمه فوق ايصالات الاشتراك التي كانت تحمل فرنكا واحدا وخمسين سنتيما (1،50ف) مبلغ الانتساء للجمعية . ومبلغا مســـاويا للاشتراك السنوي • كما يلاحظ على البطاقة المرفقة مع التقرير •

ويضيف التقرير : « ونعتقد أن هؤلاء يستغلون فى تأسيسهم للجمعية ودعايتهم لها باسم الأمير خالد لسمعته وتعصبـــه • ونزيد فان هذه المظاهرة التي أسست بتحريض من المسمى حاج علي ، يظهر أنها سوف تنال من هدوء الوسط الأهلي الاسلامي ، بما تقوم به من ضرب على العاطفية الدينية » •

« ان حاج علي الذي عين بصفة أمين مال هذه الجمعية . هو شيوعي مقتنع • ان المقصد من هذه المؤسسة هو جنب أكثر عدد من الزملاء للدخول فى الحزب الشيوعي » • انتهى التقرير •

نظـــرة تحليليـــه :

ان الشيء الجديد والهام الذي يحسن أن نلفت اليه النظر هو التبدل الفجائي فى النظرة النضالية ، واتخاذ «تكتيكية» ربما تظهر جديدة فى الحركة الوطنية الجزائرية العامة ، فقد أخذ مؤسسو حركة النجم فى الحسبان عوامل الرسوبات والاخفاقات السابقة كعامل تاريخي يجب أن تتخذ منه العبرة • ذلك أنه ولا شك أن حوادث التاريخ حلقات تتسلسل تسلسلا آليا ، وفي تسلسلها تكتسب ثراءهـــا من الحـــوادث الذاهبة واللاحقة •

وبما أن الكون فى تقدم مستمر ، ومسار النهضة الانسانية يتبلور شيئا فشيئا من خلال تجارب الأشخاص والهيئات والأمم ، وعلى ضوء من نجاحاتها ورسوباتها أثناء امتحاناتها النضالية الكبرى تتبلور الطريق أمام اللاحق من الأجيال ، فيأخذ الصالح من التجارب ويدع الفاسد لينجو في زعمه من الكبوة أو الكبوات التي وقع فيها سلفه .

ولقد ظهرت فكرة حركة نجم الشمال الافريقي بعد تجارب قرن كامل من الزمن ، كانت فيه الهزائم تأخذ من حدة شعب أبي شهم لا يرضى بالدون ولا يركن الى الاحتلال ، مهما كانت التضحيات ، وكان الضياع والتقهقر يأخذان بتلابيب هذا الشعب كلما مرت به هزيمة عسكرية ، واتخذ منها المحتل الغالب سببا للتفقير والتجهيل والاذلال !.

وفى هذه الظروف اليائسة الحالكة قامت الحرب العالمية الأولى1914ـ 1918 فتبدلت لغة الاستعمار ، وتغيرت معاملة المحتل ، لأنه كان فى حاجة الى استقرار وهدوء داخلي ، والى أبناء الشعب الجزائري وخيراته الوطنية ، فتبدلت اذن معها وسائل المقاومة الجزائرية . ورأينا لأول مرة حركة سياسية تستعمل الهيئات والعرائض والوفود للمطالبة بالحق بالحجة والبرهان ، وتطورت هذه الحركة ضمن التطورات التي أتت بها الحرب ، وانتهت فى النهاية الى ظهور حركة سياسية منظمة حسب الظروف العصرية هي : « حزب نجم الشمال الافريقي » .

لكن ـ والتجربة أعظم أستاذ ـ فبما أن هذا الحزب رأى أن الاستعمار الفرنسي ، بعد خروجه من المحنة . رجع لقواعده المنغلقة المتصلبة نحو الشعوب المستعمرة (بالفتح) ، اذ قد تنكرت فرنسا لتصاريحها ووعودها التي كانت دفعت نوعا من الأمل فى الشعب الجزائري وتعاملت مع الأمير خالد وحتى مع الكتلة المتفرنسة والجماعة المحافظة ، بنفس الأسلوب الذي كانت تتعامل به مع المقاومة أثناء القرن التاسع عشر ، فان حركة نجم الشمال الافريقي نهجت نهجا جديدا واعتمدت على ما يلي :

1 ــ تأسيس الحركة فى نفس البلاد الفرنسية حتى تكون فى مأمن من ضغط ومكائد المستوطنين الفرنسيين .

2 ـ اتخاذ المرحلية فى التنظيم والتسيير . فقد انضوى أعضاؤها الأولون المؤسسون تحت ظل الحزب الشيوعي الفرنسي حتى يتمرنوا على العمل النظامي ويستوعبوا أساليب النظام الحزبي حسب الطرق العصرية ، وبالتالي ليغطوا نشاطهم فى البداية الحرجة .

3 ـ اتخاذ أسلوب المراوغة أولا مع الاستعمار ، فأعلنوا أن المنظمة نقابية تدافع عن حقوق العمال وحسب ، حتى اذا حصلت على أنصار من العمال ثم من بعض الفئات الفرنسية التقدمية ، أعلنت برنامجها الوطني الثوري .

هذه باختصار هي العوامل التي مكنت « حزب النجم » من الظهور ، وهذه هي النظرية التي مكنت له فى الاستمرارية فى الحياة . والتوغل فى الأوساط الشعبية ـ بعد ذلك ـ فى قلب الوطن الجزائري ، بالرغم من تنكر كل الحركات الوطنية الاصلاحية له ، لغرض أو لآخر . ومن ثم تطوره الى حزب عتيد فى الوطن الجزائري وانتشاره فى جماهيره المتطلعة .

يقول سعد الله : « ان ميلاد نجم افريقيا النسالية كان أحد الأحداث العظيمة فى التاريخ السياسي للجزائر ، فقد ساهم ، بنظامه واتجاهه الثوري ، فى تطويره تطويرا حديثا ، وعمل على تدعيم وتوجيه الحركة الوطنية الجزائرية بشكل فعال ... والنجم الذي ولد من رماد كثير من المحاولات الوطنية فى العقود السابقة ، والذي يشجعه تأييد بعض اليساريين الأوروبيين ، وتطورات الشرق الأدنى ، حاول أن يدخل عناصر جديدة فى السياسة الجزائرية ، ولكن مساهمة النجم خلال الفترة المدروسة ـ يعني أثناء 1926ـ1929 ـ لم تكن مدهشة كثيرا ، لأنه قد واجه عقبات مختلفة من السلطات الفرنسية . وكان محاربا من الشيوعيين لموقفه الوطني الضيق !.. وكان يقوم بنشاطه خارج الوطن » .

« وقد ساعد على تثقيف الجماهير سياسيا ، ولا سيما المهاجرون الجزائريون فى فرنسا وأوروبا ، بالاضافة الى الطلبة . كما جعل القضية

الجزائرية معروفة عالميا ، ولم تحن سنة 1930 حتى بدأ النجم يتسرب الى الجزائر أيضا » • (10)

وهكذا تتدرج النجمة في ظرف قصير من حركة عمالية نقابية الى حزب سياسي عتيد . فقد كان مبدؤه المعلن عنه رسميا اصلاحيا ولكن هدفه الحقيقي كان ثوريا ، فلذا نجده تطور تطور سريعا . فبعد أن بدأ كمنظمة نقابية تنضوي تحت ظل الحزب الشيوعي الفرنسي ، لم يلبث الا سنة واحدة وسلم رئاسته الى أحمد مصالي الشاب المتقد حماسا وطموحا . فأعلن هذا انفصال الحركة عن الحزب الشـيوعي ، منـاديا بالقومية العربية الجزائرية التي لا تتفق مع مباديء الشيوعية ، الأمر الذي أدى الى تصادم بين الحزبين . فالتيار الثوري الذي بدأ يظهر في نجم شمال افريقيا ــ وقد أثر حتى على بعض العناصر في الحزب الشيوعي ــ جعل المعركة تشتد الى أن أدى الحال بأعضاء الحزب الشيوعي من «الكولون» أن ينكروا مبدأ «الوطنية الجزائرية» ويجاهروا برأيهم حتى في اجتماع موسكو ضد اعلان « الكومنتيرن » اعترافه بالوطنية الجزائرية • (11)

وهكذا تتضح ثورية « النجم » حينا وبدون انتظار في حضور أعضاء منه ؛ وعلى رأسهم مصالي من الجزائر ، والشاذلي خير الله من تونس . المؤتمر العادي للاستعمار الذي انعقد في مدينة « بروكسيل » عاصمة بلجيكا ، من تاريخ 10 الى 14 فبراير 1927 حيث قـدمت المطالب الآتية :

1 ــ الاستقلال الكامل للجزائر •

2 ــ جلاء الجيش الفرنسي •

3 ــ انشاء جيش وطني •

4 ــ مصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة التي هي تحت أيدي الكولون والشركات •

---

10 ــ ح ـ و ـ ج ـ ، ص 437 ، الجزء الاول .

11 ــ ثورة الجزائر ، شلغاني ، ص 163 .

5 ـ احترام الممتلكات المتوسطة والصغيرة التي للفرنسيين •

6 ـ ارجاع الأراضي والغـابات التي أخذتها الـدولة الفرنسية الى الجزائريين •

7 ـ الالغاء السريع لقانون الأهالي l'indigena وجميع القوانين الاستثنائية الأخرى •

8 ـ العفو العام عن الجزائريين الذين كانوا سجنوا أو نفوا أو يعيشون تحت الرقابة الجبرية الفرنسية •

9 ـ حرية الصحافة والاجتماع ، «والتجمع» ؛ والحقوق السياسيـة والنقابية ، كتلك التي منحت للفرنسيين فى الجزائر •

10 ـ احلال مجلس وطني جزائري منتخب بطريقة التصويت العام محل المجلس المالي الحالي •

11 ـ انشاء مجالس بلدية منتخبة بطريقة التصويت العام •

12 ـ حق الجزائريين فى التمتع بجميع مستويات التعليم •

13 ـ انشاء المدارس العربية •

14 ـ تطبيق جميع القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائر •

15 ـ زيادة القروض الفلاحية الى الفلاحين الجزائريين الصغار (12) •

وهكذا نجد هذا الحزب يسعى لتدويل القضية الجـزائرية فيبعث بمذكرة الى عصبة الأمم سنة 1930 يناشدها عونها فى تحقيق مطالب الحزب • (13)

ومما يدل على العزيمة والجدية اللتين تذرع بهما الحزب منذ اللحظة الأولى ، ثباته فى الميدان النضالي برغم كل الظروف المعاكسة ، فقـد

---

12 ـ ح‌و‌ـص 432 نقلا عن جريدة «الراية الحمراء» التي كان يصدرها الحزب الشيوعي الفرنسي باللغة العربية •

13 ـ ج‌ـث ، ص 38 •

استمر حتى بعد الأمر بحله رسميا من السلطات الفرنسية سنة 1929 • يكافح بشتى الوسائل السرية والعلنية • وتقـوم معـركة بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي لما أراد هذا أن يرغمه على الخضـوع اليه وابقائه كمنظمة منضوية تحت سيطرته أو سيطرة « الشيوعية العالمية » كما قرر ذلك « الكومنتيرن » فى مؤتمره السادس سنة 1928 • لكن الحزب امتنع وأبى الرضوخ لأية قوة غير وطنية ، ولم يعقد مؤتمره الأول الذي عقد فى باريس سنة 1933 ، الا على أساس برنامجه الوطني الصرف الخالي من أي ارتباط •

اول مؤتمر لحزب النجم :

وبرغم الارتباك الذي وقع لدى بعض أعضائه فقد استطاع المسؤولون أن يقنعوا المؤتمر بالوفاق على البرنامج الآتي ، مقسما على مرحلتين :

ففي المرحلة الأولى يطالب الحزب بما يلي ، وهي نفس المطالب التي يشتمل عليها قانونه الأساسي :

1 ــ الغاء جميع القوانين الاستثنائية وفى مقـدمتها القـانون الأهلي «لانديجينا» •

2 ــ العفو عن جمع المسجونين السياسيين •

3 ــ حرية التنقل فى فرنسا وخارجها •

4 ــ حرية الصحافة والاجتماع ، وتأليف الأحزاب ونقابات العمال •

5 ــ الاستعاضة عن المجلس المالي ببرلمان جزائري ينتخب على أساس الاقتراع العام •

6 ــ الغاء البلديات القروية المختلطة والمناطق العسكرية •

7 ــ المساواة فى توظيف الجزائريين ، مع المستوطنين •

8 ــ انشاء التعليم الالزامي باللغة العربية ، وافساح المجال للطـلاب الجزائريين لدخول المدارس على جميع المستويات ، وجعل اللغة العربية رسمية فى الدوائر •

9 ــ تطبيق قوانين العمل على الجزائريين ، بما فى ذلك حق التعويض على البطالة •

10 ــ زيادة القروض الزراعية الى صغار الفلاحين الجزائريين ، وتنظيم وسائل الري وطرق المواصلات •

أما الشطر الثاني من البرنامج ، فقد نص على المطالبة بالاستقلال الكامل ، وسحب القوات الفرنسية من البلاد ، وتأليف جيش وطني ، وقيام حكومة وطنية تتولى تنفيذ الاجراءات التالية :

1 ــ اقامة جمعية تأسيسية تنتخب على أساس الاقتراع العام •

2 ــ الاقتراع العام على جميع المستويات فى جميع المجالس •

3 ــ استخدام اللغة العربية كلغة رسمية •

4 ــ تملك الدولة الجزائرية لجميع الممتلكات بما فيها المصارف والمناجم ، والسكك الحديدية ، والمواني ، والمرافق العامة •

5 ــ مصادرة الأملاك الكبيرة واعادتها الى الفلاحين مع اعادة أملاك الدولة والغابات •

6 ــ التعليم الالزامي المجاني باللغة العربية على جميع المستويات •

7 ــ اعتراف الدولة الجزائرية بحق النقابات فى تأليف الاتحاديات والأحزاب وابداء الآراء فى القوانين الاجتماعية •

8 ــ مساعدة المزارعين فورا عن طريق تقديم القروض اليهم بدون فائدة ، لشراء الآلات والبذور والسماد ، وتنظيم وسائل الري ، وتحسين طرق المواصلات • (14)

اذن فحركة نجم الشمال الافريقي كانت . « حركة وطنية ثورية تحررية » كما كانت ، من جهة أخرى : حركة وحدة اسلامية وعربية مرورا بالشمال افريقية « المغرب العربي » •

14 ــ الجزائر الحرة ، عدد 11 مارس 1950 •

حركة النجم حركة وطنية ثورية تحريرية ووحدة اسلامية عربية

كيف ؟ ... ذلك ما نشرحه فيما يلي :

لكي نقف على حقيقة هذه الحركة وعلى مبادئها الحقيقية ومقاصدها على وجه العموم ، يجب أن نقف قليلا عن السرد التاريخي لنتعرف على بعض النظم من أعمال هذه الحركة ، وعلى حيويتها المتدفقة فى تصاريح بعض المعاصرين ، وعلى تجاوبها مع روح العصر الحديث ، ومن خلال وسائل اعلامها ، ومن خلال تحاليل المؤرخين ، ووضوحها العقائدي ..

أولا : تنظيمها الهيكلي ، فقد كان يتماشى مع روح النظام العصري ككل الأحزاب النظامية ، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن ننسبه الى نظام الحزب الشيوعي بكل موضوعية ، فقد كانت خلاياه ، سواء بفرنسا أو الجزائر ، وتنظيمه التصاعدي يمثل نسخة من تنظيم الحزب الشيوعي ، وهو تنظيم يساعد فعلا ولحد بعيد ، على الكفاح المركز المنظم المتين الذي تقف أمامه أجهزة القمع الاستعماري عاجزة ، أو شبه عاجزة .

أما فيما عدا هذا التنظيم ، مما يريد أن ينسبه اليه بعض المؤرخين كالأستاذ الشلقاني ، من أن هذه الحركة قدمت لأول مرة مفهوما معمقا بفضل نشوء أعضائها فى وسط الحركة العمالية ، ويقصد الحزب الشيوعي ، ويذهب فى ربط الفكرتين ببعضهما ، فهو غير صحيح بالمعنى الكامل . ويقصد الشلقاني بالمفهوم المعمق هذا المفهوم الذي يأخذ في الاعتبار المسألة الوطنية ثم لا يهمل المسألة الاجتماعية الاقتصادية .

والحقيقة أن فكرة المطالب الاقتصادية والاجتماعية ، بجانب المطالب السياسية لم تكن بنت نجم الشمال فقط ، اذا استثنينا جدة الديباجة والتنظيم الحزبي اللذين قدمت بهما هذه المطالب . بل لم تكن بنت القرن العشرين اذ تمتد جذورها فى التاريخ الى القرن التاسع عشر خلال الكفاح الطويل .

ولكي نقف على أحقية هذه النظرية ، لنرجع ـ فقط ـ الى مطالب الوفد الجزائري الذي توجه الى باريس عام 1898 م فاننا نجد من بين المطالب التي قدمها الى الحكومة الفرنسية :

1 ـ تخفيف أعباء الضرائب وحذف الضرائب المخصوصة بالأهالي •

2 ـ القيام بحق الفقراء والعجزة ، أو رد الأوقاف الاسلامية لأصحابها •

3 ـ قضية الملكية للأرض وتوزيعها •

4 ـ حذف النهب الاداري الذي وقع بسبب قانون الغابات •

5 ـ اقامة مصرف للقرض حتى يتخلص الشعب من المرابين •• ـ يضاف الى هذا فى الناحية الاجتماعية : تعميم التعليم ـ اقامة تعليم اللغة العربية فى المدارس ـ حذف المحاكم الصلحية الفرنسية والرجوع الى المحاكم الشرعية الاسلامية •• الخ •

ثانيا : حيويتها وجرأتها فى الحق ومنطقيتها ، ولاعطاء نموذج لذلك أنقل ـ فقط ـ تصريحا لأحد المنسوبين اذ ذاك للحركة وهو الأستاذ علال الفاسي يصف فيه بعض المناقشات يقول : واشتركنا فى عدة مؤتمرات كانت ترمي لتنوير الرأي العام فى فرنسا ، كما أن اجتماع مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا أتاح لي الفرصة أن أدافع عن مبدأ الاستقلال الجزائري ضد الذين يدعون للتجنيس ، وقد وقعت بيني وبين تونسيين هما عبد الرحمن ياسين وسيد البعلاوي محاورة شديدة فى احدى جلسات المؤتمر ، فكنت أدافع عن رفض قبول المتجنسين الجزائريين فى مؤسساتنا المغربية فى فرنسا ، وكان السيدان المذكوران يعارضان رأيي • أما السيد مصالي واخوانه فقد كانوا كلهم يؤيدون الوجهة التي أدافع عنها • وقد انتهى الحوار بانتصارها ، واتخذ التونسيون والجزائريون والمراكشيون الموجودون فى فرنسا ، بمناسبة ذلك المؤتمر ، قرارا حاسما بضرورة احتفاظ سائر أقطار الشمال الافريقي بشخصيتها العربية الخاصة » • (15)

15 ـ ثورة الجزائر ، شلقاني ، ص 165 •

ثالثا : وندرك الوطنية الناضجة والحازمة لهذه الحركة فى الموقف الآتي : عندما وجد النجم نفسه محاطا من كل جانب بجو معاد للوطنية ، الكولون عن اليمين ، والشيوعيون عن اليسار ، ناضل وناور لكي يؤكد مذهبه الوطني المستقل • وكان أول انتصار حققه النجم ـ بفضل حزمه ـ هو مشاركته فى مؤتمر «بروكسيل» المتقدم الذكر • وقد حضرت هذا المؤتمر الذي نظمته « الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعماري » ، وفود من آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا • ومن الشخصيات التي حضرته : نهرو عن الهند ، وحتا عن أندونيسيا ، وكان المؤتمر عقد في قصر «دوغمون» بالعاصمة البلجيكية •

وهكذا فان النجم الذي مثله مصالي الحاج كان قد حصل على فرصة هامة لاعلان مطالب الجزائريين أمام هذا الاجتماع العالمي الذي كان الأول من نوعه •

رابعا : وندرك مدى الجدية والكفاح المركز والوضوح العقائدي فيما يلي : « ••• وعلى أية حال فان وفد نجم افريقيا الشمالية الى مؤتمر بروكسيل قد عقد اجتماعا ـ بعد رجوعه ـ فى باريس ، وقدم تقريرا مفصلا عن نشاطاته ، الى مهاجري افريقيا الشمالية (المغرب العربي) وقد أخبرهم أن المؤتمر كان خطوة « واضحة وهامة » نحو الهدف الوطني ، وأنه قد وافق على كل مطالبهم • ثم حيا الحاضرون الزعماء المنفيين من الحركة وهم : الأمير خالد وأخوه الأمير عز الدين والأمير عبد الكريم الخطابي ، والشيخ الثعالبي التونسي • (16)

ومن جهة أخرى فقد أوضح الوفد أن الحزب كان مصمما على وضع برنامجه موضع التنفيذ ، وقال ان حركة الحزب ليست « قصيرة الأجل » كحركة الأمير خالد • وليست « حركة متعاونة » مثل حركة الدكتور ابن تامي « زعيم الحزب الليبرالي فى الجزائر » وقلاتي حسن « زعيم الحزب الاصلاحي فى تونس » ولكن حركة النجم « حركة عميقة تقوم على كاهل الجماهير المستغلة والمضطهدة » التى أصبحت واعية لقوتها

---

16 ـ ح ـ و ـ ج ـ ، ص 433 نقلا عن «الحملة الشيوعية فى (أ ـ ف) جوان 1927 •

وارادتها فى الاستقلال • ثم نادى الوفد كل جماهير افريقيا الشمالية أن تنضم الى الحزب «قبل فوات الأوان » •

وتمضي الحركة فى أعمالها المركزة ، فتوجه منشورا تحت عنوان : « الى اخواننا فى المغرب والجزائر وتونس » وقد دعا هذا المنشور المغاربة الى استئناف القتال ضد الفرنسيين والاسبان الذي كان توقف بأسر الأمير الخطابي • ودعاهم الى أن يبقوا يقظين ومتحدين لتحرير بلادهم • كما ناشد الجزائريين والتونسيين : أن أعلنوا حقوقكم ••• وناضلوا لكي تحصلوا على حريتكم السياسيه، وعلى تحسين أوضاعكم ، وادعوا اخوانكم الذين يحاربون فى جيش فرنسا اخوانهم المغاربة أن يكفوا ••• » •

خامسا ــ تجاوبها مع روح العصر بما يستلزمه من وسائل الاعلام والدعاية المنظمة الهادفة الشاملة ، فقد اتخذت الحركة من أحسن وسائلها للاتصال بالجماهير القريبة والبعيدة • ولاسيما بالجزائر والمغرب وتونس• اتخذت المنشورات العلنية والسرية ، والصحافة الخاصة والعامة •

نقل سعد الله عن تونس أ ــ ف « افريقيا الشمالية » أن الحزب كانت نشاطاته تتمثل فى المنشورات ، والصحافة ، والمؤتمرات ، وكانت طريقته ثورية ومباشرة • وفى سنة 1928 كان لهذا الحزب حوالي 3500 عضوا عامــلا •

ويضيف : لقد أعطى النجم لأهالي افريقيا ا شمالية أملا لامعا ، ونقطة انطلاق لمطالبهم ••• ونظرا للقيود التي اتخذتها السلطات الفرنسية ضد أعضائه فى الجزائر ، اعتمد النجم بشكل خاص على الصحافة فى الاتصال بالجزائريين سواء فى الوطن أو فى فرنسا • وهناك صحيفتان خدمتا النجم جيدا خلال فترته الأولى1926 ــ 1930، أولاهما هي « الاقدام » التي كان أنشأها الأمير خالد فى الجزائر سنة 1919 ــ يعني خدمت الفكرة التي اعتنقها النجم بعد ظهوره سنة 1926 ــ وعندما نفي خالد

وفرقت السلطات الفرنسية حزبه توقفت الاقدام عن الصدور ، ثم أعاد النجم اصدارها فى فرنسا تحت اسم « الاقدام الباريسية » (17) •

كانت هذه الصحيفة شهرية وتطبع باللغتين العربية والفرنسية وفيها عنوان فرعي باللغة العربية يقرأ هكذا : « من أجل الدفاع عن مسلمي افريقيا الشمالية » (18) • وفى أول فبراير ـ شباط ـ 1927 منعت السلطات الفرنسية توزيع هذه الجريدة لأن المستوطنين اشتكوا من أنها كانت « خطيرة » على هدوء افريقيا الشمالية • ولكن النجم قد أعاد اصدارها تحت اسم : « الاقدام الشمال افريقية » وبعد أن حلت السلطات الفرنسية حزب النجم سنة 1929 ـ ويظهر أنه بسعي من الحزب الشيوعي ـ أصدر زعماؤه سنة 1930 جريدة جديدة هي « الأمة » التي يقرأ عنوانها العربي أو « شعارها » هكذا :

« جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي افريقيا الشمالية »•

كان مديرها السياسي هو أحمد مصالي الذي كان عندئذ المتحدث الرسمي باسم النجم • أما مديرها ورئيس تحريرها فقد كان عمار عيمش الذي كان عضوا فى المجلس السياسي للنجم •

ونجد فى الجريدة على يمين كلمة « الأمة » صورة هلال ونجمة مع الآية القرآنية : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (19) •

ونجد أيضا نفس الآية المتقدمة فى بطاقة العضوية فى الحزب وفى ايصالات الاستخلاص ، مضافا لها شعارات : « يجب أن نكون مسلمين أصلا » ، « الى الأمام ان الله معنا » ، « حي على الفلاح » •••

لم تكن الاحزاب الجزائرية خاليه من الفكرة الاسلامية

وهذه المظاهر الجريئة الشجاعة ـ اذ ذاك ـ تنفي ما اتهم به الحزب من شيوعية أو بلشفية أو ••• كما ترد ادعاء بعض مؤرخينا أن الجزائر

---

17 ـ كان مركز الاقدام الباريسية فى باريس ـ 38 شارع لاغرانج أوبيل • ح ـ و ـ ج ـ ، ص 426 •

18 ـ الحملة الشيوعية فى «افريقيا الفرنسية» يناير 1927 •

19 ـ صورة وثائقية رقم : 694ـ10ـ8 باريس 22 جانفي 1937 •

كانت خالية من هيئة دينية وأن أحزابها كانت خالية من الفكرة الاسلامية قبل سنة 1930 وهي فلتة قلم تتصادم حتى مع ما أثبته نفس المـؤرخ فى مواضيع أخرى من كتابه .

على أن الفكرة الاسلامية لم تفارق جميع الحركات منذ الاحتلال الفرنسي ، سواء منها الحركات المسلحة ـ حركة المقاومة ـ أو السياسية الاصلاحية أو السياسية الثورية . وحتى تلك الجماعة المسماة « النخبة » والتي كانت وبقيت تطالب بالاندماج حتى قيام ثورة التحرير 1954 ، فانها كانت مسلمة صميمة ، وانما ينقصها وضوح الرؤية بالنسبة للشريعة الاسلامية .

لقد اجتمعت شخصيا بزعيم حركـة الاندماج منذ الثلاثينات وهو الدكتور محمد الصالح بن جلول بمحضر أحد الأصدقاء من حزبه وهو محبنا المرحوم محمد الصالح صراوي ، اجتمعنا به حوالي عام 1952 في محاولة لاقناعه بمراجعة سياسته الاندماجية التي فاتها الزمن ، وتخلت عنها جميع الشخصيات السياسية القديمة ، وصار الشعب كله يمقتها ويرمي أصحابها بالخيانة ، فلم تفلح معه .

وطلب مني زميله أن أطلعه على حكم الشرع الاسلامي فى المطالبة بولاية حاكم كافر لا يعترف بالاسلام كدين الهي ولا بقوانينه . وبعد تفهيمه بمعنى آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليـاء ، بعضهم أوليـاء بعض ... » الآية وقوله عليه الصلاة والسلام : « من انتمـى لغـير أبيه وانتسب لغير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... » الحديث ، قال لنا : أعوذ بالله ! أنا مسلم ! ومسلم صميم . فأنا اذا ما طلبت الاندماج فى العائلة الفرنسية قانونيا فانما ذلك وسيلة لأتوصل بها لتحرير بلادي التي أراها قاصرة عن أن تحرر نفسها بواسطة السياسة الثورية أو بواسطة السلاح ، وانما هي مني عملية « تكتيكية » ، وقد سلكتها بهذه العقيدة ولا زلت أومن بها ولو تخلى عني جميع الناس » .

وقد لاحظنا على الرجل الصدق فى لهجته والاقتناع بصواب فكرته ، معربا فى نفس الوقت عن صدق عقيدته مع الله .

وهكذا نلمس بكل وضوح ارتباط حركة النجم بالاسلام والعروبة وبالعالم الاسلامي والعربي فى جميع مظاهر الحزب وتصاريح زعمائه .

يقول الدكتور العقاد : « وبينما اقتصر نشاط النجمة بصورة رئيسية على فرنسا فقد أقامت اتصالات لها مع تونس ومراكش وغيرهما من البلاد الاسلامية والعربية ... » (20) .

وفى جنيف سنة 1935 حيث كان فى المنفى ، اتصل رئيس حزب النجم أحمد مصالي برائد العروبة والاسلام أمير البيان شكيب أرسلان ، وتأثر كثيرا بأفكاره العربية الاسلامية . وقد كان شكيب مقيما فى جنيف سويسرا للاشراف على المؤتمر الاسلامي . ولا يخفى أن شكيب أرسلان كان مرابطا منذ مدة طويلة فى أروبا ، متنقلا بين عواصمها للدفاع عن الوطن العربي . وكان أكثر اقامته بسويسرا حيث شغل فيها منذ سنة 1921 مركز أمين عام المؤتمر السوري الفلسطيني ، كما كان عضوا فى الوفد العربي فى عصبة الأمم ، ثم أصدر بها جريدة « الأمة العربية » ليسجل فيها جهود العرب ومحاولاتهم للتحرر والاستقلال ، وليحرض قومه على الكفاح والنضال » (21) .

وفى تلك الأثناء اتصل به مصالي وأخذ عنه فكرته للتحرر والاستقلال، فكان من آثارها ابتعاد مصالي عن الحزب الشيوعي نهائيا حتى ناصب كلاهما العداء نحو الآخر فكريا وايديولوجيا .

ومن نشرة لدائرة الاستعلامات الفرنسية فى باريس تحت رقم « 5 ملحق » عام 1935 ما يلي :

---

20 ـ المغرب العربي ، ص 325 .

21 ـ لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم (المقدمة) ص 12 .

« ان نجم الشمال الافريقي قد أخذ أبعاده وشهرته منذ الدور الذي لعبه مصالي الحاج فى المؤتمر الاسلامي الذي عقد فى جنيف فى شهر سبتمبر ـ أيلول ـ 1935 ، ففي هذا المؤتمر الذي كان تحت رئاسة الأمير شكيب أرسلان المعروف بعواطفه نحو اللغة الفرنسية ، كان مدير نجم الشمال الافريقي عرف كيف يفرض على المؤتمر قبول مختلف عروضه لصالح مؤسسته الداخلي ولدعايتها الاسلامية .

واذن فان مجمل التصاريح التي صرح بها المؤتمرون كانت فى صالح « الحكومة » التي يمثلها ، حيث ظهر موقف مصالي وعيمش ضد فرنسا بكل وضوح . فمصالي الحاج ، فى عرضه الطويل المليء لحد بعيد بالسم ، وصف فيه ما يدعيه من الآلام التيضرب بها المسلمون فى فرنسا ، والعبودية التي يقاسيها أهالي شمال افريقيا الذين حرموا من كل حقوقهم بواسطة الامبريالية الفرنسية » .

ويضيف التقرير : « وعند رجوع مسيري النجم من جنيف ، وقد كانوا سكروا بنجاحات غير متوقعة ، ضاعفوا من اجتماعاتهم العمومية وجلساتهم . وذهب مصالي حتى الى داخل الوطن حيث قام بجولة بنواحي ليون ، وكيلرمون فيران ، وتيار ، وغيرها ثم رجع حاملا معه كثيرا من التبرعات للقضية الاسلامية بجنيف » .

« ولم يقف أمر هذا الشر فى فرنسا ، بل تعدى حتى الى مستعمراتنا الافريقية الشمالية ، فقد أسس أحد الشبان الأهالي بحمام ليف بتونس فرعا لنجم الشمال الافريقي » .

نجم الشمال الافريقي وتونس والمغرب

كما سبق لنا أن حركة « نجم الشمال الافريقي » نشأت كحركة للعمال واحتضنها الحزب الشيوعي الفرنسي ، وأراد أن يستعمل جميع عمال الشمال بواسطة الحركة كقوة فى جانبه ، غير أن الحركة تنصلت منه شيئا فشيئا ابتداء من اقامة أحمد مصالي على رأسها ، وحاول هذا فى البداية أن يجعل منها حزبا وطنيا سياسيا يجمع الشمال افريقيين أبناء

« المغرب العربي » كلهم من جزائريين وتونسيين ومراكشيين (22) ، فطالب باستقلال هذه الأقطار كلها ، لكن الذي استجد بعد سنوات من الكفاح أن المراكشيين والتونسيين انسحبوا من الحركة بدعوى أو بأخرى ، خاصة أن بعض زعماء القطرين يرون أن قضيتهم لا يمكن ربطها بقضية الجزائر ، على ما بينها من اختلاف ، فقضية المغرب الأقصى وتونس قضية ارتباط بالحماية بينما الجزائر اعتبرتها فرنسا « قطعة من الأرض الفرنسية » فآل الأمر حينئذ الى أن ينفرد الجزائريون بالحركة ، ولو بقي اسمها وكفاحها العام لم يتبدلا طول حياتها المليئة بالأشواك والمغامرات الى أن حلت الحل النهائي سنة 1937 م .

ولكي يأخذ القاريء فكرة واضحة عما عاناه هذا الحزب من السلطات الفرنسية أنقل ما يلي : « ... ولهذه المواقف الثورية من الجمعية — يعني حزب النجم — حاربتها الحكومة الفرنسية محاربة شديدة ، واضطهدت زعيمها مصالي الحاج ، فأمرت فى عام 1929 بحل الجمعية ، ولكنها استمرت فى نشاطها سرا ، ثم ظهرت علنا مرة أخرى فى عام 1933م ولكن البوليس الفرنسي يقبض على مصالي وبعض من أعوانه لأنه « أعاد تكوين الجمعية المحلولة » ثم يفرج عنه فى مايو سنة 1935 م ، ولا يكاد يتابع نشاطه أربعة أشهر حتى يصدر الأمر بالقبض عليه من جديد ، ولكنه يتمكن من الهرب الى سويسرا ، ولا يؤذن له بالعودة الا بعد انتصار الجبهة الشعبية » (23) .

أما الدكتور العقاد فيقول : وفى سنة 1934 أعاد مصالي الحاج تكوين النجمة باسم جديد هو « الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا » (24) .

---

22 — ملاحظتان : الاولى ان التي اشتهرت أثناء هذه الفترة بكلمة الشمال الافريقي او المغرب العربي هي بلدان : الجزائر ، ومراكش ، وتونس دون ليبيا ، لان تلك الأقطار توحد كفاحها ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يحتلها بينما ليبيا كانت تحت سلطة ايطاليا .
الثانية : ان كلمة مراكش اطلقت على المغرب الاقصى تبعا لاطلاق الاستعمار الذي كان يسمى المغرب الأقصى Maroc أي مراكش من باب تسمية الشيء بجزء منه وهي مدينة مراكش الحمراء .

23 — ثورة الجزائر ، شلقاني ، ص 171 .

24 — الصحيح انه سنة 1935 .

لكن هذا لم يغير من موقف السلطة الفرنسية التي اعتبرت هذه الهيئات غير مشروعة ؛ فحوكم مصالي وسجن ، ولكن أنصاره رفعوا قضية أمام محكمة النقض والابرام « فقضت بالافراج عنه ، باعتبار أن منظمتــه هيئة نقابية ...

ويضيف : ولما ساهم مصالي الحاج مع اليساريين الفرنسيين في الحملة ضد العدوان الايطالي على الحبشة ، ولكن لكونه جزائريا هدد مرة أخرى بالاعتقال فسارع بالخروج الى سويسرا حيث قضى ستة أشهر في حالة نفي اختياري » (25) .

ويقول سعد الله : وعشية الاحتفال ــ بذكرى ــ الاحتلال ، ونظرا لاندفاعه النشيط ضد الاستعمار ، قررت السلطات الفرنسية أن تحل النجم . والواقع أنه لم يكن هناك أية اتهامات محددة ضد هذه المنظمة ، ففي 20 نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1929 م اتخذت محكمة جنح السين ذلك القرار الذي ألغته هي نفسها في 4 جويلية ــ تموز ــ 1935 بحجة أن ما أصدرته أولا كان غير شرعي .

« وهكذا فانه نتيجة لقرار سنة 1929 اضطهد زعماء النجم ومنعت جريدته من الصدور . وبناء على رأي بعض الكتاب ، فان حل النجم قد وقع نظرا لدعايته « الخطيرة » المعادية لفرنسا .

وقد قال نوشي : « ان الحكومة قد وجدت نشاطات هذا الحزب مضرة بالسيادة الفرنسية في افريقيا الشمالية . وأشار مصدر فرنسي آخر الى أن النجم قد حل لتعاونه مع « جمعية طلبة افريقيا الشمالية » ومع « ودادية حماية الشمال افريقيين » بفرنسا . ومع منظمة « المساعدة العالمية الحمراء » اليسارية التي كانت أيضا في فرنسا . ويعزو مصدر جزائري حل النجم الى الضغط الذي قامت به فيدرالية رؤساء البلديات في الجزائر ، ونواب « الكولون » في فرنسا ؛ ومهما يكن سبب ذلك القرار فانه كان غير ضروري وغير شرعي » (26) .

---

25 ـ م ـ ع ـ ص 325 .

26 ـ ح و ـ ج ـ ، سعد الله ، ص 436–437 .

تقييم نشاط النجم رسميا :

وفى نشرة رسمية معلم عليها : (ملحق رقم 6) وجدتها بمركز الوثائق الوطني بقسنطينة ما يلي : (*)

« ان نجم الشمال الافريقي ، وهي جمعية لمسلمي افريقيا الشمالية ، كانت أسست عام 1926 لتلقن الأهالي المسلمين فى قطاع مدينة باريس ، وتحت اشراف الحزب الشيوعي الفرنسي ، « فكرة ثورية معادية لفرنسا » • ان أنصار هذه الحركة قد بلغوا سنة 1929 أكثر من أربعة آلاف عضو • ولما أخذت هذه الحركة أهمية محيرة بدأت السلطة تتدخل حيالها وآل الأمر الى متابعات شرعية ضدها ، ففي 20 نوفمبر 1929 عمدت المحكمة الجنحية لمقاطعة « السين » باريس ، الى الحكم بحلها بتهمة : العمل جهارا على اثارة الأهالي ضد السيادة الفرنسية من أجل استقلال الشمال الافريقي » •

وتضيف النشرة : وبعد هذا الحكم يظهر أن النجم تخلى عن كل نشاط (27) • ولكن ابتداء من شهر جوان ــ حزيران ــ 1933 ظهرت المنظمة من جديد باسم « نجم الشمال الافريقي المجيد » مستغلة فى نشاطها حالة الأزمة الاقتصادية التي ضربت كثيرا من الأهالي العاطلين فى فرنسا ، وكذا الغليان الذي عم الشمال الافريقي • وأخذت المنظمة تتقدم تحت دفع ثلاثة مناضلين جزائريين الأكثر نشاطا ، وهم : راجف بلقاسم ، وعيمش عمار ، وخاصة مصالي الحاج » •

ولكن متابعة أخرى بدأت ضد النجم ومسيرته بتهمة « اعادة هيئة منحلة خلافا لقانون » 1901 » وحكمت الغرفة الرابعة عشرة فى محكمة الجنح بباريس ، على مصالي وعيمش وراجف بستة شهور سجنا لكل واحد ، وذلك بتاريخ الخامس نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1934 •

(*) ــ نشرة رسمية لتقييم اعمال حركة النجم من سنة 1926 الى سنة 1935 .

27 ــ ابدا لم ينقطع نشاط النجم وانما رجع الى العمل سرا ، فقد اعتمدت الحركة منذ ذلك الحين عملها سريا اكثر منه ظاهريا للنجاة من الضغط المتزايد .

بيد أن هذا الحكم قد رفعت فيه اعادة بتاريخ 24 جانفي ــ كانون الثاني ــ 1935 أمام الغرفة العاشرة بمحكمة « الاستئناف » بباريس ، فحكمت بستة وأربعة وثلاثة شهور ــ على التوالي ــ سجنا على المذكورين أعلاه » •

وأثناء هذه المحاكمات كانت اجتماعات عامة تعقد ، وخطباء يلهبون الحماس حتى فى الجنود الأهالي الذين قلبوا أسلحتهم ضد فرنسا ، مما جعل اتهامات أخرى تصدر ضد المسيرين للحركة ، وحكم عليهم بسنة واحدة وأربعة شهور سجنا يوم 28 مارس ــ آذار ــ 1935 بتهمة « تحريض جنود على العصيان والقتل بقصد دعاية فوضوية » •

وبعد رفع الاعادة الى محكمة الاستئناف حكمت يوم 24 ماي ــ آيار ــ 1935 بعام واحد ، وستة وخمسة شهور سجنا على المتهمين • ولكن مناضلي هذه الحركة ، بكل شجاعة وثقة ، تخلوا عن الاسم الأول وأعادوا تأسيس الحركة يوم السادس فبراير ــ شباط ــ 1935 تحت اسم « الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقية » • وفى يوم 27 مارس ــ آذار ــ 1935 عقد « الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا » أول اجتماع علني منذ أكتوبر 1934 » •

وتضيف النشرة : « وفى تاريخ 16 أفريل ــ نيسان ــ 1935 كان موقف نهائي من محكمة النقض والابرام ، فحكمت ببطلان حكمي 5 جانفي ــ يناير ــ 1934 و 24 جانفي 1935 وذلك لأن « حكم حل « نجم الشمال الافريقي » الذي سبق سنة 1929 كان لم ينفذ بكيفية سليمة » ، بحيث أن تنفيذه دفع مسيري هذه الحركة ليستأنفوا أعمالهم بأكثر شدة من الماضي ضد فرنسا ، فرأينا الاجتماعات تتكاثر ، وأعداد المستمعين تتزايد حتى بلغت الآلاف » •

وتختم النشرة فتقول : « فنجم الشمال الافريقي ، اذن ، لم يعمل أبدا خارج القانون ، ومصالي الحاج أعلن فى كثير من الاجتماعات انتصاره على المحاكم الفرنسية بفضل جاذبيته التي يعتقدها أتباعه • وقد

تعددت الاجتماعات فى مدينة باريس وضواحيها وارتفعت فروع الحركة الى ثمانية عشر فرعا ، تقوم بدعايتها بكل حرية .

والشيء الجديد الذي ربما يقف أمام نشاط هذه الجمعية هو رفض محكمة النقض والابرام يوم 19 أكتوبر 1935 مطلب الاعادة الذي قدمه لها مسيروها ضد حكم محكمة الاستئناف بتاريخ 24 ماي فى قضية « التحريض على القتل ونشر دعاية فوضوية » ، فهذه الحادثة جعلت المحكوم عليهم يفرون حيث لم تتمكن قوات العدالة من تنفيذ الحكم عليهم . ولم تجد الا عيمش عمار الذي سجن يوم 15 نوفمبر 1935 وانتهى اذن نشاط هذه المنظمة » . اهـ .

جمعية النواب المسلمين الجزائريين

واذا تكلمنا باسهاب عن حركة الأمير خالد ثم عن حركة نجم الشمال الافريقي ، فمن الضروري أن لا نهمل حركة معاصرة كانت تعتبر حركة « المعارضة » القوية لحركة الأمير خالد أولا ثم لحركة النجم ثانيا ، وهي حركة الدكتور بن تامي •

ان هذه الحركة ــ كما تقــدم ــ كانت منذ اللحظة الأولى ، بعد الحرب العالمية الأولى دخــلت الميدان بجانب الأمير خالد ، وقد كان الدكتور بن تامي من الأعضاء البارزين فى « لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين » بيد أن عوامل الكفاح واختلاف الآراء فى الوسائل وحتى فى المباديء والأهداف جعلت تبعد ما بين الحركة الوطنية التي يتزعمها خالد وحركة ابن تامي ، وقــد تقدم في هذا الكتــاب شيء من ذلك ، وشيئا فشيئا ، وبعد مشادات انتخابية وسياسية تدرج الحال بابن تامي الى تأسيس « جمعية النواب المسلمين الجزائريين » وبيان ذلك نلخصه فيما يلي :

« ان معارضي الأمير خالد الذين هم مقتنعون بفكرة التجنيس ، قد أسسوا فى شهر جوان 1927 ، اتحادية النواب المسلمين الجزائريين وترأسها الدكتور ابن تامي النائب بالمجلس العمالي لعمالة الجزائر ، ومدير جريدة التقدم التي صدرت فى ماي 1923 الى فبراير 1931 •

ففي 18 جوان ــ جزيران ــ 1927 قدم تصريح الى دار العمالة (الولاية) بمدينة الجزائر بانشاء اتحادية النواب المسلمين الجزائريين التي مركزها بشارع عنابة رقم 2 مدينة الجزائر ، وهدفها : توحيد

وتنسيق جهود الممثلين الجزائريين فى مختلف المجالس .. بقصد الدفاع عن مصالح منوبيهم » (1) .

وفى غيبة الدكتور ابن تامي عقدت هـذه الاتحادية مؤتمرها الأول فى الحادي عشر سبتمبر ــ أيلول ــ 1927 وانخذت عدة اقتراحات وهي كما يلي :

1 ــ تمثيل الأهالي الجزائريين فى البرلمان الفرنسي .

2 ــ المساواة فى الأجور والمنح فى الوظائف الادارية بين الأهالي والفرنسيين .

3 ــ المساواة فى الخدمة العسكرية .

4 ــ الغاء الاجراءات المفروضة على العمال الأهالي القاصدين فرنسا .

5 ــ الغاء القانون الخاص بالأهالي (لانديجينا) .

6 ــ تحسين حالة الثقافة والتعليم المهني بالنسبة للأهالي .

7 ــ تطبيق القوانين الاجتماعية فى الجزائر .

8 ــ اقامة مجامع انتخابية فى الأحواز الممتزجة حسب قانون 1919 فى انتخابات المجالس العمالية والمجالس المالية .

وهكذا وبانشاء جمعية النواب لمعت شخصية ابن تـامي واتسعت تصريحاته فى جريدة التقدم وجرائد أخرى ، فنشر فى جريدة التقدم « ان أهم مطلب للجزائريين هو تمثيلهم فى البرلمان الفرنسي » .

وفى شهر نوفمبر 1927 نشرت له جريدة « باري ناسيونال » تصريحا يقول فيه : « ان تمثيل الأهالي الجزائريين فى البرلمان الفرنسي يجب أن لا يصادف أي معارضة لأنه سيكون أفضل رابط معنوي جديد وقوي بين الأهالي الجزائريين وفرنسا » .

---

1 ــ M. N. A. كلود ، ص 39ــ40 .

ولما عين موريس فيوليت واليا عاما على الجزائر سنة 1926 كانت جريدة التقدم قد احتفت به وشكرته ، بالخصوص عندما وجه نداء للفرنسيين يدعوهم الى التنقيص من غلوائهم وقال لهم : « ان الاستعمار ليس من واجبه الحصول على المال والغنى فقط. بل وأيضا حفظ ومساعدة وانقاذ الشعوب المغلوبة على الفقر والشقاء » .

وعندما تعرض ديروكس النائب الاستعماري في مجلس الشيوخ للوالي العام فيوليت ، قام النواب المسلمون والمثقفون الجزائريون بتأييد م . فيوليت ، واستنكروا بشدة موقف ديروكس .

الا أن ابن تامي بدأت سياسته تستنكر من طرف الجزائريين ، وشخصيته تفقد مكانتها نهائيا ، حينما بدأت الاشاعات تنتشر فى الجزائر عن اتصالات مريبة بين ابن تامي وبيار بورد Pierre Bordes الذي كان اذ ذاك عامل عمالة الجزائر ، وبدأت التعاليق الجارية تنزل على ابن تامي بسبب مواقفه المتخاذلة مع الأمير خالد . ثم ، وخاصة تأييده لترشيح بورد لمهمة الولاية العامة فى الجزائر . بالرغم من أن هذا كان مؤيدا من ديروكس المستعمر الكبير الذي كان أظهر عداءه للمسلمين فى شتى المواقف ، وبالرغم من أن ترشيح بورد كان ضد م . فيوليت الذي اتخذه المسلمون الجزائريون صديقا لمواقفه الديمقراطية .

ولم يقف أمر ابن تامي عند هذا الحد بجانب المستعمرين . بل انه حتى فى جمعية النواب نفسها كان يظهر أمام زملائه بمواقف مريبة ، فقد عارض قرار الجمعية بذهاب وفد الى باريس لتقديم مطالب الجزائريين والمطالبة بابقاء فيوليت على رأس الولاية العامة ، وطالب بتأجيل ذهاب الوفد على الأقل ، لكن الجمعية قررت بالاجماع — عدا ابن تامي — ذهاب الوفد الذي كان مؤلفا من النواب :

حمود شكيكن، تامزالي ، قايد حمود ، السايح ، وزروق محي الدين.

وفى باريس طالبوا ببقاء م . فيوليت على رأس الولاية العامة خلافا لموقف ابن تامي رئيس الجمعية ورغم مناوراته . وهكذا يذهب م . فيوليت مستقيلا من وظيفة ويخلفه م . بورد على رأس الولاية العامة .

وفي أواخر سنة 1927 ـ 1928 تقوم دعاية ضد ابن تامي ويتهم بأنه حكومي وأنه باع نفسه لادارة بورد • وقد كتبت عنه جريدة المنصة الأهلية La Tribune indigène سنة 1930 فقالت : بعد خيانة ابن تامي أصبح متخما بفضل المائة ألف فرنك (100،000) التي يقبضها سنويا دون مقابل أي عمل ، زيادة على المائتي هكتارا (200) التي انتزعت من اخوانه الفلاحين وأعطيت له ، وهي تساوي ثمانمائة ألف فرنك (800،000) • (2)

ومما يقدم ضد جمعية النواب كلها أنها عقدت في شهر سبتمبر ـ أيلول ـ 1927 مؤتمرها بنادي الترقي ، ووافق المؤتمر على تقرير بومدين أحد نواب مدينة الجزائر البلديين والذي يصرح فيه بما يلي :

« ان الجزائريين يعربون عن تحيتهم لفرنسا ولحضارتها ، وأنهم يحترمون ويقدرون رجال السلطة الفرنسية ، وأنهم يريدون تمتين الروابط التي توحد بين المسلمين والأوروبيين ، وذلك للفائدة العليا لوطننا المشترك فرنسا • وأنهم ينتظرون تطويرهم داخل الأنظمة الفرنسية » •

وهكذا تذهب الريبة بالدكتور ابن تامي حتى لحد اتهامه ـ كما أثبت هو نفسه حيث ادعى أن الشيوعيين هم الذين كتبوا وقالوا عنه ـ بأن ابن تامي الطبيب هو متجنس بالجنسية الفرنسية ، وعدو العمال والأهالي المسلمين ، والخائن للقضية الاسلامية » •

على أن الشيوعيين ، بمناسبة حملة الانتخابات التشريعية سنة 1928 كانوا ينتقدون النواب المسلمين كلهم ويصمونهم في جريدة الكفاح الاجتماعي La lutte sociale بأن مواقفهم متخاذلة بين اليمين واليسار ، وأنهم لم يتخذوا موقفا صريحا • ووصفت شكيكن بأنه عميل للامبريالية والبورجوازية الفرنسية • كما انتقدت نادي الترقي وأسمته « نادي الترقي العكسي » وأنه ليس له أي مذهب سياسي ، وشنعت بمسيريه

---

2 ـ الحياة السياسية ، ص 150-151 •

ووصفتهم بأنهم « مخلب الامبريالية » ولا يسعون الا فى اقرار الاندماج واعانة الادارة الاستعمارية » • (3)

هكذا ، وأمام تنافس أو تشاحن شخصيات جمعية النواب تفرعت هذه على ثلاثة فروع : اتحادية العمالة الجزائرية ويرأسها زروق محيي الدين ، واتحادية عمالة قسنطينة ويرأسها أولا سيسبان رئيس القسم العربي في المجلس المالي ، واتحادية عمالة وهران وترأسها بن عوده باش تارزي نائب بلدي بوهران ، ولو أن هذا التفرع يظهر بصفة تنظيم فسيأتي الكلام على هذه الاتحاديات مفصلا •

---

3 ـ المرجع السابق ، ص 154 .

الفكرة الدينية والسياسية المتعاونة
كحركة قومية اسلامية ايضا

هذا وبما للأحداث التاريخية من تسلسل وارتباط يمتدان على مدى الزمن ، ويوصلان نواحي الحياة ببعضها ؛ فمن الواجب أن نرجيء الكلام عن الحركات السياسية لنرجع مرة أخرى الى ناحية هامة من مظاهر كفاح الأمة الجزائرية ، لها فضل السابقية ، ولها وشيجة متينة بما بعدها ، تلك هي حركات رجال الدين بجميع مظاهرها المختلفة .

فعندما نراجع تاريخ الكفاح الجزائري طيلة القرن التاسع عشر بعد الاحتلال الفرنسي الى ما قبل الحرب العالمية الأولى من القرن العشرين ، نجده دائما وأبدا يستند الى الفكرة الدينية ، سواء منه الكفاح المسلح فى كل الثورات المتعاقبة ابتداء من ثورة المقاومة الكبرى بقيادة محيي الدين ثم ابنه عبد القادر ، وكلاهما رجل ديني وينتسب الى أسرة دينية صوفية ؛ الى ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 م التي انتهت بثورة 1881 م بقيادة بوعمامة ، مرورا بثوره المقراني وابن الحداد ، وكلهم رجال دين ومن أسر دينية طرقية ، أو الكفاح السياسي الذي بدت بواكره سنة 1891 فى صفة متعاونة مع الاستعمار .

ويرجع ذلك الى سببين :

الأول : أن الشعب الجزائري لم يرتبط بجنسيته العربية ــ ككثير من الشعوب العربية ــ الا بواسطة الاسلام وقرآنه العربي اللغة .

والثاني : أن اتفاقية الاحتلال الفرنسي التي وقعت يوم الخامس يوليو ــ تموز ــ 1830 م تنص فى مادتها الخامسة على توفير الحرية

للمسلمين فى دينهم الاسلامي ، فكان ــ اذن ــ الدافع الأقوى لدى الجزائري هو الاسلام • لأن الاسلام هو « جنسيته الرسمية والتاريخية، وهو وجوده الشخصي والوطني والقومي ، وهو عقيدته الروحية الدينية » •

يقول تقرير فرنسي كتب فى منتصف القرن السابق وصدر عام 1945 م ما يلي حرفيا : (1)

« ان الجزائر تعرف الآن عهدا جديدا ، فالحرب التي اندلعت فيها حاليا ــ يعني آخر الأربعينات من القرن التاسع عشر ــ تبدو لنا ذات طابع يختلف عن طابع الحروب التي سبقتها ، فقبل سنة 1837 و 1842 كان عبد القادر يقاوم بنية تكوين قومية عربية ، وتشكيل سلطة ذات سيادة ، أما اليوم فان أفكار عدونا قد تغيرت ، واتخذت الحرب طابعا دينيا •

ويضيف التقرير : الأمير عبد القادر يعترف الآن ــ على العكس من السابق ــ بعجزه عن طرد المسيحيين من أرض الاسلام ، انه يتخلى لهم عن هذه الأرض لكنه لا يعترف للمسيحيين بحق حكم وتسيير سكان مسلمين ، انه ليس فقط ينازعنا فى السلطة الزمنية ، لكنه لا يريد أن يترك تفوذ المسيحيين ــ الضمائر والمعتقدات ــ يعني لتنتشر •

ويمضي التقرير قائلا : فالذي يتواجه فى نظره ــ عبد القادر ــ ليس هو العربي والفرنسي ولكن هو المعتقدات الاسلامية والمسيحية التي تشغل فكره • ان الحرب الوطنية تنطفي وتزول ، والكفاح الديني ينمو ويتطور » •

ويعلق الشعب الأسبوعي : أن هذه الفقرة الواردة فى كتاب صدر عام 1945 تظهر مدى احساس الفرنسيين بالمقاومة المعنوية للشعب الجزائري ، أو بالشكل الثقافى الذي اتخذته هذه المقاومة • نعم ، ان

1 ــ جريدة الشعب الاسبوعي الجزائري عدد 19 افريل 1976 ص 5 .

النقيب « الكابيتان » دونوفو يعتبرها مقاومة دينية ، والواقع أنها أشمل من ذلك ، لكن اذا كان الطابع الديني فيها أوضح ، فلأن الدين ــ أي الاسلام ــ كان هو المسيطر على جميع مظاهر الحياة الثقافية ، من التعليم الى الطب •

والكابيتان دونوفو فى هذا الكتاب يكشف عن هذه الحقيقة ، ربما عن غير قصد ، عندما يعتبر أن الاستعمار الفرنسي اصطدم بتنظيم كامل، لأن الزوايا والمساجد فى ذلك الحين كانت تلعب فى الوقت نفسه دور المعبد والمدرسة والملجأ ومكان الاجتماع والمكتبة والمستشفى والمنتدى حيث يتم تناقل الأخبار •• »

«وهذا التنظيم الخفي والقوي معنويا هو الذي كان يسمح للجزائريين بالثقة فى أناس يدعونهم باسم « الله ومحمد » الى الثورة ، وينتزعونهم من أعمالهم الزراعية ، بينما نضطر نحن الى استعمال القوة باستمرار لاجبار الأهالي على اتباع آرائنا » • (2)

على أن الجزائري ــ ما عدا خاصة الخاصة ــ كان لا يفـرق بين العربي والمسلم ، فبينهما عنده العموم والخصوص المطلق • فاذا قال لك اني مسلم يعني أنه فى نفس الوقت عربي ، والعكس صحيح • فلا يقبل منك أن نقول له انك مسلم ولست بعربي ، أو العكس ، ويراها سبة •

وهاك مثلا وقع معي شخصيا يوم أن كنت بالأردن أثنـاء الثـورة التحريرية أرأس مكتب جبهة التحرير ، وقد كان الأردن ــ كبقية البلاد العربية فى الشرق الأوسط ــ يجمع عربا مسلمين وعربا مسيحيـين ، وكان الاخوة العاملون فى الثورة ، كلما زاروا الأردن وأعرفهم مسبقـا بأنه يوجد من بين أصدقاء الثورة ومؤيديها عرب مسيحيون ، يتعجبون من هذا الوضع الذي ما سمعوا به قط •

---

2 ــ ايفون توابن (الواجهات الثقافية فى الجزائر المستعمرة) ، ص 110-111 •

بل أن زوجتي ، لما لحقت بي الى الأردن سنة 1960 وجدت فى المكتب خادما عربية مسيحية ، فلما ناديتها باسمها المسيحي ، قالت لي الزوجة : ما هذا الاسم ؟ انه اسم « رومية » • قلت لها أجل هو كذلك • قالت : ما بالها تتكلم العربية وشكلها عربي ؟ قلت انها عربية • قالت : ما هذا التخليط ؟ أيعقل أن يكون شخص عربي وليس بمسلم ؟ وتعني بذلك مرادفة كلمة عربي لكلمة مسلم أو العكس ، ولا يعقل غير ذلك • ولم تؤمن بهذه الحقيقة وبقيت تظن أنني أسخر منها الا بعد أن مكثت مدة طويلة فى المشرق •

تلك هي الحالة التي عاش عليها الشعب الجزائري واندمج فيها اندماج الروح بالجسد ؛ فمن الطبيعي ، اذن ، أن لا يتنازل عنها ، ومن المنطق أن لا تلخو حركاته منها سواء المسلحة أو السياسية • ومن هذا المنطلق انطلقت حركة الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى ، فهي بعث لتاريخ وتجديد لحركة جده الأمير عبد القادر •

على أنه ــ وان عدت حركة خالد حركة سياسية وطنية ، ومخطرة على الاستعمار ــ فقد كان لخالد عند فرنسا دالة وله جوانب ايجابية ذات فضل لا ينكر أثناء محنة فرنسا فى الحرب العالمية الأولى • ورغم ذلك فان دفاعه عن بلاده ووقوفه موقف الرجل الشريف من خيانة فرنسا لوعودها نحو الشعب الجزائري ، شعبه ، أنطق الفرنسيين بألسنة حداد ضده ودفعهم ليكيدوا له المرة تلو الأخرى حتى أخرجوه من وطنه مكبلا مطرودا •

ومن الشهادات التي تدل على أن خالدا لم يكن فى حياته رجلا مخادعا حتى مع الاستعمار ، وانما كان رجلا شريفا وصريحا يدافع عن وطنه عن عقيدة ومبدأ ، هي شهادة آجرون اذ يقول :

« ان الأمير خالد لم يشارك فى أي حركة ضد فرنسا أثناء الحرب ؛ ونفى أن يكون شارك عمه عبد المالك حينما أعلن الجهاد فى الريف المغربي بل انه ، بسبب ذلك ، بعث الى أسرته ــ وقد كانت تسكن مدينة تطوان ــ لتنتقل الى الجزائر كما أنه لم يشارك أيضا سنة 1916 فى

لجنة تحرير الجزائر وتونس التي أنشئت في ألمانيا حيث كان من أعضائها عمه الأمير علي باشا وابن عمه الأمير سعيد » •

ويضيف : لقد كان الأعداء يأخذون على خالد أعمال هؤلاء الرجال من أسرته ويتهمونه بأنه عدو لفرنسا ويستنكرون عليه نشاطه السياسي، ولكن خالدا كان يجيب : ان طبيعتي لا تسمح لي بالسكوت عن الظلم • ان نوعية شخصيتي العلمية القانونية التي أتيح لها أن أطورها بمدرسة « سان سير » والتي بفضلها شاركت في الجيش الفرنسي في صفوفه الأولى ، يجب أن لا تتركني بأي صفة أخضع للذل أو أحجم دون أن أعرب أمامكم عن أفكار هي في صالح مستقبل الجزائر وفرنسا ، هذه الجزائر التي هي موطن أجدادي ، وقد جمعت اليوم جنسينا وقربت بينهما • (3)

ولئن كان خالد لم يجد مجالا للكلام عن نهضة سياسية بمفعـول الانغلاق الذي فرضته السلطات الاستعمارية ، فقد وجد المجال في الناحية الدينية « اليقظة الاسلامية » فصال وجال في ميدان الدعوة الى النهضة الاسلامية ، ودعا حتى الى الرجوع لعهد الخلافة الاسلامية التي كانت في عصورها الذهبية بدمشق وبغداد وقرطبة •

ولئن كانت حركة الأمير خالد السياسية ، كما رأينا ، أقرب الى الروح الدينية للأسباب الماضية ، كحركة المحافظين أيضا ، فان حركة « النخبة » أو المتفرنسين ، لا تعدم بتلكم الروح أبدا ، فجميعها كان ينضوي تحت ظل الفكرة الاسلامية ان طوعا أو كرها ، كما تقدم تحليل ذلك •

3 ـ روى لي الأخ الروحي الأستاذ المولود مهري أن الأمير خالد كان يوما بمدينة الخروب نازلا بدار والده شيخنا عمار . قال : وكنا ثلاثة لا رابع لنا وكان عمري لا يتجاوز كثيرا عشر سنوات واذا بخبر يصل الأمير أن عملاء الاستعمار بقسنطينة وجهوا برقية احتجاج لفرنسا ضد الوفد الذي ذهب الى فرنسا بعضوية الدكتور موسى ، وفي البرقية أن الوفد المذكور لا يمثل الشعب الجزائري وانما يمثل أعضاءه فقط . فلما سمع هذا الخبر قال : للاسف الشديد ان الحكيم موسى من خيرة رجالنا ولكن الخونة قضوا على نشاطه . وسقطت دمعاته على وجنتيه النورانيتين ، حزنا على قلة الأنصار .

ولزيادة التدليل على هذا الوضع التاريخي الـذي أثر على جميع الحركات الجزائرية منذ العهد القديم ، ولا زال • ننقل الفقرات التالية

عن جريدة الشعب الأسبوعي عدد 19 أفريل ـ نيسان 1976 ، وقد كتبت عن الحركة الاصلاحية فى الجزائر فقالت :

والحقيقة أن معرفة أساس العوامل التي جعلت الحـركة الاصلاحية تتأرجح بين المد الديني وبين الجذب السياسي ، يتطلب منا أن نستعرض ـ ولو بايجاز ـ الدور السياسي الذي لعبه الدين الاسلامي فى جزائر القرن التاسع عشر ، فقد كان للدين دور أساسي فى تغذية المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي • وقد لعب معلمو القـرآن وشيوخ الزوايا دورا مهما فى تنشئة الأطفال الجزائريين على رفض الاحتلال وعدم التسليم به نفسيا حتى مع الاقرار به كأمر واقع • وقد سجل الكابتان ـ النقيب ـ دونوفو هذه الحقيقة فى كتاب له عن الزوايا ، وقد تقدم لنا قريبا شيء من ذلك ، فقال : « ان المعلميـن الأهـالي المتشبعين بمبادئهم ، يغذيهم حقد لا هوادة فيه ضد المسيحيين ، ويعميهم التعصب الأعمى ، هؤلاء المعلمون الذين يشتغلون حاليا فى التعليم يحاولون دائما أن يبعدوا عنا الجيل الصاعد ، وهو الجيل الوحيد الذي نعتمد عليه » •

الحركة الدينية الاصلاحية تنطلق من نفس المنطلق

ومن هنا رأينا الحركة الدينية الاصلاحية الاسلامية تنطلق من المبدأ نفسه ، فيعود الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله ـ من تونس سنة 1912 م ليبدأ حركته التربوية التعليمية بالدروس المسجدية الخالية من أي مظهر سياسي • وبالرغم من أنه رجع قبل اندلاع الحرب العالمية الى تونس وذهب الى المشرق العربي حاجا ، وفى طريقه اتصل بشيخه الجزائري حمدان الونيسي ، الذي قيل انه أوصاه بعدم قبول أي وظيفة عند الفرنسيين ، وبكثير من العلماء الأجلة ، وأجازه مفتي الديار المصرية الشيخ بخيت • ولا شك أن في هذه السفرة توسعت مدارك الشيخ ومعارفه ، كما تركت أحداث الشرق التي تمخضت عن الثورة العربية ـ وقد شاهدها عن كتب ـ انطباعات كبيرة فى نفس الشيخ ، بالرغم من كل ذلك فقد ظل وفيا لفكرته التربوية التعليمية ، حتى أنه لما دعاه الأمير

خالد يوما الى اللقاء معه فى عاصمة الجزائر ـ وقد كان يوجد بها ـ اعتذر وقال : أنا لست سياسيا ، أنا رجل دين ، حسبي أنني أنشر الدين الاسلامي • (4)

ولا شك أن الشيخ رحمه الله كان يصدر عن اقتناع ، وخاصة فى تلك الظروف التعيسة ، بأن الحرية والاستقلال لأي شعب من الشعوب ؛ ولا سيما الشعب الجزائري الذي أفقده الاستعمار الفرنسي ـ تقريبا ـ ايمانه بنفسه ، لا بد أن يمر بمرحلة تحضير وتربية ، والاسلام أحسن كفيل بذلك • وهو في فكرته هذه يشبه الشيخ محمد عبده ، أو متأثر به ، حين قال هذا : « لعن الله السياسة ما دخلت شيئا الا أفسدته » وهو يعتقد ولا شك : « أن الاسلام دين ودولة » • ومن المحتمل أن يكون الشيخ لا زال بعد لم يتبين طريقه السياسي فى تلك الظروف الحالكة السوداء •

على انه ان رأينا هذا الاتجاه من الشيخ عبد الحميد بن باديس فى أول أمره ، وقد جعله هذا الاتجاه المبكر فى ميدان التعليم أب الحركة التربوية والاصلاحية الدينية ، فقد قام اتجاه آخر ، متأثرا بحركة « اليقظة » أو « النهضة الاسلامية » من بعض المثقفين ثقافة عربية اسلامية كأمثال عمر بن قدور ، وعمر راسم ، والأمير خالد ، وعمار مهري ، وابن الموهوب ، فما كان لابن باديس الا أن يكون من أوائل هذه الطليعة • (5)

وقد كان هذا الاتجاه سياسيا أكثر منه دينيا أو اصلاحيا وكانت حركة متطورة استعملت الصحافة ، فى الداخل والخارج ، والعرائض وارسال الوفود للمطالبة بالحقوق • على أنه لا يمكن أن نغفل ـ فى حق هؤلاء ـ عن ملاحظة لها مكانتها فى فترة ما قبل انتهاء الحرب العالمية وظهور حركة الأمير خالد ، فقد كان هؤلاء الرجال المتقدمو الذكر قد اضطلعوا

---

4 ـ عن حسن الوارزني وقد كان اذ ذاك يساعد الأمير خالد فى اصدار جريدة الاقدام ، وارساله الى الشيخ باديس بالمهمة .

5 ـ روى لي الشيخ المولود مهري أن هؤلاء الجماعة كانوا أول من فكر فى تأسيس جمعية باسم « الاخاء العلمي » أو غير هذا مما فى معناه .

بحركة سياسية كما تقدمت الاشارة اليها قريبا ، وكانت حركة وطنية مخلصة ، وان لم يزل بأصحابها حنين لمركز الخلافة الاسلامية «الآستانة» نظرا للارتباط الطويل مع الدولة العثمانية ، ولا سيما بالنسبة للجزائر التي كان ارتباطها بالعثمانيين روحيا أكثر منه سياسيا واداريا .

ثم يجب ألا ننسى تلك اليقظة الاسلامية والعربية التي اكتسحت البلاد العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وبرزت حقيقة قوية أوائل القرن العشرين على حركتين :

1 ـ الحركة الاسلامية العربية المبنية على الاصلاح الديني بالرجوع الى الكتاب والسنة ، والتي تزعمها الشيخ جمال الدين الأفغاني (1838ـ 1897 م) والشيخ محمد عبده (1849ـ1905 م) ونشرها في الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجه (1865ـ1917م) فهو الذي أدخل مذهب محمد عبده الى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما .

لقد كان هو والشيخ عبد الحليم بن سمايه من أحرص الجزائريين على مطالعة مجلة المنار ، بحيث أنهما أوصيا الشيخ محمد عبده عند زيارته الجزائر أن يبلغ الشيخ رشيد رضا وأن يوصيه بأن لا يذكر في المجلة دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الدخول الى الجزائر، فيحرما من قراءتها وقد كانا يعدانها «مدد الحياة» .

أما الشيخ محمد عبده فقد أخذ عليه لبه فما من كتاب أو رسالة للشيخ عبده الا ويقتنيها الشيخ محمد بن الخوجة ويقرؤها ويشرحها على العموم في دروسه حتى أنه لما تحصل على تفسير سورة « والعصر » درسه عشر مرات وشرحه على كل من يتتبعون حركة الاصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة والأعيان . وكاتب الشيخ محمد عبده يخبره بذلك . (6)

---

6 ـ آثار ابن باديس ، ج 1 ، ص 34 .

ولما عزلته الادارة الفرنسية من وظيفته لصلته بمحمد عبده وبمحمد فريد ، أخذ بلقي الدروس فى جامع حي بلكور بالجزائر العاصمة • وكتب عنه المرحوم عمر راسم فقال : الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر فى وقته ، وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر ، كثير الاطلاع، ولوع بالكتب العصرية ، شغوف بمحبة الشيخ عبده ، وهو الذي أدخل مذهبه الى الجزائر ، عرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني •• ثم ذكر ما ترك من آثار ، منها ديوانه الشعري الذي فقده الأدب الجزائـري • ومنها « كتاب الاكتراث في حقوق الاناث » ، و « اللباب فى أحكام الزينة واللباس والاحتجاب » ، وكتاب « اقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني فى الاسلام » • وله تحقيقات فى تفسيـر الثعـالبي « الجواهر الحسان » ، وغير ذلك • (7)

2 ــ الحركة الاسلامية السياسية المبنية على الخلافة الاسلامية ، وقد تزعمها عبد الحميد الثاني (1842ــ1918 م) سلطان الـدولة العثمانية الاستبدادي •

وقد لعبت هذه الحركة دورا هاما فى البلاد الاسلامية ، بقطع النظر عن غلطات عبد الحميد الفادحة التي جره اليها طموحه فى الخلافة بقصد توحيد البـلاد الاسـلامية كلها ليستعملهـا ضد الأطماع الأوروبيـة المتفاقمة • (8)

الا أن اندلاع الحرب العالمية 1914ــ1918 م ، كانت المسمار الأخير فى نعش عبد الحميد الثاني وبالتالي فى نعش الدولة العثمانية العتيدة ، وفى ضمن هذا القضاء على الآمال التي كانت متجهة من الجزائر نحو الآستانة •

وأمام هذه الوضعية الجديدة رأينا الاتجاه قد تغير وصارت الحركات السياسية فى الجزائر لا تعتمد الا على نفسها وعلى قوتها الداخلية •

7 ــ المصدر السابق ، ج1 ، ص 35 •

8 ــ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص 589 •

أما الحركة الاصلاحية الدينية فقد استمرت مثل أختهـا فى الشرق العربي متأثرة بفكرة جمال الدين ومحمد عبده من جهة ، ونسبت الى محمد بن عبد الوهاب • ومتأثرة من جهة أخـرى بفـكرة المتصوفة السنيين ، وتزعمها أولا ــ الشيخ محمد بن علي السنوسي (1834 م)(*) ثم المشايخ يوسف الدجوي عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، والنبهاني رئيس محكمة الحقوق فى بيروت ، وغيرهم • بيد أن تأثير هذه ، بعد ظهور الحركة الأولى ــ الاصلاحية ــ أصبـح محـدودا نوعا ما •

وفى هذا الجو العقيدي المتضارب ، وأثناء هذه التيارات الفكرية الحديثة التي انفصلت عنها الحرب ؛ عاد بعض المهاجرين من العلماء فى الشرق العربي الى الجزائر وطنهم الأصلي فى ظروف حاسمة ، وفى فترة تعتبر ، بالنسبة للجزائر ، فترة بعث واحياء للتراث الفكري والديني من جهة ، كما أنها تعتبر منعرجا حاسما فى استعادة الشـخصية الجزائرية وسيادتها الوطنية من جهة أخرى •

وظهرت شخصية ابن باديس جلية الاتجاه ، ومن الطبيعي لدى ابن باديس أن يختار « الفطرة » فى أسلوب عمله الوطني ، فثقافته عربية ، وتربيته اسلامية ، وفى الاسلام يجد كل رغبانه الدينيـة والوطنية • وبالتالي فله من شيخ شيوخه عبد القادر المجاوي نصيب ، والمجاوي كان وطنيا صميما ولكنه اقتصر فى الاعراب عن وطنيته ، على التعليم والدعوة الاسلامية ونشر اللغة العربية •

كان ابن باديس صوفيا والها (9)

لقد كان ابن باديس مناظرا مفحما ، ومربيا بناءا ، ومؤمنا متحمسا ، وصوفيا والها ، ومجتهدا يرجع الى أصول الايمان المذهبية ، ويفكر

(*) ــ فى كتاب العالم العربي لنجلاء عز الدين أن الشيخ السنوسي مؤسس الطريقة كان وهابيا ، وهو غلط .

9 ــ ابن باديس حياته وآثاره ، لعمار طالبي ، ص 10 .

في التوفيق بين هذه الأصول توفيقا عزب عن الأنظار ابان العصور الأخيرة للتفكير الاسلامي •

حقا ان صوفية ابن باديس لا مناص من اثباتها ، فقد كانت صلته بالطرق الصوفية ورجالها صلة وثيقة ، خاصة فى أول أمره ، كما سيأتي بيانه قريبا • وبنظرة واحدة بسيطة فى الرسالة الآتيــة ندرك مدى صوفيته • كما نجدها أبين فى تعليقه على المنظومة الرحمانية •

وهذا نص الرسالة :

قسنطينة فى 16 رجب 1352 هـ

العالم الولي الخير النفاع الاخ الكريم الشيخ سيدي السعيد اوبهلول المعظم ، ايده الله وادام النفع به .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، اما بعد ... فاني ارى من نعمة الله علي ان وفق ابنكم السيد الحسن الى القدوم الى قسنطينة لحضور دروسنا ، وذلك لما ارجوه فيه من حمل العلم ونشره والعمل به ، حسن ظن مني بنطفتكم الطيبة وسيماه الزكية ، فارجو من فضلكم ان تمدوه بدعائكم ورضاكم وما لا بد منه مما يقوم به من ضروريات الحياة .

والله اسال ان يجازيكم عنه وعنا خير الجزاء ، ويديم انتفاع المسلمين بكم . لا تنسنا من دعائكم فانني والله فى غاية الاحتياج اليه من امثالكم .

والسلام من اخيكم عبد الحميد بن باديس لطف الله به (10) .

« ... لم يستطع المصلح الجزائري ان يطمح الى امبراطورية تحرر الضمير لقد تغير الزمان ، فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيرا كل المعطيات فى الجزائر ، كما فعلا ذلك فى ســائر العالــم الاسلامي . كانت الظروف تقتضي الرجوع فى الاصلاح الى السلف ادراجا ، اذ لم يكن القيام باي عمل من نظام سياسي أو اجتماعي ممكنا ـ يعني دون التعرض للخطر والتعــذيب ـ قبل تحرير الضمائر » (11) .

---

10 ـ هو الأستاذ الفقيه اللغوي محمد السعيد بن محمد الطاهر بن محمد البهلولي ، نسبة الى سيدي بهلول بن الحاج ، وهو من الأشراف الذين رابطوا فى الجزائر بعد الفتح الاسلامي . ا هـ

من كتاب « قال الشيخ الرئيس » لمحمد طاهر فضلاء ، ص 414 .

11 ـ ابن باديس ، حياته وآثاره ، ج1 ، ص 11 .

بيد أن ابن باديس لما رجع الى الوطن بعد سفرة حجه ، وقد عزم على نشر فكرته الاصلاحية ، لم يجد المجال خاليا لحركته التي تعتبر ــ حينئذ ــ انقلابا خطيرا فى العقيدة ، بل وجد فى الوطن حركة أخرى ، وهي أمتن وأشد تماسكا وأقرب الى ثقة الشعب ، هي حركة تجمع رجال الدين من العلماء وأصحاب الطرق الصوفية فانضم اليها محتميا بها أو متوسلا للأخذ بيدها الى ما يعتقده أنه هو التصوف السلفي الصحيح •

لا سيما ، وقد وجد فى هؤلاء حلفاءه الطبيعيين ، فهم رواد الدعوة الاسلامية فى هذا الوطن ، وقد كانوا وحدهم الذين حافظوا على الكتاب والسنة أثناء عصر الاحتلال الفرنسي ، وبقوا كذلك فى مواجهة الفرنسة والتحدي المسيحي فى هذا الوطن ، وحتى أمام الكتلة « المتغربة » المتفرنسة من مواطنيهم ، فبدأ يعمل مع الزوايا وفى الزوايا لنشر الاسلام والعربية بفكرة معتدلة لا تثير أية ضجة أو شكوك حوله • خصوصا والوطن كانت تجثم عليه ظروف الحرب القاسية ، شأنه فى ذلك شأن زميله محمد البشير الابراهيمي لما رجع هو الآخر من المشرق العربي •

فبينما كان هذا بزاوية ابن علي الشريف بناحية آقبو ، كان ابن باديس بمساجد قسنطينة ، ولكنه لا يألو جهدا فى الاتصال والتعاون مع أهل الطرق الصوفية فى زواياهم المنبثة فى الوطن ، وخاصة الزاوية الرحمانية بقسنطينة وزاوية الشيخ ابن عليوه بمستغانم ، وزاوية ابن الحملاوي بوادي سقان قرب قسنطينة •

بل ان ابن باديس كان فى بعض الأحيان يدافع عن المتصوفة ولا يرى من الحكمة ولا من الدين محاربتهم ومهاجمتهم كمفسدين أو خارجين عن السنة • ففي تعليق له على الشاعر الكاتب محمد السعيد الزاهري رحمه الله فى قصيدته التي يقول فيها :

امة لا ترى لـذي الفضل فضـلا لا ... ولا تعتني بعـلم العليـم

من يكن « صوفيا » كـلوبا خبيثـا فازمنهـا بكـل خـير عميـم

يقول التعليق : « الصوفي الحقيقي لا يكون كذوبا خبيثا ، والكذوب الخبيث لا يكون صوفيا • ولا نرى الشاعر يعني الا المنتسب للتصوف بالباطل » • (12)

ولقد كان الشيخ باديس ملازما للشيخ مصطفى بن الشيخ محمود باشتارزي شيخ الطريقة الخلوتية بقسنطينة ، ويرافق الوفد الذي جرت العادة أن يزور سنويا مؤسس الطريقة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن بعاصمة الجزائر •

وفى التعليق على « المنظومة الرحمانية فى الأسباب الشرعية » المتعلقة بالطريقة الخلوتية يقول الشيخ باديس : أما بعد فقد تم طبع المنظومة الرحمانية ، ذات الأسرار الربانية ، الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية وآداب التربية الشرعية الدالة على علم ناظمها وبركته بما نفع الله بها من أتباعه وتلامذته ••• فقام بطبعها على نفقته العالم البركة الخير الثقة شيخ شيوخ الطريقة الخلوتية بقسنطينة اليوم ، الشيخ سيدي مصطفى ابن الشيخ سيدي محمود ابن الشيخ سيدي الحاج محمد ••• الخ •

وبعد أن يذكر شيئا من حياته وثقافته والاجازات التي أجازه بها أشياخه المربون يقول : وهذا السند عال ليس فيه بين القطب الأكبر والشيخ المجاز الا واسطتان ، ولا يعرف مثله اليوم لمقدم خلوتي فى وطن الجزائر ••• » •

ويختتم بقوله : ندبني الشيخ المذكور الى اعانته على نشر المنظومة الرحمانية بالوقوف على تصحيحها ، فلبيت طلبه راجيا من وراء ذلك أن يتذكر الاخوان ما عليهم فى هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي ، ويعلموا أنهم لا يكفيهم فى ترقية نفوسهم مجرد الانتساب الاسمي فيدعوهم ذلك الى العلم والتعلم اللذين لا سعادة فى الدارين بدونهما ولا تقدم ، فيفقهوا حينئذ حقيقة الـلأين وينتفعوا بنصائح المرشدين ويكونوا يومذاك ان شاء الله تعالى من المهتدين •

---

12 ـ الشهاب ، م 1 ـ ج 7 ، ص 25 •

والله المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساع فى خير المسلمين آمين • وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •

تحريرا بقسنطينة (الجزائر) عشية الأربعاء 14 شوال عام 1341 هـ •

عبد الحميد بن باديس (13)

الحركة الاصلاحية بدات مسالمة هـــادفة

واذا ثبت أن ابن باديس ، فى الفترة الأولى أثناء العشرينات كان يحب العمل المنظم الهادف ولكن دون ضوضاء أو اثارة نعرات ، سواء منها السياسية التي تثير أحقاد المستعمرين ، أو الدينية التي تمزق كلمـــة المسلمين ، فانما ذلك تمشيا مع قناعاته الشخصية ، فلذا رأيناه يعمل ــ منذ رجوعه الى الوطن ــ بكل انقطاع ونشاط لنشر العلم وللتربية الاسلامية دون أن يسيء الى أحد أو جماعة ، أو يتعرض لشهرة أو زعامة ، ولعلنا ندرك مقصده المختار الذي اطمأن اليه من المقال التالي الذي نشره بالجزء الأول من المجلد السابع من مجلة الشـــهاب تحت عنوان : « العمل لطمأنينة الضمير هو العمل المنتج في مثل هذه البلاد»•

يقول : ان صرف أعز الأوقات ، وتكريس جانب من الحياة لدرس اتجاهات المجتمع من أقدس الواجبات وأوكدها وأفيدها ، ذلك ما جعل هواة العمل المخلصين يستهينون بحياتهم الشخصية ، ويستصغرون كل خطر ، ويزجون بأنفسهم فى أتون متأجج مضطرم ، حبا فى العمل المنتج ذاته ، وفى العمل لسعادة المجتمع ، والعمل المجرد عن الاعلان عن النفس، وما دفع من ناحية أخرى بالعاملين لتلك الغاية ذاتها ، لكن على رجاء أن يصيبهم مع ذلك رشاش من حمد العموم لهم حمدا ينالون به شهرة ذائعة ، ويكتسبون ثقة الجمهور ، تلك الثقة التي تعينهم وتشجعهم ، فى نظرهم ، على مواصلة العمل •

---

13 ــ كتيب المنظومة لمؤلفها الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باشتارزي ، طبع مطبعة النجاح عام 1341 هـ ــ 1923 م •

وما حفز من ناحية ثالثة الآخرين ، لا لغاية سوى ارضاء الوجدان وطمأنينة الضمير ، وهم لذلك يختارون العمل في جو هادىء .

وما دعا من ناحية رابعة أولئك الذين يستثمرون الفرص المتاحة ، ويستغلون جهودهم استغلالاً شخصيا وهم ، لأجل ذلك ، تفتر عزائمهم وتخمد قرائحهم مجرد الشعور بنضوب المصدر الذي تعودوا استثماره واستغلاله ...

وبعد جولة نظرية وواقعية ، ومقارنة بين بلادنا المتأخرة والبلاد المتحضرة يستخلص الشيخ فيقول :

« ان جو بلادنا المتأخرة لا ينفع فيها الا العمل في جو هادىء ، لا لغاية سوى ارضاء الضمير ... ثم يختم : على أن العمل لارضاء الضمير لا بد أن يكون عملا منتجا ، ولو صودم لأول وهلة من لدن الجاحدين ، لأن العاقبة للمتقين » . (14)

وقد استمر ابن باديس يعمل على ضوء قناعاته حتى بعد اتصاله بزميله الأول الشيخ محمد البشير الابراهيمي . وهو ما جعلنا نعتقد أن اتصال ابن باديس بالابراهيمي في مدينة سطيف بقصد انشاء جمعية دينية تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم ، كما ذكر هذا الشيخ الابراهيمي ، وأن هذا الاتصال كان سنة 1924 وأن اسم الجمعية « جمعية الاخاء العلمي » هذا الاسم الذي سبق أن اقترح أيضا لانشاء جمعية من طرف جماعة منهم ابن باديس وعمر ابن قدور والأمير خالد ، وعمر راسم على ما قيل . ان كل ما تقدم هو الذي جعلنا نعتقد أن هذا الاتصال ربما درس أثناءه برنامج للعمل المشترك ، على ضوء قناعات ابن باديس ، وذلك بمناسبة الكلام على انشاء الجمعية والمناقشة في محتوى قانونها الأساسي الذي كلف الابراهيمي بوضعه ، فلما لم تساعد الظروف التي كانت تسود تلك الفترة على انشائها ذهب كلا الرجلين يعملان منفردين ولكن على خط واحد ، في انتظار الظرف

14 ــ شهاب ، ج1 ــ م 7 ، ص 21ـ23 .

المناسب . ونستروح هذا الاحتمال الأكيد من قول الشيخ الابراهيمي نفسه اذ يقول :

« زارني الأخ الاستاذ عبد الحميد ابن باديس ـ وانا بمدينة سطيف اقوم بعمل علمي ـ زيارة مستعجلة في سنة اربع وعشرين ميلادية فيما اذكر ، وأخبرني بموجب الزيارة في اول جلسة وهو انه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم « الاخاء العلمي » يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية ، وتكون **خاصة بعمالتها ، تجمع شمل العلماء والطلبة (*) وتوحد جهودهم ، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير ، وتكون صلة تعارف بينهم ، ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء . وذهب يقص علي من فوائدها ما لم انكره ذوقا واحساسا وان كنت استبعدته عملا وواقعا ، لاعتبارات ذهبت بذهاب وقتها** ، ولم اكاشف الاخ الاستاذ بها خشية أن اثبطه ـ وما التثبيط من شيمتي ـ ولم يزلّ كلامه يقنعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أخي . وتنازعنا الحديث في منافع هده الجمعية .

ثم يقول : وقد عهد الى الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعته في ليلة وقرأته عليه في صباحها ، فاغتبط به أيما اغتباط ...

ويضيف الابراهيمي : ولما وصل ابن باديس الى قسنطينة وعرض الفكرة على الجماعة الذين يجب تكوين المجلس منهم أيدوا الفكرة وأقروا القانون ، بعد تعديل قليل ، ثم حدثت حوادث عطلت المشروع وأخبرني الأستاذ باديس بذلك فلم أستغرب . (15)

والظاهر أن من جملة أسباب تأخير انشاء الجمعية هو ظهور دعوة متطرفة في الاصلاح تهاجم العلماء التقليديين ورؤساء الزوايا والطرق الصوفية بحيث توصل أصحاب تلك الدعوة الى تكفير هؤلاء ووصفهم بالردة عن الدين الاسلامي ، ولم يكن هذا الموقف من قناعات ابن باديس .

(*) كان اطلاق «الطلبة» عرفيا ، لا يصدق الا على المعلمين الصغار أو الذين لم يستكملوا ـ بصفة عامة ـ التعليم الذي يحصلون به على صفة «عالم» . أو يطلق على حفاظ القرآن العظيم . اما الطالب بالمعنى اللغوي المعهود فكان يعرف في عرفنا بالجزار بالتلميذ فقط .

15 ـ سجل مؤتمر جمعية العلماء ، ص 46-47 .

وقد تزعم هذه الدعوة الاصلاحية المتطرفة ــ أولا ــ الشيخ الطيب العقبي الذي رجع بدوره من الحجاز عام 1920 بعد ما مكث به متعلما ومعلما ودارسا ومدرسا ، وصحافيا أيضا ، الى أن رجع الى وطنه الأصلي سنة 1920 بعدما استقر بالحجاز مدة 24 سنة ، اذ قد هاجر به أبوه وهو طفل لا يتجاوز عمره ست سنوات ، بحيث رجع وقد امتلأت وطابه بالدعوة الوهابية ، وتأثرت أفكاره ، تأثيرا متطرفا ، بالفكرة الاصلاحية التي دعا اليها ، في اعتدال ، الشيخ جمال الدين الأفغاني ومن بعده الشيخ محمد عبده ورشيد رضا .

لقد كان الشيخ العقبي شديدا في دعوته الى الاصلاح الديني ، على خلاف قسيميه في الدعوة ابن باديس والابراهيمي ، فبينما كان هذان يراعيان الظروف والملابسات ، ويقدران كتلة العلماء الذين عاشوا في الوطن ، وكانوا ــ برغم تأثر البعض منهم بفكرة الاصلاح ــ لا يزالون معتدلين أو محافظين ، كان العقبي على خلاف ذلك ، فقد بدأ منذ اللحظة الأولى بهجوماته الصحفية والشفاهية في دروسه ومحاضراته ، وانتهى به الحال الى قصيدته المشهورة التي نشرها بجريدة « المنتقد » بعنوان : « الى الدين الخالص » ، والتي يعرض فيها بالعلماء السنيين والطرقيين ، فيقول :

لا انادي صاحب القبر اغث انت قطب انت غوث وسناد
قائما او قاعدا ادعو به ان ذا عندي شرك وارتداد

ويقول :

والذي مات هو المحتاج لي هكذا اقضي ولا اخشى انتقاد (16)

ولكي ندرك ما بين ابن باديس والابراهيمي من جهة ، وبين العقبي من تباين يحسن أن نتعرف على فكرة كل واحد منهم ، وعلى أسلوبه في نشر الاصلاح الديني والتربية الاسلامية . واذا كنا تعرفنا على فكرة

16 ـ لقد رد عليه الشيخ عاشور بقصيدة طويلة ، كما كتب قصيدة في الرد على فكرة الاصلاح المبدوية بلغت ألف بيت وسماها « العصا الموسوية في الرد على الطائفة المبدوية .
انظر القصيدة كاملة في كتاب الشرك ومظاهره للميلي ، ص 284ـ298 .

الشيخ باديس فى حبه للعمل الهادىء المنظم الهادف دون اثارة نعرات ، فلنتعرف على فكرة الابراهيمي فى أول أمره من خلال تصريحاته ملخصة فيما يلي :

« ان فكرة انشاء جمعية الاخاء العلمي قد طرأت عليها ظروف جديدة ... زيادة على أنه يوجد فى الجزائر نوعان من العلماء : نوع من المثقفين الواعين وهم العلماء الذين يحملون أفكارا جديدة فى الاصلاح الديني ، ونوع من المتعلمين فى الزوايا والمساجد فى الجزائر ، وهم يحملون فكرة دينية محافظة ، وكان من الممكن للعلماء المصلحين تأسيس جمعية للاصلاح الديني ولكنهم لا يريدون عزل زملائهم المحافظين ، ذلك لأنهم كانوا مقتنعين أن أية منظمة لا تكون ناجحة الا اذا ضمت المحافظين » . (17)

ويثبت الابراهيمي أنه كان لدى العلماء اتجاهان فى تناولهم للاصلاح:

الاتجاه الأول : هو التفرغ للتعليم ، وخلق جيل جديد مزود بمؤهلات عالية لمقابلة تحدي خصوم الاصلاح ، وهذا هو اتجاه الابراهيمي وابن باديس .

الاتجاه الثاني : هو الذي يفضل المجابهة للوضع حاليا دون خوف أو رأفة ، وهو اتجاه العقبي على الصحيح ، وليس اتجاه ابن باديس كما كتب سعد الله . ودليلي ــ زيادة على ما تقدم ــ هو المشاهدة وعيش تلك الظروف شخصيا .

ونستخلص أيضا هذا الموقف المسالم لابن باديس من تعليق للشيخ العقبي فى جريدة الاصلاح على مقال للعمودي محمد الأمين يدعو فيه الى بحث قضية « التجنيس » التي صارت ، فى نظره ، الملجأ الوحيد لنيل الحقوق الفرنسية ، ويستنهض همم العلماء الى انارة الطريق ، فيعلق الشيخ العقبي قائلا :

---

17 ــ سجل مؤتمر جمعية العلماء الخامس ، ص 43 .

« ••• ورجاؤنا الى حضرات العلماء (المستقلين المستدلين) عموما أن لا يهملوا الكتابة فى هذا الموضوع ، عسى أن تتحد الآراء وتتفق الكلمة فى مسألة دينية اجتماعية لها فى تحسين حالتنا الحــاضرة ، أو الرجوع بنا الى الوراء ، أهميتها الكبرى •واننا لنستحث على الخصوص ونستفز كلا من الأساتذة الشيخ « البشير الابراهيمي » القابع في كسر بيته لحد الآن ••• الراضي من الغنيمة بالاياب ، والمكتفي من مشاركة المصلحين فى حركتهم بالعتاب •

والشيخ مبارك الميلي ، وعلامتنا الشيخ « عبد الحميد بن باديس » • ثم يضيف العقبي : ثم أنا ان شاء الله ، بعد كتابة الــكتاب وجواب هؤلاء العلماء الذين أملنا فيهم ورجونا منهم الجواب (على الخصوص) لما تعهدنا فيهم من الكفاءة والمقدرة ، نبدي رأينا وكلمتنا الأخيرة ، والله الموفق للصواب » • (18)

وقد نستخلص من هذا التعليق أيضــا أن العقبي كان ميالا لفكرة العمودي فى التساهل فى التجنيس الجماعي بالجنسية الفرنسية ، وأن جريدة الاصلاح كانت من أول المؤيدين على الأقل فى بحث الفكرة ، يقول الأستاذ أحمد توفيــق المدني : « كانت دعــاية فاجرة ــ دعاية التجنيس ــ انتشرت فى القوم ، ولم ينصاعوا لها اطلاقا انتشار النار فى الهشيم • والذي زاد الطين بلة ، والجرح عمقا : هو أن جريدة الاصلاح التي كان ينشرها فى مدينة بسكرة الشيخ الطيب العقبي ، قد تحمست لتلك الفكرة وأخذت تروج لها ، ويكتب فيها الأستاذ الأمين العمودي المقالات المطولة التي تحبذ ذلك الطريق المعوج » ••• (19)

هذا وان أول حرب أعلنها العقبي صريحة على الطرقيين والمحافظين قصيدته « الى الدين الخالص » التي سبقت الاشارة اليها والتي نشرها الشيخ مبارك الميلي سنة 1937 فى كتابه « الشرك ومظاهره » وقرضها بما يلي :

---

18 ـ الاصلاح ، ع6ـ 24ـ10ـ1929 •

19 ـ حياة كفاح ، توفيق المدني ، ج2 ، ص 159 •

« ... ولكن « أتى الوادي فطم على القرى » اذ حمل العدد الثامن ــ من جريدة المنتقد ــ في نحره المشرق قصيد « الى الدين الخالص » للأخ فى الله داعية الاصلاح وخطيب المصلحين الشيخ الطيب العقبي أمد الله فى أنفاسه ، فكانت تلك القصيدة أول معول مؤثر فى هيكل المقدسات الطرقية . ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجرأة ، ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية ، الا من عرف العصر الذي نشرت فيه وحالته فى الجمود والتقديس لكل خرافة ...» (20)

وجاءت جريدة الاصلاح التي أصدرها العقبي سنــة 1927 (21) وظهرت دروسه ومحاضراته الصريحــة الشديدة فى محــاربة الطرقيين والعلماء المحافظين ، الأمر الذي أثار ضجة كبرى من لدن هؤلاء ضده وضد حركة الاصلاح بأسرها ودعوها «بالوهابية» .

ولا ننسى أيضا تلك الضجة الكبرى التي أثارها صدور رسالة « الى الدين الخالص» التي كتبها الشيخ محمد بن بكير الأباضي تأييدا للعقبي، وقرضها الشيخ باديس ثم تنصل منها معتذرا لمنتقــديه بحسن ظنه فى المؤلف ، فقرضها قبل أن يستكمل قراءتها ، وكانت الرسالة تحمل أيضا هجومات وقحة ضد أصحاب المذاهب السنية الأربعة (22) .

---

20 ــ كتاب الشرك ومظاهره للميلي ، ص 204 .

21 ــ اثبت الاستاذ علي مرحوم ان جريدة الاصلاح الاولى صدرت ببسكرة بتاريخ 12 ربيع الاول 8ـ9ـ1927 م / 1346 هـ وليست جريدة الحق كما ذكر د . عمار طالبي فى كتاب آثار ابن باديس .

22 ــ محمد بن بكير تاجر ، كان مدير جريدة الصديق التي كان رئيس تحريرها الشيخ المولود الزريبي .

العلمـــاء على كتلتـــين

وهنا بدأت تتبلور شيئا فشيئا دعوتان وتبلورت معهما كتلتان :

الدعوة الأولى : دعوة الاصلاح الديني ، وتتمثل فى محاربة البدع والخرافات ، وفى التنكيب عن المذاهب الفقهية القـديمة بالدعوة الى الرجوع للكتاب والسنة الصحيحة • وقد انحاز لهذه الدعوة من عرف بعد بالعلماء المصلحين ، ومنهم الشيخ باديس باعتـدال — نوعيا — ومنهم الابراهيمي والعقبي ومبارك الميلي والعـربي التبسي ومحمـد خير الدين وأبو اليقظان ابراهيم ، والسعيد الصالحي ، وعبد اللطيف سلطاني ، ومحمد الصالح ابن عتيق • ثم عباس ابن الشيخ الحسين بعد تخليه عن حزب الشعب ، ومحمد السعيد الزاهـري فى أول أمره ، وفرحات ابن الدراجي ومحمد العيد آل خليفة ••• وغيرهم •

والدعوة الثانية : هي دعوة المحافظة على السنة والجماعة ، وتتمثل فى المحافظين والطرقيين ، وعلى رأسهم الشيخ المولـود بن الصديق الحافظي الأزهري والشيخ مصطفى القاسمي ، والمشائخ محمود كحول وأحمد الحبيباتني ، وعمار بن أحمد العطوي (مهري) والمـولد بن الموهوب ، وحسن الطرابلسي ، وعلي البوديلمي ، وعبد الحفيظ بن الهاشمي ، والطيب المهاجي ومحمد العاصمي ، وحسن أبو الحبال ، وغيرهم ، زيادة على رؤساء الزوايا والطرق الصوفية وأتباعهم •

وهكذا بدأت المشادات تظهر شيئا فشيئا بين أفراد الفئتين فى بعض المسائل الخلافية بين فقهاء الاسلام ، كقراءة القرآن على الأموات ، والوسيلة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالأولياء ، وزيارة القبـور ، بالاضافة الى استنكار المصلحين للبدع والخرافات التي كانت تقع فى

زيارات قبور الأولياء وفي الاطعامات الخيرية « الزرد » التي كان يقيمها أتباع الطرق الصوفية ، بما يظهر فيها من تجمعات محرمة ورقص وشعوذة ... الخ .

وقد تتفق الطائفتان في استنكار بعض هذه الأشياء ولكنهما تختلفان في الحكم ، فبينما نرى المحافظين وحتى بعض المصلحين المعتدلين يحكمون على فاعليها بارتكاب محرم أو مكروه ، نرى بعض المصلحين يحكمون على مرتكبيها بالشرك ويغلظون القول . ومن المصلحين المعتدلين الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان دائما معتدلا في مواقفه وفي أحكامه ، وقد اصطدم بسبب مواقفه المعتدلة الموفقة بتشنجات واتهامات سيما من الشيخ العقبي ، ولكنه لم يكترث لذلك ومضى في اختياره الذي رآه عين الحق . وقد كتب في مجالس التذكير عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم « انما الأعمال بالنيات » ملخصا ، ومنبها محذرا ما يلي :

الأعمال اما طاعات لأنها مأمور بها وجوبا أو استحبابا ، واما مخالفات لأنها منهي عنها تحريما أو كراهة ، واما مباحات لأنها غير مأمور بها ولا منهي عنها . فالمخالفات بقسميها لا تقلبها النيات طاعات لأنها في نفسها غير عمل صالح ، ولأننا علمنا بالنهي عنها أن قصد الشارع هو تركها وعدم وجودها ، فقصد المكلف مضاد لقصد الشارع ، فكان ساقطا لا عبرة به ولا أهلية له لقلب الوضع الشرعي .

والطاعات بقسميها هي التي تؤثر فيها النية بالقبول والرد بحسب قصد الله بها وقصد غيره . أو بتفاوت درجات القبول بحسب القصود على ما تقدم وهي المقصودة بالقصد الأولي من الحديث .

والمباحات مثلها تؤثر فيها النيات فتقلبها طاعة أو معصية ، لأن الشرع لما أباحها علمنا أنه لا قصد له لا في وجودها ولا في عدمها من حيث ذاتها فكان لقصد المكلف حينئذ سبيل الى التأثير فيها .

وقد غفل عن هذه الحقيقة أقوام ــ عفا الله عنهم ــ فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله صلى الله عليه وسلم « انما الأعمال بالنيات ، وانما

لكل امرىء ما نوى » قاصدين الى تبريرها غير ملتفتين الى كونها من قسم الطاعات أو المخالفات أو المباحات • وكثيرا ما يرتكبون البدع ، كدعاء المخلوقات ، وكالحج الى الأضرحة ، وايقاد الشموع عليها والنذر لها ، وكالرقص وضرب الدف فى بيوت الله ، وغير هذا من أنواع البدع والمنكرات • ويتوكأون فى ذلك كله على « انما الأعمال بالنيات » • كلا ••• ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، فان البدع كلها من قسم المخالفات ، وان المخالفات لا تنقلب طاعات بالنيات •

فحذار أيها الاخوان فى الله من هذا الجهل الذي أدى الى تحريف الكلم عن مواضعه والى المداومة على المنكر والفرح به » • (1)

وهكذا تدرج الخلاف الى السباب والشتم ، فالتقاطع وأنشئت لذلك صحافة عند الطرفين ، أو استعملت الصحافة الموجودة اذ ذاك كالمنتقد ، والشهاب ، والاصلاح ، والنجاح ، والبلاغ ، ووادي ميزاب •••

وبتدخل كثير من الكتاب فى هذا المجال . حتى الذين ليس لهم استعداد علمي كاف ، آل الأمر الى مهاترات وسخافات لأقل مظهر من المظاهر الدينية ، كرفع اليدين عند الدعاء ، وكالجهر أو الاجتماع لقراءة القرآن أو للدعاء ، وكالكرامة للولي ، والولاية نفسها ، والرقية للمريض ، والعزائم ••• الخ •

واحتدم الخلاف على الصيام والافطار فى رمضان ، فالمصلحون لا يصومون أو يفطرون برؤية المحافظين للهلال ، والمحافظون لا يثقون فى الصيام أو الافطار برؤية المصلحين ••• وما الى ذلك من النزاعات الشخصية والطائفية ، الأمر الذي أدى الى تشتت كبير • (2)

---

1 ـ الشهاب ،ج1ـم7 ، ص 10ـ11٠

2 ـ يقال ان لكل شيئا جانبا من الخير وجانبا من الشر (نسبيا) فان هذه الحملة الخلافية كان ، فى رأيي ، من حسناتها حدوث نوع بقظة نحو اللغة العربية والأدب العربي ، وتحرك أقلام كانت جامدة ، وبداية وعي من نوع جديد نحو التعليم والتعلم ، وظهور تصور خاص فى البحث عن التراث الاسلامى والعقيدة الاسلامية .

وقد أشفق من هذا التشتت بعض العقلاء الذين كانوا ينتظرون من العلماء عملا آخر يوحد كلمة الأمة ويوجهها الى منبع الخطر الحقيقي وهو الاستعمار ، والجهل ، والفقر • وكان على رأس هؤلاء العقلاء طيب الذكر المرحوم عمر اسماعيل أو « عمر أبو حفص » كما لقبه الشيخ باديس • وأسمته بعد ذلك ، عندما احتدم الخلاف ، جريدة الجحيم « عميره القرطاس » •

وعمر اسماعيل هذا كان أحد تجار عاصمة الجزائر الكبار ، ومن الذين يتقدون غيرة وحماسا لنصرة الاسلام فى هذا الوطن ، وهذا ما حمله ــ أمام الوضع المتدهور ــ على أن يقوم بواجب المبادرة الخيرية فاجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس وطلب منه أن يدعو فى مجلة الشهاب لتأسيس جمعية للعلماء ، على أن يلتزم هو بجائزة مقدارها ألف فرنك (نحو خمسة آلاف دينار جزائري اليوم عام 1979) لمن يتوفق الى انشاء هذه الجمعية ، وألف فرنك أخرى تدفع لصندوق الجمعية افتتاحا للاكتتاب لها ، زيادة على اشتراك شهري •

لكن على شرط أن يشارك فى الجمعية جميع علماء الجزائر لا فرق بين مصلحين ومحافظين وطرقيين ، وأن لا تخوض الجمعية فى المسائل الدينية الخلافية التي أثارت فتنة بين العلماء وبالتالي شتتت شمل الأمة ، وأن تعمل ــ فحسب ــ على نشر العلم والمعرفة ، وتوحيد الكلمة •••

ونشر الشيخ باديس النداء بمجلة الشهاب تنفيذا لرغبة عمر اسماعيل التي نزلت على رغبته الملحة ، وجاء فى النداء ما يلي : (3)

هل من حازم يوفق لتاسيس جمعيه العلماء ؟
فينال جائزة مالية مع تخليد ذكره

اننا كثيرا ما وقفنا أمام هذه المسألة موقفا يبعث على الاعتقاد بأن المسؤولين من العلماء وذوي الكلمة المسموعة عن أحوال البلاد الدينية

3 ــ ش ج ا ــ م7 ــ غرة رمضان 1349 موافق 5 فبراير 1931 •

والاجتماعية بالخصوص ينتبهون ويتوسلون بكل وسيلة الى جعل حد للخطر الداهم ، بل طالما ذهبنا الى مدى أبعد ، اذ عملنا على اقناع النفس بأنهم ، ان لم يعملوا من ناحيتهم على طمر الهوة التي تفصل بيننا وبين ما ضينا الزاهر ، أو حاضرهم السعيد ، فعلى الأقل أن يعملوا ويواصلوا السعي لكيلا يدعوا تلك الهوة واسعة سحيقة ، وأن ينسجوا على منوال المسؤولين فى الأمم المتحضرة فى تأسيس الجمعيات بمثل السهولة والهدوء اللذين يجدهما هؤلاء المسؤولون فى أوساطهم الحية ، وأن يبثوا روح النشاط فى أرباب الثراء لتعزيز المشاريع المفيدة ، وتأييد مؤسسيها ، وأن يعمل أولئك المثرين بعد من ناحيتهم على تنشيط العلماء ولو بطرق الاستهواء والاغراء المادية • (4)

ولكثرة ما ضربنا على هذا الوتر الحساس ، عل بلادنا تتأثر بذلك تأثر كثير من الشعوب به ، التي كانت تغط غطيط من أخذ النوم بمعاقد أجفانه ، فأصبحت بعد ذلك التأثر ما بين غمضة عين وافتتاحها من أعز الأمم وأقواها ، بل لعل علماءنا المفكرين على الأقل يتأثرون بذلك ، حيث أنه لا محيد لهم ، سيما في هذا العصر ، من التأثر وحكاية الصدى ، فيخلقون لبلادهم وهيئتهم العلمية وسطا خصيبا ، وفرصة ملائمة ، اذ ليس هنالك ما هو أجمل في نظر البحثة الاجتماعيين من وسط يكونه ويكيفه زعيم ، ومن فرصة يخلقها مفكر •

واذا أهبنا بعلمائنا المفكرين وأثريائنا الشاعرين بعظم المسؤولية بتلك الصورة ، فلأننا نعلم أننا ما أحلناهم الا على معلوم لهم ، بل ما أتيناهم بجديد ، وانما قصارى الأمر أنهم لم يتعودوا بطريقة عملية السير على المناهج التي سار عليها الناهضون فى بداية الشعور الذي أخذ ينبث فى نفوسهم • ويكفي في التدليل على هذا أننا ما باحثنا عالما مفكرا

4 ـ هكذا نرى ان أية حركة وطنية فى البلاد كانت تعتمد على أصحاب الثراء ، سواء منها الحركة الدينية والعلمية أو السياسية ، لأن المال قوام الأعمال ، وحتى ثورة فاتح نوفمبر 1954 التحريرية ، فلولا الثروة القليلة التي كانت بين أيدي بعض الجزائريين لعجز الثوار ولبثت الجزائر وقتا أطول تحت ظلام الاستعمار . ومن العجيب ان ترى السياسة المغرضة ـ اليوم ـ تقلب ، بعد التحرير ـ الوضعية ، وتجعل أغنياء الجزائر الذين كانوا عصب ثورة التحرير ومعينها القريب الذي لا ينضب ، تجعلهم فى صف المستعمرين المحتلين ..!..

في هذا الصدد لنقف على فكره ورأيه الا وأبدى من موجبات لم العلماء شعثهم في هذا الظرف بالأحرى ، وأدلى بآرائه وأفكاره المحبوكة ما بجعلنا أسارى تعليماته ودلائله التي لا تدحض بحال • ومثل هذا الأثر هو ما يتلمسه مستطلع آراء الأفراد أرباب التفكير كلما انفرد بأحدهم،لكن هذا الأثر لا يلفيه من أراد تلمسه في مجموعهم، ومتى ظن أن الفرصة قد أتاحت لاتصال الأفراد بعضهم ببعض ، وتوحيد جهودهم في سبيل العمل الاجتماعي المثمر •••!

وهذه القوة التي نجدها في الفرد ولا نجدها في المجموع هي التي تذكرنا دائما بكلمة خالدة قالها شاعر النيل حافظ ابراهيم : « لم أر كالشرقيين رجالا تكمن القوة في أفرادهم ويظهر الضعف في مجموعهم » •

ويا ليت الأفراد خرجوا من هذا التفكير المردي ، وربطوا حبل الاتصال بين بعضهم البعض ، فنفعوا وانتفعوا وسبقوا الأمة فقالوا لها ــ ان أبت الا انتكب عن نصحهم وتأييدهم ــ ما قاله الامام الأستاذ محمد عبده : « يا ويح الرجل الذي ليس له أمة » قبل أن تقول لهم الأمة : يا ويح الأمة التي ليس لها رجل •

أجل ، وان كان هذا التفكير الفردي ، أو العمل الصامت هو ما يتطلبه الظرف الحالي لكثرة المتألبين على العاملين ، فاننا نريد أن نزيح عن العقول الأسباب التي دعت الأفراد الى ذلك النوع من التفكير أو العمل ، وذلك باقناع كل فرد من العلماء والمفكرين بأنه لم يعد ذلك الضعيف الوديع المهين بعد تدعيمه بطائفة من العلماء والمفكرين ونفوذهم القوي ، ووحدتهم المتراصة التي لا تغالب • (5)

ان الحوافز الى جمع العلماء شتيتهم كثيرة ، وأن الوقت قد حان للوئام لمصلحة عامة وخاصة ، وأن الواجب الآن تأكد للمبادرة لسد

---

5 ـ لا شك ان الشيخ يقصد بهذه الاشارة الى تعزيز جانب العلماء والمفكرين ف الوطن ، برجوع جماعة منهم من الهجرة ، فهم لهم (أي للعلماء والمفكرين) قوة ودعامة أمام صلابة الاستعمار وتثبيط المثبطين .

الثغرات التي أحدثها في صفوفهم التشتت الذي لا يضم أشواكه غيرهم وغير بلادهم ، والذي ينميه الآخرون لاستثماره » •

وبعد أن يشير الشيخ باديس الى ما توفر من حرية في مثل هذه الأعمال الدينية والاجتماعية ، والى عدم استغلال هذه الحرية بسبب تقاعس العلماء يقول :

« ان العلماء هم قادة الأمة ومبعث هداها ، ومصـــدر سعادتها ، وموضع احترامها وعزتها وشرفها • وأنهم لكذلك متى عرفوا تكييف تلك القوة وطرق استغلالها • لكن سرعان ما ينقلبون وبالا على الأمة وعلى أنفسهم ، وهدفا للسهام التي يرسلها ، مسمومة ، كل من تصدى للنقد ، ومضغة في أفواه العموم متى تنكبوا عن الصراط السوى •••»

الى أن يقول : وما عليهم ان شاءوا استرجاع ما أضاعوا من الوحدة التي خولها الاسلام اياهم ، الا أن يجمعوا شملهم تحت اسم « جمعية العلماء » وأن يعلنوا برنامجهم الاصلاحي الديني ، وأن يراعوا قبـــل كل شيء ذلك البيت الخالد الذي قاله شاعر كبير :

وحيث كنا معا نرمي الى غرض   فحبذا فاضــل منــا ومفضــول

وبعد أن يطالب بنبذ الأنانية وحب الرئاسة ، يقول :

وأن يستمدوا برنامج المؤسسة من التعاليم الدينية الصحيحة ، وأن تعلن به الجرائد المحلية طبق ما أعلنت به الجمعية بجلاء ووضوح ، لأن العارفين الذين يعتقدون أن الوحدة الاســلامية محت كـــل الحواجز الجنسية وما اليها ، لا يقبلون تعمية كل وضوح وابهام كل جلاء •••

وبعد أن يشير الى عدم رضاه على ما فعلته جمعيتان أسستا اذ ذاك من ابهام واخفاء للمقصد السيىء ، ينتهي الى موضوع النداء مباشرة فيقول :

« والداعي الى اعادة بحث هذا الموضوع الهام ، أن أحد الفضلاء المتازين المولعين باستطلاع أحوال الأمم الناهضة والمتدلية ، اقترح علينا ذلك ، والتزم بدفع ألف فرنك (1000) كجائزة لمن يوفق من العلماء

لتأسيس جمعية تحت اسم « جمعية العلماء » وبوضع ألف فرنك (1000) أخرى في كيس الجمعية مجرد الاعلان بها والفراغ من تنقيح قانونها الأساسي » ، وقد أقدم على ذلك بعد محادثة بيننا وبينه ، صادفنا فيها ما كمن بين جوانحه من الهوى المبرح لأمته ، وقد سألنا في خلالها هذا السؤال : ما هي أسباب تأخرنا ؟ فكأنما بث بسؤاله هذا في فكرنا روحا جديدة فقلنا له :

« اننا بصفتنا أمة في بداية حبوها ، بحثنا كما بحث كل من يهمه أمر البلاد في أسباب تأخرنا فأسفرت جميع البحوث عن نتيجة صحيحة ، ألا وهي : أن من أقوى الأسباب تقاعس العلماء عن أداء الواجب نحو أنفسهم وأمتهم » .

وبعد ان يشرح الواجب نحو انفسهم والواجب نحو امتهم يقول : « وانكم لا ترتابون بانهم قد اخلوا بالواجبين معا . **فحينئذ ففوضى العموم السائدة تابعة لفوضى العلماء الذين هم فى نظر العقلاء بمنزلة الراس من الجسد ، والراعي من الرعية . على ان انجع علاج لهذا المرض الفتاك جمع كلمه العلماء المفكرين وتاسيس جمعيه منهم وتحت اشرافهم ، هدفها اسداء النصائح الدينية للعموم بعد تمحيصها واجماعهم عليها ، وتاديب كل من شذ عنهم ممن يمتهن مهنتهم الشريفة .**

ثم يقول الشيخ : وهنا انفتح ما في جبينه من أسارير — يعني عمر اسماعيل — وتجعدات كونها التفكير العميق في أسباب تأخر البلاد ، فاقترح ما اقترح والتزم ما التزم ، طالبا اخفاء اسمه . وافترقنا بعدما أبدى كلانا للآخر شكره على ما أسدى وأجدى . (*)

ويختم : ومع ذلك كله ، لا نتكهن اذا قلنا أننا نضمن لعلمائنا النجاح والفلاح في مهمتهم المفروض عليهم القيام بها ، وقصدنا وقصد الملتزم

(*) — ان حكاية ابن باديس هذه تخالف تخالفا بينا ما ادعاه توفيق المدني فى « حياة وكفاح » ، لفكرة تأسيس جمعية العلماء بحثت اولا بين ابن باديس وعمر اسماعيل ، بقطع النظر من بحثها الاول مع الابراهيمي عام 1924 ، وليست بين الاربعة : توفيق ، العاصمي ، وعبابسه ، وعمر اسماعيل كما يقول توفيق المدني . اللهم الا اذا قصد بقوله : « وجاء دور التفكير فى انشاء مثل هذه الحركة واخراجها من طور الفكر الى طور التنفيذ ، دورا ثانويا بعد الدور الاول الذي لم يحضره توفيق او قصد دورا تحضيريا فقط . وهذا ما رجع اليه فى رده على المنتقدين . وكان عليه ان لا يترك الغموض حتى لا يقع فيما وقع فيه من تلك الزوبعة الشوهاء لشخصه المحترم .

بدفع الجائزة بث روح التشجيع في نفوس العنماء ، أو تحديهم ، ان أبوا الا تأويل مثل هذه التنشيطات •

« الى العمل أيها العلماء المتنورون فها هي أمتكم تنشد معونتكم ونعرتكم الدينبة ؛ والى اللقاء أيها الموفق الى تأسيس الجمعية المنشودة، فى ادارة الجمعية نفسها بحول الله » ا هـ •

انه لاقتراح مخلص عظيم ! عظيم في مقصده ، عظيم في عرضه ، عظيم عظم نفس صاحبه الذي اندفع في تلك الظروف الحالكة يقدم من نفسه ومن ماله ، وانه لاقتراح منتصر بحكمته البعيدة المدى ، ثم وفق صاحبه الى وضعه تحت رعاية موفقة حكيمة ، فاستصدرته هذه الرعاية مصهورا بهذا النداء التاريخي الهادف ، مشفوعا بأسلوب كان يحمل فى ثناياه ايجابيات الاقتراح وفوائده بكل أبعادها المرجوة ، ان كان التوفيق حليفا ، كما ينوء تحذيرا من سلبيات العمل بكل سيئاتها اذا كان الفشل عريفا •

فالحكمة كانت تقتضي عند باديس ، في تلك الظروف المتنافرة المتشككة ، أن يركز على الرصانة العلمية دون النزوات العاطفية ، فهو يوجه نصيحته للجميع من العلماء وذوي الكلمة المسموعة دون عصبية لفئة ولو كانت من القرب منه بمكان : « لينتبهوا ويتوسلوا بكل وسيلة الى جعل حد للخطر الداهم » •

ولا خطر أضر على الأمم من خطر النزاع والانقسام • وهو يوجه نصيحته للجميع طرقيين ومحافظين ومصلحين ومسؤولين :

« بأنهم ان لم يعملوا من ناحيتهم على طمر الهوة التي بيننا وبين ماضينا الزاهر ، فعلى الأقل أن يعملوا ويواصلوا السعي لكيلا يدعوا تلك الهوة واسعة سحيقة » •

والحكمة عند باديس تقتضي أن يعترف بالحقائق لأصحابها ولكنه يعرض حلولا لمستعصياتها بكل منطقية ، فهو يقول : أجل ، ان كان

هذا التفكير الفردي أو العمل الصامت هو ما يتطلبه الظرف الحالي ــ ولا شك أنه يعني ظرف الضيق الاستعماري ، قبل ظرف التنافر ــ لكثرة المتألبين على العاملين ، فاننا نريد أن نزيح عن العقول الأسباب التي دعت الأفراد الى ذلك النوع من التفكير أو العمل ... »

والحكمة عند باديس تقتضي أن لا يهاجم الدولة الحاكمة ، وانما يجرها جرا باظهار ايجابياتها دون سلبياتها حتى يأمن شر التعرض .

فهو يشيد بحرية الاجتماع والتفكير ، والتي كانت في الواقع بالنسبة لأهالي الجزائر محدودة جدا ، فيجعل عدم استغلال هذا القدر من الحرية انما ترجع مسؤوليته على العلماء فيقول :

« ان حرية الاجتماع والتفكير فيما يخص الاصلاح الاجتماعي الذي يتفق وتعاليم الاسلام الصحيحة وما الى ذلك لمن أجل الفوائد ، لكن تقاعس المسؤولين ــ العلماء وذوي الكلمة المسموعة لدى الشعب ــ أضاعها كلها ... »

والحكمة تقتضي عند باديس أن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فهو ، لما علم أن الخلاف الذي نشأ بين المصلحين والمحافظين انما منشؤه حب الرئاسة الزائفة والأنانية الشوهاء ، فيعظ اخوانه ويقول :

« ان العلماء هم قادة الأمة ومبعث هداها ومصدر سعادتها ... وموضع احترامها ... وما عليهم الا أن يجمعوا شملهم .. الخ ثم يضيف : ... وأن ينسجوا ــ اذا شاءوا أن يبرهنوا على أنهم بمعزل عن الأنانية وحب الرئاسة الزائفة ... على المنوال الذي نسجت عليه جمعية أساتذة الكتاتيب الفرنسية ... »

والحكمة عند باديس أن لا يندد فى الصحف السيارة بالعلماء بكلمات تحط من قيمتهم لدى العامة ، فهو ينتقدهم باعتدال ، ويوبخهم في رفق فيقول :

« ففوضى العموم السائدة ـ يقصد تلك الفترة التي سادت فيها كلمة السوء واتتشر فيها الجدال السخيف ، حتى من أكبر العلماء ، من أجل الخلافات ـ تابعة لفوضى العلماء الذين هم في نظر العقلاء بمنزلة الرأس من الجسد والراعي من الرعية » •

وأخيرا فالحكمة عند باديس هي أن لا يسارع بمصادمة الأفكار دون ترويضها تدريجيا ، فهو يملي شروط المقترح لانشاء الجمعية دون أن يثير عليها رد فعل ، بل هو يعرضها في قالب نصيحة بريئة ونظام سديد ، اذ يقول في أهداف الجمعية :

« هدفها اسداء النصائح الدينية للعموم بعد تمحيصها واجماعهم عليها وتأديب كل من شذ عنهم ممن يمتهن مهنتهم الشريفة » •

وهكذا ، فلم يمض أقل من ثلاثة شهور على نداء الرجل الخير حتى تراجعت الأفكار الجامحة ، واستجابت النفوس المؤمنة بربها وبوطنها لنداء الحق ، وخشعت القلوب للدعوة المخلصة ، فاجتمع علماء الوطن الجزائري على اختلاف منازعهم ومكاناتهم العلمية والاجتماعية « بنادي الترقي » في العاصمة الجزائرية (6) وأسسوا « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » وعينوا الشيخ عبد الحميد بن باديس على رأسها في غيبته باجماع الحاضرين وذلك بتاريخ السابع عشر من ذي الحجة عام 1349هـ موافق الخامس ماي ـ ايار ـ 1931 م (7) •

العوامل التي مكنت لظهور جمعية العلماء

يجمل الدكتور سعد الله أبو القاسم العوامل التي مكنت لظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى النقاط الآتية ، على ما فيها من غير المسلم ، وهي :

6 ـ أسس «نادي الترقي» بعاصمة الجزائر بواسطة جماعة من أغنياء مدينة الجزائر وجعلوا على رأسه الشيخ الطيب العقبي وكان ذلك سنة 1926 .

7 ـ الشهاب ، ج 5ـم7 .

1 ـ كان للعلماء تصوراتهم الخاصة عن بداية وتطور الحركة الاصلاحية فى الجزائر ، (8) فهم يرون أن الشكل الحديث للحركة الاصلاحية في الجزائر قد ولد بعد الحرب العالمية الأولى ، ويضيف : وقد كانت هناك عوامل كثيرة ساهمت في هذا التطور :

أ و لا ـ كان هناك تأثير الشيخ عبده والقوميه الاسلامية الاصلاحية •

ثانيا ـ تأثير « مجلة المنار » وكتب المصلحين الدينيين مثل ابن تيمية وابن القيم والشوكاني ، « وهؤلاء كلهم محل اعجاب الوهابيين أيضا » •

ثالثا ـ « الثورة التعليمية » التي قام بها ابن باديس بعد عودته من الخارج •

رابعا ـ الوقع النفسي للحرب على الجماهير الجزائرية ، الذي أدى الى تدهور الاعتقادات الخرافية ، بالاضافة الى تدهور بعض المبادىء « المقدسة » في أعين هذه الجماهير •

خامسا ـ عودة بعض أبناء الجزائر « المخلصين المؤمنين من الحجاز » منبت الاسلام ومركز النهضة الاصلاحية بعد أن تعلموا فكرة الاصلاح الناضجة • (9)

وأزيد ظهور الحركات السياسية في قلب الوطن بعد الحرب ـ وفي ظني أن هذا هو الدافع الأقوى ـ ومنها ما كان يتقيد بالاسلام والشخصية الوطنية ، كحركة الأمير خالد ، وكحركة العلماء المحافظين ، وأخيرا حركة « نجم الشمال الافريقي » ، ومنها ما لم يتقيد بالدين الاسلامي (الى حد ما ••) ولا بالشخصية الوطنية ، كحركة المثقفين باللغة الفرنسية المعبر عنهم « النخبة » لدى الكتاب الأجانب ، وعلى رأسهم الدكتور ابن تامي وجماعة من العاصمة ، ثم حركة النواب المسلمين الجزائريين التي انبثقت عن الحركة الأخيرة وأنشئت كتجمع سياسي سنة 1927 سيتفتت الى ثلاث اتحاديات فيما بعد •

---

8 ـ الظاهر أنه يقصد بالعلماء ، العلماء المصلحين فقط .

9 ـ ح-و-ج- نقلا عن سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء ص 40-42 .

وكل هذه الحركات كانت سياسية وتوجيهية ولكنها أهملت جانب التربية والتعليم ، أو لم تتفرغ له بعد .

ومن البديهي أن لا يبقى العلماء المصلحون ــ وقد رجعوا من الخارج يحملون مؤهلات لا تسمح لهم بالسكوت والبقاء خارج المعركة، فقاموا بحركة كزملائهم في سائر البلاد العربية والاسلامية تتناسب مع وضعيتهم الثقافية والعلمية الدينية ، وهي الحركة الاصلاحية الدينية التي تضطلع بمهمة التربية والتعليم ، ونشر الفكر الاسلامي الصحيح ، طبق النظرة الحديثة العصرية التي لا زالت المؤسسات التقليدية في الكتاتيب والمساجد والزوايا غير مستعدة لتطبيقها اذ ذاك .

يضاف الى كل ما تقدم ذلك النداء التاريخي الذي وجهه الشيخ باديس تجاوبا مع رغبة عمر اسماعيل كما تقدم قريبا ، وبالأحرى انهاءا ــ في نظر المخلصين ، لتلك النزاعات الدينية التي أقضت ظهر الحركة القومية في الجزائر بصفة عامة .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة 1349 هـ الموافق للخامس من شهر ماي (ايار) 1931 م تأسست بمدينة الجزائر وفي المحل الثقافي الاسلامي « نادي الترقي » بساحة العود سابقا » (ساحة الشهداء حاليا) « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » (1) بقصد أن تكون جمعية ارشادية تهذيبية ، ولنشر الرقي والأخوة على أساس الاسلام والعربية ؛ وقد كان على رأس مؤسسيها جماعة من علماء الاصلاح أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والمشائخ : محمد البشير الابراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي ، والعربي التبسي من جهة ، وجماعة من علماء وأعيان المحافظين والطرقيين ومنهم المشائخ : المولود بن الصديق الحافظي الأزهري ، ومولاى ابن الشريف والطيب المهاجي وحسن الطرابلسي وعبد القادر القاسمي .

وقد تأسست ــ كما تقدم ــ على أنقاض دفن الخلافات المذهبية ، والتفرقة الفكرية التي تضر ولا تنفع ، وعلى شرط عدم الخوض في الفروع التي كانت من قديم الزمان محل خلاف بين فقهاء الاسلام ، والتي كانت مثار فتنة بين العلماء في الجزائر ، وانتشرت في أتباعهم ثم آلت الى فتنة بين جماهير أمة هي في حاجة ــ أمام قوة وكيد المستعمرين ــ الى جمع الكلمة والتباعد عن أسباب النزاع والخلاف ، وكان قانونها الأساسي هذا نصه :

---

1 ــ التاريخ مأخوذ من مجلة الشهاب ، عدد محرم 1350 ، ج7ـم7 .

القانون الاساسي لجمعيه العلماء المسلمين الجزائريين (2)

القسم الاول : الجمعية

الفصل الأول : تأسست بمدينة الجزائر جمعية للثقافة العامة تحت اسم « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » مركزها بنادي الترقي 9 ساحة الحكومة (ساحة الشهداء) الجزائر .

الفصل الثاني : ان الجمعية خاضعة لمبادىء قانون فاتح جويلية 1901 م المتعلق بالجمعيات .

الفصل الثالث : ان كل معاطاة للسياسة او اي تدخل فى قضية سياسية ممنوعة منعا باتا فى الجمعية .

القسم الثاني : مقصد الجمعية

الفصل الرابع : ان هذه الجمعيه تهدف الى محاربة كل البلايا الاجتماعية ، مثل الكحول والقمار والكسل والجهل ، وكذا كل ما هو ممنوع بطبيعته دينيا ، او تمجه الاخلاق ، او تمنعه القوانين والقرارات الجارية .

الفصل الخامس : للوصول الى هذه الاهداف فان الجمعية مستعده لان تستعمل جميع الوسائل الصالحة ، والتي لا تتعارض مع القوانين الجارية ، ومن اجل ذلك فان اعضاءها ـ خاصة عندما يرون ذلك مفيدا ـ لهم ان يقيموا جولات عبر الوطن للدعوة .

الفصل السادس : من حق الجمعيه ان تفتح باسمها مراكز ونوادي ومدارس للتعليم الابتدائي ، عبر الوطن .

القسم الثالث : اعضاء الجمعية

الفصل السابع : ان اعضاء الجمعية على ثلاثة انواع :

ا ـ اعضاء شرفيون ، ومبلغ اشتراكهم السنوي (20 فرنكا) .

ب ـ اعضاء عاملون : ومبلغ اشتراكهم السنوي (عشر فرنكات) .

جـ ـ أعضاء مستشارون : ومبلغ اشتراكهم السنوي (خمس فرنكات) .

---

2 ـ القانون الأساسي معرب عن كتاب الحركة الوطنية الجزائرية لكلود كولو وجان روبير هنري ، ص 44-47 . وقد حرر يوم 5 ماي 1931 ووضع بالولاية العامة مع طلب التأسيس يوم 22 ماي 1931 .

الفصل الثامن : ان المجلس الاداري لا يكون الا من الأعضاء العاملين .

الفصل التاسع : لا يشارك فى انتخاب المجلس الاداري كل سنة الا الاعضاء العاملون . ويتالف المجلس الاداري من رئيس ونائبه ، ومن كاتب عام ونائبه ، ومن أمين مال عام ونائبه ، ومن مراقب عام ، ومن احد عشر عضوا مستشارا .

الفصل العاشر : يكون للجمعية لجنة دائمة للعمل (مكتب دائم) بمركزها بالعاصمة وعلى رأسها مدير ، وذلك لمباشرة تسيير قضايا ومصالح الجمعية .

الفصل الحادي عشر : سيكون للجمعية مكاتب عمالية (ولائية) اي ان كل عمالة (ولاية) من العمالات الثلاث يكون لها مكتب على رأسه كاتب لتسييره ، وتكون هذه المكاتب مرتبطة مباشرة مع المكتب الرئيسي بمركز الجمعية .

الفصل الثاني عشر : يعتبر عضوا عاملا كل من يحمل لقب « عالم » ويسكن القطر الجزائري دون تفريق بين الذين تعلموا بمدارس الحكومة بالجزائر وبين الذين تعلموا فى معاهد اسلامية .

الفصل الثالث عشر : الأعضاء المحسنون (الشرفيون) والمستشارون (المساعدون) ويتكونون من غير الذين تحصلوا على الصفة المتقدمة للاعضاء العاملين ، هم الذين يؤيدون هدف الجمعية ويريدون اعانتها بوسائل مالية او اي مساعدة أخرى .

القسم الرابع : مداخل الجمعية ونظامها

الفصول : 14–15–16–17–18–19 لا لزوم لذكرها هنا .

القسم الخامس : المجلس الاداري والاجتماع العام

الفصل العشرون : على المجلس الاداري ان يجتمع كلما راى ذلك لازما ، كل محاضر جلساته يجب ان تدون بسجل خاص ، وكذا كل قرار يصدره . وكل قرار لا يدون فى السجل الخاص يعتبر لاغيا . ويجب ان يوقع على المحضر رئيس الجلسة وكاتبها .

الفصل الحادي والعشرون : على الاعضاء العاملين ان يجتمعوا كل سنة فى اجتماع عام دوري بمدينة الجزائر ، بعد استدعاء موجه من رئيس الجمعية . ويمكن لهم ايضا ان يقيموا اجتماعا غير عادي اثناء السنة فى التاريخ والمكان اللذين يعينهما الرئيس ، وبعد قراءة ومناقشة التقريرين الادبي والمالي ، وكل عمل انجز اثناء السنة الماضية . ثم لا بد من عقد اجتماع آخر يحضره كل الاعضاء العاملين والمحسنين (الشرفيين) والمستشارين

(المساعدين) وذلك لاطلاعهم بدورهم على الحالة المالية والادبية للجمعية ، ثم لا يشارك فى انتخاب اعضـــاء المجلس الاداري الا الاعضاء العاملون .

الفصل الثاني والعشرون : اذا حدث خلاف او نزاع بين اثنين او اكثر من اعضاء الجمعية ، او حدث ان اخبر عن أحد اعضاء الجمعية بتبدل فى سيرته او اي عمل يمكن ان يكون فيه خطر على حياة الجمعية ، فان المجلس الاداري يعين « لجنة بحث وتحكيم » من عشرة اعضاء : خمسة اعضاء عاملين،وخمسة اعضاء محسنين. وهذه اللجنة تعطي نتيجة بحثها فى تقرير تسلمه الى المجلس الاداري الذي بدوره يجتمع ويصدر قراره حسب العقوبات التي ينص عليها النظام الداخلي الذي سيحرر فيما بعد .

الفصل الثالث والعشرون : كل طلب بحل الجمعية لا يؤخـذ بعين الاعتبار الا اذا صدر عن ثلث الاعضاء العاملين على الاقل ، ثم لا يمكن تنفيذه الا اذا حصل على وفاق اربعة اخماس الاعضاء العاملين .

وفى حالة حل الجمعية فان ممتلكاتها المادية والماليــة تعطى لجمعيـــة خيرية اســـلامية ، يتفق عليهــا المجلس الاداري للجمعية » . ا هـ

حرر بمدينة الجزائر يوم 5 ماي 1931 م

كيف تاسست جمعية العلماء ؟ (3)

على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام 1349 هـ الموافق للخامس من ماي ـ أيار ـ سنة 1931م اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطـر الجزائري وطلبة العلم فيها اجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد عمر اسماعيل أحسن الله جزاء الجميع (4) وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى وهي تأسيس « جمعية العلماء المسلمين » وقد لبى الدعوة

3 ـ ش.ج 5ـم7 ، ص 341 عن المحضر الرسمي لجلسات الجمعية .

4 ـ قد تقدم ان اعضاء هذه اللجنة هم : عمر اسماعيل ، محمد العاصمي ، محمـــد عبابسه ، واحمد توفيق المدني .

كتابة بالقبول والاعتذار ـ أي عن الحضور شخصيا ـ نحو الخمسين عالما .

كان اجتماعهم بصفة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي للجمعية ـ وبالأحرى لبحث مشروع القانون الأساسي ـ وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلي الزواوي وللكتابة الأستاذ محمد الأمين العمودي ، ووضع القانون وتلاه كاتب الجلسة على رؤوس الأشهاد فأقرته الجمعية العمومية بالاجماع ، وانقضت الجلسة على الساعة الحادية عشرة .

وعلى الساعة الثانية بعد زوال ذلك اليوم أعيد الاجتماع العمومي لانتخاب الهيئة الادارية طبقا لمنطوق مادة من القانون الأساسي وحيث كان الانتخاب لا يمكن بطريقتيه السرية والعلنية لتوقفه على الترشيح ولاعتبارات أخرى لاحظتها الجمعية (5) فقد سلكت طريقة الاقتراح، فألقي عليها اقتراح باختيار جماعة معينة ووقع الاجماع على اختيارها وهذه أسماؤهم :

الأساتذة : عبد الحميد بن باديس ، محمد البشير الابراهيمي ، الطيب العقبي ، محمد الأمين العمودي ، مبارك الميلي ، ابراهيم بيوض ، المولود الحافظي ، مولاى ابن الشريف ، الطيب المهاجي ، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر القاسمي ، محمد الفضيل اليراتني .

وأعلنت الجمعية لهؤلاء المشائخ أن عملهم الان مقصور على انتخاب رئيس لهم ، ونائب رئيس ، وكاتب عام ومساعد ، وأمين مال ومساعد ، وأن يعيدوا النظر في القانون الأساسي ويقدموه للحكومة للتصديق ، وانقضت الجلسة على الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم .

وعلى الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم أيضا اجتمعت الهيئة الادارية خاصة ، ما عدا الأستاذين باديس والطرابلسي الغائبين فانتخبت :

---

5 ـ ... لتوقفه على الترشيح ولاعتبارات .. المراد أن همة المشائخ العلماء لا تسمح لهم ترشيح انفسهم ، ومنهم أيضا الغائبون .

الاستاذ عبد الحميد بن باديس	رئيسا
« محمد البشير الابراهيمي	نائبه
« محمد الامين العمودي	كاتبا عاما
« الطيب العقبي	نائبه
« مبارك الميلي	امينا عاما للمال
« ابراهيم بيوض	نائبه
« المولود الحافظي	عضو مستشار
« مولاي ابن الشريف	«
« الطيب المهاجي	«
« السعيد اليجري	«
« حسن الطرابلسي	«
« عبد القادر القاسمي	«
« محمد الفضيل اليراتني	«

وانفضت الجلسة على الساعة التاسعة والنصف مساء (6) .

وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام 1349 الموافق للسادس ماي سنة 1931 عقدت الهيئة الادارية أول جلسة بنادي الترقي برئاسة الأستاذ محمد البشير الابراهيمي حضرها جميع الأعضاء ما عدا الأستاذين باديس والطرابلسي ، وأعادت النظر في القانون الأساسي فأقرته بالاجماع وقررت ترجمته باللغة الفرنسية وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه . وانفضت الجلسة على الساعة السادسة مساء .

وفي صباح يوم الخميس الموالي عقدت الهيئة الادارية جلسة برئاسة الأستاذ عبد الحميد بن باديس وعرضت عليه الأعمال السابقة فوافق عليها . وعلى الساعة الثالثة بعد زوال ذلك اليوم أقامت اللجنة

6 ـ نفس المصدر ، ص 341-342 .

التحضيرية حفلة شاي في نادي الترقي دعت اليها جميــع الضيوف الذين حضروا ، وأعضاء الجمعية الدينية ، وجماعة من النواب الأهليين، وهيئة ادارة النادي ، وأعلــن رئيس اللجنة التحضــيرية السيد عمر اسماعيل أنه استدعى جناب مدير الأمور الأهلية ــ بالولاية العامة ــ المستشرق السيد « ميرانط » فاعتذر عن الحضور •

وبعد أن غص النادي بالمدعوين من جميع الطبقات ارتجل الأستاذ عبد الحميد باديس خطابا بدأه بشكر اللجنة التحضيرية على ما قامت بهمن الأعمال وبذلته من الجهود في هذا السبيل ، وأثنى على السادة العلماء الذين قاموا بواجب تلبية الدعوة ، وثنى بشكر رجال النادي الذين فتحوا أبواب ناديهم في وجــوه العلماء وقابلــوهم بكل تجلة واحترام ــ ثم عمم الشكر لجميع أعيان العاصمة على ما أظهروه من الابتهاج والعطف على مشروع العلماء ، وما تلطفوا به من تمهيد المثوى واكرام الوفادة ، وأنهم خلدوا للعاصمة ذكرا مجيدا وأعادوا لنا ذكرى تلمسان وبجاية وتاهرت وغيرهــا من عواصمنا العلميــة الزاهرة في التاريخ •

ثم أثنى على المستشرق السيد ميرانط بما يستحقه رجل مثله خبر الشؤون الأهلية ، وأكسبته معارفه العــربية ذوقا لطيفا به عرفنا وبه عرفناه •

ثم أفاض الأستاذ في الاعتذار لنفسه على عدم حضوره في اليومين الأولين ، وصرح أنه قد فاته بفوات ذلك خير عظيم ، وتأسى بواقعة « أبي خيثمة » واعتذاره للنبي صلى الله عليه وسلم ، وناشد اخوانه العلماء أن تكون لهم أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبول عذر أبي خيثمة •

ثم تكلم عن الجمعية ومقاصدها فذكر من تاريخها أنها فكرة قديمة دعا اليها الكتاب في الصحف العربية الجزائرية ، وتداولها المفكرون بالبحث فى المحافل الخاصة والعامة ، وكتب فيها كتاب الشهاب عــدة مقالات ، وبقيت محتاجة الى رجل حتى قيض الله لها هؤلاء الفضــلاء

(أعضاء اللجنة التأسيسية) فكان فضل العمل مدخرا كما كان فضل التفكير والقول لكل من فكر في الموضوع وقال •

وذكر من مقاصدها جمع شمل هذه الطائفة المتفرقة لتتعاون على ما هي مهيأة له من نصح الأمة وارشادها لما ينفعها في دينها ودنياها • وان من الثمرات الباكرة لهذا الاجتماع تعارف أبناء هذه الأسرة النبيلة ذلك التعارف الذي طالما نشدناه فما وجدناه ـ ولقد كان أمنية فى النفوس وهوى في الضمائر فأصبح حقيقة واقعة وأمرا ملموسا ، ولقد كان هما معتلجا في القلوب وخواطر مختلجة في الصدور فأصبح اليوم صوتا جهيرا ، وأذانا بالحق عاليا • ولقد كان موكولا الى الصدف والحظوظ والاتفاقات فأصبح اليوم ملكا في أيدينا ••

وان من مقاصد الجمعية توكيد عرى الاخاء بين أبناء هذه الطائفة وحملهم على نبذ أسباب الشقاق وأطراح دواعي التفرق بينهم ، ونسيان كل ما هفت به الأفكار مما يدعو الى فرقة أو عصبية ، وليقدروا أنهم خلقوا خلقا جديداً •

ثم وجه الخطاب الى العلماء وحضهم على مؤازرة الجمعية وتشهيرها، وتحبيبها للعامة ليكون لها من النفع بمقدار ما يكون لها من السلطان على النفوس ، وانما هو سلطان كتاب الله وسنة رسوله • وأن يكون شعار الجمعية : « التواصي بالحق والتواصي بالصبر » •

وقد أطال الأستاذ في اسداء النصائح النافعة ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب •••

التوقيع : نائب الرئيس محمد البشير الابراهيمي

خطبتان للرئيس :

وفيما يلي ننشر الخطبتين كما نشرتهما مجلة الشهاب (7) بقلم الشيخ باديس نفسه مع تعليق قصير له :

---

7 ـ ش • ج6ـم7ـ غرة صفر 1350 •

« فى الجزء الماضي نشرنا ـ كما نشرت الزميلات الاخرى ـ المحضر الرسمي لجلسات الجمعية ـ وقد لخص فيه أخي الاستاذ البشير الابراهيمي الخطاب الرئيسي الذي ارتجلته أحسن تلخيص ، ثم رغب مني جماعة ان انشر لهم نفس الخطاب فاعتذرت بانني لم اكتبه قبل القائه فاكتفوا بنشر ما بقي في ذهني منه ، فانا انشر بغاية التحري ما كنت القيته :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

باسم جمعية العلماء المسلمين افتح هذا الاجتماع واقدم الشكر الى اهل العاصمة اجمعين الذين احسنوا وفادة الجمعية واكرموا ضيافتها فبرهنوا على انهم اهل لان تكون العاصمة بهم راس القطر وقلبه ، وانهم باعتنائهم بالعلم واكرامهم للعلماء أحيوا لنا ذكرى عواصمنا العلمية الزاهرة فى التاريخ مثل تلمسان وبجاية وتيهرت وقلعة بني حماد .

ثم اقدم الشكر لرجال نادي الترقي الذين فتحوا ابواب ناديهم للجمعية وفسحوا لها مكانا رحيبا فيه ، وجعلوه لها موئلا ، فلله هذا النادي الذي هو في العاصمة كالعاصمة فى القطر .

ثم اشكر السيد عمر اسماعيل الساعي فى تاسيس الجمعية والعامل على تكوينها . وان شكري له شكر لجميع الذين أيدوه ووازروه من اعضاء اللجنة التاسيسيه وغيرهم من رجال العاصمة .

ثم أقدم الشكر للسادة الشيوخ الذين لبوا دعوة اللجنة المؤسسة واقبلوا من جميع جهات القطر .

ويجب أن أذكر بالشكر جميع الذين فكروا فى هذه الجمعية ودعوا اليها . ولقد كان لجريدة الشهاب فى سنتها الثانية أو الثالثة دعوة الى مثل هذه الجمعية . وكان كتاب الشهاب اذ ذاك قد كتبوا فى هذا الموضوع ، وكانت تلك افكارا واقوالا تمهيدا للعمل ، حتى جاء السيد عمر اسماعيل فقام بالأمر قولا وعملا . وقد سرنا أن يتم هذا فى العاصمة وعلى يد رجالها .

ثم اقدم الشكر للسيد (ميرانط) لحسن قبوله لرئيس اللجنة المؤسسة السيد عمر اسماعيل يوم زاره ودعاه لحضور حفلتنا هذه ولرئاستها فاعتذر بغيابه وتلطف جنابه فطلب من السيد عمر اسماعيل أن ينوب عن جنابه في ابلاغ اعتذاره الى الجمعية الموقرة . ولا عجب فى هذه الاخلاق العالية والآداب اللطيفة من

ذلك الرجل الاداري العظيم الذي يعرف ان المسلمين الذين برهنوا على حسن سلوكهم دائما فى جميع المواطن يجب ان يعاملوا اليوم بغير ما كانوا يعاملون به امس . وذلك المستشرق العالم بالعربية ، اذن لا شك ان ذلك يجعل له عطفا خاصا على ابنائها .

ثم اقدم الشكر لكم ايها السادة الذين لبيتم الدعوة وشرفتم الجمع ، ثم اعرفكم بما تم من اعمال الجمعية فى جلساتها هــذه الثلاثة الايام . فقد عرضت القانون الاساسي على الاعضــاء الحاضرين كلهم فاقروه ، وعينت مجلس الادارة » .

وبعد ذكر الاعضاء على الصورة المتقدمة قال الشيخ :

ان كل اعضاء الجمعية فى العضوية وفى حق الاشراف والمناقشة سواء ، وانما عين هؤلاء الشيوخ ليتحملوا مسؤولية الادارة . ولما كان اعضاء مجلس الادارة من جهات متفرقة ، والعمل بالمركــز بالعاصمة لابد ان يكون له من يباشره باستمرار ، لزم تعيين لجنة للعمل دائمة تكون من سكان العاصمة او ضاحيتها فعينت على هذه الصورة :

السيد عمر اسماعيل	رئيس
السيد محمد المهدي « بن شغيب »	كاتب
السيد آيت احمد عبد العزيز	امين مال
السيد محمد الزمولي	عضو
السيد الحاج عمر العنق	عضو

اما غاية الجمعية فهي : اصلاح الفاسد وتقويم المعوج وارشاد الضال بالهداية والحكمة فى دائرة المحبة والوئام ، واصلاح شؤون اهل العلم ولم شعثهم وتنظيم هدايتهم ، فهي تسعى فى ازالة كل شر يحرمه الشرع والقانون مما هو منتشر فينا ، ويضيق المقام عن تعداده ، ونشر كل نفع وخير . هنا قد انتهيت من بيان ما يجب ان يعرف عن الجمعية ثم اوجه الآن خطابي لاخواني من طلبة العلم :

ايها السادة قد انجزتم امرا عظيما ، واسستم مستقبلا عظيما، ولقد جئتم من انحاء القطر ملبين داعي الاجتماع ، ناسـين كـل اسباب الافتراق فبرهنتم على ان علماء الجزائر متصفون بما يجب ان يتصف به العالم الحقيقي الذي صار العلم له صفة روحيــة وحياة قلبية من سعة الصدر والتسامح ونسيان الفكر الخاص امام الصالح العام .

ان ما اسسناه لا يكفي فيه اجتماعنا هذا فعلينا ان نوالي الاجتماع مهما دعينا اليه ، وعلى كل واحد منا ان يكون داعيــة للجمعية بقوله وعمله ، وان يكون ممثلا لفكرتها فى الاتفاق والتآخي

ونشر الخير ، وان يطرح كل واحد منا فكره الخاص عندما تجيء مصلحة الجمعية . حسبنا ما مضى ، كفي ما تقاتلنا على الكلمات ، فكلمة (فرق) قد ماتت من بيننا وما بقي الا العمل على الوفاق والوئام لنبلغ غاية المرام » (8) .

اخواني انني قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الأول والثاني فحرمت خيرا كثيرا ، وتحملت اثما كبيرا ، ولعلكم تعذرونني لما لحقت فى اليوم الثالث . واذكر لحضراتكم ما تعلمونه من قصة ابي خيثمة الانصاري لما تخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوه تبوك ثم لحقه ، فقال الناس : هذا راكب يرفعه الآل ويضعه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كن أبا خيثمة . فاعتذر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل عذره ودعا له بخير .

ومثلكم من كان له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة ، ثم اعتذر لكم عن زميلي وصديقي الشيخ عبد الحفيظ ابن الهاشمي مدير جريدة النجاح فانه ما تخلف الا لعذر علمت انه لا فسحة فيه . والآن ايها الاساتذة نحمد الله الذي يسر لنا هذا الجمع المبارك ونساله تعالى ، كما اذاقنا حلاوة هذا النعيم ، ان يدبمه لنا ويتم لنا به . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ويقول الشيخ باديس فى نفس العدد من مجلة الشهاب :

« ثم عقدنا اجتماعا بعد تمام الاحتفال من خصوص اعضاء مجلس الادارة ولجنة العمل الدائمة فالقيت عليهم هذا الخطاب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه :

اخواني انني ما كنت اعد نفسي اهلا للرئاسة لو كنت حاضرا يوم الاجتماع الاول ، فكيف تخطر لي بالبال وانا غائب ، لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم ، وسمو انظاركم جئتم بخلاف اعتقادي فى الأمرين فانتخبتموني للرئاسة وانا غائب .

اخواني : انني كنت اعد نفسي ملكا للجزائر اما اليوم فقد زدتم فى عنقي ملكية اخرى ، فالله اسال ان يقدرني على القيام بالحق الواجب .

اخواني : انني اراكم فى علمكم واستقامة تفكيركم لم تنتخبوني لشخصي وانما اردتم ان تشيروا بانتخابي الى وصفين عرف بهما اخوكم الضعيف هذا .

---

8 ـ لا شك أن الغرض من الحاج الشيخ على الوئام والوفاق ، ونسيان الفكر الخاص ظاهر واضح ، فهو يشير الى فتنة الخلاف التي سبق لنا ذكرها .

الاول : اني قصرت وقتي على التعليم فلا شغل لي سواه فاردتم ان ترمزوا بانتخابي الى تكريم التعليم اظهارا لمقصد من اعظم مقاصد الجمعية وحثا لجميع الاعضاء على العناية به ، كل بجهده .

الثاني : انهذا العبد له فكرة معروفة وهو لن يحيد عنها ولكنه يبلغها بالتي هي احسن ، فمن قبلها فهو أخ في الله ومن ردها فهو أخ في الله ، فالاخوة في الله فوق ما يقبل وما يرد ؛ فاردتم ان ترمزوا بانتخابي الى هذا الاصل وهو : ان الاختلاف في الشيء الخاص لا يمس روح الاخوة في الأمر العام ، فماذا تقولون ايها الاخوان ؟ فاجابوا كلهم بالوفاق والاستحسان (9) .

ويضيف الشيخ : وقال اخي الاستاذ العقبي : اما الوصف الأول فاني أسلمه للاخ الرئيس . واما الوصف الثاني فهو لنا كلنا ، فكلنا نقول افكارنا مع المحافظة على الاخوة والوداد (10) فقلت : بكلمة الاستاذ العقبي كان الختام الرسمي على هذا الكلام ، ثم رفعت الاكف للدعاء والابتهال للكبير المتعال . حقق الله الآمال وسدد الاقوال والاعمال آمين .

ويختم الشيخ فيقول :

هذا ما بقي بذهني مما قلته وقد ندت جمل عن الـذاكرة لطول العهد . اهـ (11)

وهكذا ، بتأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » يبتديء مثقفو الجزائر ، لا فرق بين محافظين ومصلحين ، عهدا جديدا مليئا بالاتفاق والصلح والوئام ، مفعما بالآمال والأماني التي ستكون — ولا شك — في صالح الاسلام والمسلمين في هذا الوطن الجزائري ، كما تكون في صالح جميع الأطراف التي كان النزاع ينهـك من قواها الوطنية وأخوتها الاسلامية .

---

9 ـ هذه هي فكرة ابن باديس في تبليغ الدعوة الاصلاحية ، كما قدمت الاشارة اليها ، وفي نظرته الى المخالفين ، بغير تكفير ولا تفسيق ، ولكن في الاخير غلب على امره ، وبخاصة امام تهجمات الشيخ العقبي ، فقد روى أن الشيخ باديس كان في اجتماع بنادي الترقي وقد ساله احد العلماء الزملاء المحافظين عن الوسيلة ، فأجابه بأن الوسيلة عمل شرعي والعمل به جائز . فانتهره الشيخ العقبي وقال : ما هذا ياشيخ؟ اما انا فلا انافق ولا اتراجع عن فكري في الوسيلة او في غيرها . وتدرج هذا الموقف حتى صار تقريبا عقيدة جميع اخوانه المصلحين .

10 ـ والواقع كان غير ذلك للاسف الشديد كما اثبتته الحوادث بعد .

11 ـ ش.ص 351-357 .

وتقدم رئيس الجمعية ، بعد شهرين فقط من التأسيس يعلن عن أول باكورة للجمعية في بيان قصير ، يخص فيه الادارة الفرنسية الحساسة بنصيب من الطمأنة في الاعراب عن الولاء والارتباط ، اتقاء لشرها وعملا بالحكمة المطلوبة في تلك الظروف . وفيما يلي نص البيان بعنوان :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

باكورة اعمالها (12)

هذه الجمعية تسعى لنشر الرقي والاخوة على اساس الاسلام والقومية ، في دائرة الدولة والقوانين الفرنسوية ، تريد ترقية المسلمين الجزائريين في اخلاقهم واعمالهم شخصيا واجتماعيا ، ليكونوا عضوا حيا عاملا صالحا للتعاون مع مساكنيه ، ومناسبا في رقيه لسمعة الدولة الفرنسوية .

- تريد نشر الاخوة والمحبة بين سائر طبقاته لان التعاون الصادق لا يكون الا عن المحبة والاخوة .

تريد أن تعمل في دائرة فرنسا الواسعه النطاق دون ان تتجاوز بوجه ، ما حددته القوانين .

ولما كان اساس كل رقي هو التعليم والتهذيب فقد ابتدات الجمعية أعمالها بهما . فاما في التهذيب فقد رات أن تسلك اليه من طريق الوعظ المسجدي فقررت أن تخاطب جميع الذين يظن بهم المقدرة على انشاء الخطب ان يوافوها بما عندهم . والتزم كثير من اعضائها بانشاء خطب ، على ان تكون هذه الخطب موجزة مؤثرة صحيحة الاحاديث مشتملة على مصالح الدنيا والآخرة . فاذا اجتمع عند الجمعية مقدار كاف منها القت عليه نظرها وحصلت منها ما تختاره ووزعته على جميع ائمة القطر راجية منهم ان يخطبوا به (13) .

وأما في التعليم فانها قررت ان يكون من أهم ما تسعى اليه انشاء كلية اسلامية بالعاصمة بموافقة الحكومة ومساعدة الامة . ولما كانت هذه الغاية ليست مما يمكنها السعي اليه الآن ، قررت وضع برنامج للتعليم راغبة من جميع اعضائها المباشرين للتعليم أن يدرجوا عليه ، واكتفت في جلستها الاخيرة المنعقدة في الشهر

---

12 – الشهاب ج 8 ، م 7 ، ص 493–495 .

13 – لا شك ان هذا القرار وثيقة تصوير برنامج تعليم جمعية العلماء لا يمكن تنفيذه الا في المساجد الحرة .

الماضي بوضع برنامج السنة الاولى الذي قــدمه اليها الرئيس ووافقت عليه بالاجماع . وهذا هو البرنامج :

القسم الديني :

متن رسالة ابن ابي زيد القيرواني « حزب سبح » تجويدا وتفسيرا مختصرا ، عشرة احاديث ، منخص الحياة النبوية .

القسم اللساني :

متن الآجرومية ، مبادىء تصريفيه ، قطع من منظوم ومنثور .

القسم الحيوي :

مبادىء الحساب ، مبادىء الجغــرافيا ، مبادىء اللغــة الفرنسية .

والتزم صاحب هذه المجلة ان ينفذ ـ ان شاء الله تعالى ـ هذا البرنامج فى هذه السنة بقسنطينة باعانة بعض اخوانه من اهل العلم بها .

هذه باكورة اعمال الجمعية الموقرة نشرناها على الامة لتعلم ان جمعيتنا جادة فى عملها قائمة بما عليها ، فعلى الامة ان تكون معها . والله مع الجميع . أ هـ

دور محمود من ادوار الجزائر الحــاضرة

ويعم التفاؤل وتنتشر الغبطة بين الكتاب ؛ ويبدو جو جـديد في الصحافة العربية بالجزائر ـ على خلاف ما أنفه القراء ـ فصرنا نقرأ بها مثل المقال التالي : (14)

مرت على الجزائر أدوار شتى كلها أو أغلبها ، عقبات كأداء ، اجتازتها كما يجتازها المنهوك القوى من أثر أتعاب متواصلة . وقد تحملت كل ذلك وهي في الدرجة الأخيرة من الضعف والوهن من كل ناحية ، بفضل ما تذرعت به من صبر وجلد على مقاومه تلك العوامل القاهرة ، مباغتتها بمواجهة تلك العقبات الكأداء ، ووجودها أمام أمر مقضي وهي في تلك الدرجة من الضعف وتألب الظروف القاسية التي هي نتيجة ذلك الافلاس العلمي والخلقي والاجتماعي والمادي وما الى ذلك من كل

14 ـ المصدر السابق ، ج8ـم7 ص 526 .

ما يعقب انحلال الروابط العامة والخاصة ، وهي ، وان استوجبت الشكر من هذه الناحية ، فليس لناقد أيا كان أن يلتمس لها مبررا أو يجعلها في نجوة من الأخطاء التي تجرع مرارتها واكتوى بنارها أبناؤها من بعد ، مدى غير قليل ، كما أنه ليس لأمة ــ مهما كان مستواها ــ بد من ذلك •

بيد أن تلك الأدوار التي قلنا أن كلها أو أغلبها عقبات كأداء قد تخللها بعض الأدوار التي ينبعث منها بعض الأشعة ، وان مازجها شيء من التيقظ الفكري المتصادم الذي ينشأ بطبيعة الحال عن مبادىء نهوض •

وهذا الدور الجديد للجزائر نعده من أدوارها المحمودة ، رغم ما فيه من بعض الغليان الفكري ، لكن هذا الغليان لم يبلغ على كل حال الدرجة التي تتحلل بها جميع القوى الاجتماعية العامة كذي قبل ، ويكفي برهانا على ذلك ، وعلى أن اليوم غير الأمس ، ما نتلمسه في هذا الدور الحاضر من الأنوار والنتائج المعروضة فيما يأتي من هذا الفصل :

1 ــ هذه جمعية العلماء ، وأول اجتماع لادارتها عقب مصادقة الحكومة ، وجلساتها التي استمرت من يوم 18 الى 21 من صفر الأخير 1350 هـ ــ 1931 م • كل ذلك ، وكل ما قامت به من الأعمال وما بذلته من الجهود فى تحرير لائحتها الداخلية التي يمكن بها انارة طرق العمل مما يبشر بمستقبل زاهر ، وخير كثير تجني ثمراته اليانعة الجزائر الفتاة •

وليس ما تضمنته تلك اللائحة المحكمة من المرامي محل عنايتنا الآن ، حيث ان تلك المهمة منوطة بقلم ادارة الجمعية التي ستنشر تفاصيل كل ذلك قريبا . بل ليس ما تضمنته تلك اللائحة محل اعجابنا ، **وان كان ذلك مما يستحق اعجابنا اكثر من المنتظر من الشاعرين السريعي التاثر بمثل هذه المظاهر الخلابة .**

وانما محل اعجابنا كله هي تلك المواقف التي وقفها أعضاء الادارة وبعض الحاضرين من العلماء ، تلك المواقف التي أظهر فيها الجميع من

الصراحة الحازمة والرصانة التي يتسلح بها عادة عظماء الأمم الراقية ما امحت به جميع الحواجز الجنسية والفروق الفرعية المذهبية ومنازع النحل الجزئية والحزازات الشخصية (*) وما الى ذلك من كل ما كان يسود الأوساط البعيدة عن النضوج الفكري •

وقد سلك الجميع ذلك المسلك الجديد بالاعجاب ، وقد ضحوا في سبيل ذلك كل الاعتبارات والمقامات والامتيازات التي ظلوا محافظين عليها مدى ذلك الهجوع الطويل ، وقد فعلوا تقديما للأهم على المهم ، وعملا بما في تعاليم الاسلام الصحيحة من وجوب تلاشي كل الحواجز أمام الاسلام الذي جاء بمحو ومحق كل ما يعوق سير المجتمع في طريق النهوض ، وما يصرف الأنظار عن الوحدة ، وتغليبا للعقل على العاطفة في مثل هذه الظروف ، واجهازا على تلك النفسية العتيقة الرثة الناجمة عن المؤثرات الخارجية التي يبعث بها دعاة التفريق للصيد في الماء العكر : ومن الأدعى للدهشة أن تلك المؤثرات وقفت ازاء هذه الظاهرة عند حدها تبعا لذلك المسلك المنوه به والذي يجب التغني به ، اذ من الطبيعي وقوف كل شيء عند حده متى ذهبت تلك الغفلة وحل محلها الانتباه واليقظة • ويمثل هذا ، وبما يبدو من ارتياح الحكومة لهذه الفكرة ، ومساعدتها لنموها ، ومن شدة رغبة جمعية العلماء في العمل بالمكشوف وعلى وضح النهار ، نعلق على هذا المشروع آمالا كبارا ، ويزداد تفاؤلنا به » • ا هـ

وغبطـة وتفاؤل جانب المحافظـين

ولم يكن جانب المصلحين فقط ــ كما رأينا في المقال السابق ــ غابطا ومتفائلا ، ولو على الأقل ظاهرا ــ برجوع العواطف الجامحـة لحالتها الطبيعية السليمة ، وانتهاج طريق الأخوة والوحدة والتكافـل والتفاهم ، بل حتى الجانب الآخر ــ المحافظون والطرقيون ــ أظهروا نفس التفاؤل ونفس الغبطة • ونلمس ذلك في كثير من التصريحات والتصرفات والمكاتبات ، حتى من شباب وطلبة الزوايا • كما نجد نموذجا

* ــ كل ما ذكر الكاتب من الأوصاف ظاهر المقصد الا قوله : «الحواجز الجنسية » اذ ليس من بين مسلمي الجزائر اجناس مختلفة ، واقامة البربر ــ الأمازيغ ــ كجنس خاص هي شنشنة استعمارية قصد بها التفريق بين الاخوة المواطنين .

عن المرحوم الشيخ باعزيز بن عمر نقله عن طلبة زوايا بلاد زواوه — القبائل الكبرى — يقول با عزيز بن عمر :

اجتمعت في هذه الأيام بكثير من طلبة هذه الزوايا بمناسبة رجوعي من قسنطينة في ختام السنة الدراسية فوجدتهم قد بلغهم — خبر — تأسيس هذه الجمعية المباركة بسرور — جمعية العلماء التي هي مطمح كل مسلم يريد الخير لهذه البلاد — وأنهم سيعملون على نصرتها الى النفس الأخير ، وذلك بأن يحسنوا الاستعداد من الآن لطلب العلم الصحيح وسهر الليل الطويل حتى يكونوا بحول الله وقوته من رجال تلك الأدوار المقبلة وشيوخ هاتيك الجماعات الآتية ••• ويضيف : هكذا كانت جمعيتكم أيها السادة عاملا عظيما في تشجيعنا وتنشيطنا معشر الشباب المتعلم • (15)

ويضيف باعزيز : ان الزوايا التي كانت تضم في ساحتها هذا الشعور الحي وهذا الوجدان الحر ، والتي كانت أنجبت رجالا ، قديما كانوا المثال الأعلى للنبوغ في هذه الربوع لجديرة باهتمام جمعيتكم واهتمام كل مسلم يحمل بين جنبيه ايمانا صحيحا ، ويفكر فيما أبنــاء جلدته صائرون •••

ثم يقول :

ان أقرب الوسائل التي أراها قبل كل شيء لاصلاح الزوايا هي ارسال من فيهم أهلية من طلبتها على نفقتها الى الخــارج — : الى قسنطينة حيث ذلك المنهل العذب الذي يتدفق هناك ، والى المعهــد الزيتوني • فاذا رجعوا أصلحوها وكانوا على ما أردنا • ولقد كاتبني أيام اقامتي بقسنطينة في السنة الماضية وفي هذه السنة أفراد من الطلبة المعاصرين لي بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي مظهرين ، بكل أسف ، أنهم ما منعهم من اللحوق بنا والانخراط في سلك معشر النازحين ، الا عدم الاعانة المالية وقلة ما باليد » • (16)

---

15 — من الواجب ان تعرف أن باعزيز بن عمر كان — اذ ذاك — من طلبة ابن باديس وهو من شباب زوايا بلاد زواوه •

16 — المصدر السابق ، ص 502–507 •

ومن مظاهر الغبطة باجتماع الكلمة استضافة الشيخ الوانوغي ابن الشيخ بومزراق (17) مفتي مدينة الأصنام ، والذي كان من أساطين الطرقيين للشيخ عبد الحميد بن باديس والاحتفاء به والتنويه بمكانته في منزله بالأصنام ، وذلك بمناسبة جولته في سبيل نشر دعوة الجمعية .

وهكذا الشيخ أحمد ابن عليوه المشهور بمدينة مستغانم ، وصاحب الطريقة المسماة باسمه ، فقد أقام ملتقى عظيما جمع أكثر من مائة شخصية بمنزله وأكرم فيه الشيخ باديس غاية الاكرام تأييدا للجمعية التي وحدت الكلمة .

وهكذا نجد الشيخ ابن باديس نفسه يذكر مبلغ الحفاوة التي وجدها فى زاوية « سيدي عده » بمدينة تيارت ، وتأييد رئيسها الشيخ محمد غلام الله لجمعية العلماء ماديا وأدبيا فيقول :

تيارت نزلناها ضيوفا على الشيخ السيد غلام الله آل سيدي عده وعشيرته لما كانوا استدعونا فوفينا لهم بوعدنا ، فلقينا منه ومن أخيه السيد الشيخ الحاج محمد وصهره وابن عمه السيد أحمد بن والي ومن جميع أسرته اكراما فائقا وودا صادقا ، وشعرنا ، ونحن بينهم ، فى أيام قضيناها ، أننا بين أهلنا وفي ديارنا ، وما فارقناهم حتى عددناهم منا وعدونا منهم . رأيت منهم الفطرة السليمة والقلوب الصافية والشهامة العربية والصدق والصراحة ...

ويضيف : أهدى الشيخ غلام الله لجمعية العلماء خمسمائة فرنك ووعد بأنه من أنصارها ومؤيديها ... (18)

---

17 ـ ان الشيخ الوانوغي هو ابن الشيخ بومزراق المقاوم المشهور لاحتلال فرنسا ، والوانوغي نفسه كان برغم صغره شارك أباه فى الثوره . نقلت هذا مباشرة عنه .

18 ـ المصدر السابق ، ج اول ، م8ـص45 .

انتكاسة

في الواقع ، عندما نطرح جانبا التفاؤل والأماني الحسنة ، أن طبخة « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » كانت طبخة عجيبة غير منطقية ، أو على الأقل غير طبيعية ، فقد جمعت من شتى البقول والتوابل المتضاربة المتنافرة ، فلم يتمكن القدر من انضاجها الا بجهد جهيد ، وبفضل أصحاب النيات الحسنة ، غير أنه قد صعب بعد على الأمعاء هضمها وآلت الى التهابات مستمرة داخل الجهاز الهضمي للجمعية ، تتآكل من غشاء أمعائها وتحدث فيها أمغاصا حادة ، وقد ترتفع أحيانا درجة الحرارة فتحدث توتورات مثيرة تنتشر شيئا فشيئا ، وتتأزم أحيانا فتثير تشنجات ، الى أن تطور الى اسهال حاد ... ! تفجر سبابا وشتما وتهجمات شخصية ، ثم جماعية ثم آل الى مواجهة غير شريفة من كلا الجانبين في عهد « المعيار والجحيم » .

فقد رجعت — بعد غياب قليل — تلك المهاترات بكل سخافاتها ، وأكثر مما كان وقع ، بين المصلحين والمحافظين في قضايا : البدع ، والخرافات ، والولاية ، والكرامة ، والوسيلة ، والزيارة ، والصيام ، والافطار ... الخ .. الخ مما كان اشترط عدم الخوض فيه عند تأسيس الجمعية ، وأثبت بالفعل في صميم القانون الأساسي واللائحة الداخلية للجمعية ، فضلا عن تصاريح والتزامات الاطراف المعنية .

وقد بدأت المهاترات بصفة فردية ومتقطعة ثم ازدادت شيئا فشيئا حدتها ، خاصة من بعض المصلحين ، الذين اتخذوا فكرتهم كرسالة يجب أداؤها ، وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي الذي أمعن في الاساءة الى الطرقيين ، حتى أنه بلغت به الجرأة الى أن يقول في درس من دروسه بنادي الترقي ، وبمحضر الشيخ مصطفى القاسمي والشيخ ابن عليوة : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى — ولا شيوخ الطرق والطرقيون — حتى تتبع ملتهم » وخرج الشيخان غاضبين محتجين ، وكان ذلك مسمارا غليظا يدق في نعش الوحدة الناشئة ، مما جعل رئيس الجمعية يتنصل كل مرة من مثيري تلك الموضوعات ، محملا أصحابها مسؤوليتها دون الجمعية .

ومن ذلك تعليق بمجلة الشهاب ، ج 12 ــ م 10 بمناسبة مشاركة بعض أعضاء الجمعية فى معركة الانتخابات منتصرا لهذا الحزب أو ذاك ، يقول التعليق ، معلنا مبدأ مقررا من أول تأسيس الجمعية •

« هذه الجمعية الدينيّة العامية التي أسست لمحاربة الآفات الاجتماعية ، والتي لها قانون أساسي يفرض عليها أن لا تخرج من دائرتها الخصوصية ، والتي لها قانون داخلي يضبطها ، والتي ملأ أعضاؤها العاملون والمؤيدون والمساعدون ، الوطن الجزائري كله • هذه الجمعية ما يزال الناس لا يفرقون بين ما تقوم به الجمعية بواسطة من تكلفه من أعضائها بتقرير من مجلس ادارتها فى دائرة قانونها ، وبين ما يقوم به أي عضو من أي قسم من أقسام أعضائها بصفته الشخصية على مسؤوليته الخاصة ، رغم ما أعلنته الجمعية مرارا من أنها غير مسؤولة عن عمل أو قول أي شخص كان من أعضائها ما دام يقول أو يعمل باسمه دون تفويض منها » •

وسننقل بعض المقالات من هذه المهاترات من مصادرها الأصلية لكلا الجانبين •

وبالرغم من ذلك فان أصواتا معتدلة مؤمنة بجدوى الوحدة ، ومخلصة لها ترتفع من حين لآخر فى محاولات لتقريب شقة الخلاف ، وبالتالي لابقاء الجمعية حكما وملجأ لجميع العلماء الجزائريين ، تجتمع فيه كلمتهم ولو الى حين • ومن ذلك المقال الآتي بقلم الشيخ ابن باديس تحت عنوان : « مجال العمل واسع » (1) •

ومما جاء فيه : •• هذا ما يجب أن يعتقده ويدعو اليه ــ يعني مجال العمل ــ كل من تغلغل في نفسه حب العمل لفائدة الانسان وخير البشر، وبالاحرى لفائدة قومه وخير ملته فحسب ، فالنجاح لمن كان ذلك هدفه وغايته محقق ••• »

وبعد أن يعطي بسطة فى بيان العراقيل الطبيعية التي تصادف كل عامل مخلص فى هذه الحياة ، ويدعو الى الصبر وملازمة الكفاح يقول :

---

1 ــ الشهاب ، ج12ــم7 ص 738 .

« والحقيقة المرة التي يجب أن يعرفها كل عامل فى أي وسط ، وأن يعمل بها عمل كلف دتف بملته هي : أن المخلص لا ينبغي له أن يقدر نتيجة عمله لنفسه أكثر مما يقدرها لأخيه الانسان ، ولا يجمل به أن يرى نفسه فى مثل هذا العصر الحافل بالواجبات فى غنى عن أخيه الذي تربطه به أية رابطة مهما تقدم أو تأخر زمنه ••• »

ويمضي فيقول : واذا قلنا حسب العامل أن يسفر عمله عن نتيجة تكون أعظم وسيلة لسعادة الجميع وجب أن نقول بأن هناك لـذة روحيـة لا تضاهيها لذة ، ألا وهي ارتياح الضمير » •

ولئن كان الشيخ فى كل المقال يلمح لمحات ويشير اشارات عامة من غير أن يبين أهي تنكيت على بعض المواقف التي لا ينبغي أن تكون ؟ أم هي نصائح بريئة ، ومن غير أن يذكر أشخاصها ؟ فهو فى ختام المقال يزيل بعض الغموض ويكاد يصرح : أن كل أعضـاء الجمعيـة ــ مصلحـين ومحافظين وطرقيين ــ مقصودون بهذا اللوم أو النصائح كما سماها ،فهو يقـول :

« ان مما يجب علينا أن ندرك ونقنع أنفسنا بأن الفرد فى الأمة عضو فى جسم الاجتماع ، وأنه لذلك لا كيان له بغير ذلك الجسم ، وبـأن السعادة التي هي غاية كل حي هي ارتياح الضمير ، أو الغبطة الروحية التي هي وليدة ونتيجة الاهتمام بالغير على حساب مصلحة النفس • واذا استوثقنا من هذه الحقائق وصحتها وجدنا أن لا مبرر للساكن سكون الجماد (2) أو الحي حياة النبات (3) متعللا بأن مجال العمل أصبح ، بما فيه من مثبطات ، ضيقا » •

« ان كل من اقتنع بأن ما ينجم عن كل عمل فردي لفائدة المجموع من السعادة هو أجل مطلوب ومرغوب فيه ، ان كل من اقتنع ذلك الاقتناع رأى مجال العمل واسعا • فالعمل اذن لتلك الغاية وحدها يهدينا بأنواره

2 ــ لا شك انه يقصد بعض المحافظين ممن لا يريدون اي تغيير في العتيق .

3 ــ كذلك لا شك انه يقصد المصلحين ومن فيهم روح حركية من العلماء .

الى أن هناك مجالا للعمل واسعا ، اذ هذه حالتنا العلمية ـ رغم أنها أخذت تنتعش ـ تدعو الى الأسف وتتطلب توحيد الجهود وترميم ما هدمه الجهل بمعوله . وهذه حالتنا المادية ما فتئت تقطع أشواطا بعيدة فى سبيل التقدم الى الوراء ! ونحن ، بسبب تقاعسنا وركودنا ، أصبحنا عونا للدهر والظروف والمستنفرين والمبتزين علينا . ونحن ، الى جانب كل هذا ، راضون بالموجود المبتور ، والهوان والصغار ، رضى من لا يفرق بين الحياة والموت .

ان الاستنارة الحديثة أو التعاليم الاسلامية الفذة أضحت تستحثنا على فهم الفرق بين حياة الأحياء وموت الأموات ، وعلى تدارك أمرنا قبل الفوات ، وعلى العمل الفردي لمصلحة المجموع ، وعلى خلق وسط صالح للعمل المنتج . وعلى افساح المجال للعاملين الذين يتشكون من العراقيل ، وعلى افهام هؤلاء العاملين بأن مجال العمل واسع ، وعلى اقناعهم بذلك ، وبوجوب العمل اذا أخذوا بنصائحنا التي بسطناها فى هذا الفصل ، وتذرعوا بعزيمة صادقة ولم يريدوا بعملهم الا مصلحة الجماعة وانماء الفكرة الملية في نفوس الشعب المتطلع الى مثلهم العليا » . ا هـ .

وفيما يلي أنقل بعضا من خطاب للشيخ حسن أبي الحبال مفتي مدينة بجاية اذ ذاك . وهو ، وان كان متأخرا عن الفترة التي أؤرخ لها ، الا أنه يعطي ضوءا عن تفكير مختلف الاتجاهات للعلماء فى الجزائر ، والشيخ أبو الحبال كان من المحافظين المعتدلين ، وقد نلمس هاتين الصفتين بكل جلاء من خطابه الذي ألقاه بمؤتمر « جامعة الزوايا والطرق الصوفية » الذي انعقد من 7 الى 18 فبراير سنة 1939 م ، ومن الأبيات التي نقلتها من قصيدته التي استهل بها خطابه فيما يلي : (4)

وللناس فى معنى التصوف اوجه ... تعود الى اخلاص عبد فيخدم
طريق سوى ، خوفه ورجاؤه ... وصبر وشكر زهده وتندم
رضاء وحب صادق وتوكل ... وتخلية من كل سوء ، تقدم
فلا تلتفت يوما لمن رام هضمه ... ولكن عدو الحق بالحق يهضم

---

4 ـ انظر القصيدة والخطاب كاملين بجريدة الرشاد ، عدد 42 عام 1939 . .

ولو عيب شيء بالذي جاء اهله لعيب على الاسلام ان زاغ مسلم
فلا تتعصب وانصح القوم كلهم بلين تجد فى الحين من يتالم

الى ان يقول :

اما جاء ان المؤمنين ودادهم ورحمتهم والعطف جسم مجسم
اذا ما اشتكى عضو تداعى جميعه ويصهر باقيه بفسر ويحمم
دعوا مشكلا لم يتضح وجه قبحه ولا تقتلوا فيه النفوس فتندموا
. . . الخ

ثم يقول : اخواني لقد جرأني على هذا الخطاب بأسلوبه الذي سمعتم ، اعتقادي أولا أنه حق ، وعلمي أن الدعوة الى الاعتدال فكرة اختمرت فى البلاد بعد نزاع طويل .

هذا وان الباطل البين قد يصارع الحق الصريح ولكنه لا يثبت بين يديه القويتين بالواقع وغطرة النفوس عليه . واذا كان الخصام بين قوتين مشوبتين بحق وباطل طال عمره واتسع خطره ، فليعترف كل بما له وعليه وليتق الله ربه فانه سيقف بين يديه .

ولقد كنت أرسلت نصيحة الى السيد عمر اسماعيل عند شروعه فى تأسيس جمعية العلماء ونظمت مضمونها فى نبراس الحقيقة ، كما أرسلت أخرى الى رئيس هذا المؤتمر الأستاذ القاسمي يوم تأسيس جمعية الطرق ، قلت فيها بعد الديباجة :

« والذي أوصي به نفسي وأنتم كنفسي أن يكون السعي لله ، والكدح فى دائرة تقواه . فكل شيء هالك الا وجهه . وقد قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

وقد علمتم ما حل بهذه الأمة سابقا من رؤوس ضالة ، ورتوت زالة (5) يتناطحون وهم فى المجازر ويترامحون وهم فى المقابر يقرؤون القرآن ولا يفهمون ، ويفهمون ولا يعتبرون ، ويعبرون ولا يعبرون ، انا لله وانا اليه راجعون .

---

5 ــ الرت هو الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء ، جمعه رتوت . (لسان العرب ، ج 2 ، ص 338 .

ثم يقول : كم علت أصوات وارتفعت آهات ، فالتحم الجمع واختلط السمع ثم انجلى الغبار وانكشف القتار عن قاتلي السيد الحسين يسألون عن أثر البعوض فى الثوب والعجين ، فسحقا لها من فتن ككسف الليل المظلم وكسر السيل المفعم ، الغالب فيها مغلوب ، والطالب فيها مطلوب • لم يرجع ظالمها الى رشده ، ولا وقف مظلومها عند حده ، تعادلت فيها الحجج فسقطت ، وتعايرت فيها الفرق فافتضحت » •

« هذا وهم يتلون ما يدعون أنهم اليه يدعون : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما » •••

الى أن يقول : ••• كم نصحنا بترك الخوض فى المسائل الخلافية فانها توقظ الفتن وتضيع الزمن ، ونبهنا الى أن الزوايا يجب اصلاحها لا اعدامها ، ويلزمنا أن نعتبر رؤساءها مرشدين مصلحين اذا أدوا ما عليهم من واجب العلم والارشاد •••

ويختم الشيخ أبو الحبال : ••• الى آخر ما جاء فى كتابي اليه ــ يعني القاسمي ــ مما هو على هذا النحو • وقد أثبت الآن ، وأنا على فكرتي داعيا الى التصوف والاصلاح فوجدت الأستاذ القاسمي قد سبقني اليها وقررها جماعته كما سمعتم أمس ولله الحمد • »

هذا ، ويهمني أن أنقل أيضا بعض الفقرات من خطاب قيم فى الموضوع ، كان ألقي فى « مؤتمر جامعة الزوايا والطرق الصوفية » المذكور ، توكيدا لوجود الأصوات المؤمنة ونمددها التي ارتفعت داعية الى الوفاق والوئام ، فى كلا الصفين والكتلتين ، يقول صاحبه ما معناه :

« أيها السادة ! انه لشرف عظيم أن أقف فى هذا الحفل العلمي العظيم ، وأمام فطاحل من العلماء والعظماء ، وأنا شاب لم أستكمل بعد معلوماتي الضرورية ، وما ذلك الا حبا فى افشاء كلمة حق ، والتنويه بدعوة عدل وصدق ، علها ترجع الحق الى نصابه ، والغالط عن غلطه •

سادتي واخواني ان من التصرفات التي تسيء الى مجتمعنا الاسلامي ، وتئين سمعة أهل العلم والمعرفة ، أن يعمد اخوان لنا ينتسبون زورا

لجمعية العلماء المسلمين ، الى الاساءة الى اخوانهم فى الجنس والوطن والدين ، ومن خيرة علمائنا وقادتنا الدينيين ؛ فيصموهم فى منشور طائش أنهم يد للمستعمرين ضد اخوانهم المسلمين ، وأن مؤتمرهم وما قدم فيه من تكريم للضيوف ، وسخاء في النفقة على المجتمعين انما هو من جيوب المستعمرين (الكولون) ليشتروا بواسطتهم الضمائر ، ويخمدوا بهم نور الاسلام الصحيح ... ناهيك عن الكلام القذع الذي لا يحسن ذكره . وهم فى دخيلة أنفسهم يتحققون أن الحقيقة غير ذلك ، وأن تهممهم مجرد حزازات حزبية ، وأغراض شخصية أو مذهبية ، لا تمت الى الاصلاح بصلة ، ولا تنفع الأمة بشيء ، وانما هي تفريق للكلمة التي يجب أن تلتئم ، وتوهين للصف الذي يجب أن يرص ، وبالتالي فهي تعميق لارادة المستعمر من تشتيتنا واذلالنا ... فأنا ، وان كنت أشفق على هؤلاء الاخوان من هذا الموقف المزري بكرامتهم كأدعياء للاصلاح ، لا أرجو منكم الا أن تقابلوا الاساءة بالاحسان ، وأن تدعوا لهم بالهداية والتوفيق حتى يأمن المجتمع شر التفرقة والعداوات ...

ثم يضيف : أما أنتم يا ساداتنا أهل الزوايا والطرق الصوفية فان زواياكم كما يشهد التاريخ ، ويثبته الواقع المتواتر ، أنها أنشئت على تقوى من الله ورضوان ، وان منشئيها من أهل التصوف والسنة المطهرة كانوا أحرص عباد الله على شريعته ، وأقربهم الى تقواه . فهم انما اختاروا طريق التصوف منهجا لما علموا أنه روح الشريعة الاسلامية ، ومنبع صفائها ونورها للقلوب المؤمنة ، فهو مذهب قد صفي من أوشاب الرياء ونوازع النفس الأمارة ، ومن ظلام المادة وغرورها ، فخرج من بين فرث ودم . لبنا خالصا سائغا للشاربين . فكانت الزوايا معاقل للقرآن والسنة ، ومصادر اشعاع لنور العلم والمعرفة ، كما كانت الحصن الحصين لتعاليم القرآن ولغة القرآن فى عصور الاحتلال والغزوات المظلمة . بل كانت سدا منيعا أمام حملة التنصير الصليبية الشرسة التي أتى بها المحتلون الفرنسيون .

ولكن حدث بتقلبات الزمن وتولي الجهلة أمر هذه الزوايا ، حدثت أشياء ، تبعا للانحطاط الاجتماعي العام ، ليست من أصل رسالة هاته

الزوايا ، ولا من السنة النبوية ، ولا من التصوف الحقيقي ، يجب على ساداتنا أهل هذه المعاهد التاريخية تطهيرها منها ، والرجوع بهذه المعاقل السامية الى سابق عهودها المشرقة ، حتى لا يجد المتقولون شبهة ، ولا يعتمد المفسدون على خيال ... » . ا هـ

حقا ان تلك الأيام ، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 م ، كانت أيام امتحان عسير للمفكرين بصفة عامة ولحاملي لواء الشريعة الاسلامية بصفة خاصة . فاجتماع رجال الثقافة الاسلامية العربية كلهم في جمعية واحدة ، بعد تلك المنابذات والمهاترات السخيفة التي مزقت الصف ونشرت الأحقاد من جهة ، وأثلجت صدور الأعداء والمستعمرين من جهة أخرى . قد أثار أحقاد هؤلاء وأتباعهم من الأذناب ، وبدأوا يشوشون في تظاهرات مريبة لتأييد هذا الصف أو ذاك . ولاغراء ذاك على هذا ، لينشروا البلبلة والشكوك نحو أعضاء الجمعية ، وضمن صفوفهم عامة .

ومن هؤلاء جماعة نعرفهم معرفة تامة بأنهم أذناب الاستعمار ومن المعتزين بثقافته وحضارته ، فقد أثاروا شغبا في بلدتنا ، فرددنا عليهم بمقال طويل نشر بجريدة البلاغ الجزائري بعنوان « الى المحتجين المدافعين » (6) أنقل منه الفقرات التي تتعلق بموضوع الدعوة الى الوئام واحترام جمعية العلماء الناشئة والمحافظة عليها .

« ان الذين حرروا مقال الاحتجاج وختموه بامضاءاتهم ، وقاموا على دعواهم بواجب الدفاع عن العلماء ... وما هم في الحقيقة الا من أكبر أعداء العلماء وألد خصمائهم ، على أنني لم أقصد بمقالي الذي حرك ما سكن فيهم فأعربوا عما أضمرت ضمائرهم من سوء التربية والقصد ، الا النضال عن السادة العلماء الأعلام ، وتبكيت أعدائهم الجهال اللئام ، حيث لم تنفع فيهم الموعظة الحسنة وذهبوا ينشرون من أنواع الطعن في العلماء العاملين . وقد قيل أن التعرض لأعراض العلماء المتقين علامة على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ...

---

6 — عدد 20 ربيع الثاني ، 1350 هـ .

وأضيف : هذا وان كل من نظر بعين الانصاف، وبغير سوء نية فى مقالي المحتج عليه لا يجد فيه أدنى كلمة يفهم منها التعريض « بجمعية العلماء » التي تأسست فى هاته الآونة الأخيرة ، خلافا لما يدعيه الجهال المتعصبون ، فانهم لما خاب سعي رئيسهم الطاعن (7) في أئمة المذاهب والمتظاهر بالعلم والاصلاح وهو لا يستطيع تحرير جواب بسيط ، خافوا اكتشاف أمرهم واتضاح نواياهم السيئة نحو علماء الدين المصلحين الصالحين ، عمدوا الى عملية الدسائس .

ثم أقول : وقد كان صاحب جريدة النجاح (8) دفع هذا الايهام اثر مقابلة بينه وبين العلامة الشيخ بيوض فى هذا الشأن ، اذ كان تطرق لفكر الأستاذ بيوض وهم فى عين النازلة ، وأظن أن ذلك بواسطة بعض هؤلاء الدساسين ، الا أنه لرزانته ومدى اداركه لم يسلك منهج المرزوئين المشوشين ، بل تريث حتى فهم الحقيقة ...

وأمضي فأقول ما معناه باختصار : واذا أردتم معرفة هؤلاء أصحاب المشاغبة واللجاج الذين شرفتموهم بلقب العلماء الذابين عن الشريعة ، فان جلهم لا يحسن كتابة اسمه بلغته الوطنية . أما مكانتهم الاجتماعية بما تحلوا به من مناقب ... ! فالأدب يمنعني من التعرض لها . لكن الذي ساءنا منهم هو التعرض لجهابذة المؤلفين من العلماء الأقدمين والمعاصرين ... وما حملهم على الولوج فى هذا المأزق الحرج ، وسلوك هذا السبيل المعوج الا حب التفرنج وما يدعو اليه من نبذ تعاليم الاسلام السامية ، فاقتضى نظر هذه الجماعة المتفلسفة الزام علماء الدين بادخال التبديل والتغيير على أحكام الشريعة بدعوى أنها صارت غير ملائمة لروح العصر ...

« انهم ليسوا بالعلماء ، بل هم الظلماء الذين ثبت غشهم وعداوتهم ، واتضحت خيانتهم للاسلام والأمة والوطن ، والذين ثبت زيغهم وضلالهم وسعيهم فى تفريق الأمة كلما هب نسيم جمع كلمتها ... »

---

7 — كان المقصود بهذا هو أحد رؤساء اللجان الدينية التي كانت تؤسسها الادارة فى المساجد وهو رئيس الجمعية الدينية بعنابة .

8 — هو المرحوم مامي اسماعيل .

ويحسن أن أثبت هنا نبذة من الخطاب الذي كان موجها اليهم مباشرة من المقال ، فأقول : ويجمل بي أن أنقل فقرات من المقال الـذي أدى بالمحتجين الى الجنون والاختبال ، والعاقل غير المغرض يدرك لأول نظرة أن المقصود هم أعداء العلماء ، اذ أقول : هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم الشيطانية للعلم والاجتهاد ، وما هم في الحقيقة بقادرين على معرفة الفرائض العينيـة ...

تراهم يجوبون الطرقات والمقاهي والحانات ويحدثون تشويشا وفتنا بين الطبقات العامية ... وليس مراد هؤلاء المذبذبين المتفرنجين بالاجتهاد المعنى المصطلح عليه ، فان معرفته بعيدة منهم بعد الثرى من الثريا ، فما الاجتهاد في نظرهم ـ وباطنهم ـ الا عبارة عن هدم أركان الشريعة الغراء بمعاول الالحاد والمروق .

ما أحوجهم ـ لو رزقوا عقولا سليمة ـ الى العناية بالفرائض العينية وعدم تدخلهم فيما لا يعنيهم من الأمور التي لا تطيقها أفكارهم الضيقة ، كالخوض في مسألة الولاية والكرامة ، وما الى ذلك من المباحث التي هي من خصوصيات علماء الشريعة » .

« على أن المفكرين والعلماء أنفسهم قد أدركوا سوء مغبة الاشتغال بالمسائل الخلافية ، لما ينجم عنها من تفريق كلمة الأمة وضياع منافعها ومصالحها ، في حين أصبحت فيه الأمة أحوج ما تكون الى لم شعثها وتوحيد كلمتها . ولا سبيل لذلك الا باعراض ساداتنا العلمـاء عـن الخلافيات وتوجيه أنظارهم نحو غاية واحدة وهي : « العمل لاحياء مجد دينهم وأمتهم » . ا هـ

الآراء المتخالفة المتوافقة

وبعد فليسمح لي القارىء اذا أراد الاقتصار على معرفة التاريخ المجرد البرىء أن أستطرد بذكر بعض الآراء المتضاربة والمتوافقة في باب « الاصلاح » وفي نظريات وسائله وطرفه التي أدت الى مشادات عنيفة بين « المجددين » ـ ان صح التعبير ـ والمحافظين ، وانما أذكرها لعلاقتها المباشرة بتاريخ تلك الفترة المرتبكة ولكنها حاسمة ؛ على أن من هذه الآراء ما كتب بطريقة علمية هادئة ، ومنها ما كان ساخنا أو متشنجا ، ولكننا عندما نمعن النظر في تلك الآراء أو المناظرات ، وعندما نعرضها على الحقيقة المجردة ، نجد أن الخلافات التي نشأت من أجلها ـ اذ ذاك ـ بين علماء الشريعة الاسلامية انما كان منشؤها حزازات شخصية أو نظريات حزبية أكثر منها دينية ، بدليل أننا نجد ، في أكثر الأحيان بل في جلها ، اتفاقا في الحكم على ما عد خارجا عن الكتاب والسنة من أفعال بعض الجهلة من أتباع الطرق الصوفية ، أي نجد اتفاقا في الحكم من لدن المحافظين والمصلحين على السواء ، سلبا وايجابا ، ولا نجد ـ الا في القليل النادر ـ آراء متطرفة عند البعض من كلا الكتلتين ، ومع ذلك فهي ترشح رشحا مكثفا بانفعالات لا يمكن الا أن نصمها بالأغراض الشخصية أو الحزبية .

فنحن عندما نستعرض آراء ابن باديس المتقدمة الذكر والتي سنذكرها، في الوسيلة ، والأذكار ، والزيارة ، وبصفة عامة في المسائل الخلافية عند السلف ، نجدها لا تختلف في شيء عن آراء الدجوي والحافظي مثلا ، باعتبار ابن باديس من المصلحين ، والدجوي والحافظي من الطرقيين والمحافظين .

ولكي نجعل القارىء يقف على حقيقة هذا الرأي بنفسه ، ليحكم حكما صحيحا ، أنقل له بعضا من هذه الآراء . وفيما يلي فقرات من باب « مجالس التذكير » للشيخ ابن باديس عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات » ... الحديث . (1)

الأعمال اما طاعات لأنها مأمور بها وجوبا أو استحبابا ، واما مخالفات لأنها منهي عنها تحريما أو كراهة ، واما مباحات لأنها غير مأمور بها ولا منهي عنها . فالمخالفات بقسميها لا تقلبها النيات طاعات لأنها في نفسها غير عمل صالح ولأننا علمنا بالنهي عنها أن قصد الشارع هو تركها وعدم وجودها ، فقصد المكلف مضاد لقصد الشارع فكان ساقطا لا عبرة به ولا أهلية له لقلب الوضع الشرعي ...

والطاعات بقسميها هي التي تؤثر فيها النيه بالقبول والرد بحسب قصد الله بها وقصد غيره ، أو بتفاوت درجات القبول بحسب القصود على ما تقدم وهي المقصودة بالقصد الأولي من الحديث .

والمباحات مثلها تؤثر فيها النيات فتقلبها طاعة أو معصية ، لأن الشارع لما أباحها علمنا أنه لا قصد له في وجودها ولا في عدمها من حيث ذاتها ، فكان لقصد المكلف حينئذ سبيل الى التأثير فيها .

وقد غفل عن هذه الحقيقة أقوام ــ عفا الله عنهم ــ فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » قاصدين الى تبريرها غير ملتفتين الى كونها من قسم الطاعات أو المخالفات أو المباحات . وكثيرا ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات وكالحج الى الأضرحة وايقاد الشموع عليها والنذور لها ، وكالرقص وضرب الدف في بيوت الله . وغير هذا من أنواع البدع والمنكرات ويتوكأون في ذلك كله على « انما الأعمال بالنيات » .

---

1 ــ الشهاب ، ج1-م7-ص10-11 .

كلا .. ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، فان البدع كلها من قسم المخالفات ، وأن المخالفات لا تنقلب طاعات بالنيات ...

ويختم الشيخ فيقول : فحذار أيها الاخوان في الله من هذا الجهل الذي أدى الى تحريف الكلم عن مواضعه ... الى أن يقول : ونسأله تعالى ــ لنا ولاخواننا المسلمين ــ أن نكوز من الذين يرجون لقاء ربهم فيعملون الأعمال الصالحة ولا يشركون بعبادة ربهم أحدا . ا هـ

وهكذا نجد ابن باديس أيضا ملخصا لفتواه فيما يتعلــق بالوسيلة في درس من دروس « مجالس التذكير » فيقول بعنــوان ، تلخيص وتحصيل : تحصل لنا من جميع ما تقدم :

1 ــ أن دعاء المخلوق وحده أو مع الله ممنوع .

2 ــ وأن التوسل بدعائه في حياته وهو من المؤمنين مطلوب ومشروع .

3 ــ وأن التوســـل بذات النبي صــلى الله عليه وآله وســلم جائز مرجوح .

4 ــ وأن التوسل بذات غيره من أهل المكانة المحققــة له وجه في القياس .

5 ــ وأن التوسل بذات غيره ممن ليس لنا اليقين القــاطع بمقــامه لا وجه له .

6 ــ وأن طلب الدعاء منه بعد موته ــ أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعة لم يفعلها الصحابة .

7 ــ وأن الراجح في التوسل الى الله بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في أنواع طاعاته .

ثم يختم الشيخ باديس : هذه سبع مسائل كثر فيها ــ هذه الأيام ــ القال والقيل وتعرض لها من الكتاب الأصيل والدخيل ، وقد من الله بتحريرها على هذا الوجه الذي لم أره لغيري . وقد كنت في تحريرها ــ علم الله ــ باحثا منصفا متجردا ؛ فما كان فيها من حق وصواب فهو

من الله ، وما كان فيها ــ عياذا بالله ــ من باطل وخطأ فهو مني وأستغفر الله . والخير قصدت وحسبنا الله ونعم الوكيل . اهـ

وهذا مقال أو فتوى من الشيخ يوسف الدجــوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بالقاهرة ، جوابا على أسئلة سائل يقول عنها الأستاذ الدجوي :

جاءتنا أسئلة كثيرة عما أحدثه الناس في مجالس الذكر من البدع التي لا يقرها عقل ولا دين ، ومما جاء فيها .

ان بدع الذكر قد تكاثرت بسبب عدم العناية بالتنفير عنها فسدلت على رفيع جلال الاسلام وبديع رونقه ستار! أي ستــار ، وأحــدثت أضرارا عظيمة ومفاسد جسيمة . ومن شرها مزج الذكر باللهو كالدف والشبابة ، والذكر بأصوات ساذجة ...

ويقول الشيخ : ثم ذكر السائل شيئا من الألفاظ التي يقولونها حال غيبتهم على ما يزعمون لا نستطيع ذكرها في المجلة ــ نور الاسلام ــ ثم قال بعد ذلك ــ أي السائل ــ ومن عذلهم شهروا فى وجهه السلاح بدعوى أنهم انما يصدر عنهم ما ذكر في حال غلبة ناشئة عن الذكر . ويمضي السائل في ذكر حوادث في قريته ثم يقول : ولا وسيلة لكف شرور مثله أو تخفيفها سوى فتوى تصدر في مجلة نور الاسلام التي يحترمها الجميع ، ولا سيما ان عززت بفتوى من مشيخة الطرق الصوفية. فأنشدك الله ــ يمضي السائل ــ أيها المجاهد الغيور أن تسرع ...الخ.

يقول الشيخ الدجوى : ونحن نقول أن الذين يعملون هذه الأعمال المنكرة داخلون فيمن قال الله فيهم : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » ومن الذين اتخذوا آيات الله هزؤا . وسيقال لهم : أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزئون ، ولا ندري كيف يتكلمون بذلك الهذيان الذي تقشعر منه الجلود وتصطك منه الأسماع على ما جاء في سؤال السائل .

وانه لأكبر برهان على أنهم كانوا في أحوال ظلمانية لا نورانية ، ووساوس شيطانية لا الهامات ربانية ، فان الذكر يورث القلب أسرارا

وأنوارا ، فاذا تكلم صاحبه تكلم بالمعارف واللطائف لا البهتان والهذيان، فكلامهم بالفحش، ، على ما يقول السائل ، أكبر برهان على أنهم ماكانوا يتلقون الا عن الشياطين ولا يسيرون الا في ظلمات بعضها فوق بعض ، فما أدل الأثر على المؤثر ، والدخان على النار . والغايات على المبادىء ، والنتائج على المقدمات ...

الى أن يقول : وانه ليجب أن تخشع الأصوات للرحمن ، وتطرق الرؤوس ، وتخضع القلوب ، اعظاما لهيبته وجلاله ، وكيف يتفق ذلك مع تلك الآلات الملهية عن ذكر الله وعن الحضور مع الله كما هو المطلوب من الذاكرين ؟ فآلات اللهو يجب تنزيه تلك المجالس الشريفة عنها » .

وبعد أن يتطرق الأستاذ الى تلك الخمريات التي ينشدونها مع الآلات الموسيقية وتثير فيهم عواطف شاذة غير تلك العواطف التي كانت تثيرها أشعار ابن الفارض وغيره من الصالحين ، يقول :

وقد سئل مالك عن الغناء فقال : انما يفعله عندنا الفساق ثم يقول : وقد قال بعض العلماء : كيف لا يحرم سماع الآلات وهو شعار أهل الخمر والفسوق والفساد والمجون ؟ وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه . ولا ينفعهم تلك التعللات الباطلة ، ولا قولهم أن المراد بالخمر خمخرة الأسرار ، وبالحانة حانة الحضرات ، كما سمعناه من بعضهم ، فان ذلك كله (الآن) خيالات وترهات ...

ويمضي الشيخ الدجوي فيقول : ولننقل لك عبارة الامام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره حين تكلم عن قصة السامري في سورة طه : سئل الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله . ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية الذين يجتمع منهم جماعة فيكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ـ الدف ـ ويقوم بعضهم ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ، ويحضرون شيئا يأكلونه ، سئل : هل الحضور معهم جائز أم لا ؟

(ولعمري أن هؤلاء أحسن حالا ممن نراهم اليوم وجاء بعض وصفهم في السؤال) ، افتونا يرحمكم الله . فقال في الجواب : هذه الأشياء

كلها بطالة وجهالة وضلالة،وما الاسلام الا كتاب‌الله وسنة رسول‌الله•وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار ، فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون • فهو دين الكفار وعباد العجل •

وينقل الدجوي عن الامام ابن قدامة جوابا عن مثل هذا السؤال : ان فاعل هذا مخطيء ساقط المروءة ، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع ••• الى أن يقول : ومن جعل وسيلتـه الـى الله سبحانه ، معصيته كان حظه الطرد والابعاد ••• ومن طلب الوصول الى الله سبحانه من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بعيد من الوصول الى المراد ••• الخ فأما فعله في المساجد فلا يجوز ، فان المساجد لم تبن لهذا ويجب صونها عما هو أدنى منه •

ويختم الدجوي : وبعد فانا نرحب بذكر الله في كل زمان ومكان ، سرا وجهرا ، انفرادا واجتماعا ، ولكن بشرط أن يراعوا آداب الذكر وما يجب له فلا يتخذوا آيات الله هزؤا ، ولا يلحدوا في أسمائه ، أسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن » • ا هـ (2)

وهذا مقال للشيخ المولود بن الصديق الحافظي رد به على شيخه يوسف الدجوي في قضية الوسيلة ، وهو أكثر صراحة وأشد تعصبا من موقف ابن باديس في الوسيلة بالأولياء الأموات ، فبعد ما نقض ، في رأيه منطقيا ، كلام الشيخ الدجوي في جواز الوسيـلة بالأحياء والأموات على شروطها ، يختم فيقول :

وأزيدك في امتناع التوسل بالأولياء الأموات ما يأتي :

أولا ــ أنه لو كان مشروعا وليس من بدع المتأخرين لفعله السلف الصالح ، في القرون الأولى : القرن الأول والثاني والثالث ، واللازم باطل لأنه لم ينقل عن واحد منهم أنه توسل بالميت وانما كانوا يكتفون بالسلام والدعاء والاستغفار • ويجـب علينا في مثـل هذه المواقف

---

2 ــ المصدر السابق منقولا من مجلة نور الاسلام القاهرية ، ج12ـم10 •

متابعتهم شبرا بشبر لقوله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنـواجذ واياكم ومحـدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ولا يأتي من البدع الا كل شر لقوله صلى الله عليه وسلم « ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها » .

ثانيا ــ ان الوسيلة في قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » هي فعل الطاعات والمأمورات . راجع ــ ان شئت ــ كلام المفسرين ، ويدل عليه الحديث : « ما تقرب عبد الي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه .. الحديث . وهذا صريح في أن القربة التي يتوسل بها الانسان الى ربه هي أداء الفرائض وعمل النوافل ، فلفظ الوسيلة في الآية ، وان كان مجملا ، ولكن الحديث بينه ورفع اجماله فوجب الوقوف عند هذا البيان لقوله تعالى : « وان تنـازعتم في شيء فـردوه الى الله والرسول » .

ثالثا ــ في التوسل بالأموات شبه بفعل الجاهلية ، قال تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » وقال أيضا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجـون رحمته ويخافون عذابه » . فان لفظ الموصول عام فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فمن الناس من ينادي الميت ويطلب منه حاجته رأسا وينذر اليه النذور ، ومنهم من يناديه ويقسم عليه بالله كأن يقول : يا سيدي ... عزمت عليك بالله الا ما قضيت لي حاجتي . ومنهم من ينادي الله ويقسم عليه بالميت عكس الصورة الثانية ، فالميت في الصور الثلاث عاجز عن ازالة الضر وجلب الخير ...

ويمضي الى أن يقول : اذا كنت تتوسل بالأولياء وهم أنفسـهم يتوسلون بالقربات فالواجب أن تتوسل بما توسلوا به وأن ترجو رحمة الله . وأن تخاف عقابه من اتخاذ واسطة غير الفرائض والنوافل . « ان عذاب ربك كان محذورا » .

ومن أراد السنة فعليه الاكتفاء بالزيارة الشرعية من غير أن يتخذ لذلك رواحل ولا أن يقول هجرا • انما يقول « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المتقدمين منا ومنكم والمتأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم » • فان القصد من الزيارة هو الدعاء للميت والترحم عليه والاتعاظ به وتذكر أحوال الآخرة ، وصلة الرحم للقريب ودمع العين ورقة القلب ونحو هذا ، وما وراء ذلك مما تفعله العامة والجهلة باطل وبدعة • اللهم وفقنا الى اتباع السنة وحل بيننا وبين البدعة • (3)

نقلت هذه المقالات الثلاث « المتوافقة » باعتبار أن كل واحدة منها تمثل اتجاها خاصا ، فالدجوي يمثل اتجاها طرقيا ، كما أن الحافظي يمثل اتجاها محافظا سنيا ، بينما ابن باديس يمثل اتجاها اصلاحيا ، وكلها من الحكم على البدع في غاية الوفاق ، بل ان الحافظي الذي سنراه ينشق عن جمعية العلماء المسلمين ليكون على رأس « جمعية علماء السنة » نجده أشد صلابة من الشيخين ، فهو ينفي الوسيلة أصلا بالأولياء الأموات على خلاف الشيخين في جوازها بشروطها ، ثم هو لا يشير بأية كلمة الى قضية الوسيلة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت — اذ ذاك — العمود الفقري في اثارة الخلاف والنزاع والتكفير والتفسيق بين المصلحين والمحافظين بينما الشيخان يثبتانها • (4)

والمقام يقتضيني أن أقتصر على هذه المقالات الثلاث تخفيفا من الاستطراد والا فأمثالها كثيرة • على أنني لا أغادر موضوع هذه المقارنة دون أن أنقل بعض الآراء « المتخالفة » المتطرفة ، وليكن هذا

---

3 — ش1ج12—م7—ص751—761 •

4 — راجع : شهاب ، ج3—م8 •

عن ثلاث شخصيات أيضا . وأولهم الكاتب المتضلع المحبوب صديقنا الشيخ محمد البشير الابراهيمي رحمه الله تعالى فقد كتب بعنوان : « آثار الطرق السيئة في المسلمين » ما يلي : (5)

« خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » ...

ليعذرنا الشاعر الميت وأنصاره من الأحياء اذا استعملنا مصراع بيته فى ضد قصده ، فهو يريد أن المشهود أكمل من المقصود ونحن نريد العكس . فان أبوا أن يعذرونا احتججنا بأن الشاعر المرحوم هو الذي جنى على مصراعه ، فقد أرسله مثلا وهو يعلم أن الأمثال «كالكومينال» (6) ارث مشاع ، وقصاع بين جياع ، تتناهب وتتواهب .

ولم كل هذا الصراع على مصراع وأمثال قومي في البلاد كثير ؟... ومع ذلك فلم يحضرني منها الآن الا كل قبيح اللفظ فأنا متمسك بحجتي في المصراع برغم أنف الشاعر ورغم أنوف أنصاره :

« خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » .

والمقصود واضح ، فان قارىء هذا العنوان ربما تحلب ريقه طمعا في أن ننقل له الغابر من الأخبار ، والمدون في الأسفار من هذه الآثار ، فتقاضانا الكسل من جهة والحرص على تعجيل النفع له من أخرى أن نحيله على ما يراه مع مطلع كل شمس من هذه الآثار السيئة التي شتتت شمل المسلمين وفرقت كلمتهم وفككت روابطهم وتركتهم أضحوكة الأمم ومسخرية الأجيال ، بعد أن أفسدت فطرتهم وأفقرت نفوسهم من معاني الخير والرجولة .

فاذا تأمل مليا وجد في المشهود ما يغنيه عن التطلع للماضي المسموع، واستفاد في آن واحد عبر الحاضر وعظة المستقبل ، وكفانا مؤونة

---

5 ــ سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين ، ص 22 .

6 ــ الكومينال» كلمة فرنسية اطلقت على الارض الرعوية التي تعدها البلدية لمواشي السكان .

الافاضة والاستقصاء ، لأنه يعلم من الدراسة اليسيرة لهـذا الحاضر المشهود أن كل ما يراه في المسلمين من جمود وغفلة ، وتناكر وقعود عن الصالحات ، ومسارعة في المهلكات فمرده الى الطـرق ومأتاه ، مباشرة أو بواسطة ، منها ، فلا كانت هذه الطرق ولا كان من طرقها للناس •

وبعد أن يذهب الشيخ مذاهب شتى في تصويره لحالة الطرق مع العلماء في القديم والحديث ، من اذلالهم وشراء ضمائرهم •••

يقول : ان أعظم مصيبة أصابت المسلمين ـ وهي جفاؤهم للقرآن وحرمانهم من هديه وآدابه ـ منشؤها من الطرق • فهي التي غشت المسلمين لأول ما طاف بهم طائفها ، وغشينهم بهذه الروح الخبيثة روح التزهيد في القرآن • وكيف لا يزهد المسلمون وكل ما فيه من فوائد وخيرات وبركات قد انتزعتها منه الطرق وجردته منها ، ووضعته في أورادها المبتدعة ، ورسومها المختـرعة ، ونحلته شيـوخها ومقدميها وصعاليكها ؟ (7) •

وبعد أن تجمح بالشيخ عاطفته المتأججه فيذهب بعيـدا في سب الشيخ ابن عليوه والشيخ التيجاني ، يقول الأستاذ : ••• يجري كل هذا والأشياخ أشياخ يقدس ميتهم وتشاد عليه القباب ، وتساق اليه النذور ، ويتمرغ بأعتابه ، ويكتحل بترابه ، وتلتمس منه الحاجات ، تفيض عند قبره التوسلات والتضرعات ، ويكون قبره فتنة بعد الممات كما كان شخصه فتنة في الحياة • ثم تتوالد الفتن فيكون اسمه فتنة ،

---

7 ـ الحقيقة التاريخية والمجردة أن الزوايا هي وحدها التي كانت حافظت على القرآن العظيم بتحفيظه والوقوف عليه وعلى لغته ، طيلة ظلام الاحتلال الفرنسي ، وظلم المستعمرين ، وحقدهم الذي كان يدفع بهم الى القضاء عليه وعلى لغته العربية بمختلف الوسائل .

وأولاده فتنة ، وداره فتنة ، واذا هو مجموع فتون ، تربو عدا على ما في « مجموع المتوز » • (8)

ثم يذهب الشيخ الابراهيمي مذهبا جدليا ؛ فيجرد من الخيال ، أو من الكلام الجاري على الألسنة ، أشخاصا يسألونه :

« ان ما ذكرتموه من آثار الطرق السيئة كله صحيح ، وهو قليل من كثير ، ولكن هذه الطرق لم يعترها الفساد والافساد الا في القرون الأخيرة وأنتم ـ معشر المصلحين ـ تذهبون في انكاركم الى ما قبل هذه القرون ، وتتناولون فيما تكتبون وما تخطبون وما تدرسون ـ المحدثين والقدماء والأصول البعيدة والفروع القريبة ، حتى بسطتم ألسنتكم بالسوء الى مقامات وأسماء كانت قبل اليوم كحمام الحرم • ولعل خصومكم يكونون أدنى للرجوع الى الحق لو سكتم لهم عن هذه الأسماء ••• »

فيرد الشيخ : لهذا القائل نقول : ـ بعد شكره على الاعتراف ببعض الحق ـ أن الجزء الأخير من كلامك مقتبس مما يشنع به علينا خصوم الاصلاح وهو أننا ننبش القبور ولا نحترم الأموات ، وننكر كرامات

---

8 ـ لا شك أن الشيخ الابراهيمي حينما يفيض في ذكر سيئات الطرق والطرقيين ، والتشهير بسوآتها وسيئاتها ، فهو يصدر من جهة من خبرة صادقة بما كان يقع من جهلة الطرقيين ولكنه من جهة أخرى انما يصدر عن عاطفة جامحة ، أو عن خبرة مجنجة . لأنه كان تعلم في الزوايا وعاش كثيرا من حوادثها ، ثم ذهب الى المشرق العربي فملأ وطبه بالعلم والمعارف . ولما رجع الى الوطن ذهب حيث بدأ واستقر بزاوية ابن علي الشريف بناحية اقبو ، حيث أسند اليه أمر التعليم والتصرف بشؤون الزاوية بوكالة من شيخها ، الى أن آل الأمر الى خلاف بينه وبين شيخ الزاوية ففصل منها بحكم شرعي من المحاكم الفرنسية .

ولذا فهو يقول في مكان آخر من هذا التصدير لسجل مؤتمر جمعية العلماء « انا لا أحمل لهؤلاء المشائخ ولا لأولادهم ولا لأحفادهم حقدا ولا نضطغن عليهم شيئا ولا ننفس عليهم مالا ابتزوه من الأمة ، ولا .. ولا .. الخ حتى يقول : ولو كنا من الشعريات بسبيل لقلنا مع القائل :

لا أود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

فلا شك أن الحادثة المتقدمة الذكر هي التي بدلت فكرته الأولى التي كانت تفضل المهادنة في الاصلاح ، مثل الشيخ باديس ، واقتنع بعدم جدوى هذه المهادنة ، فالتحق بفكرة الشيخ العقبي الثائر على الطرقية ، فكان أشد منه عليها .

الأولياء ومراتبهم (من غوثية وقطبانية) الى أكاذيب يلفقونها وأراجيف يتناقلونها عنا • فا سمع يا هذا :

« ان حجة الاسلام قائمة ، وميزانه منصوب ، وآدابه متمثلة في سيرة الصحابة والتابعين ، وأننا لا نعرف في الاسلام بعد قرونه الثلاثة الفاصلة ميزة لقديم على محدث ، ولا لميت على حي ، وانما هو الهدى أو الضلال ، والاتباع أو الابتداع ، وليست التركـة التي ورثناها عن الاسلام عبارة عن أسماء تطفو بالشهرة ، وترسب بالخمول ، ويقتتل الناس حولها كالأعلام ، أو يفتتنون بها كالأصنام • وانما ورثنا الحكمة الأبدية ، والأعمال الناشئة عن الارادة ، والعلم المبني على الدليل ••• »

ويضيف الأستاذ الابراهيمي : ونحن اذ ننكر الفاسد من الأعمال ، والباطل من العقائد ، سواء علينا أصدرت من سابق أم من لاحق ، ومن حي أم من ميت ، لأن الحكم على الأعمال لا على العاملين ، وليس صدور العمل الفاسد من سابق بالذي يحدث له حرمة أو يصيره حجة على اللاحقين . بل الحجة لكتاب الله ولسنة رسوله • فلا حق في الاسلام الا ما قام دليله منهما ، واتضح سبيله من عمل الصحابة والتابعين بهما أو اجماع العلماء بشرطه على ما يستند عليهما • وبهذا الميزان فأعمال الناس اما حق فيقبل أو باطل فيرد » •

ويصيح الشيخ في آخر الفصل : أفيجمل بجنود الاصلاح أن يدعو هذه القلعة ــ يعني التصوف أو الزوايا التي تؤويه ــ تحمي الضلال وتؤويه ؟ أم يجب عليهـم أن يحملوا عليها حمـلة صادقة شعارهم « لا صوفية في الاسلام » حتى يدكوها دكا وينسفوها نسفا ويذروها خاوية على عروشها ••• » اهـ •

وكلام الابراهيمي في الصوفية والمتصوفين طويل وذو شجـون ، فليطلع عليه من شاء في مقدمة سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء ، طبع المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة سنة 1354 هـ ــ 1935 م •

2 ـ والشخصية الثانية هو الشيخ أبو علي بن محمد الديلمي المسيلي (9) وننقل عنه فقرات من كتابه المفتوح الذي وجهه الى الابراهيمي بدعوه للمناظرة في نقاط الخلاف المشهورة ، والتي كان الابراهيمي يتناولها في محاضراته « بدار الحديث » في تلمسان ، فيقول الديلمي في كتابه « اماطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام » . (10)

« انه قد طلب الى كثير من الاخوان أصلح الله لنا ولهم الحال والشأن أن أعيد لهم نشر الكتاب المفتوح الذي كنت وجهته للفيلسوف داعية الضلال والاعتزال بتلمسان : ذلك الكتاب الحكيم الذي نقض غزل الأعرج والذي كان أشبه شيء بعصا موسى ، أبطل ما كان صنعه من السحر المهيج ، وأوقفه عند حده وألزمه جحر بيته وألجمه بلجام الخرس فلم يستطع أن يلبي دعوتنا له الى المناظرة ولا أجاب عما أحدثه من فتاويه المغرضة الشيطانية التي أثارت فتنة عمياء صماء في الحاضرة التلمسانية تلك الفتنة التي أشابت الصغير وأفنت الكبير وفرقت بين الأحباب والأنساب وصيرت الابن عدوا لأبيه ومحاربا لشريعته وقادحا في سلفه الصالح من أمنه ... واختلط فيها الحابل بالنابل والفارس بالراجل والعالم بالجاهل والصلاح بالفساد والهدى بالضلال والسنة بالبدعة ... »

ولما أراد الله اظهار الحق من الباطل وتمييز الرشد من الغي قيض رجالا من أنصار السنة وفضلاء البلدة أحاطوا به من كل جهة وأكرهوه

---

9 ـ ابو علي المسيلي يعتبر من العلماء المحافظين الصوفيين . ومركزه بالمسيلة حيث منشؤه ، الا أن ظهور الابراهيمي في مدينة تلمسان بدعوته الاصلاحية والتي كانت موجهة بصفة خاصة ضد الطائفة العليوية هناك ، حدا بهذه الطائفة أن تستدعيه من مقره بالمسيلة ليمثل الزاوية العليوية بتلمسان وليقف في وجه دعوة الابراهيمي . بيد أن الشيخ البودبلمي استقر نهائيا بتلمسان واعظا مرشدا واماما ورئيسا للمركز العليوي . وقد زرته في شهر ماي 1978 حيث طلبت منه بعض الوثائق فاستقبلني بحفاوة واكرم مثواي وقدم لي ما وجد عنده من وثائق واهداني نسخة من كتابه المخطوط الذي أسماه « ارشاد الشباب لنهج الصواب » وهو عبارة عن كلمات له ألقاها في الاذاعة الجهوية .

10 ـ طبع كتاب اماطة اللثام سنة 1939 بالمطبعة العلوية بمستغانم .

على المناظرة أو الاجابة على كل حال قواعد أولا ثم فكر ونظر فقال أنا أعلم من في الأرض وليس لي كفؤ حتى أتنزل لاجابته أو مناظرته •

وظهر للناس عجزه وفضح نفسه شر فضيحة بما ادعاه من الأنانية والعظمة الفرعونية التي كرهت فيه حتى أصدقاءه وخواصه •• الخ•(11)

وفيما يلي بعض الفقرات من الكتاب المفتوح تتميما لتوضيح الرؤية :

وبعد أيها الشيخ فالذي نحيطكم به علما هو أننا منذ حللنا بتلمسان والبعض من جماعتكم والمنتسبين اليكم يهرعون الينا ويبلغوننا عنكم أنكم تدعوننا الى المناظرة وقد كنا في باديء بدء معرضين عنهم غير ملتفتين ولا عابئين بما يبلغونه لترددنا وعدم يقيننا من صحة ما يقولونه ، وفي هذا الأخير وفد علينا من طرفكم جماعة تيقنا صدقهم لما عرفنا منهم جناب الأديب النجيب السيد (•••) والسيد (•••) وقد بلغونا عنكم أيضا ما بلغه الآخرون بزيادة الالحاح وقد ذكروكم لنا بما أنتم أهل له وهو أنكم قلتم لهم : سنخصص لهم مكانا عاليا يجلسون فيه ان هم قدموا وسنضع بين أيديهم ألف كتاب •••الخ •

فسرنا جميع ما سمعناه • ولو لم يكن منكم الا تنزلكم لمسألة المفاهمة لكان كافيا • ونحن لما رأينا عزمهم وشدة حرصهم أجبناهم لما دعوتمونا اليه وكيف لا •• وهذا الأمر طالما تمناه كل من الجانبين »
ويمضي الكاتب في استحسان اللقاء ويعين الموعد والمكان الحيادي رافضا مركز جمعية العلماء الذي عينه الابراهيمي ، ثم يقول :

•• وقد مضى الأجل والوقت المعلوم ونحن ننتظر أن توفوا بعهدكم وأن تفعلوا بما تقولون فاذا بكم نقضتم غزلكم بيدكم ••• وقد بلغنا من مصدر وثيق أنكم قد سعيتم جهدكم في مقاطعة جميع من يسعى في أسباب المفاهمة وقطع الخلاف بين الجانبين ، خصوصا ذلك الرجل الذي تبرع بثلاثة آلاف (نحو خمسة عشر ألف دينار الآن) •

---

11 ـ اماطة اللثام ، ص 2ـ3 المقدمة .

ويضيف الشيخ البوديلمي : أما ما قلته بأنكم أعددتم ألف كتاب تقدمونها بين أيدينا فاننا تعجبنا من ذلك وأيم الله حيث أنكم من جهة تدعون الاجتهاد المطلق (*) وتؤولون الآيات القرآنية على حسب ما يظهر لكم وتقدحون فى المفسرين المتقدمين ، ثم انكم من جهة أخرى تحكموننا الى الكتب فيا لها من كلمة تريدون بها باطلا ويا ليتكم تقفون عند حد هذه الكلمة وتعملون بمقتضاها وأظن بل أتحقق أنه قد جاء الوقت ان شاء الله للعمل بمقتضى ذلك وأزيدكم بيانا ووضوحا يا حضرة الشيخ فانه لو وقف علماء شيعتكم من أول الأمر على ما قرره العلماء ودونوه فى كتبهم من العقائد وأحكام العبادات وتناولتموها أنتم بالقبول والشرح ونشرها بين الناس من دون تلبيس ولا تدليس لما وقع هذا الخلاف العظيم الذي شوه الأمة الجزائرية » .

« وعلى كل حال فان مرجعنا واياكم جميعا الى ما قرره علماء مذهبنا من أهل السنة والجماعة لا علماء البدعة والضلالة . وحيث كان الأمر كذلك ولربما يتعسر عليكم الاجتماع بنا لعدم مكافأتنا لكم كما تقولون! فها نحن نقدم لكم هاته الأسئلة التي هي حديث المجالس بين التلمسانيين ولتكن الاجابة عليها فى الصحف السيارة ليطلع عليها الرأي العام ...

ودونكم المسائل التي نرجو الاجابة عنها .

1 ـ لماذا لم تحضر جماعة المسلمين ولا جمعتهم وتحكم عليها بالبطلان ؟ .

2 ـ مخالفتك للاجماع بقولك : ان آدم لم يخرج من الجنة وانما أخرج من عدن باليمن .

3 ـ حكمك على أبوى النبي صلى الله عليه وسلم بالنار .

4 ـ انكارك لرسالة آدم بدعوى أنه لم يوجد نص فى القرآن يدل على رسالته . (12)

(*) لقد اجابني الشيخ الابراهيمي شخصيا على هذه الدعوى التي اشتهرت عنه بأنه لم يدع الاجتهاد المطلق وانما ـ كما قال ـ نحن نطبق الجزئيات على الكليات .

12 ـ لم اعرف هذا الانكار عن الابراهيمي أو لم يشتهر عنه وكذا شفاعة الأنبياء وتكفير أبوي النبي .

5 ـ حكمك على الحسين بأنه قتل بسيف جده •

6 ـ اباحة مس المصحف للجنب لعدم وجود الدليل من الكتاب والسنة •

7 ـ حكمك على الميت اذا مات انقطع عمله بدون استثناء وأن لا تلحقه صدقة أو غيرها •

8 ـ تشريك المتوسلين بالأنبياء والأولياء والصالحين •

9 ـ انكارك لشفاعة الأنبياء عامة وخاصة •

10 ـ تكفيرك للزائرين القبور بدعوى أنهم يعبدون من دون الله •

11 ـ انكارك لمشروعية الباقيات الصالحات بعد الصلوات •

12 ـ انكارك لمشروعية الدعاء •

13 ـ تضليلك أصحاب المذاهب الأربعة بدعوى أنهم مزقوا الأمة ، ودين الله واحد •

14 ـ خوضك فى واقعة صفين وتصويبك لرأي معاوية وتخطئة علي كرم الله وجهه •

15 ـ تحليل القليل من الربا •

16 ـ تحليلك المكوس •

17 ـ تحليلك المطاقة ثلاثا •

18 ـ تفسيقك لمن اعترف بولاية أبي مدين الغوث رضي الله عنه •

19 ـ انكارك لكرامة الأولياء ومعجزات الأنبياء •

20 ـ انكارك تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء •

21 ـ انكارك لحياة النبي صلى الله عليه وسلم فى قبره •

22 ـ هل أنت مجتهد أو مقلد ؟

23 ـ شرط أننا لا نقبل الجواب فى العبادات الا بما قرره مالك وأتباعه • ولا نقبل الجواب فى العقائد الا بما قرره الأشعري وأتباعه •

هذا وان كتاب البوديلمي المفتوح طويل وعريض ، بما سبقه ولحقه من حوادث وأجوبة من أطراف العالم الاسلامي ، فليراجعه من شاء فى كتاب « اماطة اللثام عما نشأ فى الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام » لأبي علي الديلمي نفسه . (13)

3 ـ أما الشخصية الثالثة فهي الشيخ حسن الوارزقي القسنطيني (14)

يقول الوارزقي فى مقال نشر بجريدة الرشاد عدد 42 تحت عنوان :

« الشيخ ابن باديس فى المرآة » أقتطف منه بعض الفقرات فيما يلي :

« عجيب أمر هذا المخلوق ـ والله ـ كان قبل انعقاد المؤتمر الديني بالعاصمة (15) بأسبوع يتهم رجال الطرق الصوفية الاسلامية بالخيانة ويرميهم بالزندقة والكفر ، ويرميهم بكل نقيصة ولا يعترف لهم بالاسلام الذي احتكره لنفسه أولا ، ولشيعته الملفقة ثانيا ؛ وكان اذا أراد أن يذكر رجال الطرق الصوفية فى احدى مناسباته شبههم برجال « الاكليروس » وشبه معاهدهم العلمية الدينية الاسلامية « بالكنائس » وكان يقول فيهم على سبيل الاجمال كل ما يأباه الدين الحنيف وتتحاشاه الكرامة وتعافه المروءة ... (16) وكل هذا ليكرههم على اعتناق مذهبه الرافضي ! ولكنه أخفق اخفاقا تاما .

« فلما أحس بقرب انعقاد مؤتمرهم الديني ـ وكان يخشى كثيرا أن ينجح مؤتمرهم ـ أخذ يهاجمهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمالهم . وأقام ضجة وعويلا ، وعمل مع أذناب له على عرقلة المؤتمر

---

13 ـ راجع اماطة اللثام ، من ص 6 الى 13 .

14 ـ حسن الوارزقي اديب وكاتب من الرعيل الاول ، كان من معاوني الفقيد الامير خالد فى اصدار جريدة الاقدام كمصفف ، وهو فى مقتبل العمر ، ويعتبر من المحافظين واتجاهه سياسي اكثر فهو كان من المغرمين بالدكتور ابن جلول فى شهرته الاولى . ويمكن ادراك حقيقة تعامله مع ابن باديس عندما يطلع على حكاية باديس مع الامير خالد وقد سبق عنها الكلام ثم المساكنة والمعاصرة .

15 ـ المراد به « مؤتمر جامعة الزوايا والطرق الصوفية » وسمته جريدة الرشاد « مؤتمر الشمال الافريقي » .

16 ـ لم نسمع هذا من ابن باديس ، ولم يؤثر عنه ، فالمشتهر عن ابن باديس انه لم يكن سبابا ولا لعانا .

بكل وسيلة دنيئة ، وبذل أقصى جهده في قلب الحقائق وتثبيط العازمين على الذهاب لحضور المؤتمر ، فتارة يسمي المؤتمر « زردة » ومرة يسميه احتفالا ، وأخرى يسميه تآمرا على الأمة الجزائرية التي لا يراها تتمثل الا في شخصه الضعيف ... »

فلما أزفت ساعة انعقاد المؤتمر وعلم أن جميع مساعيه أخفقت كالعادة وشاهد اقبال المسلمين على المؤتمر الديني ، لا من جميع أنحاء الجزائر فقط ، بل ومن المملكة التونسية والمملكة المغربية ، وكان أكثر الوافدين على المؤتمر من وجوه المسلمين وعلمائهم وأدبائهم وشيبهم وشبابهم . لما شاهد ذلك المنظر الخلاب تعلوه الأخوة الاسلامية ، ويكتنفه الوقار والجلال ، ولمس خيبته المريرة بيده ، اندهش وارتاع ، وأخذته الرجفة فأصبح فى دار « التربية الفاجرة » جاثما . (17)

لقد كان الشيخ باديس قبل انعقاد المؤتمر يعتقد اعتقادا جازما (جنانيا) (18) اعتمادا على ذبذبته : ان رجال الطرق الصوفية الاسلامية ورؤساء المعاهد العلمية اندثروا ، وأن من بقى منهم قائما بقي ذليلا لا أتباع له ولا نفوذ ... الى أن يقول : فلما شاهد نجاح المؤتمر سقط فى يده وأدركه الغرق فقال آمنت » .

كيف أدركه الغرق وكيف قال آمنت ؟؟

أدركه الغرق لما شاهد الاقبال العظيم الذي أقبل به الشعب الجزائري على مؤتمره الديني النقي ، رغما على ارادة الشيخ باديس الذي يعتقد خطأ أن الشعب الجزائري فى قبضة يده ...

وقال آمنت عندما عمد الى تسويد ورقته « الخسائر الباديسية » ــ يعني جريدة البصائر ــ بمقال جاء فيه : .. .

---

17 ــ يقصد « دار جمعية التربية والتعليم » التي هي أول مؤسسة نظامية للتعليم بقسنطينة باستثناء المدرسة النظامية التي أسسها صديقنا المرحوم الشيخ محمد بن العابد الجلالي .

18 ــ يقصد ما يوسوس له به عبد الحفيظ الجنان الذي سماه الطرقيون « فار التربية والتعليم » .

« من المحال أن يضيق صدر الجزائر عن فكرتين أو مذهبين ، أو دينين » فهو هنا يعترف بصراحة بأن الشعب الجزائري على فكرة مستقيمة، وهو على فكرة شاردة ، ويعترف بأن الأمة لا تزال على مذهبها المالكي الذي وجدت عليه أسلافها الأبرار ... »

وبعد جولة مع الشيخ باديس بأوصاف مشنجة مغالية يقول الوارزقي:

« ان الشعب الجزائري الرصين يقابل عرض مد يد الشيخ ابن باديس لمشاركة رجال الزوايا ، اذ قبل ـ بين عشية وضحاها ـ أن يكون عضوا ... مع من كان يسميهم ظلما عبدة القبور افتراء عليهم وعلى الله الواحد القهار ، لما رأى الأمة أيدت المؤتمر الديني بالحضور اليه بالأبدان ؛ ثم برهنت على اخلاصها لرجال الطرق الصوفية بمقدار كبير من المال للأعمال الخيرية المقبلة ...

ويختم أخيرا : « وليس ببعيد أيضا أن نسمع الشيخ ابن باديس فى الأسبوع القابل يمدح رجال الزوايا ويثني على هممهم كما كان قبلا .. وأنه لا لوم على من يعمل مسيرا بيد الأحداث » . ا هـ

خـــلاصـــة :

هذه صورة ناطقة معبرة ، عشناها وسمعناها وتألمنا منها ، بما كان يجري فى تلك الفترة الطويلة ـ سابقا ولاحقا ـ من مهاترات ، لا أفسرها شخصيا الا بمهاترات ذات أغراض شخصية أو حزبية ـ باستثناء القليل من رجال مخلصين حريصين على وحدة الأمة ـ ، وقد اتخذ الدين فيها سلما ، كما لا زال لهذا اليوم يستعمل حتى للقضاء عليه فى عقر داره ، وابان حرية شعبه . وانما لكل قوم فى الدعوة أسلوب ، ولكل ظروف من الحيل ضروب .

فبالأمس استعملت محاربة الخرافات والبدع ـ على ما فى هذه من شرعية وايجابية ـ وسيلة لانتصار فكرة على حساب أخرى ، الغرض منها سياسي أو حزبي أكثر منه ديني . واليوم نستعمل كلمات رنانة من مثل « الاسلام المتفتح المتطور » ومن مثل الصاق كلمة الرجعية والجمود

بعلماء الدين ورجال الاسلام ، طريقا للقضاء على العقيدة الاسلامية السليمة ليصبح المجال فارغا أمام أصحاب « الأيديولوجيات » الملحدة والمذاهب الهدامة المخربة للاسلام والمسلمين • (19)

بيد أنه ، لئن كانت دعوة اليوم ــ الثلث الأخير من القرن العشرين ــ من الخطورة بمكان على الكيان الوطني الاسلامي في جزائرنا العربية الاسلامية ، فان دعوة الأمس كان ــ ولله الحمد ــ خيرها أكثر من شرها ، وايجابياتها أكثر من سلبياتها • وذلك للفارق بين المقصدين والتباين بين الهدفين •

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنشطر الى جمعيتين

وهكذا أدت تلك المشاحنات والمهاترات بين أعضاء الجمعية وأتباعهم ، من مصلحين ومحافظين على السواء ، الى انقسام الجمعية ، ولم يمر على تأسيسها سوى سنة واحدة ، كانت كلها أو جلها ميدانا للتخطيط و « التبييت » •••! لا لتوطيد دعائم الجمعية والوحدة ، بل لفوز احدى الطائفتين بالغنيمة والأنصار ! •

وهكذا فما طلعت شمس يوم الاثنين 17 محرم الموافق 23 ماي ــ أيار 1351 هـ 1932 م حتى برزت العملية السريعة فى تشطير الجمعية الى جمعيتين : « جمعية العلماء المسلمين وبقيت تحت رئاسة ابن باديس

---

19 ــ مما لا زلت اذكره جيدا واعترف بصدقه ، أنني كنت يوما مع الصديق الوفي الشيخ عباس بن الشيخ الحسين فى زيارة لاقاربه وأخوته بزاوية « سيدي الحسين القشي » بقرية سيدي خليفة غرب شمال مدينة قسنطينة ، وبعد جولة فى منشئات الزاوية التي صارت شبه مهجورة ، وذلك حوالي 1966 ، وبعد لقاء مع بعض افرادها المسنين الذين وجدناهم لازالوا ملازمين لعبادة الله واقراء القرآن العظيم ، قال لي الشيخ العباس ما معناه :

اشهد الله اننا كنا على خطا فى محاربة هؤلاء الذين كانوا ولا زالوا مرابطين فى سبيل الاسلام والعقيدة .. والذي اسف له أن انشاء روح استنقاص قيمة هؤلاء وامثالهم ، وتهوين مهمتهم فى عيون أفراد الشعب كان البذرة الخبيثة الاولى التي انبتت الالحاد فى وطننا الاسلامي العريق ، واستوى العالم بالجاهل والطيب بالخبيث والظلام بالنور » . وهذا ما نلمسه فعلا اليوم فى الجيل الصاعد فهو يرى ــ الا من رحم ربك ــ ان كل قديم تأخر ، وان كل داع الى القديم فهو جامد . وبالتالي يصبح كل محافظ على دينه وقوميته واصالته عائقا فى طريق مسيرة الأمة ويضحى بغيضا منبوذا ! .

وعضوية المصنحين » ، و « جمعية علماء السنة الجزائريين » ووضعت تحت رئاسة الحافظي وعضوية المحافظين والطرقيين •

واتخذت هذه مقرا لها « نادي الاخوة الاسلامية » بعاصمة الجزائر ـ نادي الرشاد سابقا ـ بينما بقيت تلك بنادي الترقي الى حين •

ولكي نطلع بتفصيل على الدعاوي المتضاربة التي تحتاج الى تمحيص ، والتي كان يدلي بها كلا الجانبين لتبرير الانقسام ، يجب أن نطلع على البيانين الصادرين من كلا الكتلتين ، وما أعقب البيانين من بيانات وما عززهما من مقالات فى الصحف ، وبما أن ذلك شيء يطول كثيرا استيعابه فى هذا الكتاب ، ثم لا يأتي بشيء جديد زائد ، فقد اقتصرت على نقل ما تلح به الحاجة لفهم القضية من بياني : كتلة المحافظين وكتلة جمعية العلماء المصلحين • وقد صدر الأول بامضاء عمر اسماعيل والثاني بامضاء ابن باديس •

1 ـ مقتطفات من بيان عمر اسماعيل بعنوان :

بيان عـام للأمـة الجزائرية

أيتها الأمة العزيزة ! ان ما قاسيته في ماضيك وحاضرك من شتى التجارب كفيل بتفهم نفسية كل ما من شأنه فقط امتلاك المقدرة على اللعب بالعقول ، كفيل بعدم انخداعك بعد ذلك بتلك المقدرة السطحية ، كفيل بتمييز الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بحق ، والآمـرين بالمعروف وينسون أنفسهم ، والناهين عن المنكر وهم لا يتناهون عن منكر فعلوه ، كفيل بأن تدركي ادراكا صحيحا ان ما كان دواء تعالج به الأدواء الاجتماعية أصبح داء قتالا ..

ويقول : وان كان ما كان يضرب به المثل من صلابة الأمة الجزائرية في دينها وقوميتها صار ، في رأي بعض هذه الشرذمة كفرا ، وفي فكر بعضها شركا . وفي نظر البعض الآخر جمودا ، وان ما عليـه هذه الشرذمة وحدها ، في زعمها ، هو الحق ، حتى انتهى الأمر ببعضهم الى خرق سياج الآداب الاسلامية والسعي أخيرا الى اضعاف قوة الوازع الديني وحرمته في النفوس وخلق الشعور بنزع كل احترام للجناب النبوي ، بأن حملت الجرأة ذلك البعض على تسمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم « موزع بريد » (فاكتور) لا أقل ولا أكثر . وقد سارت بذلك الركبان ...

رأينا هذا التيار الذي يهدد الاسلام في هدا الوطن الاسلامي العزيز وأمعنا النظر في أثره السيء وانتهى بنا التفكير الطويل الى التوسل بما رأيناه ناجعا ونافعا ، فبادرنا في السنة الماضية الى دعوة جمهور العلماء المسلمين في الجزائر ، ومنهم أفراد من هذه الطائفة التي لا تتجاوز أصابع اليدين والتي أبت الا أن تتشبث بشذوذها وغرورها ، وضحينا أوقاتا نفيسة وعشرات الآلاف من مالنا الخاص (1) ولم نعمل كل ذلك ـ علم الله ـ الا لغاية شريفة ، وقلنا فلنجعل ذلك محاولتنا الأخيرة

---

1 ـ اذكر القارىء بان عمر اسماعيل هو الذي دعا وقدم جائزة مالية لمن يوفق الى انشاء جمعية العلماء المسلمين ، كما تقدم بيانه ، ولهذا بشير البيان .
(وثيقة تصوير بيان عمر اسماعيل)

عسانا نظفر بتلك الغاية التي هي في متناول الجميع ، لو تدرعت تلك الطائفة بخلق التسامح الاسلامي والأناة والصبر ، وليست تلك الغاية الا جمع أولئك الأفراد الشاذين في الفكرة واخوانهم العلماء المسلمين المعتدلين وغـرهم في صعيـد واحد عسى أن تتوصل من وراء جمع الأولين ، المتشاكسين حتى مع بعضهم البعض المنقسـمين على أنفسهم اذ ذاك ، والآخرين الى جمع كلمتهم وتشييد مستقبلهم الخاص ، على الأقل الذي أصبح على وشك التلاشي . ذلك بواسطة التعارف والتفاهم واحتكاك بعضهم بالبعض واغتراف كل واحد من معلومات الآخـر ما يصح أن يكون أساس الوحدة الدينية والاجتماعية والأخلاقية فوفقنا اذ ذاك الى حد بعيد ، رغم ما صادفناه من الصعوبات الجمة في سبيل اقناع جمهور من العلماء المعتدلين بامكان حصول الوفاق وجني النتيجة المشتركة ...

ويمضي فيبين أن اقتناع المعتدلين لم يكن الا جدلا أو تعزيزا للداعي للوحدة مهما تكن الظـروف . لعلمهـم ــ كما يقـول ــ بما وراء الأكمة ...

ويضيف : ونجحت الدعوة وتقاطرت الأجوبة وكلها مجمعة على تلبية الدعوة والتنويه بفكرة الداعي في ثنائهم والسمو به الى درجة العظماء . ونحن ــ علم الله ــ لم نجعل غرضنا تحصيل العظمة ، وانما تجشمنا ذلك ابتغاء رضوان الله وخدمة للاسلام ...

ثم يقول : ذللنا جميع الصعوبات ، فتأسست الجمعيـة على مبدأ رأيناه من أشرف المبادىء وهو : « محاربة الجهل والفقر ، والتحلي بخلق التسامح الاسلامي فيما عدا ذلك » وعلى هذا المبدأ تم التأسيس وتفاءلنا بالمشروع خيرا وتفاءل معنا أمثالنا ممن دأبهم حسن النية وسلامة الطوية .

وعلى هذا المبدأ السامي تشكلت الهيئة الادارية وأسندت الرئاسة الى باديس في غيبته ، بعدما توسلنا في ذلك بأعمال تدعو الى الدهشة، وبصورة ليس من الذوق أن نميط اللثام عنها ...

ويضيف : وعلى هذا المبدأ بادر باديس قبل اجتماع المدعوين الى نشر ما يراه شرطا في نجاح الجمعية بمجلة الشهاب من الجزء الثالث ، واليك ما نشره : « ويجب أن نقول من الآن أن الجمعية يجب أن لا تكون الا جمعية هداية وارشاد لترقية الشعب من وهدة الجهل والسقوط الأخلاقي الى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق عليه وآله الصلاة والسلام ، ولا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بها أدنى اتصال ، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق . وهذا نقوله ولا شك أن اخواننا المدعوين كلهم على وفاق تام معنا فيه ، وأنهم سيجعلونه في طليعة القانون الأساسي الذي يقدم للحكومة . وانما أردنا أن نقوله ليكون معلوما عند الجميع بالمكشوف » ا هـ .

ثم يضيف البيان : وعلى هذا المبدأ المقدس خطب باديس في اليوم الثالث من يوم التأسيس خطبته الرئيسية المنشورة في الشهاب والصحف ، واليك بعض ما قاله تدعيما لذلك المبدأ :

« ... فعلينا أن نوالي الاجتماع مهما دعينا اليه ، وعلى كل واحد منا أن يكون داعية للجمعية بقوله وأعماله وأن يكون ممثلا لفكرتها في الاتفاق والتآخي ونشر الخير . ــ وأن يطرح كل واحد منا فكره الخاص ــ حسبنا ما مضى ، كفى ما تقاتلنا على الكلمات . فكلمة«فرق» من بيننا قد ماتت . وما بقي الا العمل على الوفاق والوئام لنبلغ غاية المرام » . ا هـ

اننا ما كدنا أن نشرع في تنفيذ الأعمال حتى عدنا نشعر في أثناء الأشهر الستة الأولى بدبيب سوء الظن في نفوس بعض الأفراد وكان ذلك داعيا الى توقف الأعمال وشل الحركة النشيطة التي بدت في الفترة الأولى ...

ويضيف البيان : ... فوقع اجتماع الادارة الأول وكان كل ما اهتمت به في جلساتها تقرير اللائحة الداخلية التي ارتأوا وضعها على أنها شرح لما في القانون الأساسي . فكثيرا ما كنا نعارضهم جهارا في مدلولات

تلك اللائحة خصوصا ما لا يتفق مع القانون الأساسي ورغم معارضتنا فانهم اعتمدوها في تأسيس « الشعب » ــ الفروع ــ في بلدان القطر . ومما أجمعوا عليه بعد حوار طويل وقرروه في قراراتهم التي شرحوا بها الفصل السابع من القانون الأساسي : أن العضو العامل على ثلاث درجات ، الدرجة الأولى من يحمل لقب عالم ، والثانية كل من له المام بالمبادىء والثالثة كل من يحفظ ولو ربعا من القرآن الشريف . وحملوا مالية الجمعية مصاريف طبع أوراق العضوية حسب الدرجات الثلاث ، وسلموا تلك المطبوعات الى أعضاء الادارة ورؤساء الشعب التي أسسوها ... الخ .

ويمضي البيان فيقول فيما اختصره : بأن الجماعة مضوا بالجمعية الى مآزق لم تكن مما أسست من أجله ، ولما عارضناهم اشفاقا على الجمعية حقدوا وحملوا لنا الشر وزادوا فحملوا مركز الجمعية الى قسنطينة (2) ، وكثرت المخابرات السرية بينهم الى أن كان من نتائج خرق قانون الجمعية حوادث يوم 17 محرم التي لا يتحمل مسؤوليتها الا الرئيس الذي خرق القوانين تحت تأثير دعاة التفريق ، ومع ذلك لا يزال يتظاهر باعتدال مصطنع ...

ويمضي البيان فيشير الى كتاب مفتوح كانت أصدرته اللجنة الدائمة، أو عمر اسماعيل ، ردا على كتاب مفتوح أصدره المصلحون ، الأمر الذي أدى الى اعتذار باديس عما صدر منه ، لأنه ما توقع ما وقع ولو شعر بذلك ما حرك ساكنا » .

ثم يمضي البيان : « بذلك العمل الشريف قد توصلنا الى تهدئة الأفكار وتطمين الخواطر . وما فعلنا ما فعلناه الا اتقاء اتساع الخرق والعودة الى الافتراق الذي سئمنا أثره وذقنا مراراته وطالت اقامته فينا آجيالا » .

---

2 ـ اذكر ان عمر اسماعيل كان رئيس اللجنة الدائمة للجمعية ، وهو الجهاز التنفيذي المستقر بمركز الجمعية في العاصمة ، لكن الحوادث اللاحقة جعلت الشكوك تضعف من الثقة به وبجهازه .

والبيان طويل جدا ، ومن الأحسن أن نأخذ منه الملخص الذي لخصوه فى أربع عشرة نقطة وهي باختصار كما يلي :

1 ـ أين الأغلبية التي تصح بها حياة الجمعية ؟ وقد عرفنا أن تلك الأغلبية التي تناهز خمسمائة من العلماء رفضت تحكما وأخرجت من الجلسة العامة بالقوة وبأمر من باديس •

2 ـ لماذا رفضوا بعض ما في اللائحة الداخلية وأقروا البعض بمحض الهوى وبدعوى أن العمل بذلك البند قد أرجىء به العمل ، مع أن العمل سار على ضوئه كل السنة فأسست الشعب وقبض الاشتراك من الدرجات الثلاث من الأعضاء العاملين ، ثم جاء الابراهيمي في آخر السنة ، والذي احتفظ باللائحة عنده ولم يترك أحدا يطلع عليها ، مدعيا أن لفظة « أرجيء » زيدت في الاجتماع ، ولم يقع ذلك أبدا والا لما وقع العمل بمنطوق اللائحة طول السنة •

3 ـ أي قانون من قوانين الجمعيات يخول تأخير عرض الحالة الأدبية والمالية في جلسة عامة ؟ انما قانون 1901 م ، وحتى القانون الأساسي ـ للجمعية ـ يلزم عرض هذه الحالة في الاجتماع العام من طرف الادارة القديمة ، والمكتب المكلف بتسيير الجلسة الذي يكون من الأعضاء العاملين والمؤيدين هو الذي يعرض التقريرين للمناقشة ، ثم يجري التصويت على القوائم أو القائمة المترشحة • وانما أخر الرئيس عرض الحالة لربح الوقت في حذف أسماء الذين ارتاب في تصويتهم •

4 ـ لماذا يستقل خمسة أشخاص من الادارة بالأمر ويحملون مركز الادارة من مركزها الرسمي « الجزائر » الذي تتولاه اللجنة الدائمة ، مع جريان المخابرات السرية ، وتكليف سفير مفتن معروف بحمل المؤامرات الصبيانية ؟ اذا لم يكن هناك سوء نية •!

5 ـ لماذا لم تنشر بقية محضر جلسة شوال ؟ ألأن فيها ما لا يتفق والمسلك الغير المحمود الذي ظهر في حدث 17 محرم ؟ أو لأن فيها خلاف ما زعموا من وجود ارجاء العمل في اللائحة ؟

6 ــ ما الداعي لباديس في اخفاء نيته وحقيقته ، واظهاره لكل طائفة لونا خاصا ؟ مع أن مثله في غنى عن اخفاء ما يتحققه العموم ...

7 ــ لماذا التزوير على الهيئة الادارية بأنها قررت في جلستها الادارية مساء الأحد توزيع عمل الجلسات العامة على يومين مع أن ذلك لم يقع ...

8 ــ أليس الأغراض وحب الذات والحرص على الألقاب دخل في اتخاذهم تلك الاحتياطات الجارية السخيفة ضد علماء الأمة المخلصين ؟... انما وقع ذلك لأنهم خشوا أن لا يدوم بذلك استغلالهم ولا تروج فكرتهم الجامحة .

9 ــ ان ما صرحنا به أن عدد العلويين لا يتجاوز نحو الثلاثين ، قد فندنا به ما أشاعوا بأن معظم الحاضرين من تلك الطائفة المسلمة المحسودة . ولم يشيعوا الى جانب ذلك بأن الحاضرين من طائفة الطائشين لا يتجاوز الثلاثين ...

10 ــ وهل هناك من قانون الجمعية ما يسوغ لهم عملية التلفيق لتقييد المشتركين الذين التقطوهم من كل وسط حينما فقدوا علماء بررة قد انسحبوا ، مع أن معظم من قيدوهم لا يحسنون القراءة ...

11 ــ وهل كذلك يسوغ أن يؤلف المكتب المؤقت من بعض الجاهلين الذين لا يميزون بين العين والغين ولا هم من الأعضاء العاملين ولا المؤيدين ؟

12 ــ وهل كذلك يصح أن تؤلف لجنة العمل الدائمة من نفس بعض أوائك الجاهلين وغير المقيدين ، كأعضاء عاملين أو مؤيدين ؟ ..

13 ــ أليس من الوقاحة وسوء الطوية أن يصرح مثل ابن باديس لعالم جليل منحدر من أرومة شريفة اسلامية علمية ، بأنه لا يريد منه الا أخذ الاسم للعمل به ؟ .. .

14 ــ أليس اتخاذ هؤلاء هذه الاحتياطات بغير صفة قانونية بل بصورة معاكسة له تماما ، مما يدل على أن القوم متكالبون على حب الرئاسة والظهور بمظهر الفخفخة ..؟

ويضيف البيان :

« أيها الشعب الكريم ، هذه نتيجة أعمال متنورينا الذين قال فيهم أمير البيان شكيب أرسلان كلمته التاريخية ، في سياق الحديث على متنوري الأمة الجزائرية ، وهي : ان تعلمنا ــ ويا للأسف ــ آلــة للشقاق ما بين أفراد الطبقة المتعلمة ، ومن ذلك : هذا طرقي ، وهذا اصلاحي ووهابي ، وكل منهما يؤنب الآخر ويسعى كــل السعي في انتهاك حرمته وتشنيعه على صفحات صحف الجرائد ، وهذا قصارى ما يبعثهم اليه تعلمهم الحالي ، فياليتهم لم يتعلموا ، ويا ليتهم بقوا على جهالتهم العمياء ؟ ... » .

ثم يقول البيان : اننا أرغمنا من ناحية المصلحة الاسلامية الجزائرية على العمل لنفس تلك المصلحة أولا ، وعلى الانســحاب من مصــدر الشقاق والفوضى ... لنفس تلك المصلحة ، وعلى استئناف عمل آخر أنجزنا به حالا تأسيس جمعية أخرى توحد جهود الأمة جمعاء لنفس تلك المصلحة ، وعلى الصبر على حملات المرجفين المغرضة ، بعد اذ سبحوا بحمد المؤسس ــ أستغفر الله ــ لنفس المصلحة ...

ويختم البيان : هذا بياننا الذي توخينا فيه الحقائق والحق الذي له صولة وسلطان لا يغلبان ، رغم محاولة المشاغبين احداث اللغط الفارغ والضجة السخيفة في بيانهم الملفق ، وخطبهم الجوفاء التي ســداها محاولة التلبيس ولحمتها معالجة ستر ما أزيح النقاب عنــه من سوء القصد ... اننا قلنا ما قلناه وليس لنا غرض سوى الاصداع بالحقيقة والدفاع عنها ، وقد اخترنا موقف الدفاع عن موقف الهجوم ، لا ضعفا ولا خوفا .. ويذهب البيان الى أن يختم بآيات قرآنية وأحــاديث نبوية . ا هـ

2 ــ بيان ابن باديس رئيس الجمعية

بما أن البيان الصادر عن الهيئة الادارية للجمعية لم أعثر عليــه أو بالأحرى لم يكن في متناولي بسهولة ، فقد فضلت أن أثبت مــكانه البيان الذي أصدره الشيخ عبد الحميد بن باديس .

أولا : بصفته رئيسا للجمعية •

ثانيا : اعتمادا على ما قال الشيخ أنه أثبت أشياء منه • واليك البيان بعنوان :

جمعية العلماء المسلمين في عامها الثاني (3)

تمهيـــــد :

كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية — رغم تفاؤلنا — ما ستلقاه ، مثل كل مشروع عظيم ، من صعوبات وعقبات • ولكننا ما كنا نحسب أن حظها من ذلك يكون الا من خارجها ولكن الواقع جاء بخلاف ذلك وكانت مصاعب الجمعية ومتاعبها من داخلها •

حصلت نفرة بين أعضاء مجلس الادارة ورئيس لجنة العمل فأدت الى ما أدت اليه من فرقة وفتنة وقى الله شرها • وقد علم الناس حقيقة الحال من البيان الرسمي الذي نشره مجلس ادارة الجمعية اثر انتخابه ممـا لا حاجة الى اعادته وان كنا سنشير الى أشياء منه لزيادة البيان •

باي نية ذهبت الى الاجتماع العمومي :

ذهبت عازما على اصلاح ذات البين وعلى تسيير انتخاب الجمعيـة على مقتضى قانونها الأساسي والوقوف معه مهما كان الحال • وعرفت من الاجتماعات التي كانت قبل يوم الانتخاب ومن محاولاتي الخاصة أن الصلح غير ممكن وأنه لم يبق علي الا المحافظة على الجمعية قبل كل شيء وكنت — رغم ما يأتيني من أنباء بما يدبر من أمور — مطمئنـا على الجمعية لأنني كنت أعتقد أن الاجتماع العمومي سيضم جمعا عظيما من أهل العلم وحسبي بعلمهم هاديا لهم الى ما فيه خير وسداد للجمعية والأمة ، فدخلت صبيحة الاثنين 18 محرم الماضي الى نادي الترقي وأنا على هذا الاعتقاد • (*)

---

3 — شهاب ، ج8 — م8 ص افتتاحية .

(*) (يوم الاثنين 18 محرم) لا شك انه غلط مطبعي فيوم الاثنين يصادف 17 محرم .

ماذا كان يدبر للاستيلاء على الجمعية ؟

كان رئيس لجنة العمل قد سعى سعيا شديدا في تكوين عدد كثير ممن يوافقونه على القائمة التي يقدمها للانتخاب وكانت مكاتبات لبعض الجهات في الحث على القدوم يوم الانتخاب ، وأصبح مكتب الدعاية منعقدا على الساعة الخامسة في مدرسة السلام يديره رئيس لجنة العمل وشيخ زاوية بمستغانم (4) — كما اعترف بذلك رئيس اللجنة في الحديقة العمومية أمام جماعة — وأصبحت الوصولات توزع على كل من يقال فيه طالب (5) ليأتي للجمعية العمومية — الاجتماع العام — وينتخب من كتبت أسماؤهم في ورقة سلمت له .

نكتة المسألة :

القائمة التي أعطيت من طرف السيدين المذكورين ، فيها ثلاثون شخصا ، الأعضاء الأقدمون مع ضرب على أسماء بعضهم وزيادة عليهم والسيد رئيس اللجنة هو أحد الثلاثين ، وحضرته — بلا مؤاخذة ومع الاحترام — ليس من أهل العلم ولا من الطلبة .

واذا كانت الأعمال والأقوال هي التي تدل على المقصود ، والنوايا فلا نكون ظالمين اذا استدللنا بهذا العمل على ما يدل عليه ، مفوضين العلم بذلك والجزاء عليه الى الله تعالى .

كيف كنا وكيف كانوا ؟

بينما كان السيدان يعملان عملهما ويفوياز حزبهما كنا تاركين للمسألة حالها تسير بطبيعتها ، ولو كنا على شيء من سوء النية أو القصد الى الاستيلاء بالأغلبية لكنا دعونا تلامذتنا دعوة عامة للحضور — وهم كثر وكلهم من أهل العلم — فملأوا نادي الترقي والشوارع

---

4 — يقصد عمر اسماعيل والشيخ احمد ابن عليوه .

5 — ان كلمة «طالب» في القطر الجزائري كانت تطلق على حفاظ القرآن وحتى على العلماء في بعض الحالات ، يقال فلان طالب ، اذا قصدوا مدحه بالتحصيل والمعرفة .

المتصلة به ولا فخر ولكن ما كنا ــ والحمد لله ــ لنقصد الى التكثر ولا الى العصبية والتحزب واحداث الفرقة بين الناس (6) •

صبيحة يوم الاثنين وما صبيحة يوم الاثنين ؟

اكتظ النادي على سعته بالناس وألقيت خطاب الافتتاح والترحيب وعرفت الجمع بأن المنتخبين لا بد أن يكونوا من أهل العلم كما تنص عليه المادة السابعة من القانون الأساسي للجمعية التي تقول : « الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم نقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية وبين الذين تعلموا بالمعاهد العلمية الاسلامية الأخرى » •

وعرفت الجمع بأن مجلس الادارة عين لجنة لتقييد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف المذكور في المادة ، وأنها تقبل من كانت له شهادة أو كان باشر التعليم أو كان يشار اليه بالعلم في قومه وأنه بعد تقييد أسماء المنتخبين يكون الانتخاب •

وهنا قامت القيامة واضطربت أركان القاعة بالضجيج وأبي القوم الا الانتخاب في الحين دون اعتبار للمادة القانونية ولا اعتبار لتقييد أسماء المنتخبين ، واستمر ذلك الاضطراب وذلك الهيج الى قرب الزوال فافترقنا ــ بعد أن وقفنا على شفا حفرة من الهلاك فأنقذنا الله منها ــ على أن نجتمع مساء على الساعة الثانية بعد الزوال •

لوازم واستنتاجات

عرفنا بما رأينا في ذلك الجمع وما سمعنا فيه أن أهل العلم قد حشر فيهم من ليس منهم وكان معهم من لم يتخلق بأخلاقهم ولا تأدب بآدابهم وأن ما وقع صباحا سيقع مساء وان ذلك مفض ، ولا محالة ، الى عاقبة سيئة ربما قضت على الجمعية وعلى النادي الذي نحن ضيوف فيه وأن

---

6 ــ الواقع العصبية والتحزب هما اللذان كانا سائدين دائما ، وان كنت انزه بعض الشخصيات ومنهم ابن باديس وعمر اسماعيل وآخرون غيرهما ولكنهم غلبوا على امرهم واصبحوا سائرين فى التيار الجارف .

المسؤولية تكون على رئيس الجمعية فلزمني اذن أن أخبر ادارة الشرطة لترسل أعوانها لحفظ النظام فأعلمتها وعرفت بما رأيت وما سمعت أنه يراد الاستيلاء على الجمعية بطريق غير مشروع وبعدد كثير لا تنطبق عليه المادة القانونية ولذلك فر من فر من الوقوف أمام اللجنة وهي لجنة تعريف وسؤال لا لجنة امتحان • فلزمني أن أحافظ على شرف الجمعية العلمية من أن يسيطر عليها غير أهل العلم •

مســاء الاثنــين

ما جاءت الساعة الواحدة بعد الزوال حتى امتلأت سقائف النادي ورحابه والدرج المصعدة اليه ــ فما أكثر العلماء في ذلك اليوم وبقي الناس في انتظار الساعة الثانية لفتح باب النادي وجاء أعوان الشرطة وفتح النادي وعاد الحال الى ما كان عليه في الصباح ، ولما رأيت الأمر لا يزيد الا هياجا وارتباكا أعلنت بارتفاع الجلسة • ووقف الشرطة محافظين على النظام حتى خرج الناس ولا والله ما أهان الشرطة أحدا ولا زادوا على اسكاتهم للغوغاء وحفظهم للنظام وأحسب أنه لولا وجود الشرطة عند الاعلام برفع الجلسة لكانت وجوه خاصة رأيتها ثم تفعل ما لا تحمد عقباه ولا أشك أن التهويل الذي أثاره بعض الناس في بعض النشريات على استدعاء الشرطة والتقبيح لذلك أمام الفكر العام والتعدي بالباطل على أعوان الحكومة ورميهم بأنهم أهانوا العلماء ، لا شك أنهم ما حملهم على ذلك الا شدة تأسعهم على ما فاتهم من كيد دبروه كانوا ينفذونه لولا وجود أعوان الشرطة ، مع ما يقصدون من الحط من مقام الجمعية • فنحن بقدر ما تقولوا على أعــوان الشرطة وسبوهم ، نشكرهم على حفظهم للأمن والنظام وقيامهــم بواجبهــم ونعترف بأنه لولاهم ــ بعد حفظ الله ــ لكانت الجمعيــة في خبــر كان •

يوم الثلاثاء 18 محرم موافق 24 ماي 1351 هـ ــ 1932 م

أصدرت الجمعية منشورا ونشرت في الصحف الفرنسية بما وقع وأعلمت أن الانتخاب يكون من الغد ، يوم الثلاثاء ، فجاء الناس في صبيحة الثلاثاء وكان الانتخاب مساءها على ما هــو مبين بالصحف

وبيان الجمعية • وكان يوم هدوء ونظام تأمين وشاهد أعوان الشرطة ورجال « الخفية » (7) الفرق بين يوم الاثنين الذي حضرته الغوغاء ومن حشر في أهل العلم ، ويوم الثلاثاء الذي لم يحضره أولئك • ولا أعني بكلامي هذا أن كل من تخلف عن يوم الثلاثاء فهو ليس من أهل العلم كلا ••• فقد تخلف بعض أهل العلم الـذين لم يستطيعوا بما شاهدوا من فظاعة يوم الاثنين أن يعودوا الى الاجتماع أو لم يحسبوا يوم الثلاثاء الا مثل يوم الاثنين •

كيف كان الترشيخ للانتخـاب ؟

قدم مجلس الادارة القديم قائمة هذه صورتها ، الشيـوخ : ابن باديس ، الابراهيمي ، العقبي ، الميلي ، العمودي ، الفضيل (من مجلس الادارة القديم وكانوا حاضرين) المهاجي (منه) وكان غائبا لقدومه من الحج ، ابن عربية ، أبو اليقظـان ، خير الـدين التبسي ، المكي القاسمي (هؤلاء جدد وكانوا حاضرين) أبو عبد الله البوعبدلي (جديد وكان غائبا واعتذر ببرقية يقول فيها : اعتبروني معكم في كل شيء) •

وأعلن للمنتخبين أن لهم الحرية في أن ينتخبوا القائمة كلها ، أو يرفضوها كلها ، أو يختاروا بعضا دون بعض • فجرى الانتخاب على الوجه القانوني على تفاوت في عدد الأصوات وفاز الشيوخ المذكورون الا واحدا فاز عليه الزاهري بنحو العشرين صوتا •

عنـاصـر مجلس الادارة

لقد جاء مجلس الادارة مؤلفا من جميع عناصر الأمة الجزائرية ممثلا لها خير تمثيل ، ففيه من العلماء المنتمين للزوايا كالمهاجي وأبي عبد الله والفضيل • وفيه من العلماء الموظفين كابن عربيه القاضي والعمودي

---

7 ـ المراد برجال الخفية : « رجال الشرطة السرية » .

الوكيل الشرعي (مدافع) • وفيه من علماء انقبائل الفضيل وفيه من علماء الأباضية أبو اليقظان • (8)

أفبعد هذا يقول قائل يلتزم الصدق : ان الجمعية انما تمثل طائفة •(9)

رئاسة المجلس : شاء الاخوان أن يجددوا لهذا العاجز حمل مسؤولية الرئاسة رغم اقناعه ، ووالله لقد كنت أود لو صرفت عني ووالله لولا خوفي من عظيم المسؤولية عند الله ما قبلت من اخواني ذلك رغم شدة احترامي لارادتهم وتقديري لاشارتهم ، فالله نسأل لنا ولهم أن يعيننا جميعا على القيام ــ بقوة وأمانة واخلاص ــ بهذا العبء الثقيل » • اهـ

---

8 ـ الذي يؤسف له ان هذا التقسيم على اساس عنصري كان محتوما أن يراعى تبعا للروح الخبيثة التي نشرها الاستعمار ومكن لها الجهل فجعل من الشعب العربي المسلم شعوبا وقبائل لا ليتعارفوا ولكن ليتنافروا .
والمؤسف اكثر انه لا زالت بقية من هذه الروح حتى بعد الاستقلال .

انهـا لأســوا خاتمــة

هكذا تختم حلقة « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الموحدة » ، الجامعة للكلمة في شخصيات جميع العلماء لا فرق بين محافظين وطرقيين ومصلحين ، وانك لترى خاتمتها من أسوأ الخاتمات ! بكونها نموذجا للمشاريع والمنظمات الوطنية الجزائرية ، وان الذي تبع هذه الخاتمة في النهاية لأسوأ مما سبق البداية .

فبعد انشطار الجمعية الى جمعيتين ، والرئاسة الى رئاستين والعضوية الى عضويتين ، كما تقدم ، اندفعت كل جمعية الى تبرير مسلكها ثم الى جلب الأنصار اليها ثم الى محاولة الاستيلاء على الفكر العام . وفي غمرة الدفاع أو الهجوم ، بالنسبة للطرفين ، استحسنت جميع الوسائل، واستحلت جميع المحرمات ، واندفعت الأقلام تخط والألسنة تسلق ، فكان الخط جرحا عميقا ، وكان السلق خطا عريقا (*) مرغت فيه الأعراض ، وانتشرت فيه الأمراض ، وغلب العقلاء على أمرهم ! .

فقد رجعت المهاترات على أشدها واستعاد السباب والشتم شبابهما ، وأنشئت لذلك صحافة خاصة ، منها المعتدلة في الشتم ــ ان صحت العبارة ــ ، ومنها المقذع الفاحش . فكانت صحيفة الجحيم (1) وكانت المعيار (2) من هذه ، وكانت صــحف : الســنة (3) والشريعة (4)

(*) ــ عريقا : مشقوقا .

1 ــ صدرت صحيفة الجحيم يوم 3 ذي الحجة موافق 30 مارس 1351 هـ ــ 1933 م .

2 ــ صدرت المعيار يوم 20 شعبان موافق 18 ديسمبر 1351 هـ ــ 1932 م .

3 ــ صدرت السنة يوم الاثنين 8 ذي الحجة 1351 هـ موافق 3 ابريل 1933 م .

4 ــ صدرت الشريعة يوم الاثنين 24 ربيع الاول 1352 هـ موافق 17 جويلية (يوليو) 1933 م .

والصراط (5) والمرصاد (6) والرشاد (7) والبلاغ (8) والاخلاص (9) من تلك (المعتدلة) .

فللمصلحين : السنة والشريعة والصراط والمرصاد . وللمحافظين : الرشاد والبلاغ والاخلاص .

على أن جريدتي المعيار والجحيم لم يعترف الفريقان بهما رسميا وان كان المعيار ، في الحقيقة والواقع ، للمحافظين أو لأنصارهم ، والجحيم ، أيضا ، للمصلحين أو لأنصارهم .

---

5 ـ صدرت الصراط يوم الاثنين 21 جمادي الأولي 1352 هـ موافق 11 سبتمبر 1933 م .

6 ـ صدرت المرصاد يوم 27 ديسمبر 1931 م .

7 ـ صدرت الرشاد .

8 ـ صدرت البلاغ الجزائري يوم 24 ديسمبر 1926 م .

9 ـ صدرت الاخلاص يوم الأربعاء 16 شعبان 1351 هـ الموافق 14 ديسمبر 1932 م .

جمعية علماء السنة الجزائريين

كان المحافظون والطرقيون الذين أخرجو، من نادي التـرقي بقوة الشرطة ، كما يدعي بيانهم ، أو انسحبوا مغاضبين ، كما يدعي بيان الجمعية ، عندما رأوا أن أمر الجمعية قد أفلت من أيديهم واستبد بها المصلحون وحدهم ، وأن تبين بالفعل ــ كما قال بعض المحافظين لعمر اسماعيل ، وكما تبين للشيخ باديس نفسه ــ أنه لا سبيل للمفاهمة بين الكتلتين ، لأن الشقة بينهما واسعة ، دينيا أو سياسيا ، كانوا ذهبوا لتوهم ففكروا في تأسيس جمعية أخرى ، ولم يمر وقت قصير حتى أعلنوا عن « جمعية علماء السنة الجزائريين » .

وبعد مرور ثلاثة شهور في الاعداد والتحضير ، وجهـوا أثناءها الدعوات لسائر الشخصيات والعلماء الذين يتوسم فيهم تأييـد الفكرة وهي : « العقيدة المذهبية السنية » ضد « العقيدة المذهبية الوهابية »ــ كما أشيع اذ ذاك ــ أعلن عن تأسيس الجمعية رسميا يوم 15 سبتمبر (أيلول) 1932 م موافق جمادي الأولى 1351 هـ ، وجعل على رأسها الشيخ المودود بن الصديق الحافظي الأزهري ، وشرع هذا في العمل حينا . وما أن جاء يوم الثلاثاء 22 شعبان 1351 هـ موافق 20 ديسمبر (كانون الأول) 1932 م حتى بدأ الاجتماع العام لتدشين الجمعية . ونجد وصفا شاملا للاجتماع في جريدة الاخلاص التي هي لسان حال الجمعية الجديدة (1) بعددها الخامس الحلقة الثالثة) فيما يلي تحت عنوان :

1 ــ صدرت الاخلاص تحت اشراف الحافظي وادارة عمر اسماعيل يوم 16 شعبان 1351 هـ.

يوم الثلاثاء جلسة الصباح فى الاحتفال والتدشين

« ... فما حـانت الساعة حتى حضر جميـع الأعضاء الوافدين والمدعوين من الذوات والأعيان ، كما حضر كذلك كثير من الأعضاء الذين وصلوا ليلة الثلاثاء وصبيحتها الى فاعة هذه الـدار المنتسقة انتساقا جميلا في الترتيب والنظام ، وكان الواتقون .. أكثر بكثير ..

وتصف الجريدة الحاضرين فتقول : يقدر عدد الحاضرين بنحو 350 من المدعوين ، فلا تسأل عن الهدوء والسكون والوقار فانك لا تسمـع لغطا ولا همسا ولا قيلا وقالا ، كما لا ترى شرب دخان (تدخينا) حتى من المتفرجين من شباب العاصمة الذين أصبحوا يهتمون كثيرا بالمجتمعات العامة ، خصوصا العلمية والدينية منها . ثم قام الرئيس وطلب من الجميع استماع آيات من الذكر الحكيم كانت فاتحة الجلسة فقرأ عليهم قوله تعالى : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ... » الى آخر السورة (2) .

ثم قام بعد ذلك وألقى خطابا فى مشروع الجمعية وغايتها والخطة التي تسير عليها فى هداية الأمة نحو مقصدها المثل الأعلى ، فقال بعد أن حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم :

أيها السادة الكرام ويا حضرات الأفاضل تعلمون أنه تأسست « جمعية علماء السنة » فى 15 سبتمبر ــ أيلول ــ الماضي (1932) وأنتم أعضاؤها، وأسستم لها قانونا يحتوي على 32 مادة وستة فصـول ، وتتذكـرون المناقشات الطيبة النزيهة التي تبودلت بينكم فى وضع ذلك القانون الذي هو كالصراط المستقيم للسير عليه فى ضوء الحق والهداية نحو الغاية المنشودة للجمعية ، وهي تعليم المسلم الجزائري وتهذيبه بالثقافة الصحيحة، وحفظ عقيدته من الزيغ والتبديل والتغيير ، وتعريفه فروض دينه وواجباته من عبادات ومعاملات ، وتأديبه بآداب الشريعة ، وحمله على مكـارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، وابعاده عن الرذيلة والفحشاء والمنكر والبدع الضالة الى غير ذلك من محاسن الدين الاسلامي تبعا للكتاب والسنـة

---

2 ــ سورة الانبياء من آية 151 الى آخر السورة .

والمذاهب الأربعة وأصول الفقه وأصول التصوف وأصول الدين علـى عقيدة الأشعري والماتريدي •

والغرض من المذاهب الأربعة هو تعليم الفقه الاسلامي وفروعه المدونة في هذه المذاهب المحترمة المتعبد بها • خلاف لبعض الشواذ الذين يهزأون بمؤلفات المتأخرين • فان كان هناك من لا يروقه مشروع الجمعية هذا فان ذلك لنقص فى عقليته وعدم معرفته ما يضره وما ينفعه فى دينه وبعبارة ما يجب عليه فى دينه معرفة مرتكزة على التقوى ، ومؤسسة على الاخلاص والنصيحة ، والا فأي مسلم لا يعجبه هذا المشروع الجليل العظيم الفائدة •

وهناك قوم حاولوا أن يشوهوا وجه الجمعية (3) بدعوتين باطلتين لا أصل لهما ، الأولى ــ قالوا ان هذه الجمعية تأسست لعداوة اخواننـا الاباضية ومناهضتهم • وهذا منهم افك ، فجمعيتنا بالعكس من ذلك تعمل لاصلاح ذات البين وتدعو للوفاق والوئام وازالة الشقاق والخلاف واعتبار سائر العناصر كاخوة متحابين متوادين متناصرين ، ومن جملة هذه العناصر اخواننا الاباضية الذين نحترمهم ونحترم كل مـن يعيش تحت سماء الجزائر ، كما نحترم « جمعية العلماء المسلمين » ما دامت محافظـة على كرامة جمعيتنا، ولو كان لنا من الأمر شيء لكنا جمعية واحدة ويدلكم على هذا أننا وجهنا نداء لاصلاح ذا البين ولكن المقادير أبت الا أن تكون جمعيتان • ومع ذلك فالقطر واسع فلا تكفي فيه عشرات الجمعيات الرئيسية ، ومئات الجمعيات الفرعية • فما على الجمعية الا العمل باخلاص لقتل الجهل والأمية والتعاون على البر والتقوى ، ومجانبة الشغب واثارة الفتنة العامة باسم الدين ، والدين ينهى عن الفتنة، وهي أشد من القتل •

والثانية ــ قالوا ان الجمعية علوية وهذه الدعوى السخيفة أوهن من بيت العنكبوت لأن الداخلين فيها من سائر الهيئات العلمية الدينية ومن جميع أنحاء القطر على اختلاف وظائفهم ومراكزهم ، وفي مقدمتهم رؤساء الزوايا الرئيسية والثانوية يشهدون بأن اخواننا العلويين من جملة الداخلين فى الجمعية (المشاركين) كبقية سائر الناس لا أقل ولا أكثر • (4)

---

3 ــ لا شك ان المراد بالقوم هم المصلحون •

4 ــ المقصود « بالعلويين » هم اتباع طريقة الشيخ احمد بن عليوه المستغانمي بالجزائر •

والذين شاهدوا الاجتماع التأسيسي والاجتماع الحالي يعلمون حق العلم بكذب هذه الدعوى وبطلانها من أصلها • على أنه يكفي من غاب عن حضور الاجتماعات السابقة أن يراجع أسماء الأعضاء الشرفيين الذين يوافقــوننا على نشر أسمائهم ، فــانه يدرك لأول وهلة أن العلويين ـ نسبتهم الى الجمعية كنسبة الجزء الى المركب والفرد الى المجموع •

وأما شعار الجمعية في دعوتها : فالحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين والجدال بالتي هي أحسن ، وعدم التعرض للمسائل الخلافيــة والنزاهة عن الشغب والعبث ، والاعراض التام عن المغرضين والمشاغبين والمبطلين •

هذه كلمتنا نقولها باسم الجمعية باختصار ووضوح • وقبل أن أختم هذه الكلمة نشكر حكومتنا فى شخص الولاية العامة وعلى رأسها جناب السيد الوالي العام (5) ، وجناب السيد ميرانت القائم بشؤون الموظفين « مدير الشؤون الأهلية فيما رخصوا لنــا من تأسيس هذه الجمعيــة المباركة التي ستدعو دائما الى الوفاق والوئام بين العنصرين العربــي والفرنسوي المرتبطين فى الحياة باعتبارات كثيرة • كما نشكر جناب شيخ المدينة (6) على سماحه لنا بالاحتفال بهذه الدار •

وأوصيكم جميعا بالتقوى والعمل والاخلاص والاعتماد على الله وهو نعم المولى ونعم النصير • ا هـ

ارتســــامات

نقلت الخطاب الماضي لرئيس « جمعية علماء السنة » كاملا كما نقلت قبله بيان رئيس « جمعية العلماء المسلمين » كاملا • أولا ـ ليمكن للقاريء موازنة حوادث تلك الفترة التاريخية التي كانت تتمخض عن كائن حي فى جسم الأمة الجزائرية يحاول البروز ولكن عرام السنــين وأثقال الاستعمار تسد عنه المنافذ وتقيم أمامه الحواجز ، حتى ينوء جسمه الواهي المثقل فلا يقوى على الحراك الا بمقدار •

---

5 ـ الوالي العام هو قارد (M. Gardes)

6 ـ شيخ المدينة ، رئيس البلدية هو بريتال (M. Brunel)

وثانيا ــ اذا كان بيان رئيس جمعية العلماء المسلمين يقصد به الرد على دعوى المنشقين عن الجمعية ولم يتعرض لبيان مقاصد الجمعية لأنهامعروفة أكثر فان خطاب رئيس جمعية علماء السنة رأينا اثباته كاملا ألزم للاطلاع على مقاصد الجمعية ، وهي لا زالت بعد حديثة التأسيس ، ثم لما يتسم به من اعتدال يجلب النظر ، فالذي يلاحظه القاري ءمن لهجة هذا الخطاب هو الاعتدال الكامل ، والتجاهل الغريب لحوادث الماضي القريب مع المصلحين ، ما عدا عبارات تكاد تكون من باب الرموز •

ولعل ما نشرته جرائد الاخلاص والبلاغ ، وخاصة صحيفة المعيار التي صدرت منذ يومين فقط قبل الاجتماع الذي ألقي فيه هذا الخطاب ، ولم يكن ما نشر بالشيء الذي تخف وطأته على المصلحين ــ وبخاصة الشيخ باديس ــ ، فلعل ذلك خفف نصيبا من تأثير أحداث يوم الاثنين 17 محرم من تلك السنة ، وقد مضى عليها نحو سبعة شهور ، فاختار الحافظي المهادنة على المهاجمة ، واللين على الشدة ، والحلم على الانتقام ، وذهب رأسا ليمثل ما للعفو من فضائل ، وما للخصام من رذائل ، وفضل أن يقابل العنف بالعمل ، والقول بالسكوت ، فيشرح مقاصد الجمعية وأهدافها دون التعرض بسوء لجانب الخصوم ، الا فى اشارات عابرة ومسالمة •

ومن هذه ما يشير الى أن « جمعية علماء السنة » في قانونها الأساسي، وفى فهمها للتربية الاسلامية ، على خلاف « جمعية العلماء » فهي تلتزم فى جميع أعمالها : التعليمية والارشادية والتوجيهية ــ تلتزم ، زيادة على الكتاب والسنة ، بعدم الخروج فى العبادات عن المذاهب الأربعة ، وفى العقائد عن المذهبين : الأشعري والماتريدي ، وهي اشارة لطيفة ترشد أو تشتمل على اتهام ، ربما كان فيه شيء من الحقيقة وهو : أن جمعية العلماء تدعو ضد هذه المذاهب أولا تعتمد عليها ولا تتقيد بها ، وفى ضمن ذلك قصد اثبات تأثر المصلحين بالمذهب الوهابي الذي يعتبره المحافظون خارجا عن السنة والجماعة ، ومن أجل هذه النظرة تألبوا على المصلحين وألبوا عليهم أتباعهم ، وكانت سمعة المذهب الوهابي لدى الشعب الجزائري سمعة سيئة ، ويعتبر أتباعه زائغين عن الصراط المستقيم ، مثلهم

فى ذلك مثل أتباع المذاهب الأخرى غير « المذاهب السنية الأربعة » ان لم يكن أبغض منها • (7)

ومما أعطى حجة قاطعة للمحافظين مواقف لمرحومين الشيخ محمد البشير الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي ، وكلاهما كان داعية الى المذهب الوهابي • أو على الأصح الى نظريات محمد بن عبد الوهاب المرتكزة على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة رأسا ، وكلاهما كان صريحا فى الدعوة الى التنكيب عن هذه المذاهب الأربعة وعلى تجاهلها تباعدا عن التقليد • بل يذهبان الى حد استنقاصها والتنفير منها بدعوى أنها كانت من أسباب تفرق كلمة المسلمين ، فى حين بعدها عن الكتاب والسنة بسبب تأثر أصحابها ــ بصفة متطرفة ــ بالفرعيات • وذلك على خلاف مذهب ابن عبد الوهاب الذي هو أقرب الى الكتاب الكريم والسنة النبوية • وسأنقل بعض ما يتعلق بهذا الموضوع فى « باب المناظرات » •

وهكذا تبدأ « جمعية علماء السنة » أعمالها اذن فى محاولة لما تعتبره انقاذا للعقيدة الصحيحة فى الجزائر ، ووقوفا أمام الالحاد والتبديل والتغيير فى دين الله • وذلك بضرب سياج أمام الدعوة الاصلاحية المتطرفة التي جاء بها هؤلاء الأغرار ••• أو المغرضون من المشرق العربي الذي كان يعج بالدعوة الوهابية « النجدية » التي نفخ فى ضرامها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وأضرابهم ، ثم وجدت فى آخر المطاف سندا من الملك عبد العزيز بن سعود فالدولة السعودية بأسرها ، فاندفعت كتلة المصلحين ، فى هذا الظل ، لا لنشر المذهب الوهابي وحسب بل لتقضي أيضا على سمعة أهل العلم والدين التقليديين ولتحل محلهم ••

هكذا واندفعت جمعية علماء السنة تواصل نشاطها بعقد الاجتماعات ، وتوجيه النداء تلو النداء للتحذير من الخطر الداهم ، وأخرى للعمل

---

7 ــ نجد في جريدة الاخلاص عدد 12 الصادر يوم 8ـ3ـ1933 اعلانا يقول : « دعوة للمحافظة على عقيدة أهل السنة والجماعة الصحيحة من كتاب « الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية » تاليف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فى الرد على اخيه محمد بن عبد الوهاب ، صاحب مذهب الوهابية ، ثم ينقل من الكتاب بعض النصوص تحكم بمنع الأخذ مباشرة للاحكام الشرعية من الكتاب والسنة الا للعلماء الذين تحصلوا على درجة الاجتهاد بشروطها .

المنظم المركز ، أما بخطوات تابعة ومنافسة لخطوات جمعية العلماء ، واما فى عكس اتجاهها ، حسبما تقتضيه ظروف العمل • فمن ناحية نجدها تضاعف نشاطها تجاه أنصارها من أهل الزوايا والطرق الصوفية ، ومن أهل العلم والمكانة من المحافظين تستندي نصرتهم ، ومن ناحية تندفع لانشاء المدارس النظامية العصرية ، ولتصحيح خطى الموجود من المعاهد العلمية ، ولانشاء النوادي الثقافية ، ونجد من هذه الأعمال نموذجا فى اعلان بجريدة الاخلاص فى عددها بتاريخ الحادي عشر من ذي القعدة 1351 هـ يقول النداء تحت عنوان :

اعلام الى طلبة العلم فى كافة انحاء الوطن

« ان جمعية علماء السنة تبعث باعلامها الى كافة طلبة العلم المنتشرين في أنحاء الوطن والراغبين فى مزاولة مهنة التعليم الذين لهم اقتدار على القيام بالمشاريع التهذيبية قياما مشكورا (8) أن يعرفوها بعناوينهم وأسمائهم الصحيحة لتكون منهم على علم فيتسنى لها اسندعاؤهم للقيام بما تحدثه من مشاريع تهذيبية على حسابها ، حسب برنامجها المرسوم لتسيير التعليم فى طريق أقرب وأنجع عند تصديها لذلك قريبا بحول الله » ا هـ •

وبالفعل فقد بدأت الجمعية بتأسيس ناد بالعاصمة أسمته « نادي الاخلاص » منافسا « لنادي الترقي » الذي كان مركز جمعية العلماء فى العاصمة ؛ وبدأ الحافظي وبعض الشخصيات العلمية فى اعطاء دروس ومحاضرات ، كما كان العقبي يقوم بمثل ذلك في نادي الترقي •

ووجهت جريدة الاخلاص النداء التالي : (9)

لقد آن أوان الاجتماع الاداري لجمعية علماء السنة الجزائريين ، وها نحن على أبواب الخامس عشر من شهر ذي القعدة الذي هو موعد الاجتماع (13 مارس 1933) ولنا كامل اليقين بأن رجال هذه الجمعية السنية أحرص الناس على الاجتماع وأرغبهم فيه ••• ويضيف : أما

---

8 ـ لا يخفى ، بالنسبة لتلك الفترة ، قلة المثقفين ثقافة تؤهلهم للتعليم ، خاصة باللغة العربية ، فلذا كان التسابق اليهم على اشده بين الجمعيتين .

9 ـ الاخلاص ع 12 الصادر يوم 8ـ3ـ1933 .

حضرات السادة رجال ادارة الجمعية ••• بالخصوص فان حرصهم لا يحوجنا الى تحريض •••

ثم يقول النداء : وبمناسبة الاجتماع سيقع أيضا فى ذلك التاريخ الاحتفال العظيم بتدشين « نادي الاخلاص » الذي سيكون مركزا للجمعية • ولهذا التدشين رأينا أن نحرض كافة أصدقائنا وأنصار مشروعنا الخيري الكرام على اغتنام هذه السانحة وأن لا يذروها تفوتهم دون أن يغتنموا حضورها (10) •••

ويمضي النداء ليصف هذا النادي فيقول : وهذا المحل الذي سيكون الاحتفال بتدشينه مقرونا باجتماع ادارة الجمعية جدير بأن تشد الرحال لتدشينه ، فهو ـ زيادة على حسن موقعه المطل على نواحي شتى من المدينة والبحر ـ واف بسائر مقاصد الجمعيه (وما الجمعية الا الأمة) فان به سائر المرافق ••• وبعد بسطة فى بيان المرافق الواسعة والجميلة يختم :

وباختصار فهو محل محتو على سائر المرافق التي يحتاجها زواره ، واف برغائب الأمة ، مناسب لسمعة جمعية علماء السنة ومكانتها فى المجتمع الجزائري الاسلامي ••• » ولا عجب أن يكون هذا المحل مركزا لجمعية علماء السنة وهي ورئيسها ذلك العلامة المجرب الذي يعرف من أين تؤكل الكتف مع توفيق الله لهم » ا هـ •

عهد جديد قديم !

ويفتح عهد جديد فى الجزائر الاسلامية ـ أو بالأحرى يسترجع العهد الذي سبق تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » الموحدة • ولكن

---

10 ـ اذكر ان الجمعية كانت وجهت دعوة خاصة لشيخنا عمار مهري ، وقد كان مريضا ، فأوفدني في مكانه لحضور الحفلة ، وقد كنت اذ ذاك لازلت طالبا أحضر حلقات دروسه التي تعتبر من درجة التعليم الثانوي ، على غرار نظام جامع الزيتونة المعمور ، وقد انشأت بالمناسبة قصيدة فى مدح النادي سأثبت بعض الابيات منها عند المناسبة .
ولكن الذي اذكره بل اتحققه أن النادي كان اسمه « نادي الاخوة الاسلامية » وهو الاسم الذي ذكرته جريدة الاخلاص فى عدد 17 على خلاف ما ذكرته فى امدد 12 فهل تبدل اسم النادي مرتين من الرشاد الى الاخلاص ثم الى نادي الاخوة الاسلامية ؟ وهذا الاسم الاخير هو الذي انشأت عنه القصيدة .

بأشد لهجة وأكثر قذاعة .. وكما سبق أن قلت قد أسست لذلك صحافة منها المعتدل نسبيا ومنه االقذع .

وبعد تأسيس جمعية علماء السنة ، وأمام الحاجة الملحة أصدرت جمعية العلماء المسلمين ، لأول مرة جريدة تنطق باسمها مباشرة ، بعد ما كانت تعتمد على مجلة الشهاب لابن باديس وأحمد بوشمال ، بالدرجة الأولى، وعلى بعض الجرائد الأخرى كالمرصاد والاصلاح للعقبي وغيرهما . فقد أصدرت جريدة « السنة النبوية المحمدية » تحت اشراف رئيسها ابن باديس ورئاسة تحرير العقبي والزاهري ، وذلك بتاريخ 8 ذي الحجة 1351 هـ الموافق 1933/4/3 . وكانت خطة الجريدة هي خطة الجمعية طبعا وذلك حسب افتتاحيتها في عددها الأول الآتية ، ومما جاء فيها تحت عنوان « بواعثنا ــ عملنا ــ خطتنا ــ غايتنا .

رأينا ، كما نرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة وافتراق في السير . حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة وماتت الهمم الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال ...

رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم وذقنا منه الأمرين مثلهم ففزعنا الى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلها أن تمس ايماننا به وتزعزع ثقتنا فيه ، فاستغثنا واستجرنا ، وتوسلنا اليه جلاله بالايمان وبسابق لآرائه ، وجأرنا اليه بأسمائه ، فهدانا ــ ولله الحمد ــ الى النور الوضاء الوهاج الأتم ، والمنهاج الوضح الأقوم . هدانا الى سنة سيدنا الأكرم وقدوتنا الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..

وبعد أن يتكلم على نعمة الهداية للتفريق بين الهدى والضلال يقول :

وعقدنا العزم على المحافظة على هذه النعمة وشكرها ، وما شكرها الا في العمل بها ونشرها ، وأشفقنا على أنفسنا من تبعة الكتمان وما جاء فيمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه من ضعف الايمان ، فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس الى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقديم والأرجحية

... ونحن اليوم ، على ما كنا ، سائرون ، والى الغاية التي سعينا اليها قاصدون ، وقد زدنا من فضل الله ـ أن أسسنا هذه الصحيفة الزكيـة وأسميناها « السنة النبوية المحمدية » .

وبعد أن يبين أن ما تنشره هذه الصحيفة هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من السنة التي تنطق بهدى القرآن والتي هي قدوة جميع الأيمة والمذاهب الاسلامية ، يختم :

فها نحن اليوم تتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية ، عملنا نشر السنة النبوية وحمايتها من كل ما يمسها بأذية . وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ، ودعوة المسلمين كافة الى السنه النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدى نبيهم فى الأقـوال والأفعال والسير والأحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثالا أعلى فى الكمال .

والله نسأل التوفيق والتسديد فى القصد والنول والعمل لنا وللمسلمين أجمعـين » .

الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجـزاء من جنس العمـل

بالمناسبة نذكر هنا مظهرا من مظاهر الكفاح ضد أسلـوب الادارة الاستعمارية المراوغ الظالم ، والذي كانت تتعاطاه باسم العدالة والقانون ضد جميع الحركات الوطنية ، سواء منها السياسية وغير السياسية ، وهذا المظهر ينطبق عليه المثل الشائع : « الجزاء من جنس العمل » أو مقابلة المراوغة بأختها أي اللجوء الى المراوغة مـع الادارة باستعمال مقتضى القانون الاستعماري نفسه ضد رغبة الادارة . كما رأينا ذلك لدى « حركة النجم الشمال الافريقي » فيما تقدم ، فكلما حلت الادارة هذه الحركـة بقرار أو بحكم شرعي الا لجأ مسيروها الى استبدال كلمة أو زيادة كلمة ، لتصبح الحركة قانونية فتواصل ـ بعد أيام فقط ـ نشاطها .

وهكذا وقع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما يخص جرائدها ، فما أن تصدر جريدة الا توقفها الادارة الاستعمارية بعد أيام ، فتبدل الجمعية الاسم وتواصل اصدار الجريدة ، وهذه من حسنات الأنظمة الليبرالية بالنسبة لحرية الصحافة .

فبعد صدور جريدة « السنة » لمدة ثلاثة شهور فقط صدر قرار بتعطيلها . فأصدرت الجمعية مكانها جريدة « الشريعة » فعطلت ، فالصراط ، فالبصائر ... الأمر الذي جعل رئيس الجمعية يئن أنينا في المقال التالي الذي افتتح به العدد الأول من جريدة « الشريعة » (11) وأعاد نشره بالعدد الأول من جريدة البصائر (12) ، يقول الشيخ باديس تحت عنوان : « تعطيل السنة واصدار الشريعة » :

« روعت الأمة بنبأ تعطيل جريدة «السنة» بقرار من وزارة الداخلية وتقاطرت على الادارة رسائل الاستيا ءوالتعجب ، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل ـ جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الديني التهذيبي ..

ويضيف : غير أن الذي نعجب ، نحن المباشرين لتسيير الجمعية ، هو التبدل العظيم والانقلاب السريع الذي شاهدناه من بعض الادارات نحو الجمعية » .

وبعد أن يذكر ما كانت تلقاه وفود الجمعيه من مساعدات وحفاوة من رجال الحكومة بل وتقدير وتعضيد ، ولم يصدر منهم أي انكار لخطة الجمعية ولم يلمح رجال الجمعية منهم أقل اشارة الى ارتياب في الجمعية ، يتساءل باديس :

« ... وبعد فما ينقم علينا الناقمون ؟ أينمون علينا تأسيس جمعية دينية اسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته ورفع مستواه الى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب

---

11 ـ عدد 24 ربيع الاول 1352 هـ موافق 17 جويلية 1933 .

12 ـ عدد اول شوال 1354 هـ موافق 27 ديسمبر 1935 .

وتثقيفها ، فاذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا الى فرنسا قبل أن يسيئوا الينا وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مع المباديء الجمهورية ولا مع حالة هذا العصر .

أفتكون فى الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرا من السنين تحت السلطة الانجليزية الغاشمة القاسية ، وتضيق صدوركم أنتم عن أن تكون جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر ؟ تحت المباديء الجمهورية العادلة المشعة بعلومها على الأمم فتناهضوها وهي ما تزال فى المهد أفظننتم أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرنا كاملا فى حجر فرنسا المتمدنة ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كنفها يدها فى يدها ، فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبتها أو ربتها مثل تلك الأمم ؟ . أخطأتم يا هؤلاء التقدير وأسأتم الظن بالمربي والمربى .

ويضيف الشيخ باديس : انظروا شيئا — يخاطب الفرنسيين — الى ما حواليكم من الأمم وتأملوا فيما تنادي به الشعوب وما تعلنه من مطالب فانكم اذا نظرتم وتأملتم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة وتمسكها المتين بفرنسا وارتباطها القوي بمبادئها وعدها نفسها جزءا منها وقصرها لطلبها منها على أن تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها وأن لا يتقدمها فى أيام السلم من قد لا يساويها فى أيام الحرب ...

ويضيف : استكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية ، لها منزلتها العظيمة في قلبها وجريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها ؟ فنبشركم أنه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف وسيكون لها ، وسيكون .. حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقة التي يكون من أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع ..

ويزيد : كونوا كما تشاؤون أيها السادة فلكم — وأنتم تمثلون ما تمثلون — كل احترامنا ، وظنوا بنا ما تشاؤن فانا على بصيرة من أمرنا

ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا ، ومهما تبدلت اعتقاداتنا فى أناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها • (13)

وعلى خطتنا المستقيمة وهي نشر العلم والفضيلة ، ومقاومة الجهل والرذيلة • وعلى غايتنا النبيلة وهي تثقيف الشعب الجزائري المرتبط بفرنسا ورفع مستواه العقلي والخلقي والعمل الى ما يليق بسمعة فرنسا ، وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها •

أسست « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » وأسست جريدة « الشريعة » المطهرة وستقوم ـ ان شاء الله ـ مقامها وتحل من القلوب محلها والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل » •

ا هـ • عبد الحميد بن باديس

13 ـ هكذا كان أغلب الزعماء فى الجزائر يعتقدون ـ أو يظهرون ـ ان الامة الفرنسية او الحكام في فرنسا أنهم فحسب لم يطلعوا على حالة الشعب الجزائري حتى ينصفوه . وهكذا نرى الشيخ باديس هنا ينسج على هذا المنوال ، بيد أنه بعد ان اطلع على الحقيقة بنفسه سنة 1938 عندما ذهب فى وفد المؤتمر الاسلامي تبدلت فكرته وعرف أن الاستعمار والمستعمرين شيء واحد سواء هم فى الجزائر أم فى فرنسا ، وان الحكام الفرنسيين سواء منهم الموجودون فى الجزائر او المسؤولون فى فرنسا متفقون على اذلال الجزائريين واحتقارهم .

وجاء دور التنابز بين الجمعيتين

هذا ولنترك الادارة ومكائدها ، والاستعمار واستغلاله وقهره ، فقد بلوناه وعرفناه ، كما بلاه العالم الثالث كله وعرفه ، فالشر من مأتاه لا يستغرب ، والسم من الأفعى لا يستبعد • ولنرجع الى أحداث الانقسام الذي وقع بين علماء الجزائر من قادة الفكر والدين لنستكمل الصورة التي التزمنا أن نشخصها للقاريء وللتاريخ عن تلك الفترة الحساسة المتجهمة •

فان أول رد فعل من جمعية العلماء المسلمين ، بعد تأسيس « جمعية علماء السنة » نراه فى أول هجوم رسمي فى نظري ، لأنه صدر عن كاتب يعتبر من أبرز شخصيات ومسؤولي جمعية العلماء وفى جريدتها الناطقة باسمها ، ويعتبر هجوما معتدلا نسبيا ـ هو المقال الذي نشر بالعدد الثاني من جريدة السنة بقلم الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، بعنوان : هذه جريدة السنة يا أهل السنة : (1) وأنقل منه هنا ما به الحاجة فيما يلي :

« اني أحمد الله أنْ أعان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتغلبوا على لصعاب الكثيرة التي قامت في وجوههم ، وغالبوا الظروف القاسية ، وقواهم ربهم بحبهم لدينه ونشر سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، على اصدار صحيفة سنية حقا مهمتها من أجل المهمات وغايتها من أنبل الغايات وعملها من أشرف الأعمال •

ويضيف : ونرجوه سبحانه أن يضر بها آخرين ألفوا البدع وطبعوا على عبادة الله على حرف ، ولم تبرز الجمعية هذه الجريدة حتى استيقنت أن

---

1 ـ العدد الثاني تاريخ 22 ذي الحجة 1351 هـ موافق 17 ابريل 1933 م •

أن ابرازها دين للسنة يجب عليها أن توفيه وأن تعجل به والا كانت هذه الجمعية غير وفية للسنة التي يقول فيها عليه الصلاة والسلام في حديثي : « بلغوا عني بلغوا عني » « ونصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع . »

وأعضاء الجمعية بما أنهم قد تلقوا سننا وتفهموا آثارا ، وأحسنوا تأويلها وتخريجها ، رأوا أن الامتثال للأمر المستفاد من الحديثين المارين ... يوجب عليهم اصدار صحيفة تنفيذا لهذه الوصية ... الى أن يقول :

واذا كان الأمر على ما ذكرناه فان جمعية العلماء التي تعمل لله ولدينه ولاحياء سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد أحيت باصدارها هذه الصحيفة لنشر السنة وتعليم الأمة سنة المراسله . ولو أن الاسلام له رجال يعنون به لكانت له صحف تدعو اليه في الأوطان الاسلامية وخارجها ، ولكن متزعمي المسلمين قد ألهتهم شهواتهم وشغلتهم حظوظهم عن خدمة الدين حتى أن بعض المتزعمين لما رأى أن السنة تحول بينه وبين شهواته حول جهده الى مناهضة السنة والسنيين والاصلاح والاصلاحيين .

ويضيف الشيخ : واذا وضعت الجمعية بين يدي القراء منهم صحيفتها « السنة » فان الجمعية والمنصفين يوقنون بأن في الوطن شرذمة تأبى الا أن تعيش مؤثرة للبدعة مجانبة للسنة ، لأن في البدعة حظوظا واسعة وشهوات مبثوثة وأتباعا وأنصارا ، يقضي الاعتراف بالسنة على هذه الحظوظ بالزوال والفناء فأصحاب الحظوظ والشهوات والأتباع والجاه ستقوم قيامتهم ويتقد أتونهم وتلتهب نار غيظهم على السنة وكتابها ورجالها وأنصارها أيضا ، ولكن ما حيلة العلماء وما ذنب الجريدة وما جريرة الأنصار أن بلغت السنن وأميتت البدع ، وظهر الحق وأفل الباطل ...

ويذهب الكاتب في الاعتذار « التنكيتي » ـ ان صحت العبارة ـ الى أن يقول : فان أغضبتكم السنة فلا أرضاكم الله ، وان جمعية العلماء المسلمين ليست ممن يعبد الله على حرف فهي تعبده في السراء والضراء

والناس يعلمون أنها تدعو الى السنة النبوية وليس لها من وراء هذه الدعوة مرتزق ... ثم يقول :

وان تعجب أحد لشيء فليعجب لأعداء السنة والعلم الذين ظهرت مقاصدهم ، وكشفوا عن سوء نياتهم وابتدأتهم مناوآتهم للجمعية ومشاقتهم للعلماء من شهر ماي الماضي (1932) برئاسة أمي يستحل المحرمات (2) وبعض البدعيين الذين كانت السنة ولا تزال غصة في حلوقهم وقذى في أعينهم .

كبر عليهم أمام العالم الاسلامي أن ينكروا السنة مواجهة فاتخذوا جمعية العلماء التي كانت ولا تزال داعية السنة . مرمى لأقلامهم وهدفا لرمايتهم ووجهة لعداواتهم واعتداءاتهم ، وانما هم يحاربون السنة في شخص جمعية العلماء ذلك أن السنة تأمر هذا الأمي المحل للمحرمات الفاسق في دين الله بأن يعمد الى العلماء ليلقنوه عقيدة الاسلام ...

وبعد أن يمضي في بيان ما يجب على هذا الأمي وأتباعه من المأجورين يقول : وما أظن أحدا علم سير هذه الفئة المحلة ، وكان ممن ينظر بنور الله يعتقد أن الأمي الفاجر وأذنابه وعبيده الذين استعملوا أقلامهم في ارضائه واغضاب الرب ممن يقيم الصلاة التي قال الله فيها : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وهؤلاء قد كفروا بتعاليم الدين وجحدوا أوامر الله ونواهيه لارضاء الأمي الفاسق والبدعي المضلل ...

وبعد أن يبالغ كثيرا في شتم وسب هذه الطائفة يقول الشيخ : وهل يستطيع أحد أن يقص علينا في أخبار من حضر ومن غبر من الأمم المتدينة وغير المتدينة ، ان فئة حملتها العداوة على أن تلطخ الانسانية وتعصي الأديان وتخرق سياج الآداب كما فعل عبيد « الأمي » الفاسق والبدعي المضلل حتى أصبح كل أحد يقرأ جرائد الجزائر داخل القطر وخارجه ، تأخذه الدهشة وتستولي عليه الحيرة من جرائد أذناب الأمي الفاسق وما تأتيه من المنكرات والكفريات ...

---

2 ـ يقصد بالأمي .. عمر اسماعيل .

وبعد أن يبين الكاتب شيئا من خطة الجريدة وشيئا من مقاصد جمعية العلماء ، يختم مقاله بالاشارة الى صميم الموضوع فيقول :

« وقد سارت الجمعية سيرا كان موضع اعجاب العقلاء ، ولما نشأت الجمعية الجديدة وكان الداعي الى تأسيسها مضارة الجمعية الأولى وافساد ما عملت ، وارجاع الجزائر الى سابق عهدها ، كان أغلب الجهود التي يبذلها أعضاء هذه الجمعية المضارة التي أسست لاماتة الدين واللغة ، انما تبذل لغلق المساجد في وجوه العلماء وتشويه سمعة العلماء بخلق عيوب لهؤلاء العلماء واستحلال أعراضهم وانشاء صحف لافساد الصلة بينهم وبين الأمة ، وبث الرسل في كل بلدان القطر يذيعون الأراجيف والبهتان عن العلماء لافساد سمعتهم وازالة ثقة الأمة بهم ، فنشأ عن هذه المساعي الفاسدة غلق بعض المساجد في وجوه العلماء ، وبعض المكاتب أيضا . (3) واخراج الأحداث من طلبة العلم الى مسح الأحذية والاشتغال بما يفسد الأخلاق .

فاعتبروا يا أولي الألباب وانظروا الى ما تنويه هذه الجمعية المضارة ان لم ترفضها الأمة ولم تنتبه الى ما تريده منها ... الخ .

العربي بن بلقاسم التبسي

ثم ماذا ؟ ....

وقد كانت ظهرت جريدة «الجحيم» (4) باسم جوكلارى محمد الشريف فجعلت شعارها « العصا لمن عصى » وحجتها قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه » حسبما أثبتته الجريدة في حكاية عن عبد الله اذ سبه أحد الرعاع وهو في مجلس ينشر العلم . فسكت عنه عبد الله ، فقام أحد الحاضرين وصفع الشاتم ، واستحسن ذلك عبد الله بن عباس وقال قولته السابقة .

3 ـ المكاتب يقصد بها المدارس الحرة الابتدائية او القرآنية .

4 ـ صدرت الجحيم بتاريخ 3 ذي الحجة 1351 هـ موافق 10ـ3ـ1933 م .
واجهة جريدة الجحيم للتصوير

العدد ١ — ثمن النسخة ٢٥ صانتيما — السنة الاولى

صاحب امتيازها
جوكلاري محمد الشريف
Le Gérant:
JUGLARET Mohamed Chérif

المراسلات
ترسل مضمنة باسم :
أوقـانـي عبد القادر
نهج ابن عاشير عدد ١٦
بالجزائر

(اليسر والامان)

الجحيم

جريدة حرة مستقلة تدافع عن الشرف والفضيلة
تقوم بتحريرها نخبة من شبان الزيانية

الاشتراكات :
سنة سائر الاقطار من نحة
٢٠ ف ومن ٦ اشهر ١٥ ف
ويخصم نصف القيمة
لطلبة العلم

Journal
EL DJAHIM
15, r. Benachère
ALGER

الجزائر يوم ٣ ذي الحجة ١٣٥١ هـ — شعارها : العصا لمن عصى — Alger, le 30 Mars 1933

كلمة أولى

اما بعـد:

كان سيدنا عبد الله بن عباس (ض) جالسا في مجلس ينشر العلم فشتمه احد الطغمة الرعاع فسكت عنه ابن عباس ولم يجبه ولكن احد الحاضرين قام الى هذا الشاتم المعتدي بصفعه وجالد به الارض فاستحسن سيدنا عبد الله بن عباس هـذا الدفاع وقال : «ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه»

وقد ظهر في هذه الايام رهط ينتسبون الى الجنس البشري وهو يتبرأ منهم هؤلاء الخنازير اتخذوا الشتم وثلب الاعراض حرفة وقذف اهل العلم والفضل بضاعة روجوها رغم الازمة التي كسدت بسببها البضائع الاخرى

وقد اسسوا ورقة عفنة سموها «المهر» وهي حقيقة مهر من اقذر وانجس المهاهر وكتبوا في تلك الورقة ما اطربوا به بعض السفهاء امثالهم وما خوفوا به بعض الجبناء وايقنوا ان الجو خلا لهم وان بلاد الجزائر لم يبق فيها الا من يناصرهم او يهابهم وليس فيها من يحاربهم او يلعنهم او ينتقدم

وهكذا هذه القمم بزيدة سكوت

؟
القائمـــة السوداء

نثبت هنا في هذه القائمة القاب الذين حاربوا الله وحاربوا العلم والعلماء وعاونوا جريدة «المهر» لسان حال «السينية» اما بما كتبوا فيها بايديهم الاثيمة ولما بتحبيذها والترويج لها بين الناس . اما الذين لا يحاربون العلم ولا العلماء ولم يصدر منهم اذى فاذا نتركهم وشأنهم ولا نتعرض لهم بسوء ما لم يجاهرونا بالعداوة والاذى . ونقتصر هنا على ذكر الاسماء او الالقاب، وندع البيان والتفصيل الى الفصول التي

خصمه جراءة ولا يقبل الا اليد التى تصفعه

وقد اسسنا هذه الجريدة المباركة الطاهرة النقية العفيفة النزيهة لا لغرض سوى الانتقام للفضيلة والدفاع عن الاعراض البريئة وتطهير قطرنا العزيز من الجراثيم الخبيثة التي انبتها فيها الطمع وحب الرئاسة والتكالب على جمع الاموال الطائلة وتحصيل الالقاب الهائلة وسنذيق اهل الزيغ والكفر والعناد اضعاف ما اعتدوا به على السادة الابرياء من عباد الله

(رئيس الزيانية)

عنوانها «صحيفة السيئات» .

القرطاس ولا تسال عما تحمل اليه هذه الجريدة من ويلات . وراس الخطيئة الرابطي الحلولي . والمهري الحلاج الكولي ابن الحاج كبول . والمفتي الشامة الذي ينطبق عليه قول القائل : «وجه جميل والفعائل قبيحة ....» . والطرطلة البائرة او ترجمان البروتستان (بقسنطينة) وهو الذي يقول في ارجوزته «المثلثة»

حمدا لثالوث العلاء الاقدس

الاب والابن وروح القدس

والخطيب المنتظر (بن الحاج الكذاب) . والحاج الكرشي . وهو العاصي الوسيط الملاتي . والضبع الهرم الذي تزوج اخيرا باحدى المؤمنات وكان متغنيا بامه عن الزواج . والزامل بن عازوز . والطار الابليسي او المقدم الخباز والميسوم على الخيشوم . والبدوي بسيق الذي تزوج امرأته بعد ان طلقها ثلاثا ومدير (الفداوي) بسطيف . والقطب المتقاعد في الاغواط وناشد الضلالة بطولقة . والكردينال المسلول المعروف بشيخ الحلول . وابن امه الذي «يلحس ويمص» . وابن صكلي الذي كان تجانيا ثم باع نفسه للطرقيين بثمن بخس ...

كان عنــوان الجــريدة « جريدة حرة مستقلة تدافع عن الشرف والفضيلة ، تقوم بتحريرها نخبة من شبان الزبانية » •

وقد أتت هذه الجريدة بمنتهى القذاعة في شتم الخصوم وجعلت لهم أسماء مستعارة تدل على بالــغ أحقاد • ونــكتفي الآن باثبات افتتاحيتها بعددها الأول ، فبعد ما أتت بحكاية سيدنا عبد الله بن عباس المتقدمة قالت :

وقد ظهر في هذه الأيام رهط ينتسبون الى الجنس البشري وهو يتبرأ منهم ، هؤلاء الخنازير اتخذوا الشتم وثلب الأعراض حرفة ، وقذف أهل العلم والفضل بضاعة روجوها رغم الأزمــة التي كسدت بسببها البضائع الأخرى •

وقد أسسوا ورقة عفنة سموها « المعهر » (5) وهي حقيقة معهر من أقذر وأبخس المعاهر وكتبوا في تلك الورقة ما أطــربوا به بعض السفهاء أمثالهم ، وما خوفوا به بعض الجبناء ، وأيقنوا أن الجــو خلالهم وأن بلاد الجزائر لم يبق فيها الا من يناصرهم أو يهابهم ، وليس فيها من يحاربهم أو يلعنهم أو ينتقدهم • وهكذا شأن اللئيــم يزيده سكوت خصمه جراءة ولا يقبل الا اليد التي تصفعه » •

وقد أسسنا هذه الجريدة المباركة ، الطاهرة ، النقيــة ، العفيفة ، النزيهة ، لا لغرض سوى الانتقام للفضيلة والــدفاع عن الأعــراض البريئة ، وتطهير قطرنا العزيز من الجراثيم الخبيثة التي أنبتها فيها الطمع وحب الرئاسة والتكالب على جمع الأموال الطائلة وتحصيل الألقــاب الهائلة ، وسنذيق أهل الزيغ والكفر والعناد أضعاف ما اعتدوا به على السادة الأبرياء من عباد الله •

التوقيع : رئيس الزبانية

ولكي نعطي صورة جامعة عن تناهض الجمعيتين وتباعدهما الساحق ننقل فيما يلي بعض المقالات من جرائد « جمعيه علماء السنة » أو جرائد

---

5 ـ يريد جريدة « المعيار » •

أنصارها ومؤيديها • ففي جريدة الاخلاص لسان حال الجمعية نشر مقال بعنوان :

الاصلاح المزعوم واثره السيىء فى الوحدة الجزائرية (6)

يقول الكاتب . لقد مر على هذه الأمة الاسلامية الجزائرية حين من الدهر كانت فيه محط الوئام والائتلاف ، صفوفها متراصة كالبنيان لا ثغرة فيه ولا ثلمة ، كلمتها واحدة ورائدها الاخلاص ، وروحها الأدب ولحمتها الاتحاد الناشيء عن طهارة ضميرها وصفاء وجدانها ، مستنيرة بذلك القانون السماوي العظيم ؛ فكان الهدوء سائدا والتشاغب مصفدا ، اذا بأناس متشيعين وتحت سيطرة أغراضهم متورطين يعكرون الصفاء لاصطياد لباناتهم ، أناس لا يهنأ لهم بال ولا يهدأ لهم بلبال الابذر وسائل الشقاق واستئصال عروق التآلف والتحابب بين المتساكنين على اختلاف نحلهم ومشاربهم ، تسوقهم الأغراض بسياط القهر وهم أمامها مندفعون بدعوى أفرغ من طبل ، دعوى الاصلاح الموهوم الذي موهوا به على الكثير من المغفلين فانخدعوا بتلك التزويقات المسمومة حتى وقعوا في أحبولة الزيغ • ولات حين مناص ، فاسودت عند ذلك صحيفة المدح والثناء (7) وطوى بساط الألفة وحلت مكانها ضروب السخرية والتهكم والازدراء ، فاستحال لهذه الحوادث المدلهمة الايمان كفرا والاصلاح خسرا ، وانعكست الحقائق في نظر أولئك الجحيمين •

ظهرت هذه الفئة المغرورة لنشر الوهابية وتزيينها في قلوب العامة السذج وقامت بالدعاية لنشرها في حفلاتهم ودروسهم وتلقيناتهم بل وبسائر الوسائل ؛ فأحس علماء السنة بهذا الويل المحدق بهم وتحققوا أن الدعاية الوهابية كادت أن تعطي حظها الأوفر من الذيوع والانتشار ، الشيء الذي أوجب عليهم القيام بفرضية الدفاع عن حوزة الدين ، صيانة له وغيرة عليه ، فأسسوا لهذا الشيء ومن أجله « جمعية علماء

---

6 – عدد 17–25 ذي الحجة 1351 هـ موافق 19–4–1933 م .

7 – اشارة للمدح والثناء الذي كان يحظى به عمر اسماعيل من المصلحين .

السنة » وهي الآن في سبيل سيرها تدعو الى الله على بصيرة ، أصولها أربعة : كتاب وسنة واجماع وقياس • لا تخرج في دعوتها عن هذه الأصول ولا عما حرره ذووا المذاهب الأربعة الفحول ، ولا عما ارتضاه اماما السنة في العقائد أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي • وهذا بعينه هو هدى السلف الصالح ومن اهتدى بهديهم القويم ، ومن ادعى غير هذا فهو خارج عن مذهب الحق وخارج لسياج الاجماع • »

نعم ان كثيرا من البسطاء صفا لهم ذلك المذهب وراج عليهم كل الرواج فأصبحوا يبصرون بعين واحدة بعد انطماس بصائرهم ، يموهون على الناس ويقولون اننا داعون الى هدى السلف الصالح ، والسلف الصالح يتبرأ منهم براءة ابراهيم من آزر • فانتبه لهذه الدسيسة بعض متنوري البصائر طاهري السرائر ففزعوا من تلك الدعاية والتجأوا الى علمائهم وتبرأوا مما أوحاه الى تلك الفئة الضالة شياطينهم • فكبر أعراض هؤلاء المتنورين على دعاة الفتنة والتشويش ، ولم يدروا بأن الخيانة التي ارتكبوها والجريمة الشنعاء التي اجترحوها هي أعظم خيانة وأخطر جريمة ، وغفلوا عن النهي الوارد والوعيد الشديد المشار اليه بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » •

ألم تكن الأمة الجزائرية ، قبل ظهورهم ، متآلفة ؟ ألم يكن لها هداة يهدونها سبيل الرشد ؟ بأي كتاب كانت مؤمنة ؟ وبأية سنة كانت عاملة ؟ وبأي اعتقاد كانت معتقدة قبل بدوكم ؟ حتى أردتم الآن ارشادها الى ما تزعمون من الحق والهدى ، وماذا بعد ذلك الحق الذي كانت تدين الله به الا الضلال البعيد • —

كانت أخلاق الأمة الجزائرية قبل الأن وحتى الآن وبعد الآن الاستمساك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المجموعين فيما ذهب اليه أئمة المذاهب الأربعة ، وحسن الظن بعلماء الأمة المحمدية والوثوق بهم في كل ما دونوه وحرروه وهذبوه من سائر الزيغ والالحاد

السنة الاولى العدد ٢ (ثمن النسخة ٥٠ سنتيما) 1re Année N° 2

المدير هراس مصطفى
المحرر ... جهة
نهج قسنطينة رقم ٤٤ بالجزائر تليفون ١١-١٢
14, Rue de Constantine - Alger

الاشتراكات :
عن سنة ٢٥ فرنكا - يزاد عليها ثمن للملحقات

المعيار لا يقبل اعلانا الا ما يعود بالمنفعة على الاشراف

المعيار

١٣٥١

إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم

حزب التسعة !....
في
Rayon X
شرح الامراض الباطنية الجزائرية القتالة

الجزائر يوم الاحد ٤ رمضان ١٣٥١
(جريدة ادبية انتقادية بمكاهية . تصدر مرتين في الشهر)
(ولها ملحقات عند الاقتضاء تزاد على قيمة الاشتراكات في آخر السنة)
الموافق ليوم ١ جانفي ١٩٣٣

منـامـــة ...

او

نظرة عميرة البرطاس !!!..



هاش صاحبنا عميرة البرطاس وحده تحك الرأس ومن المعلوم ان حك الرأس لما لسكين هيجان العلة للصالب يا واما لسكرة التفكير من جهة اخرى في امره وامر امثاله. فلم يهتدى الى علاج ينفع به نفسه ومن حوله من جمهور هذه الامة المسكينة. الذين يشاركونه في تلك البيئة الفتكه.

وعلم على تلك البلادة - والانسان اسير ما اعتاده - خصوصا انه عاش طبقات كثيرة من الدهر الذ كانت حياتهم سلسلة من الهموم والمصائب معه. لانه عاش عاملا وتاجرا وفلاحا صار لذلك يحس بما هم عليه ويشفق عليهم. ولانه جليس لمن يحس ويعطف اكثر من لم يعش تلك البيئة لان من ذلك مرارة الضيق في نفسه فاجدر به ان يستشعرها في غيره كما قيل الاعلة عنده.

ولبعض يفكر في الامر ويبحث فيه ويضرب الخماسه في لسداسه ماء يعثر على من يده من (النكارى) للحل الحاسم لهذا المشكل (او لهذا المعمى المشكل !..)

واحدث هذا التفكير الطويل العريض الخليط تأثيرا عظيما في نفسه يغلب على من يفكر لاجلهم اكثر من الحزب على نفسه وصار ينتظر الخروج من هذا التفكير المؤلم ناجحا بمادح عصره.

وكاد اليأس ان يستولى عليه بعد ان خالط جميع من يظن ان بأيديهم « علاج » هذه الامة ولم يجد منهم من يعجز من معالجة نفسه او من هو منبع جرثوم لمرض لهذه الامة، لكنه ذات ليلة رأى في نومه ما يراه النائم. او صورة لهيكله التي كان يحلم بها في يقظته. وما هي صورة المنامة التي يقول فيها ؟

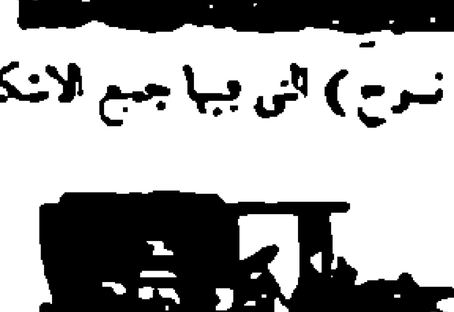
(من زاد في منامه زاد في هذاسه)

مثل عامي -

سارعت بعربة تامة الى الطواف على الاماكن التى تجمع تلك الطبقات العجيبة شي من الحضر والخمار وحمل القطار و (الشربور) من سائق عربات الترامواي وغيرهم. وطلبت منهم ان يجعلوا يالسير معي الى قرية في الشرق - في الغرب - في الصحراء - يقال لها : (بلاصة المرد رقم ٩) ! فيا اهله كنت جدعتهم هناك سابقا يقال ان لهم مهارة في معالجة الامراض التى كثيرا ما تشكت منها وعرفوا جميعا ضررها وعاقبتها الخبيثة. وشكوا في الامر وترددوا لكن شجعتهم بالاماني تشجيعا صحا من انفسهم سحب الشك في كل شيء. فقالوا : ها نحن يا عميرة البرطاس. فجاءوا بالسيارات والبيطرول والبنزين لانهم لا يريدون ان تفلت منهم هذه الفرصة بعد انتظارها قرونا. فسرنا على بركة الله في



سفينة (نوح) التي فيها جميع الاشكال و



السيارات تطوي النهار الموحشة والجبال الشاهقة والسبل الوعرة. وما قربنا من المكان المقصود حتى تعطلت المراكب لعطب اصابها في ارض صخرية ونجح فيها ابو رئيس العصابة (الباشية) احجارا ولشراكا وتجد الزاد والبيطرول والبنزين وما كان معنا من الخبز والعجين ... وبرهم مرض الفرع (البرطيس) .

وبقى الناس الذين معنا حيارى من هذا الحادث المشؤوم. ولم اجد حلا لهذا المشكل الذي هو اشد من ذنب الضب الا تسلية القوم بانه لابد من ورود نجدة ... وانتظرنا ولم يعد الانتظار وحينئذ شجعتهم وقلت ان القرية قريب منا فانطلقوا بعد تردد وتنحنح وصاروا يسحبون (سيقانهم) سحبا لما اصابهم من العطش والجوع والتعب القاتل فوصلنا على آخر رمق .

وما كدنا ندخل بيت رقم تسعة ... الواقع في شارع من شوارع هذه القرية (المهجورة) - بلاصة المرد - حتى وجدنا على بابه كلابا تشبه كلاب الصيد الحمر في بدنات تبيح نباحا وربط في ... والبرنية = ... واد الذكر من لسانه تلك الكلاب المربوطة في الباب الا عبارة ترجم بعد الحرش ودامرجى و (المرد) الرهابي وشراك la rue ! وكادت تصدنا عن الدخول ولم نتمكن من ذلك الا بشق الجرس ودفع الباب .

دخلنا البيت رقم (٩) فوجدنا ازكى الاطباء.. وعلى وجوههم طلاء رقيق من البشاشة والمحبة... والتسامح وذلك يدل على انهم مستعدون لقبول لعب الجهاد والقضاء على امراضه بهمة ونشاط وحمدنا الله على وصولنا بسلامة وعلى استعداد اطبائنا للعمل الجيد .

وبادر سادتنا الاطباء ... الى اعداد الادوية باسرفجهم قائلا : الا هم ايها الدكاترة الان لسعوا القوم بعلاج البطن والعمل لانها مرضان خطيران اصيب بها في هذه المملكة التي لامرها في هذا الدهر الطويل . اما الامراض الاخرى التي لتندمج لاجل معالجتها يعد اليسير من مرض البطن الهائج بالاختلاس ومرض العقل الذي يسوي الانسان بالحيوانات بقالوا - وعلامة التطبيب ظاهرة عليهم - : نعم الرأي ونعم ما ارتأيت يا حضرة البرطاس ويا زعيم البراطيس الذين لا يخلو واحد منهم من الحاجة. ويا ليتنا كنا براطيس مثلك ! (يا ليتنا كنا كلنا ديين مثلك) كما في المثل السائر ... واسرعوا الى مقصورة المداولة فيبدأ الشك يحوم الى راس البرطاس من تلك الجواب المره والاشواك في تلك (المخلوة) وصرت ارقب اعمالهم من كوة هناك لو من تحت النطاء. ولكن ما رايت ! ماذا رايت ؟ رايتهم طلبوا من (الحارث ...) الحكل ... ان لا يجري العمليات الجراحية الا بعد استطلاع المرضى بعلاج البطن والعقل بقال والتأثر غالب عليه : انا لا انظر ولا ارجع ... انا لا اداري . انا لا اعتمد عليك كما هي عقيدتي الوهابية ... واشتد الخصام وعلا الصياح ولم تسمع الا قولهم للنوم الهنا : دعنا من تمثيلك دعنا من صراحتك ... مرضا ولا ادري بعد ذلك كيف تباعدوا لاني لا ارى الا همسا ولمزا ونكرا ونسا ... واما غاية الامر ان المذكورين قبلوا جلدي وادوني يحرقون بوجدانهم بدأوا يبيعون الخبز لعلاج كلب الجوع النابح ومنشات بهية ... املاح العقل المضطرب ... اجهدهم التعب بداوا و بقيت يقظان وحيدا لهم من طرب خوفي .

فكن يا نهول ما رايت !.. بعد ذلك التين - لين الحية الرقطاء - رايت انهم وضعوا سما يطلى الاسم في الخبز والمشاط ومن خصائص هذا السم تخدير العقول اولا ثم الطاه تسود الجثة تدريجيا ثانيا وهذا الذي شاهدت بام راسي جعلني ابحث عن سر اعمال الساعة المذكورين. فتوصلت اخيرا الى حل تلك الطلاسم وذلك انهم - المذكورين - اكلة لحوم الاحياء والاموات . ويريدون بدس السم في الخبز والمشاط ليقضوا على ارواح المساكين الذين شدوا الرحال لا التماس برحهم ونصرهم .

اكتشفت كل هذا زيادة على اكتشاف شيء آخر ... وهو ان الالقاب التي ينعم بها بعضهم على البعض غير لسماتهم الحقيقية وانني اطلقت على الديوان للمجلة فيه هذه الاسماء الصحيحة ... وهي :

١ - السلوك شور بانى الاختصاصي في الايمان المقلقة بالكذب والتدليس

٢ - السلوك شور الاعرج المسرح الاختصاصي في المراوغة المفضوحة وتخريج مفسدة الرهبان الامريكان

٣ - السلوك شور « الزريبة » الاختصاصي في الثرثرة والمراوغات ونشر الرذيلة .

والضلال (8) وطهروه ونقحوه • فجاءت هذه الشرذمة مجددة في زعمها، وجلهم عار عن اقامة الواجبات التي عليها مدار كالصلوات واتقاء المحرمات •

هذه هي الحالة الراهنة التي نشأت عن الاصلاح الموهوم والارشاد المزعوم ، قد تجلت شمس الحقيقة من كدرات تلك الغيوم فرآها واهتدى بهداها أولو البصائر والعرفان ، وتعامى عنها ذووا التعصب والتحزب الممقوت • وعما قليل ليصبحن نادمين ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون • ا هـ

اشعري

هكذا ، وبالمقابل أيضا تثبت افتتاحية جريدة « المعيار » التي كانت صدرت قبل بتاريخ 20 شعبان 1351 هـ ــ 18ــ12ــ1932 م وجعلت هي الأخرى شعارا لها قوله تعالى « ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » وجعلت عنوانها : « جريدة أدبية انتقادية فكاهية » • ولم تقصر هذه الجريدة هي الأخرى في اختيار أوصاف السباب والشتم ، وان كانت أقل قذاعة من جريدة الجحيم • وفيما يلي لقطات من افتتاحيتها الطويلة التي كانت بتوقيع « هراس مصطفى » (9) •

« الحمد لله الذي قال في كتابه الشريف « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير• والذي حمل الظالمين مسؤولية العدوان بقوله : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا الكفار والمنافقين ، والذي اضطره عدوان الظالمين الى نصب ثلاثة للدفاع عنه وهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه ، والذي قال لحسان

8 ـ اين نحن الآن ـ وقد استقلت البلاد وصارت حظوظها بيدها ـ لمحافظيها ومصلحيها من هذا الاستمساك والايمان أمام هجوم الالحاد والشيوعية ؟!

9 ـ انه اسم مستعار ولا شك .

(واجهة جريدة المعيار للتصوير)

مرة : « اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » .

ونعوذ بالله من شرور الموسوسين الذين شأنهم الخنوس عندما يشعرون بانتباه الناس لوساوسهم التي يلقونها في صدور الناس ...

ثم يتخلص المقال الى المقصود فيضيف : « ومن نكد الأيام وسوء حظ هذا الوطن ظهور آثار الانشقاق والافتراق بتدبير دعاة السوء ، وكنا متعللين بقولنا : لا بأس اذا كانت غاية الفريقين المتصادمين واحدة ...

ويمضي فيقول : هكذا كان الناس يعللون أنفسهم وبأن الخصومة تنتهي الى هذا الحد من التزام كل فريق السير على مبدئه دون اتخاذ ثلم الأعراض وجرح العواطف سبيلا للتشفي والمكابرة . لكن بعض الذين لا يلذ لهم الا مزاحمة ما يعيش بالعفونات من الحشرات ، أبوا أن يقفوا عند هذا الحد بل أبوا أن يقتصروا على جريمة بدايتهم بما أفضى الى الافتراق ... وشرعوا بعد التوصل لافتراق الكلمة في شتم الأبرياء والطعن في أعراضهم واختلاق عيوب وهنات لهم بدون موجب ولا استناد على واقع سوى التشبع بروح الغرض الأعمى وسفالة الأخلاق .

وبعدما يوجه الكاتب اللوم لجريدة الزهرة التونسية لتدخلها فيما لا يعنيها مما يتعلق بمسائل داخلية في الجزائر . فكتبت عن جمعية علماء السنة بما يسيء لمؤسسيها ، يقول :

ولعل « الزهرة » استندت الى مصدر تظنه موثوقا به أو على مثل ورقة « المرصاد » الرقيعة (10) . حقا ان هذا هو ما كان يعمل ويتوسل به أصحاب جريدة المرصاد وكتابها المعروفون ... وما كان المعتدى عليهم أولا وآخرا ليجاروا مع ذلك هذه الورقة وأقلامها الفاجرة الأثيمة

---

10 - جريدة المرصاد كانت تصدر باسم العقبي والعمودي .

في ذلك السباب والشتم والهمز واللمز ، ترفعا عن كل ذلك . هذا من جهة ولم تكن لهم ، من جهة أخرى ، صحيفة خاصة تدافع بنفس سلاح أولئك الموتورين ...

وبعد أن يبين المراجعات التي كانت صدرت منهم لأصحاب جمعية علماء السنة ، سواء قبل صدور جريدتهم « الاخلاص » أو بعدها ، وباءت كلها بالفشل ، حيث أن هؤلاء لا يريدون مجاراة السفهاء عملا بقول القائل : « هل يعض الكلب من عضه الكلب » ؟ وعملا بقوله تعالى : « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » ...

ثم يضيف الكاتب : ولم يسعنا ازاء كل ذلك الا ترك هؤلاء الأبرار وما اختاروا ، وتكوين جماعة كبيرة تطوعت بالذياد عن شرف الدين وحماته ، والقيام بمأمورية الدفاع بنفس السلاح الذي يهاجم وما زال يهاجم به المعتدون المضلون ، والنهوض بواجب الهجوم العتيد واستعراض هنات المشاغبين والأوباش الواقعية ، لا مجرد اختلاقها نظير ما يفعلون الا ساء ما يصنعون !...

ويمضي فيقول : ان تمادي أوباش مأجورين من طرف ... (*) للعيش في المستنقعات الراكدة المتعفنة على غلوائهم قد أوجب علينا العمل ضدهم والقيام بهذا الدفاع والهجوم معا ، مستقلين في أعمالنا بحيث لسنا تحت تأثير أي طائفة أو حزب أو فرد ولو كان من الطرف المعتدى عليه ، ولسنا في حاجة الى قبول أي ايعاز أو وحي ولو من أولئك الذين توجب علينا الغيرة الدينية الدفاع عنهم . بل نجاهر من الآن بأننا مستقلون في حملتنا وماضون في سبيلنا غير آبهين ولو لنصائح المظلومين الذين قابلوا الحاحنا بالرفض ونكتفي من الواجب بالقدر الذي حتم علينا الاضطلاع بمسؤولية مقابلة السيئة بمثلها ، معتقدين اعتقادا جازما أننا مثابون في كشف النقاب عن مساوىء دعاة الهذيان والهذر ، كما نكتفي من الواجب بالقدر الذي ألجأ المعتدى عليهم الى العمل بغير طرقنا التي سلكناها ، ولكل وجهة هو موليها ...

(*) ـ كلمة محذوفة فى الأصل مكان النقط .

ثم يقول : وان لنا للذة في كل تضحية نقدمها لأننا نعتقد أننا بعملنا نطهر الوطن الجزائري وصحافته النزيهة ومعاهدها العلمية من القذر الذي ما زال يحاول الخونة الأبالسة والمهذارون والمنافقون والـ « مطرودون » (11) والسخفاء والديوثون والموصومون بكل عار ، أن يلطخوا به كل ما يستوجب الاحترام والتقديس » ٠ ا هـ

... والشعر ايضا :

ولم تعدم هذه الملحمة الكلامية شعراء لكل كتلة يدعون لنصرتها ويتغنون بمدحها ويتفننون في الاشادة بأعمالها ، كما نجد شعراء آخرين يتبرعون بمناسبة وبغير مناسبة ، بالهجوم على الشق المقابل وهجائه بأقذع الأوصاف ورميه بأخطر التهم ٠

ومن النوع الأول نقرأ للشاعر — بل أمير شعراء الجزائر — الشيخ محمد العيد آل خليفة أمد الله في حياته المباركة (*) في العدد الثالث عشر من جريدة السنة قصيدة ألقاها بمناسبة الاجتماع العام السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعنوان :

ليس سوى القرآن من حكم

قال شاعر الشباب — اذ ذاك — :

صف للجزائر فيما شئت من كرم — ولد بها حرما ناهيك من حرم
الم ركبك فاهتزت له وربت — كالارض غب نزول الهاطل العمم
غناء اغنى عن الترحيب منظرها — وفى المناظر ما يغني عن الكلم
البر والبحر فى اكنافها اعتنقا — وواصلا قبلا فيها فما بفم
والفاطرات بها والفلك زاخرة — بمعجزات من الآلات والنظم
والطير كاسية فيها وعارية — صفت باجنحة من فوقها دهم
من ذي قوادم بالارياش منتفض — او ذي لوالب بالفولاذ ملتحم

---

11 — المقصود بالمطرود هو الشيخ الطيب العقبي كما سياتي ذلك فى الكلام عن حياته . على ان الاوصاف الاخرى نفسها لها مدلولاتها فى أشخاص آخرين .

(*) — بالاسف الامة الجزائرية لقد انتقل محمد العيد الى جوار ربه قبل طبع هذا الكتاب رحمه الله رحمة واسعة وجازاه جزاء العاملين المخلصين للدين والوطن (1979) .

ويمضي في الوصف الى ان يقول :

الله اكبر هـذا مرتع خضـل يهفـو به نسـم من اطيب النسم
اهـلا باهـل حوت اعلاق نسبتهـم اعلاق قيمـة جلت عن القيـم
حلوا النفوس فقد شيدت لكم اطما يا ذائدين عن الحسنى بلا اطـم
استغفـر الله ، هذا الحزب تحرسه عين من الله لم تغفـل ولم تنـم
امضوا على الصبر فالعقبى لكم سلفا ما جزتـم نعمـا الا الى نعـم

الى ان يقـول :

نحن الدعاة الى الحسنى فما احد منـا بمجتـرح للشـر مجتـرم
الا فقـل للذي بالحرب فاجانـا لا تلق بالحرب من يلقاك بالسـلم
وقـل لمـن نالنـا بالظلم منتقمـا حـذار من ناقـل بالعدل منتقـم
يايها الشعب لـذ بالحق معتصمـا واركن الى لاتذ بالحـق معتصـم
لا تفتننـك الحـان مـزخـرفـة غنى بها القـوم اوضاعا من النغم
تمحلوا بينات ما لهـا صـلة بهـم سوى صلة الاتـوار بالظـلم
وكيف يطمـع في ايجـاد بينـة قـوم وجودهم ضـرب من العدم ؟
ويح الجزائر كـم يصلى الهداة بها من قومهم ضرما مورى على ضـرم
يا من تلمس من عـاداته حكمـا اخطات «ليس سوى القرآن من حكم»
الصلح خير واحـرى ان يـلاذ به ما لم تدس حـرمـات الله بالقـدم
طـال الشقاق بنا يا قوم وافترقت منازع الهم فاستعصت على الهمـم
هيا بنا نبتهل يا قـوم قاطبـة ونرفع الصوت بالشكوى ونحتكـم
يا رب من كان في الاسلام مبتدعـا منـا فوفقـه للاقـلاع والنـدم
اولا .. فعاجله واكف الشعب فتنته بما تشـاء من الايـات والنقـم
يا ويح انفسنـا من كـل طاغية يسومهـا المـا مـرا على الـم
يفـح كالحية الرقطـاء ممتعضـا منهـا ويقـذف كالبركان بالحمم

ويختم محمد العيد :

يا نازلين على الارحـام في كنـف من الاخـوة سامي القدر والعظم
هبـوا على العـلم انفاسا مباركة ورفرفوا فيـه اعـلاما على علم
واستقبلوا الفوز في العقبى على عمل بالمسـك مفتتح بالمسـك مختتم

محمد العيد (12)

---

12 ـ هكذا نجد محمد العيد في شبابه هادئا معتدلا داعيا الى الله ، كما نراه في شيخوخته هادئا مطمئنا منقطعا لعبادة الله الى أن توفاه الله الى رحمته .

ونجد من نفس النوع ، أي النوع الهادىء اللين في جانب جمعية علماء السنة أيضا ؛ فنقرأ لشاعر العاصمة أحمد الأكحل قصيدته الآتية تهنئة لجمعية علماء السنة ولجريدة الاخلاص لسان حالها : (13) ولرئيس الجمعية الشيخ المولود الحافظي :

قال احمد الأكحل : (*)

بشرى لنا ان نجم الدين قد طلعا في افق بلدتنا الحسناء بل سطعا

ضاءت به انهج الارشاد وانشرحت منه الصدور ، وفيها الامن قد ودعا

منه استنارت قلوب المخلصين ومنه النصر امسى مع التوفيق مجتمعا

والحق حصحص للابصار واتضحت كل الحقائق ما راء كمن سمعا

والغي في الحي ولى القهقرى وغدا منهزما ولجيش الافك متبعا

وناصروا الملة الغرآ باجمعهم تدرعوا الصدق والاخلاص والورعا

قاموا يذودون (بالاخلاص) قاطبة عن حرمة الدين والفصحى بما شرعا

« جمعية السنة » الزهراء صاح لقد قامت على هدم تحارب البدعا

تحارب الجور والطغيان آخذة تحارب الجهل والفقر المشين معا

رئيسها العالم النحرير من ظهرت آيات اخلاصه مذ للوئام دعا

ومن دعا للتآخي والسلام ومن بالرفق واللين للحسنى دعا وسعى

لا غرو ان كان « بالاخلاص » متصفا فهو الذي في العلوم اليوم قد برعا

من منهل العلم والعلم الصحيح مع المعروف والجود والاحسان قد كرعا

اكرم به قدوة يهدي الى رشد من ضل عن مهيع الارشاد او تبعا

بشراكم ناصري الدين الحنيف فذا نجم السعادة في ارجائكم لمعا

فادعوا الاله الكريم بالنجاح لنا فهو المجيب لمن للمحسنين دعا

العاصمة : احمد الاكحل

أما النوع الثاني وهو الشعر القذع فيوجد أكثره في جريدتي الجحيم والمعيار ، فلذا عزمت أولا ــ أن أنقل من هاتين الجريدتين شيئا يعطي

---

13 ــ جريدة الاخلاص عدد 5ـ14 رمضان 1351 هـ ــ 11 يناير 1933 م .

(*) ــ هكذا ايضا ينتقل الى رحمة ربه احمد الاكحل وهذا الكتاب لم يمثل بعد للطباعة .

للقارىء ضوءا عن الكتلتين ، غير أنني لم أجد في جريدة الجحيم ـ مما وجدت من أعدادها ـ قصيدة تصلح لاثباتها في هذا الكتاب ، اذ ما وجدت فيها من الشعر يتناهى في القذاعة ولا يمكن أن يكون تاريخا لشخصية أو لفترة ، ما عدا الأبيات التي ستأتي بعنوان « كبول خدع الناس » وهي أطهر ما وجدت فيها فرأيت اثباتها على كره مني مجاراة لرغبة القارىء الذي أعرف أنه يبقى متطلعا لهذا الممنوع ... الحلو !.

فأما في جريدة المعيار فقد نجد ما يمكن أن يعبر عن الفترة وأن بشدة أو بنوع من التشنج والقذاعة أيضا وقد نجد فيها ما يقرب من الاعتدال ، ومن هذا القصيدة الآتية بعنوان :

مالكم يا مصلحي العصر ؟ ... (14)

جـل وجدى من خطـوب عظمـت   فى بني الاسـلام بالمتنسبـين !
واشتكى شعبي نفـوسا ظلمـت   سنة الارشـاد بالزيـغ المبـين
اذ بـدت شـعوذة تعـوى بـلا   خجـلة تزرع فى الشعب الشقاق!
وانثنت تنـدب اغمـارا الى   نهـج غي وعنـاد واختـلاق
وغـدت تخطـب بالاهـواء على   صحف تبغي اشتهارا وارتـزاق !
ولا صلاح لهـا قـد طعنـت   بأباطيـل وزيـغ الاولـين !
وادعت ان العـلوم امتـزجت   فى هـداة الـدين والمجتهـدين

***

يا حمـاه الدين يا للعلمـا   يا ذوي « الاخلاص » قـولا وعمل
هـا بدت فيكـم شـذاذ ظلمـا   بشـروا بالزيغ ، والخطب جلـل
حكمـت بالشـرك للـزائر مـا   شـد رحـلا لـولي ورحـل
وبـذا دون حيـاء وصفـت   من دعـا الله بخـير المسلميـن
او دعـا بالانبيـا وانتقصـت   مـذهب القـوم وكتب العـارفين

الى ان يقـول :

ولهم بـال طـويل زعمـوا   واجتهـاد ، وعـلى القلب وضر
ولهـم عـلم صحيـح قـد عموا   عن هـدى الحق به حيث ظهـر

---

14 ـ القصيدة بقلم شيخنا عمار بن احمد العطوي (مهري) وانك لترى وتحس مدى الاخلاص الذي تفيض به القصيدة . وقد نشرها باسم مستعار .

ولهم فكر به قد فهموا | غامضات الفي تيها وبطر
وبهم في العصر حقا سهلت | سبل العلم بنهج المفسدين
فلذا حيث المزايا ظهرت | لقبوا انفسهم « بالمصلحين »

* * *

كذبوا - والله - بل هم مفسدون | ودعاة لشقاق وضلال
علمهم قول فقط لو يشعرون | من سنا الاعمال خال بافتعال
زخرفوا القول غرورا يلبسون | مذهب الحق بغي واعتزال
زينوا القابهم فانفضحت | في مبادئهم مساوىء المفلسين !
درسهم اهوا وراي رسمت | في مبانيه دعاوى « المبطلين »

* * *

ليتهم كان التاني دابهم | اذ قضوا زورا بنفي الاولياء
ليتهم تابوا وكفوا جهدهم | عن اذى اهل الزوايا الابرياء
ليتهم للحق عابوا نهجهم | واستعاضوه بنهج الاصفياء
لو رعوا للشعب الا وجبت | ما قضوا فيه بزيغ المشركين
لو لهم ادنى علوم نفعت | لاستقاموا واهتدوا كالمهتدين

* * *

ما لكم يا مصلحي العصر الا | تتقون الله في الشعب الضئيل ؟!
وارجعوا عن طعنكم في الفضلا | واتقوا يوم الجزاء عن كل قيل
وانتهوا عن نسبة الزيغ الى | امة انتم لها عضو عليل
قد زعمتم انها قد سفلت | باعتقاد واحترام الصالحين
لا .. وربي بل بكم قد سقطت | وبداء الفقر والجهل المبين

* * *

ان تبديعي وتنقادي لكم | واجب حتمه حب الوطن
وكذا تحذيرنا من غيكم | فرضه جاءت به اعلى السنن
لا به ابغي عنادا مثلكم | لا ... ولا الجاني داء الاحن
ان قبلتم وارعويتم حصلت | نعمة يحمدها الشعب الحزين
او تماديتم كفى ان سمعت | امتي نصحي لها كالمخلصين

انتهى . (15)

---

15 - المعيار عدد 1 - 20 شعبان 1351 هـ - 18-12-1932 م .

وتتميما للصفة ووفاء بالوعد ، ها أني أنقل لجانب المصلحين شيئا من الشعر الجارح ولكن تكتنفه مسحة من الوقار ... ثم أتبعه بأبيات جريدة الجحيم ، المستهترة .

فمن الأول بعض من قصيدة طويلة نقلتها من العدد الثالث من جريدة الاصلاح للشيخ العقبي يقول فيها : (16)

... سبب البلايا كلها قوم تصدوا للرشاد
وهم الافل لجهلهم والعالمون على الحياد
هم افسدوا بفعالهم حضر البلاد مع البواد
ان رمت جمع قلوبهم الفيتهم في كل واد
زعموا بانهم هم الشفعاء في يوم المعاد
والشر حيث لقيتهم من منهم للخير قاد ؟

الى ان يقول :

يتسابقون الى الضلالة ما شدا بالغي شاد
وعن الكتاب تصامموا لم يسمعوا صوت المناد
خانوا الامانة واعتدوا فصنيعهم ذر الرماد
... الخ

ويقول في جريدة الصراط بعنوان : ماذا نقموا ؟! وبتوقيع : ابو الحسن المرشد :

وما نقموا منا سوى الدين آنه فذى يعتري طرفا من الشرك ارمدا
فكم جهدوا ان ينقضوا منه مبرما وان يهدموا بناء موطدا
ولولا دفاع الله عن صرح دينه لعاث به الوحش الذي بات مرصدا
ا هـ . (17)

---

16 ـ الاصلاح ـ 16 ربيع الثاني 1348 هـ .

17 ـ الصراط ـ عدد 4 ـ 19 جمادي الثانية 1352 هـ ـ 19-10-1933 م .

ومن الثاني من جريدة الجحيم انقل ابياتا بعنوان : « كبول خـدع الناس » (18) :

رفـع الستـر عن مخازي بن آلي فهـي شـتى امـامه ووراه

فتشـوا عن بنـاته في المقـاهي والمـلاهي فقـد ملئن لقـاوه

خـدع النـاس بالامـامة لـكن كشـف الله خبثـه وريـاءه

انـه « لاتـط » وزان وواش لا تصـلوا يا مسلمـون وراءه

ا هـ . (19)

---

18 ـ يقصد الشيخ كحول الامام والمفتي بالعاصمة . (آل كحول) .

19 ـ الجحيم ـ عدد 6 ـ 4 ماى 1933 م .

حــركة ذات حــدين متناقضين

هذا ، ولا أغادر هذه الفترة التي يمكن أن نطلق عليها فترة مخاض الأمة الجزائرية ، دون أن أثبت شيئا من المناظرات أو المناقشات التي يصح أن نعبر عنها بالمناظرات أو الردود العلمية المركزة في الحقـل الديني ، وذلك بالرغم من طول الكلام عن هذه الفترة ، لأنني أعتقد أن الحملة الدينية ، التي وقعت أثناءها ، كانت شبه انفجار فكـري وقومي نتج عن الممارسات السابقة ابتداء من حـركة الأمـير خالد السياسية الى رجوع جماعة الاصلاح من المشرق العربي يحملون فكرة ما عبر عنه « بالقومية الاسلامية » مرورا بالحركة السياسيـة الثورية « نجم الشمال الافريقي » فاتخذت لها ـ الحملة الدينية ـ السبيل الوحيد الذي كان مسموحا به من لدن السلطة الاستعمارية ، وهـو السبيل الديني والتعليم القرآني •

ولا يعني هذا أن جمعيتي « العلماء المسلمين » و « علماء السنة » كانتا جمعيتين سياسيتين ، وانما لبستا ثوبا دينيـا ، لا ••• بالمعنى الدقيق ، بل أن حركتهما كانت دينية تهذيبية صرفة ، ولكن هو الجو العام والأثر الذي تتركه الممارسات بصفة أو بأخرى ، يقـود الكائن الحي ، مهما كان مركزه في المجتمع ، ليندمج شعوريا أو لا شعوريا ، في الركب وينساق قسرا حتى ، ولو بجانب ، تياره الكاسح •

وهذا ما جعل الحركة الدينية في جزائر الثـلاثينات ذات حـدين متناقضين • ففي الوقت الذي رأيناها كانت شؤما على وحدة كلمة الأمـة ، وبخاصة قادة الأمـة وعلماءها ، فجعلتهم يتنـابذون بالتهم ويتنابزون بالألقاب وينشرون السخائم ، وذهبوا يفرقون حتى بين الأب

وابنه والأخ وأخيه ، كانت لحمتها روح الدين الاسلامي ، وسداهــا حيوية اللغة العربية واسترجاع شيء من مركزها ، فنشأت يقظة علمية كانت ثمرتها تظهر في انشاء المدارس العصرية لتعليم الجيل الناشيء ، وفي تأسيس المساجد والمعاهد للارشاد والوعظ والتعليم ، ولنشــر الدين الصحيح في المجتمع الجزائري المسلم الذي فقد شيئا ما طريقه أثناء ظلام الانحطاط والاحتلال .

كما أثمرت تلك الحركة ظهور صحافة وطنية يمكن ــ اذ ذاك ــ أن تنافس الصحافة الشرقية ، بالرغم من ضعفها المادي والمعنوي ، وذلك بما كانت تتمتع به من تنسيق واتقان في الطبع من جهة (1) وبما أحدثته من ضجة وطنية وما أنشأته من يقظة في الكتاب والمفكرين ، مما أدى الى نهضة الحركة الفكرية وتطورها تطورا سريعا بحيث لم يمر العقد الثلاثيني حتى وجد في الجزائر كتاب وشعراء وقصاصون ، ومفكرون بالمعنى الكامل . ويمكن أن نزعم ظهور مدرسة أو شبه مدرسة في الأدب الجزائري .

وفي المباحث الآتية ــ على ما في بعضها تارة من تشنجات ــ والتي سأنقلها من صحافة الجمعيتين أو كتبهما ، سوف ينجلي لنا كل أو بعض ما ادعيته ان شاء الله .

المبــاحثة والمناظــرة

1 ــ ويعجبني أن أبدأ هذا الباب بكلام للشيــخ ابن باديس في قضية « الولاية » ، قال الشيخ رحمه الله : (2) في معرض حديث عن جولة له في بعص أرجاء الوطن ، وكان في ضيافة الشيخ أحمد ابن عليوه رئيس الطريقة العليوية بمستغانم :

ومما شاهدته من أدب الشيخ مضيفنا وأعجبت به أنه لم يتعرض أصلا لمسألة من محل الخلاف يوجب التعرض لها علي أن أبدي رأيا

---

1 ــ لا أخطو الحقيقة اذا قلت انها ، من هذه الناحية ، تفضل كثيرا صحافتنا الوطنية المعاصرة الآن بما تحمل هذه من أغلاط لغوية ومطبعية .

2 ــ الشهاب ، ج 11ــم7ــ الافتتاحية .

وأدافع عنه ، فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل خلاف • (3)

لكن السيد أحمد ابن اسماعيل صاحب مخازن الأتاي (الشاي) وكان جالسا على شمالي في المجلس ــ شاء أن يخرق هذا السياج ويدخل في موضوع ليس حضرته ــ وله الاحترام ــ من أهل الكلام فيه فقال : « هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين ينكرون الولاية » فرأيت في وجه الشيخ أحمد بن عليوه الانكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة ، ووجدت نفسي مضطرا للبيان فقلت له : اسمع يا سيد أحمد ، الولاية الشرعية قد جاءت فيها آية صريحة قرآنية وتلوت له قوله تعالى : ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية • وتكلمت على شيء من معناها • فمن أنكر هذه الولاية فلفظة مفسد قليل في حقه ، وحقه أن يقال فيه : ملحد • وأما لفظة مصلح فهي أعلى من هذا وأشرف من هذا كله • وأن المسألة ليست هنا وانما المهم هو أن جميع علماء الاسلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وشيوخ الزهد المتقدمين تتسع صدورهم لأن يؤخذ من كلامهم ويرد الا العامة المنتمين الى التصوف فانهم يأبون كل الاباء أن يسمعوا كلمة نقد أو رد في أحد من الشيوخ ، مع أن غير المعصوم معرض للخطأ دائما في أقواله وأفعاله ، فكأنهم بهذا يعتقدون فيهم العصمة • وقد سئل امام الطائفة الجديد : أويزني الولي ؟ فأطرق ثم قال : وكان أمر الله قدرا مقدورا » •

فهذا يدلنا على أن ما كان عليه شيوخ الزهد من تعليم الناس بأنهم غير معصومين دفعا لغلو الغالين ••• فلو أن اخواننا المنتمين للتصوف قبلوا أن يوزن كلام الشيوخ بميزان الكتاب والسنة مثل غيرهم من علماء الاسلام ورضوا بالرجوع الحقيقي لقوله تعالى : « وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » لبطل الخلاف أو قل ••• ا هـ

---

3 ــ كان هذا أثناء الوحدة في جمعية العلماء الوحدة وبالضبط حوالي شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1931 •

2 ــ وللمرحوم النابغة الأستاذ محمد البشير الابراهيمي الشذرات التالية تحت عنوان :

« دفع شبهة ونقض فرية » (4)

... سيقول بعض الناس ان ما ذكرتموه من آثار الطرق السيئة كله صحيح وهو قليل من كثير . ولكن هذه الطرق لم يعترها الفساد والافساد الا في القرون الأخيرة ، وأنتم ــ معشر المصلحين ــ تذهبون في انكاركم الى ما قبل هذه القرون ، وتتناولون فيما تكتبون وما تخطبون وما تدرسون ، المحدثين والقدماء والأصول البعيدة والفروع القريبة ، حتى بسطتم ألسنتكم بالسوء الى من مات وأسماء كانت قبل اليوم كحمام الحرم ، ولعل خصومكم يكونون أدنى للرجوع الى الحق لو سكتم لهم عن هذه الأسماء .

هذا ما قاله الشيخ عن شخص تخيله ليجيب عنه بما يلي :

لهذا القائل نقول ... ان الجزء الأخير من كلامك مقتبس مما يشنع به علينا خصوم الاصلاح وهو أننا نبش القبور ولا نحترم الأموات وننكر كرامات الأولياء ومراتبهم « من غوثية وقطبية » الى أكاذيب يلفقونها وأراجيف يتناقلونها عنا .

فاسمع يا هذا : ان حجة الاسلام قائمة ، وميزانه منصوب ، وآدابه متمثلة في سيرة الصحابة والتابعين ، واننا لا نعرف في الاسلام بعد قرونه الثلاثة الفاضلة ، ميزة لقديم على محدث ، ولا لميت على حي ، وانما هو الهدى أو الضلال ، والاتباع أو الابتداع ...

ثم يقول : وقد روى الثقات عن الامام مالك أنه من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم ... الآية » .

---

4 ــ سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء عام 1935 ــ التصدير .

فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا . وانكاره على الامام عبد الرحمن بن مهدي وضع الرداء أمامه في الصلاة وعـده ذلك من الحدث معروف . وحكايته مع الرجل الذي سأله عن الاحـرام من مسجد المدينة وقال له انما هي بضعة أميال أزيدها ، واستشهاد الامام بقوله تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنـة أو يصيبهم عذاب أليم » كل ذلك معروف مشهور .

ويذهب الشيخ في تشنج ظاهر في بيان مساوىء الطرق الصوفية فيقول : ومع أننا نعلم أن الطرق منتشرة في العالم الاسلامي وأن آثارها فيه متشابهة وانما هي السبب الأقوى في كثير مما حل به من الارزاء والنكبات ، وكثيرا ما كانت مفتاحا لاستعمار ممالك ــ فان حربنا موجهة أولا ، وبالذات ، الى طرقية الشمال الافريقي وبينها من الوشائج ما يجعلها كالشيء الواحد . فعلى مقدار هؤلاء الذين نعرف جنسهم وفصلهم ، وفرعهم وأصلهم ، تفصل القول ، والى هذا الهدف نسدد السهام .

والأمر بيننا وبينهم من يوم شنت الغارة دائر على أحوال ، وسائر على مراحل ينتقلون بنا من احداها الى الأخرى ولا نزال نطاردهم وهم يلتجئون من ضيق الى أضيق الى الآن ...

ويمضي الشيخ في بيان نقض ادعاءاتهم الى أن يصل الى الأسماء التي ابتدعوها في طريقتهم ، ومنها كلمة « التصوف » فينقضها بقوله: « ثم ما هذا التصوف الذي لا عهد للاسلام الفطري النقي به . اننا لا نقره مظهرا من مظاهر الدين ، أو مرتبة عليا من مراتبه ، ولا نعترف من أسماء هـذه المـراتب الا بما في القـاموس الديني : النبوة ، والصديقية ، والصحبة ، والاتباع . ثم التقوى التي يتفاضـل بهـا المؤمنون ، ثم الولاية التي هي أثر التقوى .

وان كنا نقره « فلسفة روحانية » جاءتنا من غير طريق الدين ونرغمها على الخضوع للتحليل الديني ...

ويضيف : ويمينا لو كان للمسلمين ، يوم اتسعت الفتوحات وتكونت « المعامل » الفكرية ببغداد ـ ديوان تفتيش في العواصم ودروب الروم ومنافذ العراق العجمي ، لكانت هذه الكلمة « التصوف » (من المواد الأولية) المحرمة الدخول ... فقد أصبحت هذه الكلمة التي غفلوا عنها أما ولودا تلد البر والفاجر ، ثم تمادى بها الزمن فأصبحت قلعة محصنة تأوي كل فاسق وكل زنديق وكل ممخرق وكل داعر وكل ساحر وكل لص وكل أفاك أثيم • وأنظر طبقات الشعراء الكبرى وما طبع على غرارها من الكتب ، تجد أصناف المحتمين بهذه القلعة ـ وهم ببركة حمايتها ـ طلقاء من قيود الشريعة •

ويمضي الشيخ في بيان أصناف المحتمين بقلعة التصوف من راقص وضارب بالطبل وعابث وماجن خليع ومسلوب عقل ... الخ •

وبعد أن يعتذر الشيخ للمصلحين في محاربتهم للضلال المحتمي بهذه القلعة ، وبعد أن يصم الطرقيين بأنهم أرادوا أن يصبغوا ضلالهم بالقدسية الدينية يقول :

فلما نصحهم المصلحون التجأوا الى العامة يستصرخونها باسم الغيرة على الأوائل وما أوائلهم الا آباؤهم أو أجدادهم الأقربون الذين عرف منهم الشيخ الابراهيمي كثيرا وبلي أخبارهم فوجد منهم ظواهر مموهة على بواطن مشوهة ... الخ •

ثم يحمل فيقول : فهذا الطراز الطرقي الذي أدركناه من آباء وأبناء يجمعهم قولك « طلاب دنيا وعباد شهوات » • ولو أكلوا أموال الناس بالباطل من غير أن يتخذوا الدين شباكا لهان أمرهم على الناس ، ولا تقوهم بما يتقون اللصوص ، ولوكلناهم نحن الى القوانين والوزعة • (5)

فأما أن يعبثوا بالدين كل هذا العبث وبما حرم الله من أعراض المسلمين وأحوالهم ، ثم يريدون أن نسكت عنهم كما سكت العلماء من قبلنا فلا والله ولا كرامة •

5 ـ الوزعة جمع الوازع وهم اعوان الملك وشرطه •

ويختم الابراهيمي : اننا لا نحمل لهؤلاء المشائخ ولا لأولادهم ولا لأحفادهم حقدا ولا نضطغن عليهم شيئا ، ولا ننص عليهم مالا من الأمة ابتزوه ولا جاها على حسابها أحرزوه ، وليس بيننا وبينهم ترات قديمة ، ولا ذحول متوارثة ولا طوائل مغرومة ، وانما هو الغضب لله ولدينه وحرماته أنطقنا فقلنا وشنناها غارة شعواء على الآباء والأبناء ما دام هذا الغصن من تلك الشجرة • ولو كنا من الشعريات بسبيل لقلنا مع القائل :

لا اذود الطـير عن شجـر
قـد بلوت المـر من ثمـره

انتهى

3 ــ وقد يستحسن أن أثبت بعد هذه الانطلاقة الاصلاحية بواسطة نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين « اذ ذاك ــ بما فيها مـن حقائـق وتشنجات متغالية ــ فقرات من ردود تشبهها فى شدتها وتغاليها ، وتتعلق بالشيخ الابراهيمي من قريب ، اذ كانت هذه الردود موجهة اليه رأسا ، تجاوبا مع رجل معاصر ومساكن له بمدينة تلمسان ، ومناظرة له • وهو الشيخ أبو علي الديلمي المسيلي ، وتأييدا لما جاء « فى كتابه المفتوح » الى الشيخ الابراهيمي ، والذي أثبتنا منه ففرات طويلة فيما تقدم من هذا الكتاب في باب «اتـكاسة» •

وأول هذه الردود الرسالة التي نشرت بجريدة « لسـان الديـن » العليوية ، وأنقل منها الفقرات الآتية :

« حضرة الأستاذ الماجد والمنتسب المجاهد الشيخ (•••) حرسكم الله بعين العناية ، وأدامكم لنصرة تعاليم السنة • أما بعد فاننا نرسل بهذا الكتاب الى ادارة لسان الدين ونخاطبكم بواسطته تقديرا لجهودكـم المبذولة واعترافا بمجادتكم وما كان من أثركم الخالد فى مقاومة الضلالات والمضللين بما نشرتموه من مقالكم الضافي المفيد الذي أفاد الأمة وأهل السنة بالخصوص بما يجري بمدينة تلمسان من تشكيك وحط من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم وصالح المؤمنين ، من حزب المصلحين ، وانه كان يبعد فى نظرنا أن يكون من بين جدران تلمسان بلدة الدين والمتدينين رجل يتفوه بمثل ما تفوه به الشيخ الابراهيمي مـن فتـاوي المعتزلـة

والمعتقدات الزائفة ، كل ذلك باسم الدعوة الى كتاب الله وسنة رسول الله وهي أمة التوحيد حتى ترجع اليهما من جديد ؟ ..

وبعد أن تذكر الرسالة أن الأمة تقوم بالقواعد الخمسة الاسلامية تقول : اذن فما هذه المغالطات ؟ .. وتختم : والله يكلأكم من سوء اللئام واننا معكم صفا واحدا » .

امضاءات عدة على راسها الشيخ مصطفى الشنقيطي

وهذه فقرات من رسالة أخرى ونشرت بنفس الصحيفة :

... « أما بعد فانكم ألقيتم فى عدد مضى من هذه الصحيفة عدة مسائل دينية على الفيلسوف كما يسمونه وهو صاحب الروايات الكاهنة ودار الحديث ونادي طنجة وأعضائه المجتهدين . نعم مجتهدون ولكن فى ... (الخ كلام فاحش) .

أما نحن فقد عزمنا بهذه الرسالة أن ننبهكم حتى لا تضيعوا أوقاتكم فى الانتظار والارتقاب (6) وتثابروا على العمل فى خدمة العلم ، وأننا نعلم ـ والعلم عند الله ـ ما هي بضاعة الرجل في العلم الصحيح ونعرف قيمته في سوق الفلاسفة المفكرين اذ لو كان له من العلم الصحيح .. ما يعتمد عليه فيما أفتى به عن جهل بمعتقدات أهل السنة لكان أسرع الناس الى تلبية المناظرة التي دعوتموه اليها . وعلى الأقل كان يكتب ، كما كتبتم ، في جريدتكم ...

وقد نشرت جريدة لسان الدين (7) ردا على ما كتب الشيخ الابراهيمي عن الطريقة فى سجل مؤتمر الجمعية كما تقدم ، ومما جاء فيه تحت عنوان :

« ويل للأمة التلمسانية من الأعرج وفكره الأعوج » .

بامضاء : طرفي غيور

---

6 ـ يقصدون الرد من الابراهيمي على الكتاب المفتوح الذي وجهه له أبو علي الديلمي .

7 ـ لسان الدين عدد 38 ـ وكتاب اماطة اللثام ، ص 51ـ55 .

وبما أن المقال شديد اللهجة ويتجاوز تارة حد اللياقة فانني أنقل منه فقرات فحسب تعتبر معتدلة نسبيا . يقول :

« من شر الأفراد الذين ابتلي بهم الاسلام والمسلمون فى قطرنا الجزائري هو داعية الضلال بتلمسان ذلك الأفاك الأثيم الذي ...

وبعد ما يصفه بصفات خطيرة يقول : ... فرق بها جمع المسلمين وشتت شمل المؤمنين وأثار بينهم العداوة والبغضاء ، ومن أقبح ما جاء به هذا الدجال من العقائد الزائفة الضالة هو اعتقاده أن جميع ما عليه المسلمون من العقائد والعبادات والمعاملات كله ضلال وخسران ، وأن جميع من لم يكن من أتباعه وأنصاره ولا يمده بالأصفر الرنان فهو ليس من المهتدين . وعمد هذا ... الى آيات من القرآن نزلت فى المشركين فطبقها على المؤمنين الموحدين ، وذلك لما أعلنوا بضلاله وكفروا بما جاء به من البهتان المبين الذي يتبرأ منه السلف الصالح والخلف الناجح . ثم لقن هذه الأفكار السخيفة بعض الغوغاء من العامة الذين كتب الله عليهم الشقاء السرمدي ، وصاروا يفتخرون بما فهموه على زعمهم مما يخالف تمام المخالفة لما فهمه أهل القرون الأولى من الصحابة والتابعين والفقهاء الأبرار والأتقياء الأطهار الذين نقلوا دين الله ونشروه بين الأمم بالقول والعمل .

ويضيف : ولقد اختار – كما جرت به عادة المشككين من الملحدين – التستر باسم الاسلام والرجوع الى الدين الصحيح والى الكتاب والسنة ليغر بذلك بسطاء العامة الجاهلين وليستهوي أفئدة طلبة العلم الناقص حتى وقع فى شبكته من جعله الله من المطرودين المحرومين . وكيف ؟ والله تعالى يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ثم يقول : ولكن ، لما أراد الله فضيحته ويبين للناس ما كان يكنه ضميره من الكيد للأمة والاسلام ، قام هذا المفتري الأشر الى جمع أفكار ضالة وآراء سخيفة فى سجل خاص سماه بسجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين .

وبعد أن يمضي فى وصف الأفكار الواردة فى السجل والتي – كما قال – تسجل عليه المقت واللعن الى يوم الدين ، يضيف :

... وعلى كل حال فاننا نثني على صراحته وصرامته التي لم تكن من طبيعته ، ولم نكن نعهدها منه سوى هاته المرة الأخيرة ، وأظن أن هاته الجراءة وهذا السفه والطيش الذي وصل اليه هذا المفتري الأشر هو نتيجة ما حصل عليه فى تلمسان من كبر بطنه وملء جيبه ، قاتل الله عبد الدرهم والدينار ... !

ثم يضيف : انا لا أريد فى هذه العجالة أن أتعرض لجميع ما جاء فى هذا السجل من الكذب والافتراء وتصور الأشياء على خلاف ما هي عليه ، وأدع الكلام على ذلك لعلماء السنة الأفاضل وأنصار الملة الفطاحل لأن الموضوع الذي طرقه هذا الفيلسوف « الماسوني » موضوع خطير .

وبعد أن يحمل الكاتب علماء السنة مسؤولية الذب والدفاع عن الاسلام الذي شوه جماله هذا المدعي الملحد الذي يبث الكفر — على حد قوله — يقـول : —

أما الذي أراه واجبا وأقدر أن أكذبه فيه هو ما قاله فى حق الطرقيين عموما دون أن يقيم دليلا ولا برهانا سوى ما قالـه فى القطب الربـاني الأستاذ التيجاني (ض) الذي يزعم « الماسوني » أنه قد أقام البرهان على كفره من كلامه ، فقد قال هذا الكاتب الفيلسوف الكاذب ، بعد كلام طويل : « واذا كان هذا القرآن متعبدا بتلاوته اللفظية وهو ستون حزبا ، فان انجيل التيجاني القصير ، وهو صلاة الفاتح ، مرة واحدة تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن ... الى آخر ما كتب وكذب . ثم قال — الابراهيمي — : اللهم انا نعلم مما علمتنا أن دين التيجاني ليس بديـن رسولك ... الخ . »

« أتبلغ بك أيها الفيلسوف الكاذب السفاهة و ... الى هذا الحد كله ؟ ما لي أراك تعكس الأمور وتلبس الحق بالباطل وتتقول على المؤمنين ما لم يقولوا ؟ .. وبعد أن يفسر كلام التيجاني تفسيرا شرعيا ، وبعد أن يأتي الكاتب على نبذة من كتاب « الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى » تثبت صلاحية التيجاني وشهرته عند علماء تونس الأخيار وفضله على الاسلام ، يختم — موجها الكلام وجهة أخرى — فيقول : وبالجملة فاننا

لا نلومك ، ونعذرك لأنك لم ترد بالدين دين الاسلام ولا بالرسول سيد الأنام لأن دينك دين الماسونية ، ودين الماسونية حقا ليس بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم التيجانيون ليسوا على الدين الذي تريده وهو دين « الماسونية » « الصهيونية الاسرائيلية » فهنيئا لك به وحدك ، لنا ديننا ولك دينك » .

انتهى : طرفي غيور

وتتميما لموضوع « المباحثة والمناظرة » أنقل عينات من مقال طويل متسلسل للشيخ عمر بن البسكري من سيدي عقبة نشرته مجلة الشهاب بعنوان : « سوء التفاهم وأثره السيء فى الوحدة الاسلامية » (مناظرة المصلح والمحافظ) (8) .

وقد اخترته نهدوئه وموضوعيته بحيث يصدق عليه معنى : « المباحثة والمناظرة » في مسائل عقيدية وفقهية ، تلك المسائل التي أثارت خلافات تنوعت وتقلبت مع الأشخاص ، وامتدت وتشعبت مع السنين ، حتى انها لم تجد نهايتها الحقيقية ليومنا ، وما بعد يومنا هذا . اذا استثنينا ما حدث أمام الظروف من هدوء كامن كمون الجذوة في الرماد لا تنتظر الا هبوب الرياح لتصبح نارا متوقدة ، كما رأينا ذلك فى الفترة الممتدة ـ وهذا بالنسبة للجزائر ـ من سنة 1927 الى سنة 1954 حيث لم تهدأ عاصفتها الا حينما قامت ثورة التحرير . وجاءت ساعة الجد . وما أن وقفت الثورة ورجع الهدوء الى النفوس والعقول حتى تجددت بصفة أو بأخرى . ذلك لأن المسائل التي كانت مثارا للخلافات من قديم الزمان ، لم تزل كل فئة تدعي أنها ، فيها ، على الحق ، وأن المقابل على ضلال ، أو فى حسن الظن على خطا .

وها هي هذه المسائل ، كما تابعها الكاتب فى مقاله ـ أو مناظرته ـ بصيغة أسئلة من المحافظ وأجوبة من المصلح ، وتارة بصيغة الأخذ والرد بين المحافظ والمصلح :

---

8 ـ الشهاب ، ابتداء من الجزء 10ـم8ـ اكتوبر 1932 .

1 ــ التصوف • 2 ــ الولاية • 3 ــ الكرامة • 4 ــ الذكر جماعة • 5 ــ زيارة الأضرحة والقبور • 6 ــ التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والولي • 7 ــ قراءة القرآن على الأموات • 8 ــ الشفاعة • 9 ــ نفع الأولياء وضرهم وعلمهم الغيب ••• 10 ــ قراءة القرآن جماعة • 11 ــ الابتداع والبدعة • 12 ــ لماذا يتعرض المصلحون لبعض المستحبات ولا يتعرضون للمنكرات • 13 ــ اذا نبذنا ما قال أئمة المذاهب من السلف هل نعمل بما قال الخلف ، وهم أنتم ؟ • 14 ــ هل يلحق الميت ثواب الأعمال التي تهدى له • ؟ 15 ــ المسائل الخلافية فى الفروع بين العلماء هل يجوز بها العمل ؟ 16 ــ هلا يمكن أن تنشأ مذاهب جديدة ومتعددة اذا نبذنا المذاهب الأربعة واتبعناكم ؟ ••

الى غير ذلك مما تشعب عن هذه الأسئلة والأجوبة من المسائل التي أثارها الكاتب ومثل فيها المحافظ والمصلح ، وكان رد المصلح دائما الحكم الحاسم • ومع ذلك كانت المناظرة فى فحواها أو فى معظم الوسائل تدل على اتفاق فى المبدا • وهذا ما يثبت أحقية فكرتي فيما تقدم من أن الخلاف بين المصلحين والمحافظين كان سياسيا وشخصيا أكثر منه دينيا •

واليك مقدمة المقال بعد تقديم صاحب المجلة : (9)

« أما بعد فكل من نظر فى حال الأمة الاسلامية اليوم ، واقتسامها طرائق قددا ، وافتراقها أحزابا وشيعا ، مع منازلة كل طائفة سائر أخواتها بزعمها أنها هي المحقة المنتهجة الصراط المستقيم ، وأن ما عداها هو الفرق المبطلة المنتحية سبيل الشيطان الرجيم ، لم يجد الباعث على ذلك الا سببا واحدا وهو سوء التفاهم ، فلو حسن التفاهم لحسن الحال ، وتكافأت دماء الأمة وأصبحت يدا على من سواها ، بعد ما لعبت بها أيدي سبا ، حتى بلغ السيل الزبى ، وامتلأ المكيال ، من الضعف والتلاشي والاضمحلال • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم •

---

9 ــ راجع تقديم صاحب المجلة بالشهاب ، ج10ــم8 . فهو يعطيك ضوءا عن كاتب هذه المناظرة .

وعندي أن الدواء الناجع لذلك أن تؤسس مجلات خصوصية ، أو يفسح فى المجلات العمومية مع تشكيل لجنات تحتوي على نخبة من أعاظم الوطن المفكرين ، لالقاء المناظرات العلمية ، بعد ما يرمي بالأهواء والشخصيات ظهريا • وتشخيص الرجوع للحق فضيلة بل فريضة يثاب عليها وأن الاعراض عنه نقيصه وجريمة يعاقب عليها وأن الرجوع انما هو للشرع الأغر ، لا لزيد ولا لعمرو وأن يكون الحكم في ذلك ، الصورة التي كان يتعبد عليها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون • »

« فرجاء من الله تعالى أن يهيء لكلامنا قلوبا صاغية ، وآذانا واعية ، نورد ما يكون باكورة وفاتحة لما رغبناه والله المستعان » •

« فنقول : لا بد للمناظرة من شروط وآداب تجب مراعاتها ، ومتى أهملت صارت مناضلة لا مناظرة •

1 ـ تعيين محل النزاع

2 ـ الدليل يكون مطابقا لمحل النزاع

3 ـ الدليل يكون شرعيا متحققا كالقرآن الثابت الحكم ، والحديث الصحيح الثابت الحكم ، لا الحديث الضعيف الا لأجل الترغيب والترهيب ولكن بعد ثبوت أصل الحكم بدليل آخر معتبر • وكالاجماع والقياس وأقوال أهل العلم الصحيح المعتبرة كالحفاظ الثقات ، والمجتهدين الأثبات ، وان كانت أقوالهم ليست بحجة من نفسها ولكن باعتبار ما تستند اليه من آية أو حديث أو اجماع أو قياس ، لأنهم أمناء لا ينقلون الا بعد امعان وتثبت ، وان تعارضت الأدلة في نفسها احتيج الى الترجيح • وقد اشترطنا فى الدليل أن يكون شرعيا احترازا من الدليل العقلي •• الخ

وبعد أن يستكمل الكاتب شروط المناظرة التي عدها ثمانية يعمد الى الاحتراز من الشبه التي كانت سببا فى سوء التفاهم فيحددها فى ست شبه ، ثم يوضحها ويرد عليها بشيء من البسط وأنا أختصرها فيما يلي :

1 ـ اعتقاد أن القرآن انما نزل فى حق كفار قريش لا فى حقنا • يقول الكاتب : وهذا باطل ويستدل لذلك بالكتاب والسنة والاجماع • (10)

2 ـ اعتقاد أن أحوال النبي (ص) كلها تشريع ، يقول الكاتب : وهذا باطل بل أحواله تنقسم الى خمسة أقسام : عاديات ، وحكايات ، وتفاؤل ، وخصوصيات ؛ وشرعيات • ثم هذه الشرعيات يشترط فيها أن تكون منقولة لنا بحديث ثابت صحيح غير منسوخ ولا ضعيف •

3 ـ اعتقاد أن فى الدين بدعا مستحسنة وأنها تنقسم الى خمسة أقسام ، حسبما قسمها بعض المتأخرين من غير دليل • وهذه الشبهة باطلة ، ويستدل الكاتب لذلك بالكتاب والسنة والاجماع ، ولكنه يختم هذه الشبهة بقوله :

وأما الاستحسان المصطلح عليه الأئمة المجتهدون فهو : أن تحدث للفقيه نازلة فى المعاملات فلم يجد لها نصا صريحا ، لأن الأحكام لا تتناهى ، والنصوص تتناهى ، فيلحقها حينئذ بنظائرها المنصوص عليها قياسا أو استحسانا على سبيل الحدس والظن ••• أما أن يعمد الفقيه الى عبادة يخترعها ويتعبد بها ••• فمعاذ الله أن يقول بها مؤمن •

4 ـ اعتقاد أن الحق مع الكثرة وأنها هي الجماعة ، وهي السواد الأعظم ، وهي الفرقة الناجية ، وهي المصداق بهذه الجمل الثلاثة الواردة فى الحديث ، وهذه الشبهة باطلة • واستدل الكاتب على بطلانها بالكتاب والسنة والاجماع •

5 ـ اعتقاد أن أقوال الشيوخ المتأخرين الغير المستندة لدليل أصلا ، أو مستندة لدليل غير شرعي ، أنها حجة وليس كذلك •

6 ـ الشبهة السادسة وهي أردى الشبه والعياذ بالله تقليد الآباء والكبراء والرؤساء ، وهذه الشبهة باطلة ، ويستدل الكاتب لذلك بالكتاب والسنة والاجماع •

---

10 ـ ربما يقصد الكاتب بالقرآن ، الآيات التي مثل قوله تعالى : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فهي التي يحتج بها المصلحون على زيارة الأولياء فينكرها المحافظون قائلين : انها نزلت فى حق المشركين .

وبعد هذه المقدمة يشرع الكاتب فى المقصود بالذات ، يسأل ويجيب ، وكان أول سؤال على لسان العالم المحافظ : لم هذا الدين الذي تدعونا اليه ؟ وثاني سؤال : لم سميتم أنفسكم مصلحين ؟ أما السؤال الثالث فهو : لم تنفون التصوف ؟ وقد أجمعت الأمة عليه .

فيجيب على لسان العالم المصلح : نحن لا ننفي التصوف من أصله وانما ننفي تصوف الابتداع الذي أدخل فى الدين ما ليس من الدين ، والذي يقول فيه الأئمة الناصحون ما يقولون . وأتى الكاتب بأدلة من مالك بن أنس والشافعي تنكر على بعض المتصوفة المدعين ، ثم يقول : أما التصوف الذي هو عبارة عن التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والذي هو عبارة عن محاسبة النفس امتثالا لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » وقوله صلى الله عليه وسلم : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » . وعدم الانهماك فى الراحة والشهوات البهيمية ... فهذا لا ننكره بل نوجبه على كل مسلم .. الخ .

ويمضي الكاتب فى هذا النمط من السؤال والجواب فى مقاله الذي يشتمل على ثماني حلقات ثم يختم بقوله :

« وبعد فقد أتينا بما وعدنا به فى صدر الكتاب ، غاضين النظر عن كل مشاغب مرتاب ، لا لعجز ولا لجهل بين الحقيقة والصواب ، بل للتمسك بقوله تعالى فى الكتاب المبين : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

فيا سعادتي ، ويا مسرتي لو يتناولها عالم بيد الحقيقة والانصاف لا بيد العصبية والاعتساف (وما أكثر هذا الثاني بهذا القطر المسكين) ولا حيلة تنجي من شره الا المرور عليه مر الكرام ، والقول سلاما سلاما ، والحمد لله فى البدء والختام . ا هـ .

عمر بن البسكري

عهـــد التطـــور العصـــري

لم يكن تطويلي في هذا الفصل الماضي الا عن رغبة في الاحاطة بما يمكن من حوادث هذه الفترة ، واستقصاء جميـع جوانبهـا حسب الامكان ، ذلك لأنني أعتبر أن هذه الفترة كـانت حجر الزاوية فيما يحدث من نطور في المستقبل • فأنا ، اذ أعتذر عن هذا الاستطراد في الكلام عن مسائل ربما تظهر خارجة عن نطاق التاريخ ، فلربما يكون شفيعي : أنني أخذت بأحداث هذه الفترة •

أولا : لأنني عشتها وعاصرت أطرافها ، فذكرها يجعل الحديث ذا شجون ! ••

ثانيا : لأهميتها ، بما تمخضت عنه من ازدواجية يجب أن لا يهملها التاريخ •

أ ــ حدوث تطور في التفكير وتطور في أسلوب العمل •

ب ــ تشعب ميدان الجدل والمناظرة الذي كان بسبب هذا التطور ، أو سببا له ، وفي تيار هذه الأحداث انساق القلم لاستجلاء مختلف الأفكار التي تعطي القارىء ضوءا ينير له بعض ظـلام تلك الفتـرة الحساسة التي كانت ارهاصا لتطورات أكبر من تلك الأحداث شأنا وأعمق أثرا •

فقد كانت « جمعية العلماء المسلمين » و « جمعية علماء السنة » وما تبعهما من منظمات ، حصاد اليقظة التي حدثت في البلاد العربيـة والاسلامية ، بصفة عامة ، وبسبب التحرك الذي وقع داخل الجزائر مبـاشرة بعد الحرب العالميـة ، بصفة خاصة ، من حركات سياسية واجتماعية •

كما كانتا صنوين متفرعين (طبيعيين) عن قضيـة كـانت ولا زالت تتجاذب الأفراد والشعوب والأمم في مختلف عصورها ، هذه القضية هي : الخطوة التي تعقب التطور الزمني الذي يأتي به كثير من الأسباب، مثل الحروب والاختلاط ، والهزات المتنوعة وغيرها ومن الطبيعي أن

تظهر في خضم تلك الأحداث فكرتان أو اتجاهان : المحافظة على القديم والاستمساك بالمألوف ، والتجديد أو التحول • ومن المحتوم أن ينشأ الصراع بين الفكرتين أو الاتجاهين شديدا ، رمنطقيا بالنسبة للجانبين ، وفي غالب الأحيان ينتهي هذا الصراع الى التوسط بين أخذ السليم من الجديد ، مما يتناسب ويتواءم مع الصالح الأصيل من القديم من التراث، وبين التنازل عما أتت به ظروف الجهل والتأخر مما ليس بالأصيل من التراث •

وعلى كل حال فالجمعيتان كلتاهما ظلتا — بمفعول ارتباطهما القانوني — بعيدتين عن كل نشاط سياسي ظاهر ، وعن كل هيئة سياسية • خاصة بالنسبة لحركة « نجم الشمال الافريقي » التي لم تكن فقط ، حزبا سياسيا معتدلا كحركة « اتحادية النواب المسلمين بقسنطينة » أو جمعية النواب بصفة عامة . بل كانت حركة ثورية تطالب بالاستقلال صراحة • مما جعلها بغيضة لدى المستعمرين سواء في الجزائر أو في فرنسا ، بل وأظهرها حتى في نظر أغلب المفكرين الجزائريين حركة جنونية غير واقعية ••• وزادت السلطة الفرنسية فحلتها رسميا سنة 1929 ، وفقدت أي تاييد كانت تحظى به لدى اليسار الفرنسي وذلك بعد تنصلها من الحزب الشيوعي الفرنسي بفصم الارتباط الاجتماعي الذي كان لها مع هذا الحزب ، وتعرضها بشدة لمبدأ احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم للجزائر : 1830 — 1930 م •

بل أن الجمعيتين كانتا تتباعدان حتى من « جمعية النواب المسلمين » وهي حركة سياسية اصلاحية اندماجية ، لا سيما في السنوات الأولى من الثلاثينات •

وهكذا تختم حلقة من أهم الحلقات التاريخية التي قامت على صعيد ديني مذهبي ، وعلى أيدي رجال يمكن أن يوصفوا « بنخبة الشعب الجزائري » — النخبة الحقيقية القريبة من عقيدة الشعب — أثناء تلك الفترة الكسيحة ، لتبدأ حلقة التطور الزاحف الى النهوض فالنضوج •

الاحتفـــالات القــرنيــة

وبعد هذه البسطة في « الحركة الوطنية انجزائرية » نرجع قليلا الى الجانب المقابل « الحركة الاستعمارية » التي تدعي بدورها أنها «الحركة القومية في جزائرها الفرنسية » ، وقد قارب انقضاء قرن على احتلالها وضمها للممتلكات الفرنسية •

ومن أجل ذلك دفعتها عنجهيتها المعروفة لتؤجج من جديد شعـلة الحقد على الاحتلال الأجنبي ، فتقيم احتفالاتها الهائلة المثـيرة بمرور قرن على احتلال الجزائر ، وتبدأ بالتحضيرات لها باكرا ، وفي أثناء ذلك تتجلى : أحقاد الفرنسيين نحو العنصر الأهلي في بلادة متناهية ، وتظهر سوء نيتهم نحو المطالب الجزائرية ، حتى المتواضعة منها ، مثل التي قدمتها « جمعية النواب المسلمين » التي تأسست حـديثا كمـا سيأتي ، وكما تقدم •

ولذا يبدأ فيتعرض المستعمرون في الجزائر ــ محافظة على السيادة الفرنسية التي هي « عنصريتهم » لأبسط حقوق الجـزائريين ، حتى لمجرد اعادة مهمة « موريس فيوليت » التقدمي النزعة ، كحاكم عام بالجزائر سنة 1927 ويعملون بكل الوسائل على تعويضه بـ«بيار بورد» الذي كان متواطئا مع الكولون •

وهكذا يفتح المستعمرون الجروح الغائرة في كـل بيت من بيوت الجزائريين ، هذه الجروح التي لم تندمل بعد ، ويوقـظون الأحقاد الغافية في قلب كل جزائري ، ولم يراعوا أي حرمة للشعب الجزائري ، ولم يقرأوا أي حساب لتضحياته الهائلة بالأنفس والأموال في الحرب

العالمية 1914 ـ 1918 ، هذه التضحيات التي أنطقت كثيرا من القادة الفرنسيين بالوعود الدسمة ، مما جعل في ذلك الوقت الجزائريين ينظرون معتقدين أن تلك التضحيات ستقدر قدرها لا محالة من جانب الدولة الفرنسية . وسيحظون بالجزاء الأوفى الذي يزيل من الفقر ويخفف من الذل ويجعل من الانسان الجزائري ، في نظر الشعب الفرنسي على الأقل ، انسانا كاملا ، وشخصا حليما يتأهل الكرامة الانسانية وشرف وقيمة الرجل الشريف .

بيد أن الدولة الفرنسية ـ محافظة على السيادة ـ خضوعا للمعمرين في الجزائر ، وعملا أيضا بقول : (أنكلز) التاريخي : « ان أمم الشمال الافريقي من الهمج ، يبدون من بعيد فخورين ، شرفاء ، ماجدين . ولكنك لن تكتشف حقيقتهم ـ أي همجيتهم ـ الا عندما تقترب منهم » . (1)

لقد نسيت الدولة الفرنسية كل تضحيات الجزائريين وكرمهم وتناسيهم للضغائن في وقت الشدة ، ثم تناولتهم بالقهر والقمع ، ومنعت زعماءهم حتى من المطالبة بتنفيذ اصلاحات هزيلة تدخل في نطاق قانون الرابع فبراير ـ شباط ـ 1919 م ، ومن هؤلاء الأمير خالد الذي أبعدته خارج وطنه .

وهكذا تتفجر الحالة من جديد وتظهر بلبلة كبرى في الهيئات والأوساط الشعبية ، وتندفع حركة « نجم الشمال الافريقي » لتعرب عن استياء كبير في مناشير ومقالات سنة 1927 . ومما جاء فيها بعنوان : « الى اخواننا في المغرب والجزائر وتونس ... » :

أما أنتم يا أخوتنا في المغرب فعليكم باستئناف القتال ولا تفشلوا من النكسة التي وقعت للأمير عبد الكريم ، فعليكم أن تبقوا يقظين ومتحدين ... »

---

1 ـ ليس هذا فقط بل ان انكلز الذي اشتهر بالدفاع عن الضعفاء يقول : « ان بورجوازيا فرنسا اصلح للحكم من هؤلاء الهمج من حكمهم فى انفسهم » .

كما دعت هذه المنشورات الجزائريين والتونسيين الى النضال ومما جاء فيها : ... « أعلنوا حقوقكم ... ناضلوا لكي تحصلوا على حريتكم السياسية ، وعلى تحسين أوضاعكم ... وأخبروا اخوانكم الذين يعملون في الجيش الفرنسي أن لا يحاربوا ضد اخوانهم المغاربة ...

يحيا أبطال استقلال المغرب العربي ! يحيا نضال مسلمي افريقيا الشمالية للتحرر ! » (2)

كما نشرت هذه الحركة بيانا في جريدة الاقدام سنة 1928 تحت عنوان : « من أجل استقلال افريقيا الشماليه » وكان هذا البيان شبيها بالمنشورات السابقة ولكنه يختم بالدعوة لمعارضة احتفالات المستعمرين بمرور القرن فيقول :

« أعدوا أنفسكم ـ يعني الجزائريين ـ لتحتفلوا بمرور مائة عام على احتلال بلادكم ، بطريقتكم الخاصة ، وذلك بتنظيم حركة واسعة ضد الامبريالية » (3) .

هذا زيادة على حضور ممثلي هذه الحركة مؤتمر بروكسيل 1927 وتقديمهم برنامجا كان من نقطه ، كما تقدم ، المطالبة بالاستقلال الكامل للجزائر وجلاء الجيش الفرنسي ، ومصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة التي بيد المستعمرين ... الخ ولم يقتصر هذا الحزب على تقديم المطالب ، بل شرع حينا ، أمام تحديات المستعمرين ـ في نشر برنامجه بين الجماهير ليعمق فيها الوعي ، ويعدها للكفاح والصبر أمام التحدي الاستعماري ، لكن السلطة الفرنسية ـ كعادتها ـ لجأت الى اسكات هذا الصوت نهائيا ـ في ظنها ، فحكمت محكمة باريس في العشرين نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1929 م بحل الحركة . (4)

---

2 ـ الحملة الشيوعية فى افريقيا الفرنسية س 22 جوان 1927 .

3 ـ ح ـ و ، سعد الله ص 434 .

4 ـ ليل الاستعمار ، عباس ص 106 .

غير أن هذه الحركة ، وان انقطعت عن العمل رسميا ــ أي ظاهرا ــ فقد استمر نشاطها يتزايد سرا الى أن أعيدت سنة 1933 بشكل جديد فسميت «نجم الشمال الأفريقي المجيد» .
Glorieuse Etoile Nord-Africaine (5).

وهكذا نجد أيضا تحركا ذا بال من نقابات العمال في فرنسا ــ وخاصة « الاتحادية العامة للعمال الموحدين » C. G. T. U. ففي مؤتمرها السادس الذي عقد بباريس 1931 وافقت على العريضة الآتية ملخصة :

« ان الاتحادية العامة للعمال الموحدين قد أطلعت على أن أعمالا غير كافية اتخذت ضد التظاهرات المثيرة التي تمارسها الامبريالية بمناسبة الاحتفالات القرنية لاحتلال الجزائر ، وبمناسبة الاحتلال العسكري الجديد لمناطق جزائرية » .

« ان الاتحادية يجب أن تتطور الى احتضان البروليتاريا الأهلية وتمكينها من دور فعال في الحركة ، ويجب افهام العمال الأوروبيين الأهمية الثورية لهذا التدبير في محاربة كل الاتجاهات الامبريالية في الحركة العمالية » .

« ان المؤتمر يعتبر أنه من اللازم الشروع في تحضير واسع للمؤتمر الآتي للنقابات الثورية الجزائرية ، وذلك بواسطة حملة دعائية حول العمال الأهالي والأوروبيين ، وفي الورشات والمقاولات . وفي هذا المؤتمر يجب التصدي وبحث مشروع انشاء اتحادية جزائرية من النقابات الثورية » . (6)

---

5 ـ سنفصل القول عن هذه الحركة فيما سيأتي ان شاء الله في باب لمحة عن الاحزاب الجزائرية .

6 ـ الحياة السياسية لقداش ، ص 211 طبع ش ـ و ـ ن ـ ت 1970 .

عوامل التفجر

لكي نعرف أسباب التفجر السياسي والاجتماعي الذي صاحب احتفالات القرن ـ سابقا ولاحقا ـ يحسن أن نلم المامة مختصرة بالحوادث التي وقعت أثناء هذه الاحتفالات • ونبدأ بالتحضيرات التي قامت بها الادارة الاستعمارية بالجزائر ، وما رصد لها من امكانيات مالية وبشرية وآلية ، ثم تتبعها بما وقع من تظاهرات مغيرة للصدور من عربدة واستعراضات المستعمرين المثيرة لضغينة الأهالي المسلمين والمحركة لأحقادهم ، وذلك تذكيرهم بهزيمتهم التاريخية التي فقدوا فيها سيادتهم وعزتهم واستقلالهم •

فقد بدأت التحضيرات لهذه الاحتفالات منذ سنة 1927 وقبلها وصاحبتها النية السيئة المبيتة ، وذلك حين طولب باستدعاء م • موريس فيوليت من الولاية العامة واستبداله بـ « بيار بورد» كما تقدمت الاشارة • ورصدت لها تحت تصرف الوالي العام فقط سبعة ملايين فرنك (7ر000ر000) (نحو ثمانين مليون دينار جزائري) وذلك سنة 1979 • وهي بصفة مصاريف لاستعراضات الحفلات الرسمية فقط • ففي مدينة الجزائر وحدها أقيمت عشرة معارض : معرض للصناعات وعمال المدرسة التجارية ، ومعرض لوثائق القرن Philatelique واللاسلكي T. S. F. والماضي الفني ، ومعرض الاستشراق المعاصر ، والفن الطبي والصحة ، والتصوير ••• الخ •

وأقيم ستة وخمسون مؤتمرا تمثل الجمعيات من مختلف أنواعها : اقتصادية وثقافية وتاريخية وصحافية وأسقفية وغيرها من الجمعيات الأوروبية •

وقد استدعبت آلاف الشخصيات والهيئات ، حتى أن جمعية منتجي الكروم في فرنسا التي منعت نوابها من حضور احتفالات القرن بسبب ما كان بين منتجي الخمور في فرنسا والجزائر من تشاجر ونزاع ، هذه الجمعية قد تراجعت فسمحت لنوابها بالحضور تحت ضغط الحكومة التي طلب منها المجلس البلدي بمدينة الجزائر العاصمة ، التدخل لدى الجمعية المذكورة بحجة أن هذه التظاهرة تظاهرة وطنية فرنسية ،

تشيد بعمل فرنسا في هذا القطر الجزائري ، فمن الواجب تمثيل جميع الأمة الفرنسية اذن •

وقد حضر هذه الاحتفالات رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه « قاسطون دوميرق» Gaston Doumergue

وان أجرأ تظاهرة أقامها المستعمرون وأعربوا فيها عن منتهى حمقهم وصلفهم الجنوني ، واحتقارهم الفظيع للجزائريين هي تظاهرة « الهجوم البحري » التي جددوا بها ذكرى نزول الأسطول البحري الفرنسي بشاطيء سيدي فرج يوم 14 جوان ــ حزيران ــ 1830 م • فبالرغم من تعرض النواب المسلمين لتجديد هذه الذكرى السيئة الجارحة ، اندفعت الادارة الاستعمارية ، تحت رغبة الكولون وضغطهم ، فمثلت العملية بكل مآسيها ومظاهرها الجارحة للعواطف ، وأتت حتى بآلاتها ومعداتها التاريخية ولباس جندها التاريخي أيضا ! •

ولقد كان يكفي ، لاثارة كوامن الحقد في قلب الجزائري ، هذه العملية الاستفزازية ، فما بالك بأن كل مظاهر الاحتفالات متحدية مثيرة • وقد أثبت المتتبعون لزيارة رئيس الجمهورية وما ألقي أمامه من خطب وكلمات حفاوة ، أن كلمة واحدة لم يسمعوها من خطباء المستعمرين ، عن المسلمين الجزائريين مواطنيهم ولا عن أعمالهم في سبيل التفاهم والتعاون ، والتقدم في ظل العلم الفرنسي ••• الأمر الذي أدى ، في النهاية ، الى استياء عظيم لدى جميع الأوساط الجزائرية ، خاصة أولئك الذين كانوا مغرمين بالحضارة الفرنسية ولا ينفكون عند كل مناسبة عن التنويه بأعمال فرنسا في الجزائر ••• رغبة في التقرب منها •

وبقطع النظر عن بعض التصريحات من رجال رسميين أو شبه رسميين من النواب والشخصيات الجزائريين ، بقصد الاعراب عن الولاء لفرنسا، فقد وقع انفجار عام ، وبخاصة لدى الأحزاب والمنظمات الشعبية فأعربت كلها ــ بمنتهى الشدة ــ عن رفضها أولا وآخرا لمبدأ الاحتفالات وعن تظاهراتها العنصرية المقيتة •

وقبل أن أتعرض لهذه التصريحات المختلفة من أحزاب وشخصيات وجمعيات الجزائريين ، أفضل أن أشير اشارات خفيفة لبعض التصريحات لشخصيات فرنسية مسؤولة . وقد اخترت من ذلك فقرات معبرة عن الكلمات التي ألقيت بين يدى رئيس الجمهورية (دوميرق) بواسطة السادة : برينال شيخ بلدية الجزائر ، ديروكس نائب بمجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب العمومي Conseil général . موراند رئيس الغرفة التجارية . وقد كان كل واحد من ثلاثتهم يصادق على كلام الآخر ، فجاءت خطبهم وكأنها خطبة واحدة صيغت بقلم واحد . فماذا قالوا ؟ !

قالوا : سيدي رئيس الجمهورية ، اننا ننوه بمجهودات أبناء فرنسا « الكولون في الجزائر وبعملهم النبيل في سبيل عظمة ومجد فرنسا ، وسواء منهم المزارع والطبيب والمعلم . فنحن اذ نحتفل بمرور قرن من الجهود الفرنسية الجبارة في هذا الوطن فاننا نعترف بهذا الفضل العظيم لهذه الجالية من أبناء فرنسا الذين نتقدم اليكم بولائهم واخلاصهم لأم الوطن وارتباطهم القومي بشعبهم الفرنسي العظيم (7) وهم لا يرجون الا أن تقابل جهودهم المخلصة التي جعلتهم ، بحق ، ركائز للحضارة الفرنسية في القطر الجزائري بالرضى والقبول والتأييد . وبنفس الثقة التي يولونها لأم الوطن فهم يثقون بمستقبل الجزائر الفرنسية » .

ويجيب رئيس الجمهورية بما ملخصه :

« انني أرى من وراء واجهة مدينة الجزائر أنه لا وجود للبؤس ولا للخوف ، ولا للتعدي والعنف ، ولا للكسل ، هذه الأشياء التي كانت سائدة قبل مجيئنا لهذا البلد » .

« ان مدينة الجزائر ، رابع مدينة فرنسية ، لا شك أنه يسكنها أجناس مختلطة ، ولكنهم كلهم ممتلئون بالذكاء والروح الفرنسية ، ان

---

7 ــ من المهم أن نشير الى ان فرنسيي الجزائر عبارة عن جاليات مختلفة من فرنسيين اصالة وهم قلة ومن اسبان وايطاليين ومالطيين وكورس ويهود . . وغيرهم .

الجزائر ـ بحق ـ هي المدخل اللامع الذي أعد لهذه الامبراطورية الافريقية التي تمتد من البحر المتوسط الى الكونغو ، ومن شاطىء المحيط الأطلسي الى حدود السودان الانكليزي المصري ، هذه الامبراطورية التي عرفت فرنسا كيف تنشئها وذلك بفضل عبقرية وشجاعة وذكاء أبنائها » . (8)

قد يبدو جهدي مبعثرا فيما لا يعني ، أو قد أعتبر خارجا عن الموضوع اذا ما استرسلت في ذكر أقوال المستعمرين . لأنه كما رأينا في كل التصريحات السابقة ، كانت كلها تتجاهل حقوق الجزائريين بل تتجاهل وجودهم في وطنهم . بينما كانت عبارة عن نسخة واحدة مكررة مؤيدة لبعضها سواء من الحاكم أو المحكوم . فلذا افضل أن أرجع الى الكلام عن ردود الفعل الوطنية والى مناشير وخطب بعض الأحزاب والشخصيات الأهلية من النواب والأعيان الذين ألقوا كلمات ترحيب بالرئيس،كل حسب استعداده النفسي ، ولكن في بعض الكلمات ندرك مدى المرارة حتى لدى النواب والشخصيات المتعاطفة مع فرنسا ، وهم يشيدون بعملها ومدنيتها في الجزائر . ففي خطاب للنائب بومدين (9) أمام رئيس الجمهورية يقول : « ان ذكرى مرور قرن 1830 — 1930 تستحق أن تكتب بحروف من ذهب في صفحات التاريخ الانساني وترسم بصفة مشرقة اكتشاف شعب لآخر والسير به بدون تقصير ليجد هذا نفسه مرتبطا مع الآخر في قدره وحظه وتفكيره .

ان 1830 — 1930 هذه الفترة تبدو قصيرة في تسلسل القرون **حيث ان وطننا المسكين كم لحقه من خذلان واهتزازات ، وكم طاحت به الرياح ضد ارادته ، ولكن كم هو حظي بنتائج مثمرة ، وكم هو سيحظى بوعود سعيدة في المستقبل »** .

ونجد من جهة أخرى بعض النواب المسلمين ، مثل النائب البلدي كراد خليفة ، يستغل فرصة الاحتفالات ليقدم ولاءه ، وولاء الشعب

---

8 ـ المصدر السابق . راجع :
Bulletin mensuel du Comité de l'Afrique française 1930, p. 299.

9 ـ يجب ان نذكر ان بومدين هذا كان من زملاء الأمير خالد ، ولكن ..!

الجزائري ، الذي ــ كما قال ــ قد أصبح فرنسيا حسب القوانين العامة وقانون 1865 وقد ساهم الشعب الجزائري بقسط كبير في خدمة هذا الوطن وفي جعله وطنا سعيدا غنيا ، فهو اذن يستحق أن يحرز على حقوقه الطبيعية ... ثم قــدم قائمة من المطــالب كانت في مجملهــا متواضعة .

ونجد بالمناسبة ، من نشاطات بعض النواب المسلمين الاحتجاج الذي قدمه نواب المجلس البلدي بمــدينة الجزائر ، بمناسبــة زيارة رئيس الجمهورية دوميرق يوم 4 أبريل ــ نيسان ــ 1930 ضد موقف عامل عمالة الجزائر « والي الولاية » في رفضه تعيين نواب من المسلمــين لشيخ المدينة « رئيس البلدية الفرنسي » واعتبارهم ــ فقط « قائمين بأعمال » وبالرغم من تدخل مورينو نائب قسنطينة البرلماني وشخصية أخرى حيث طلبا من البرلمان الفرنسي استصدار قانون أو قرار يعتبر نواب رئيس البلدية الأهالي كنواب خصوصيين Adjoint spéciaux الا أن النواب المسلمين اعتبروا هذا ضد القانون الفرنسي نفســه ، اذ ليس من الديمقراطية هذا التمييز بين نواب الشعب » .

وقد ذهب النائب حدو الى أن صرح بأنه ان كان قبل لم يعين نواب رئيس للبلدية من الأهالي بدعوى أنهم ينقصهم النضوج . فليس من المعقول أن يبقى هذا الادعاء سنة 1930 ونحن نحتفل بمرور قرن حيث نفتخر فيه بالمجهودات الفرنسية . فمن التنقيص لهذه المجهودات ، اذن ، وجود نواب أهليين قاصرين بعد قرن كامل من الزمن » . (10)

---

10 ــ يذكرني هذا بحادثة وقعت لي وبعض زملائي مع عامل عماله قسنطينة « بني بون » حين ادى زيارة لمدينة وادي الزناتي سنة 1951 وكنت اذ ذاك نائبا لرئيس البلدية باسم « حركة الانتصار » فقال : ان حزبكم يطلب لكم الحرية ولستم بأهل لها لانه ينقصكم النضوج . فقلت له : اذن متى يصير الشعب الجزائري اهلا للحرية ؟ فقال : لست أنت ولا ابناؤك . فقلت : يعني كم من سنة ؟ فقال ربما خمسين سنة او اكثر . فقلت اذن ففرنسا قد رسبت في مهمتها لتمدين هذا الشعب . الا يكفي سيدي العامل ــ الوالي ــ لتمدين شعب مائة وعشرون سنة ؟!

فغضب السيد العامل غضبا شديدا وصار يصرخ : اسحب كلمتك ! اسحب كلمتك ! ولكن دون جدوى لا مني ولا من زملائي ، ولله الحمد .

وفي جلسة للمجلس البلدي بالعاصمة قدم النائب تامزالي عرضا سياسيا بمعنى الكلمة فيما يتعلق بتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي، وتكلم عن عرض النائب البرلماني آلبان روزي سنة 1889 م في القضية ، كما ذكر تصريح جوريس اذ قال : « أعتقد أنه يمكن في آن واحد قبول اعطاء الحقوق السياسية بشرط أن ترفق هذه المشاركة السياسية الواسعة بضمانات اجتماعية . وبعد أن ذكر جواب الرئيس «بوانكاري» لوفد جزائري بتاريخ 20 جوان ـ حزيران ـ 1912 م الذي كان مطمئنا للوفد وفاتحا باب الأمل في وجه الشعب الجزائري ، زاد فذكر بمختلف الوعود التي قدمت للأهالي الجزائريين بواسطة الرؤساء : كليمانصو ، صارو ، سولي ، جورج ، ليغ ، بريان ، استيغ ، ميلران ، هيريو ، فيولين .

وختم : انه لمن المؤسف أن لا نقدر اليوم على الاعراب أو استقبال السيد رئيس الجمهورية بصفة رسمية باسم الجزائر المسلمة » .

بل أن نواب الجزائر الأهالي تأسفوا اذ كانت لجنة تحضير استقبال رئيس الجمهورية المكلفة من طرف وزير الداخلية لم تعين ولا نائبا واحدا من المسلمين في لجنة استقبال الرئيس .

وعند تقديم مطالب من النواب المسلمين بمجلس بلدية مدينة الجزائر قوبلت من طرف رئيس البلدية « برينال » والنواب الفرنسيين بالرفض التام وعدوها ــ سخرية ــ مثل اقتراح ودادية النساء الجزائريات للمشاركة في الانتخاب ، حينما أجاب المجلس البلدي هذه الودادية بالجواب التالي :

« ان هذا الطلب من الخطورة بمكان ، لأنه لا يحصل على هذا الحق الا الفرنسيات . أما أنتن فلا زال من بينكن غير فرنسيات لأنهن لا يردن ذلك ..

وهكذا نجد أيضا النائب بومدين يتكلم باسم سكان الجزائر فيقدم احترام وتحيات السكان المسلمين الجزائريين الى السيد رئيس الجمهورية ويعرب عن ارتباطهم المتين « بأم الوطن » فرنسا ، وعن فرحهم

باحتفالات ذكرى أعمال فرنسا في القطر الجزائري ، ويذهب لحد بعيد في التقرب من فرنسا حتى يجعلها ـ تقريبا ـ أفضل الأمم على وجه هذه البسيطة • ولكنه يقدم في النهاية اقتراحات بالتوسع في الحقوق السياسية بالجزائر في اطار السيادة الفرنسية ، وبالتوسع في التعليم لأبناء الجزائريين ، وآلغاء جميع الأحكام الخاصة بهم ، وزيادة التوسع في تحسين الحالة الفلاحية والصناعية الأهلية ، وحفظ الملكية الأهلية وتمكين الملاكين من تحسينها حسبما يقتضيه حبهم لأراضيهم الذي هو مبدأ بقائهم بها برغم الظروف القاسية » • (11)

وانك لتجد تصريحات من بعض النواب والشخصيات تثير السخرية بأصحابها حتى من أولئك الذين يريدون ترضيتهم ، ومن ذلك هذه الفقرات من خطاب ألقاه المسمى حمو بلحاج ، المدرس بالمدرسة الثعالبية ، باسم هيئة التعليم ، تنويها بتنزيل القوات البحرية الفرنسية بسيدي فرج يوم 14 جوان ـ يونيو ـ 1930 والتي أثارت حفيظة كل الجزائريين ، يقول هذا المتملق في عواء يشبه عواء الكلب الذليل :

« انه من حقنا اليوم أن نفرح ونحمد الله اذ أراد بنا خيرا حينما بعث لنا هؤلاء الرجال ـ الفرنسيين ـ الذين هم اليوم أخوتنا وأحباؤنا ، وقد جاءوا لانقاذنا من الجهل ان يوم 14 جوان يوم سعيد بظروفه الشاعرية ، انه تاريخ مسطر مسرور في أفئدتنا ، وأن هذا اليوم ليعد طلوع فجر جديد في مستقبل هذا الوطن ، لأنه قضى على البربرية والفوضى •••!»

ونجد من طينة بلحاج متملقا آخر هو بوعزيز بن قانه ـ وقد سمته فرنسا بعد « بشيخ العرب » ـ اذ يقول : لو أن العرب عرفوا الفرنسيين مثل اليوم لاستقبلوهم سنة 1830 ببنادق مملوءة بالأزهار » • (12)

11 ـ الحياة السياسية ، راجع النشرة الشهرية للجنة افريقيا الفرنسية 1930 ، ص 287 .

12 ـ المصدر السابق . راجع بيرك : المغرب بين حربين . ص 234 .

وأمام هذا التملق والنفاق والاستسلام المهين نجد في المقــابل ــ خاصة من المنظمات الحزبية الثورية ــ سواء منها الوطنية والأجنبية ، بعض المواقف المشرفة • ونجد في كتاب « الحياة السياسية » لقداش محفوظ « ان المسلمين لم يظهروا أية معارضة . حتى أن النائب البلدي بومدين ، رفيق الأمير خالد سابقا ، قد ظل في احتفالات القرن أكثر رسميا وأكثر « جزائر فرنسية » ولم يعارض حتى مبــدأ الاحتفالات القرنية •

ونواب بلدية الجزائر كانوا أثناء الجلسات التي عقــدت للتصديق على المبالغ الهائلة التي دفعتها البلدية لمختلف الــولائم والمــآدب لم يتعرضوا بأدنى كلمة • انما وجدنا مناضلي الأحزاب النظامية أو بعض النقابات ، مثل نقابة المعلمين • هؤلاء قد قدروا على التعرض والاحتجاج ضد الاحتفالات القرنية » (13) •

واننا لنلاحظ أن من أشد هذه المنشورات والتصاريح لهجة وأصدقها تعبيرا عن احساسات الشعب ما أعلن به « حزب نجم الشمال الافريقي» كما تقدم قريبا • وفي المؤتمر الفيدرالي للحزب الاشتراكي الذي انعقد في مدينة الحراش بعاصمة الجزائر قرأ بلحاج ــ وهو أستاذ تكميلي مناضل في الحزب الاشتراكي الفرنسي ــ (14) قرأ عن نقابة المعلمين العريضة الآتية :

« ان المؤتمر يطلب من الحزب الاشتراكي الجــزائري أن لا ينسى الحالة السيئة التي عليها الأهالي الجزائريون بعد قرن كامل من الاحتلال ، فهو ــ الحزب ــ ملزم بأن يطالب بتحسين هذه الحالة ، وذلك بمنح برنامج من الاصلاحات الواجبة ، ويلفت الرأي العام الى خطورة هذه الاحتفالات القرنية التي ليس لها من مبرر والتي أثارتها الرأسمالية الفرنسية الجزائرية ، ووصفتها جريدة الغد Demain (15) :

---

13 ـ الحياة السياسية ، ص 193 .

14 ـ ننبه الى أن بلحاج هذا غير بلحاج الأستاذ بالمدرسه الثعالبية الضالع مع الاستعمار الفرنسي .

15 ـ جريدة دومان ، 8 جوان 1929 .

« بالاهتمامات بالتهريج » فيما يتعلق بالاحتفالات ، « وبمهزلة البهاليل » فيما يتعلق باستعراض الجيش في لباسه التقليدي سنة 1830 ».

وهكذا الشيوعيون فقد تعرضوا بشدة للاحتفالات القرنية ووزعوا بمناسبة أول ماي – ايار – 1930 المنشور الآتي ينادي الشعب الجزائري :

« احتفل بأول شهر ماي من أجل مطالبك ، متن اخوتك مع العمال .

وفي هذا المنشور صورتان شمسيتان احداهما تمثل كتيبة من الجيش الفرنسي وهي تهاجم وتحتل قرية أهلية سنة 1830 . والأخرى تمثل الكولون وهم يطاردون عائلة عربية من دارها . وبجانب هذه صورة أخرى تمثل بعض الجنود الفرنسيين وقد تحالفوا مع العمال لنصرة العلم الأحمر .

ثم يذهب المنشور في نداء الشعب الجزائري فيقول : بعد اختراق حدود بلادك ، وبعد قتل عائلاتك واحراق مزارعك ، وبعد سرقة أرضك ، زاد الاستعمار الفرنسي فنشر فيك الجهل والخمر والفجور ، والضغط الكريه ، وقد جندك لحروب المغرب وسورية ، وأوجب عليك قضاء ستة شهور في الجندية زائدة على الجندي الفرنسي ، والسلطة تعتبرك عبدا مملوكا ، وفي النهاية ها هم المستعمرون يحتفلون باستعبادك في احتفالاتهم القرنية » .

ويضيف المنشور : ان اخوانك العمال الفرنسيين في احتفالهم بأول ماي يشنعون بمواطنيهم البورجوازيين ويحتجون ضدهم . فعليك بالمؤاخاة معهم ، شاركهم في التشنيع ضد الاحتفالات القرنية ضد دوام استعبادك ضد الاستعمار الفرنسي » (16) .

ويختم المنشور بالتذكير بكوارث الاحتلال بما أتى به من قتل وتخريب واحراق ، وما أتى به من نهب الكولون لأراضي الأهالي . (17) وتسخيرهم

---

16 – المصدر السابق نقلا عن النشرة الشهرية للجنة أفريقيا الفرنسية 1930 ص 272 .

17 – الشيء المؤسف الذي ناخذ به الحزب الشيوعي أنه يتقلب دائما مع مصلحته الدعائية .

فى أغراضهم بالمدن • ثم يدعو الى التعاون مع العمال لاغاثة الشعب الجزائري فى كفاحه ضد الامبريالية الفرنسية ومن أجل استقلال الجزائر » • ا هـ

وتتميما لوقائع الاحتفالات القرنية ، والتي كانت ــ فى الواقع ــ ممتدة بالنسبة لتحضيراتها من سنة 1927 الى سنة 1937 حسب تواريخ احتلال المدن الجزائرية ، تتميما لذلك أذكر فيما يلي تقريرا جاء فى نشرة الاستعلامات السرية بمدينة قسنطينة بتاريخ أكتوبر 1937 ، ومما جاء فيه :

« بمناسبة احتفال القرن باحتلال مدينة قسنطينة لوحظ مسبقا أنه كان محاربا جدا من طرف بعض العناصر الأهلية ، مثل الدكتور ابن جلول والشيخ ابن باديس وآخرين • ولا يخفى أن هذا الأخير كان قد وزع منشورا يعتبر أن هذه الاحتفالات شتيمة للشعب الجزائري ، وقد دعا اخوانه المسلمين الى عدم المشاركة •

ثم تنسب النشرة اليه الدعوة الى اضراب التجار وتجمع المسلمين فى المساجد لسماع الأحاديث واقامة صلاة التشكي (Lamentation) وتضيف : ويوم 13 صباحا كانت جموع كبيرة سبقت الوالي العام وقائد الفيلق 19 العام وعدة شخصيات الى حيث تجري الاحتفالات ، الا أنه لوحظ بعد أنه لم يحضر من الأهالي الا بعض الشخصيات ، وانعدمت تقريبا الجموع الأهلية التي كانت فى العادة تظهر ، حتى فى شوارع قسنطينة » •

خلفيـــات الاحتفالات القـــرنية

الواقع ان الاحتفالات القرنية لم تكن مرضية ولا مقبولة لدى جميع الأوساط الجزائرية ، سواء منها الأشخاص والهيئات • غير أن بعـــض التصريحات الرسمية وتفاؤل بعض الأوساط الاسلامية من الشخصيات المقربة لدى الادارة الاستعمارية ، جعلت الناس يتحملون مظاهرها الجارحة عن كره ، في انتظار ما تأتي به التصاريح من نتائج ايجابية لجانب المسلمين ، الا أن هذه الاحتفالات وما لوح فيها من بعض التصريحات لم تأت بأي شيء من آمالهم • (1)

فالأروبيون كانوا ــ في أكثريتهم الساحقة ــ حريصين على أن يجعلوا من هذه المناسبة منبرا ليبينوا من فوقه نجاحهم فيالاستعمار ماديا وأدبيا، فاستعملوا كل ما لديهم من قوة مادية وأدبية في اثبات أن النظام الملحوظ وهدوء ــ أو خمود ــ الأهالي قد ساد كل التظاهرات القرنية ، وان الذين كانوا يتخوفون من تحركات بعض الهيئات وتهييجها للسكان قد غلطوا في حسابهم ، وهم لا يهابون ولا يهتمون بما في قلوب الجزائريين من أماني وآمال ، بل انهم لا يريدون أن يسمعوا الكلام عن حـــق الجزائـــري •

ففي احدى الجلسات قام أحد نواب المجلس البلدي بمدينة الجزائر ، لما سمع في الجلسة صوتا يطلب بعض الحق للعمال الجزائريين وصرخ في وجه المتكلم : « اننا لو أعطيناهم كل الحقوق السياسية وكل الحريات

---

1 ــ ما عدا قرارا اتخذه رئيس الجمهورية في فاتح ماي 1930 يقضي بحذف المحاكم الزجرية المختصة بالأهالي الجزائريين ، أو حذف المجلس التأديبي الذي كان يعقد خصيصا لمرتكبي مخالفات من المسلمين الغير المتجنسين بالجنسية الفرنسية . بيد ان هذا القرار ــ كالعادة ــ بقي ورقة مكتوبة في الوثائق المهملة ولم ينفذ يوما من الأيام .

لأصبحوا كلهم « مشبوهين » • وكلمة مشبوه لدى المستعمر معناها : « عدو فرنسا » ثم قال : وبالفعل فان المعلمين الأهالي بدأوا يعلمون حوادث الثورة الفرنسية ، حسب نظريتهم التي تغرس فى التلاميذ بذور الكراهية والحقد نحو المعمرين « الكولون » •

فلذا ، وبالرغم من الجو الصالح المؤهل لقبول مطالب المسلمين — اذ ذاك فان مجرد طلب ميزانية لشراء كتاب فرنسي لتعليم أبناء المسلمين رفضه النواب الفرنسيون في المجلس البلدي بالجزائر ، وعندئذ وجد المسلمون طريقهم هي : طريق الرفض ! • (2)

نعم ، فأمام هذا الجمود الاستعماري ، برغم مناسبة الاحتفالات المرجوة ، وبرغم صبر المسلمين وتحملهم لوقر صلف الكولون المؤلم الثقيل ! وأمام الرفض الاستعماري المتواصل ، نشأ الرفض الوطني ! •

لقد كانت خيبة الجزائريين ثقيلة شديدة ، تشبه الخيبة التي منوا بها بعد الحرب العالمية ، الأمر الذي أخذ بهم الى مراجعة تصرفهم وتفكيرهم السياسي ، فكل النواب والأعيان ، وحتى رؤساء العائلات التقليديين القديمة ، أحسوا بقساوة الضربة وتوقعوا أن الأحداث ستسبقهم اذا هم لم يأخذوا بالحيطة ويضاعفوا مجهوداتهم ازاء الادارة ، فاندفعوا ، بلباقة ويقظة ، يحتجون بحرارة ضد « اللاعدالة » والظلم ، وذهبوا لحد أن استعملوا ضد السلطة سلاحا جديدا هو « سلاح الاستقالة » من مناصبهم • والامتناع عن تقديم ولائهم أو تشكراتهم لبعض الشخصيات الرسمية وأحيانا الامتناع عن الموافقة على الميزانية ••• الخ •

صفحة مشرفة :

هذا ومن المفيد أن تثبت للجيل الحاضر فى نهاية الكلام عن هذه الاحتفالات القرنية وصفا مجيدا عن مقاومة أجدادنا ، كتب بواسطة كاتب فرنسي منصف ، هذه الاحتفالات التي امتدت زمنا طويلا ، بما صاحبها

---

2 — الحياة السياسية ، ص 197—198 •

3 — نفس المصدر ، ص 223 •

من تحديات المستعمرين واحتقاراتهم واستنقاصهم للجزائريين ، وحتى لأجدادهم الذين قاوموا الاحتلال طيلة نصف قرن ويزيد ، بكل اباء وبكل بسالة وشهامة كما يشهد مقال الكاتب المشار اليه آنفا الذي سنثبته فيما يأتي .

و ن المعلوم أن الاحتفال الرئيسي والعام وقع أثناء سنة 1930 وهو احتفار بذكرى احتلال القطر الجزائري بالجملة ، الا أن المستعمرين فى مختلف مدن الجزائر أرادوا هم أيضا أن يحتفلوا باحتلال بقية المدن الجزائرية كل فى مدينته ، أي فبعد الاحتفالات « بالجملة » جاء دور الاحتفالات « بالتفصيل » فاحتفال بمدينة الجزائر وآخر بمدينة عنابة وثالث بمدينة وهران ورابع بمدينة قسنطينة الخ ... وذلك حسب تواريخ احتلال هذه المدن الذي وقع فى تواريخ مختلفة حسب دفاع وصمود أهلها واستماتتهم فى الدفاع عن حريتهم واستقلالهم ، الأمر الذي أقر به العدو قبل الصديق . ومن ذلك المقال المشار اليه فيما مضى الذي نشر بجريدة « الديبيش الجريان » بقلم الكاتب الفرنسي ليون برينتون . وقد كتبه بمناسبة احتفال المستعمرين بذكرى احتلال بجاية يوم 15 أبريل ـ نيسان ـ 1933 وفيما يلي أنقل منه فصولا رائعة . يقول الكاتب : (4)

« فى 9 2ديسمبر ـ أيلول ـ 1833 استولت الجنود الفرنسية على مدينة بوجي (5) « صلداي » الرومانية أو « بجاية » العربية تلك المدينة العتيقة التي لعبت فى التاريخ دورا زاهرا عظيما » .

« والسبب الذي قررت من أجله الحكومة الملكية احتلال بجاية هو توالي اعتداء أهلها على المراكب الأجنبية . ففي سنة 1831 غرق مركب فرنسي تجاه المدينة فأسر البجائيون ركابه وأعدموهم . (6)

---

4 ـ ترجمة الشهاب ، ج6 ـ م9 ـ ص 247-251 .

5 ـ بوجي **Bougie** هو الاسم الفرنسي لمدينة بجاية .

6 ـ لا يخفي أن حالة الحرب كانت معلنة بين الجزائر وفرنسا والفرنسيون كانوا لا يعاملون المجاهدين كأسارى حرب ، بل كانوا ينكلون بهم .

وفى أكتوبر ــ تشرين الأول ــ 1832 رمى أهل المدينة القنابل على مركب انكليزي اسمه « بروكريس » عندما اقترب من بجاية ، وتدخلت الدولة الانكليزية ، حماية لحقوق الانسان ، وأعلمت فرنسا التي أخذت على عاتقها احتلال الجزائر ، بأن أنكلترا تسعى بنفسها فى اجبار أهل المدينة على احترام رايات الدول الأجنبية ان لم تباشر فرنسا ذلك العمل ».

ويضيف : منذ سنة 1830 قدم الى مدينة الجزائر أحد أهل بجاية المدعو مراد وقابل الجنرال دي بورمون الذي احتل المدينة ووعده بتمكينه من بجاية ، وعلم أهل بجاية بمسعى مراد ورفيقه فما كادا يحلان بمدينتهم حتى ألقوا عليهما القبض وأعدموهما .

وفى سنة 1831 قدم الجزائر رجل آخر من رجال بجاية يدعى بوسته ، وكان بينه وبين قاضي الحاضرة البجائية خلاف ونزاع . فافتعل مكتوبا وزور عليه امضاء القاضي ، وجاء به الى رجال السلطة الفرنسية يستعديهم على بجاية » .

وفى السنة الموالية 1832 أعاد بوسته الكرة وأقنع الفرنسيين بوجوب ارسال رواد الى المدينة فأرسلوا معه النقيب ــ « قبطان الزواف » لاموريسيار ، حسبما رواه « الرائد » (الكومندان لابين) فى مذكراته ، وما اكاد لاموريسيار يطأ أرض بجاية حتى هاجمه أهلها ، ولم يسعه الا الرجوع من حيث أتى ...

ويضيف برينتو : وعندما أخفق الفرنسيون فى محاولتهم التفاهم مع أهل بجاية على قاعدة تسليم مدينتهم للجندي الفرنسي صلحا تقرر تجهيز حملة لاحتلال المدينة ، وأرسلت السلطة العسكرية بالجزائر المدعو بوسته الى طولون (بفرنسا) ليلتحق بالعمارة (الأسطول) التي يجهزها هنالك الجنرال تريزيل لاحتلال بجاية .

ويوم 20 أوت ــ آب 1833 سلمت قيادة حملة بجاية الى تريزيل رئيس أركان حرب جيش افريقيا ، وكانت الحملة تشمل 1800 من الجنود ، وفرقة للأعمال العسكرية ، وفرقتين من المدفعية . وأقلع الجيش الفرنسي

يوم 22 سبتمبر ـ أيلول ـ 1833 تحت امرة القبطان (النقيب) برسفال ممتطيا صهوة السفن : لاسيرسي ـ لاريان ـ لاكارافان ـ الواز ـ دورانس ـ سين • و 18 سفينة تجارية ـ ووصلت الحملة أمام معاكسة الرياح بجهد تجاه مدينة بجاية ليلة 29 سبتمبر ـ أيلول ـ 1833 وما كاد تالسفن تستقر تجاه المدينة حتى أخذت الأبراج الاسلامية ترميهـا بقنابلها • وتلك الأبراج هي : برج سيدي عبد القادر ـ بطارية سيدي أحمد ـ برج موسى ـ وهو اليوم « برج برال » وبرج القصباء ، والبرج الأحمر ؛ أوبرج بولّيلة « وهو اليوم بطارية بواك» •

وبعد أن يذكر الكاتب وصفا عن معركة الأبراج مع الحملة الفرنسية يعطي وصفا لتقسيم قوات الهجوم الذي وقع يوم 29 سبتمبر على أربعة أقسام ، ثلاثة تحت قيادة ليوتنان (الملازم) موليير وقيادة القبطـان (النقيب) سان جيرمان ، وقيادة القبطان لاموريسيار • والفرقة الرابعة بقيت احتياطية ، وكل فرقة تهاجم برجا من أبراج الدفاع ، يقول :

« واشتعلت بين الفريقين نيران الحرب وكانت حامية الوطيس ، وقدم أهل بجاية والقبائل الى ميدان المعركة ، فدافعوا بكل بسالة وشجاعة ؛ وجعلوا أماكن دفاعهم فوق المرتفعات ، وفى المنازل والبساتين • واضطر الفرنسيون لاستقدامهم مائتين من رجال البحرية لنجدتهم » •

« واستمرت المعركة كل النهار وكامل الليل ، وعلى ضوء القمر تمكن الفرنسيون من تسديد رمي قطعة مدفعية على « البريجه » ومن الغد نشبت المعركة من جديد واستمرت » •

« ويوم غرة أكتوبر قد مرجال القبائل من الدواوير أي ـ القرى ـ المجاورة للمدينة ، وهاجموا القوات الفرنسية بكل شدة وعنف على طول الخط الذي تحتله ، الى أن اضطر الجنرال كلوزيل أن يتدخل فى المعركة بنفسه • وبعد استمرار المعركة الحامية مدة ساعتين تمكن الفرنسيون من من ابعاد القبائل المهاجمة ، واستولى « لاموريسيار » باعانة بحريـة السفينة « لافيكتوار » على ضريح المرابط سيدي التواتي وعليه برج نوليله • وعندئذ فقط تمكنت الفرق الفرنسية من وضع مدافعها بأبراج

القصباء وسيدي موسى ، وسددت نيرانها على المنازل البجائية التي اتخذتها القبائل مراكز للدفاع، وعندئذ اضطر المهاجمون الى الانسحاب »•

« وتقول العامة فى مدينة بجاية أن « برج بوليله » انما دعي كذلك لأن والي الجزائر « صالح رايس » قد شيده فى ليلة واحدة ، ووضع به بطارية مدفعية ، فأجبرت الأسبان على ترك بجاية والانسحاب منها وذلك سنة 1555 م » •

ويمضي برينتو فيقول : أما بوسته (الذي كان رائد الحملة) فان أحد الجنود الفرنسيين قتله غلطا ليلة الثالث أكتوبر • ولا ريب أن العدل الالهي موجود « ـ يقول برينتون » •

« ولقد كان بوسته يوم 29 سبتمبر يوم نزول الجند أعلن أنه يريد أن يذهب صحبة فرقة من الجند لحماية القاضي فى داره ، فسارت معه فرقة من البحرية ، وعلم القاضي بذلك فترك داره وبها أهله وذريته وفر هاربا • أما بوسته فقد وصل دار القاضي ، وترك الفرقة البحرية على الباب ، ودخل وحده الدار يريد القاضي فلم يجده ، ووجد أهل القاضي وحدهم فقتل منهم سبعة عشر شخصا •

« وتقول العامة ـ يقول برينتو ـ فى بجاية ان الأرض لا تستطيع أن تأوى اليها « جثة بوسته » لهذا فهو كلما دفن فى مكان تخرج جثته على وجه الأرض » •

« واستمر بعد ذلك ورود المدد للجيش الفرنسي ، فيوم 13 أكتوبر وصلت الفرقة الرابعة من مدينة الجزائر ، ويوم 14 أكتوبر ورد مدد من الجزائر أيضا يشمل 900 رجل ، وبواسطة هذه الامدادات أعلن تريزيل الهجوم على « مرابط غورايه » المتحصن الذي لم يمكن الاستيلاء عليه يوم 3 فتمكن من احتلاله » •

« ويوم 10 أكتوبر قدم المدينة الوالي المدني ونائبه وهما على التوالي :

« جانتي سيفي » و « م • لواسي » وكانت مهمتهما ادارة المدينة وسكانها ، ولم يبق بها من السكان ، بعد تلك الحوادث ، غير عدد ضئيل

من التجار وأصحاب البساتين من المالطيين ، ونزر من الأهالي الذين بقوا بالمدينة أو عادوا اليها » •

ويختم برينتو : وفى نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ أرسلت أنكلترا نائب قنصل الى بجاية لمد يد المساعدة للمالطيين • ويوم 5 ديسمبر ـ كانون الأول ـ 1833 سار الجنرال تريزيل الى مدينة الجزائر ، وخلفه فى قيادة المركز هنالك رئيس الفرقة دوفيفي ، ووضع على جدار المدينة لوحة تذكارية باللغة اللاتينية هذا تعريبها :

« فى عهد الملك لوي فيليب ، وتحت قيادة تريزيل ، 1800 من الجند الفرنسي هاجموا هذه المدينة من ناحية البحر وأفتكوها من البربر بقوة السلاح سنة 1833 » • ا هـ

ليـــون برينتو

الأزمة الاقتصادية الكبرى

وهكذا تظهر فى هذه الفترة 1930 ـ 1936 أزمة البطالة العامة والأزمة الاقتصادية الكبرى ، وبرغم المحاولات المتعددة فقد بقيت هذه الحالة فى تدهور متواصل •

ومما زاد الأزمة استفحالا وقوع خلاف بين منتجي الخمور فى الجزائر وفرنسا ، بعد ما تحصل منتجو الخمور فى فرنسا على تحديد استيراد الخمور الجزائرية التي كانت تضايقهم بسبب تأثيرها الشديد على خمورهم، لجودتها ومنافستها فى الأسعار • وكان من تأثير الخلاف الذي وقع على الخمور أن امتدت الأزمة حتى الى استيراد الحبوب ، خاصة القمح (البر) الجزائري الذي كانت له المكانة الأولى فى السوق الفرنسية ، فقد حدد استيراد القموح الجزائرية الى فرنسا هو الآخر ، فبقيت مكدسة فى الجزائر ورجع ذلك بالكساد الفظيع على الانتاج الجزائري من الزروع بحيث أصبح قنطار القمح الجيد لا يتجاوز سبعين فرنكا ، والشعير لا يساوي أكثر من ثلاثين فرنكا • (*)

(*) ـ الفرنك الفرنسي القديم يساوي جزءا واحدا (سنتيما) من مائة من الدينار الجزائري اليوم .

وفى هذا الجو الخانق انتشر فى جميع الوطن تذمر كبير بالاضافة الى خيبة أمل الجزائريين شعبا وقادة بسبب الاحتفالات القرنية وما أظهره المستعمرون من تصرفات ومواقف عنصرية عمقت الجروح فى ضمير الجزائريين وتحقق الجميع أن الاستعمار ــ مهما كان لونه ــ لا يأتي بالخير للشعوب ، وأن هذا المرض الذي تعانيه الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي ما هو الا نوع من السرطان الذي ليس له علاج الا باستئصال جذوره ، وأن قضية الشعب الجزائري مع فرنسا ليست قضية اصلاحات وحقوق محدودة ، اذا أمكن الحصول عليها ــ كما كان يعتقد كثير من السياسيين ــ تنحل الأزمة ويمكن العيش بشرف وكرامة مع المستعمرين وفى كنف فرنسا .

وعندئذ وقعت رجة كبرى أصابت كل الهيئات الوطنية وأضرمت فى كثير من رجالها نار الكفاح والدفاع عن الشرف الجزائري المداس بأقدام مستعمرين لا يعرفون حدا فى أنانيتهم ، وقد رأينا فى أول هذا الفصل تلك التوقعات والتخوفات التي ظهرت بها حركة نجم الشمال الافريقي فى تعرضها لمبدا الاحتفال القرني ودعوة الشعب الجزائري لمقاطعة احتفالات المستعمرين واحتفاله بطريقته الخاصة ودعوته الى تنظيم حركة واسعة ضد الامبريالية الفرنسية . ورأينا دعوة ابن باديس لمقاطعة هذه الاحتفالات .

وهكذا يمتد التذمر حتى الى حركات تعتبر أجنبية كالنقابات العمالية الفرنسية واتحادية (C. G. T. U.) التي دعت الى احتضان العمال الجزائريين وتمكينهم من دور فعال وذلك بانشاء اتحادية جزائرية من النقابات الثورية كما تقدم بيانه .

جمعيـــة النـــواب المسلمين (1)

لقد كنت أشرت فى أول الكتاب الى تأسيس هذه الجمعية بصفـة اجمالية والآن أريد أن أعطي شيئا من التفصيل ندرك منه كيف أنشئت أولا هذه الجمعية موحدة ثم انقسمت الى ثلاث اتحاديات ، كما ندرك مدى الارتباط الذي كان بين الاتحاديات : اتحادية النواب المسلمين العامة واتحادية النواب المسلمين القسنطينية ، واتحادية وهران •

ففي 18 جوان ــ يونيو ــ 1927 أعلن رسميا بدار ولاية الجزائر عن تأسيس « اتحادية ــ أو جمعية ــ النواب المسلمين الجزائريين » ومركزها بشارع عنابة ــ مدينة الجزائر ، ومهمتها :

« توحيد وتقوية جهود النواب المسلمين الجزائريين فى مختلف المجالس النيابية بالقطر الجزائري ، وذلك من أجل الدفاع عن مصالح منوبيهم •

وبمبادرات شخصية وبالأحرى بعنوان التنظيم أنشئت لكل عمالة أثناء صيف 1930 اتحادية خاصة، فاتحادية بقسنطينة برئاسة الشريف سيسبان ، وأخرى بعمالة وهران برئاسة بن عودة باش تارزي والثالثة لعمالة الجزائر برئاسة زروق محي الدين •

واجتمعت هذه الاتحاديات كلها فى مؤتمر واحد أقيم بمدينة الجزائر يوم 17 ديسمبر 1930 وكان من مقرراته ارسال وفد الى فرنسا تمثل فيه كل اتحادية بعشرة نواب ، وقرر المؤتمر ذهاب الوفد فى شهر فيفري 1931

1 ــ وتسمى « اتحادية النواب المسلمين » .

الى باريس يحمل المطالب الجماعية للاتحاديات الثلاث ليعرضها على الحكومة الفرنسية (2) •

هذا ومما كان قرر فى مؤتمر 11 سبتمبر 1927 من مطالب هذه الاتحادية العامة ، التي عرفت فيما بعد « جمعية النواب المسلمين الجزائريين » المطالب التالية :

1 ــ تمثيل الأهالي المسلمين فى البرلمان الفرنسي •

2 ــ مساواة المرتبات والمنح فى وظائف الحكومة بين الفرنسيين والمسلمين •

3 ــ المساواة فى الخدمة العسكرية •

4 ــ الغاء الشروط التي تمنع العمال الجزائريين من الذهاب للعمل فى فرنسا •

5 ــ الغاء قانون « لانديجينا » ــ القانون الخاص بالأهالي ــ •

6 ــ تطوير الثقافة والتعليم الصناعي بالنسبة للاهالي المسلمين •

7 ــ تطبيق القوانين الاجتماعية على الأهالي المسلمين •

8 ــ تنظيم انتخابات فى الأحواز الممتزجة حسب قانون 1919 وانتخاب المجالس العمالية والمالية • »

هكذا وبعد اختلافات ومشاكسات فى الآراء والوسائل بين نواب سياسة الاصلاحات ، وذلك من جراء الخيبة التي وقعت للجميع بعد الاحتفالات القرنية ، بدأ الشقاق يظهر بين النواب ، والتفجر يحدث هنا وهناك وظهرت فى ثوب جديد :

---

2 ــ الحركة الوطنية الجزائرية ، كلود ــ وجات نقلا عن الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية ، ص 40-41 .

اتحادية النواب المسلمين الجزائريين القسنطينية

ظهرت اتحادية النواب القسنطينية بزعامة ابن جلول وهو اذ ذاك من الشباب الذين لم يطيقوا الصبر أمام هذا الاحتقار الفرنسي لكل الجزائريين ، سواء منهم المتطرف والمعتدل ، والمتقرب ، والمتحفظ • ومن هؤلاء الصيدلي فرحات عباس الذي نتركه يقص حكايته بنفسه فيما يأتي ، وهي نفس حكاية زميله ابن جلول ، وتعتبر هذه الانتفاضة خطوة جديدة نحو ظهور حركة سياسية أكثر حزما وأنشط حركة وأظهر حيوية ، ولو كانت لم تخرج عن نطاق سياسة الاصلاحات التي خطتها جمعية النواب « الأصل » ، وحتى اتحادية قسنطينة التي تأسست يوم 20 جوان 1930 برئاسة سيسبان قبل ابن جلول •

ولئن كانت هذه الحركة في برنامجها السياسي معتدلة فقد كانت أشد وطأة على الكولون من حركة « النخبة » ــ جمعية النواب المسلمين الموحدة التي تصدعت بسبب من انضم من أعضائها الى الحركة الجديدة من جهة ، وبسبب فقدها لثقة الشعب لتنازل بعض أعضائها كثيرا في سياستهم الاندماجية من جهة أخرى • بينما ظهرت الحركة الجديدة ــ كما تقدم ــ أكثر حيوية ، كما ظهرت لدى المستعمرين أنها تحمل بذور اتجاه جديد لا يطمأن اليه ، وذلك ما يبتغيه الشعب ويطمئن اليه •

ولنترك السيد فرحات عباس يعطينا ــ من وجهة نظره ــ ضوءا عن هذه الفترة في كتابه « ليل الاستعمار » تحت عنوان : (تجربة جيلي) يقول نقلا عن شارل اندري جوليان مستهلا :

« ان الكولون (المعمر) في الجزائر لا يتوفر على أية عقلية سياسية • انه يحتج ضد أي تغيير كلما أحس بما يظهر له أنه مساس بامتيازاته •

انه مستعد ليمتن بكل حدة عما قدمه من مساعدات في وقت الشدة التي كان هو السبب فيها والمسؤول عن حدوثها . أما حيال السكان الأهالي فهو ، بكل اصرار وعناد ، يعارض أي اصلاح لحالتهم » . (1)

ثم يقول السيد عباس : « ان هذه المحن التي يعيشها وطننا هي التي دفعتني الى المعركة السياسية ، فلو أن فرنسا كانت وجدت حلولا عادلة للمشاكل المطروحة عندنا لكنت ، بدون شك ، أفضل أن أفلح حديقتي ، ولكن كيف يمكن أن تعيش لنفسك بينما الشدة والضيق ينهكان اخوانك ، والظلم الذي يضربهم يكاد يكون مسرحيات يومية » (2) .

ان تكالب المستعمرين نحو الشعب الجزائري ، لا سيما بعد أن أحسوا بأن مطامح الجزائريين لها ما يبررها سواء لدى الدولة الفرنسية أو في نظر العالم ، جعلت حتى رجال « كتلة النخبة » جمعية النواب ، تسوء نيتهم نحو فرنسا ، وجعلت كثيرا منهم يندفعون نحو الحركة التي كانت تعتبر متطرفة . فها هو فرحات عباس يعرب في الفقرات السابقة — وفيما يأتي — وبكل صراحة عن تبرمه وخيبة ظنه في السياسة الفرنسية اذ يقول :

« لقد رأينا بأعيننا هذه البلايا تحيط بشعب كامل ، ورأينا شراسة البؤس التي كانت نتيجة لقاء الشرق والغرب : الشرق المغلوب المنهوب المجبر على السكوت ، والغرب الطامع ، الشديد ، والضاري » .

« انني أمقت الشدة ، وأمقت أكثر ، اللاعدالة « الحيف » ، وتحفظ الطوائف المتخمة في الجزائر . على أن اللاعدالة في الجزائر أكثر أثرا في المقت لأن جذورها عميقة ... « قد يكون من الغلط أن تطرح المسؤولية على السيء من الفرنسيين واعفاء الباقي ؛ فالمسؤولية هنا جماعية ، لأنها نتيجة نظام ، ثمرة نظرة مغلوطة » (3) .

1 — ليل الاستعمار ، ص 106 طبع فرنسا 1962 .

2 — ليل الاستعمار ، ص 107 .

3 — نفس المصدر ، ص 109 .

وبعد أن يستدل فرحات على هذه النظرية التي تحمل المسؤولية الجميع استنادا على أن حقيقة الحيف جاءت من جشع الطبقة المستغلة (بالكسر) البورجوازية ، وان الاستعمار الفرنسي خلق هكذا ، فهو أشد أنـواع الاستعمار ظلما وحيفا ، يبدي تعجبه من تصرف الطبقة الحاكمة ، فهي حينما يتقدم لها الجزائري بحقه ويقول انه عربي • يقال له : لا ••• انك فرنسي • وحينما يتقدم معترفا بأنه فرنسي ويطلب حقوق الفرنسي ، يقال له : لا ••• انك عربي •

وبعد أن يذكر فرحات شيئا من تجارب كتلته وجيله حيث كانـوا يعتقدون أن تفهيم الديمقراطيين الفرنسيين سوف يغير من الوضع ، يمضي فيقول : « وفى ضوء الحوادث الجارية اكتشفنا أن الأشياء غير بسيطة ، فان الرأسمالية والاستعمار كليهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ببعضهما سواء فى باريس أو فى الجزائر ، فلا يمكن أن تحارب أحدهما دون المساس بالآخر • وهذا ضد ما كنت ــ زمنا طويلا ــ أعتقده في فجاجة ! وبخاصة فيما يتعلق بوجود طبقة عمالية ثورية فى فرنسا ، ووجود رجال أحرار بها • لقد تبين أنه لا يمكن تغيير أي شيء من معطيات الأسس التي بني عليها النظام الاستعماري • (4) »

وبعد أن يبين فرحات عباس الوضعية التي كان عليها الفلاح الجزائري والشاب الذي خلف أباه الذي كثيرا ما قدم من التضحيات فى سبيل فرنسا، وبعد كل ذلك وجدوا أنفسهم يعيشون على الهامش بجانب المستوطنين الفرنسيين الذين يتمتعون بكل الحظوظ والامكانيات ، سواء فى معاشهم أو فى مواد وآلات أعمالهم الفلاحية • بل وفوق ذلك تصادر لهـؤلاء المساكين أراضيهم وتنهب أرزاقهم المتواضعة ، ولما حاول الجزائريون تضميد جراحهم والافلات من التصفية أو المسخ الذاتي والمعنوي وجدوا أنفسهم أمام الاعتداء والظلم والاذلال والعوز ، مما جعلهم يفقدون أي ثقة ، فانفجروا ضد سلم بدون عدالة يعيش فيه الجزائري بدون سرور وبدون أمل فى الغد • بحيث لم يبق فى مقدور فلاحينا ــ يقول عباس

4 ــ نفس المصدر ، ص 111 .

متأسفا ــ أمام ضربات الكوارث التي لا تني تدق أبوابهم . فلا يدفعونها الا بكلمة التصبر : « هذا ما أراد الله ... »

وبعد ذلك يضيف عباس : « ان القروي الجزائري ليس متزمتا حينما يعطيه الحظ ملكية متوسطة ، فان أول ما يبدأ به هو الأخذ بالمدنية التقنية مثل جاره (الكولون) لكن الجزائريين ــ أغنياء وفقراء ــ فهم من جهة أخرى محافظون ومرتبطون كل الارتباط بحضارة أجدادهم ، وبلغتهم الأم وبتقاليدهم . سواء منهم من تخرج من المدرسة الفرنسية أو من المدرسة العربية أو من قلب « الدوار » ــ البادية ــ ، كلهم يحس بحاجته الى الاحترام والاحتفاظ بتراث الآباء أمام مجتمع أروبي باغ ممتليء دائما باعجابه بنفسه وبقوته ليمتلك المجتمع المقهور ، ويسيطر على دينه الاسلامي » .

ويمضي فرحات ليضيف تحت عنوان : « فى فترة سياسة الاندماج والمساواة » ، فى سنة 1920 كان الرجال الذين هم من جيلي لا يتجاوزون عشرين سنة ، والحرب العالمية الأولى كانت لأول ما انتهت ، والجزائريون كانوا يعتقدون أنهم ساهموا فى معركة انتصار فرنسا والحلفاء ، وأثناء أربع سنوات الحرب كان قرويونا قد قطع البحر الأبيض منهم نحو نصف مليون رجل ، بعضهم كانوا جنودا فى الجيش ، والبعض الآخر سخروا للعمل فى المصانع وكانت فى صفوفهم خسارة ثقيلة فى قلب المعركة ، حيث كان تدخلهم ضربة لازب » (5) .

وهكذا يذهب فرحات فيبين ما وجده الجزائريون فى فرنسا ــ وخاصة لدى اختلاطهم بالشعب الفرنسي ــ من أنه مثل الشعوب البشرية ، بما وجدوا من تشابه فى الريفين الجزائري والفرنسي ، وفى الريفيين من الجنسين . وأنهم قد وجدوا أن الفرنسيين فى فرنسا غير الفرنسيين فى الجزائر ، مما حملهم على الاعتقاد بأنهم سوف يجدون فى هذا الشعب الفرنسي الأصيل كل التضامن معهم عند طلب حقهم . كما أن الجزائريين

---

5 ــ نفس المصدر ، ص 113 .

الذين تعلموا في فرنسا كان لهم نفس الشعور لأنهم بالتالي قد قرؤوا كتبا علمتهم أن فرنسا زعيمة الحرية ...

ثم يقول : وقد كنا حينما ندخل المدرسة الفرنسية ننسى جراحاتنا التي تعترضنا فى طريقنا ، والآلام التي تقهرنا فى دواويرنا ...

وهكذا يذهب فرحات مع خياله فيصيح : آه ! لو أن (Le Roy) الملك يعلم هذا النداء المؤثر والمطمئن من مستعبدي (بالفتح) النظام العتيق ، يظهر لي أنه لا زال صالحا بالنسبة لنا . فالمهم أن تسمعه فرنسا المحررة .

« ان المستعمر لا يتبدل نحو الجزائريين بالرغم من مساهمة الجنود الجزائريين بميادين : شارل روا (Charleroi) ولا مارن (La Marne) وفيردان (Verdin) . ان الاستعمار الكبير لا يفقد سلاحه أبدا ، انه يريد — مهما كانت التضحيات — أن يسد الطريق أمام تطور وأمام كل تجديد اجتماعي » .

« ان كلمة الكاتب ريشار فريغت (Richard Wright) تصدق هنا بكل معناها وهي : انه لم يقع أبدا أن عددا صغيرا من الرجال مثل هؤلاء يحقد أو يخاف من عدد كثير من عباد أمثالهم » (6) .

ويضيف عباس : وفى آخر الحرب منح لنا قانون ، وكانت كل سلطات جورج كليمنصو فى الخدمة لغرض هذا الاصلاح الهزيل : « قرار 4 فبراير — شباط — 1919 » والحقيقة أن هذا القرار لم يأت بأي تغيير لحالتنا كأشخاص فالفرنسي والعربي بقيا ، بفضل هذا القانون ، متميزين ، باستثناء تغيير كيفية تعيين النواب الأهالي فى مختلف المجالس المحلية . فالمشكلة الجوهرية بقيت كاملة . ومعنى ذلك أن قضية الجنسية والمساواة بقيت دون حل » .

6 — نفس المصدر ، ص 115 .

وبعد ما يجمل فرحات الاصلاحات التي جاء بها هذا (الميثاق) أو القرار ، ويشير الى أن رغم تفاهتها فقد عرقلت من طرف (الكولون) بتواطؤ من كبار المسؤولين فى الجزائر ، خاصة فى الاصلاحات الزراعية ، يقــول :

« وانما مكن هذا الميثاق من ظهور بعض الشخصيات الجديدة التي أفلتت من ضغط السلطة العامة (7) ومن بينهم حفيد الأمير عبد القادر الأمير خالد . كان هذ نقيبا فى الجيش الفرنسي ، وقد اجتمع حوله بعض النواب الأحرار وقدم البرنامج الآتي :

1 ـ تمثيل الأهالي المسلمين فى البرلمان بمساواة مع الأوروبيين الجزائريين .

2 ـ الالغاء الكامل لجميع القوانين والاجراءات الخاصة بالأهالي ، والغاء المحاكم الزجرية والمحاكم الاجرامية والحراسة الادارية (Surveillance administrative) مع تطبيق القانون العام المجرد .

3 ـ المساواة فى الخدمة العسكرية .

4 ـ امكانية توصل الأهالي الجزائريين الى جميـــع المراتب المدنيـــة والعسكرية بغير تفريق فى الجنس ، الا فى الكفاءة والاستحقاق .

5 ـ التطبيق الكامل لفائدة الأهالي ، لقانون التعليم العمومي الاجباري وحرية الثقافة والتعليم .

6 ـ حرية الصحافة والجمعيات .

7 ـ تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة فيما يخص المسلمين .

8 ـ العفو العام .

9 ـ تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على المسلمين الأهالي .

10 ـ الحرية التامة لعمل الجزائريين فى فرنسا . »

---

7 ـ يعني بالافلات فوز هذه الشخصيات فى الانتخابات رغم ضغط السلطة .

غير أن أعمال الأمير خالد في الحقل السياسي لم تدم طويلا ، فقد كان برنامجه هذا مثارا لاحتجاجات عامة من المعمرين (الكولون) واتهم بواسطة « اتحادية رؤساء البلديات » (8) والنواب البرلمانيين ، وحكم عليه بالنفي للخارج سنة 1923 ، لكن حركة الشباب الجزائري واصلت طريقها نحو التمتن والانتشار » .

ثم يذكر عباس الأسباب التي جعلت حركة الشباب الجزائري تنتشر وتتمتن ، والتي أعطتهم موضوعات للمباحثة ، ورفعت من قيمة النظرية السياسية لشعبنا ومن هذه الأسباب ما عرف بالأربع عشرة نقطة للرئيس ويلسون ، وانبعاث بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، وتحرر شعوب البلقان، وثورة روسيا الشيوعية ، وتأسيس عصبة الأمم ، وانتصارات مصطفى كمال ، وملحمة الأمير عبد الكريم الخطابي ... الخ .

« ولا يخفى ما في ذلك من تأثير على الشعب الجزائري ، وحتى البدوي فانه لم يكن بمعزل عن هذه التطورات ، بل ان أصغر مقهى جزائري كان ملتقى لاستقاء كل هذه التطورات اليومية » .

ويعترف عباس فيقول : « ان تداولنا دائما حياة البدوي باحتقار ، معتقدين « قدريته » السماوية وعدم فهمه ، لغلط فاحش ، فالحقيقة معاكسة لنا تماما . فان البدوي يتابع دائما أعمالنا وخطواتنا بكل اهتمام ، وان « التلغراف العربي ليعمل عملا مدهشا الجميع » .

ويضيف : وفي مادة الصحافة فان « اقدام » الأمير خالد قد فقدت وخلفتها أسبوعيات أخرى ، فالدكتور بلقاسم بن تامي أصدر « التقدم » والصادق دندان نشر « الاسلام » (9) وفيكتور سبيلمان (Victor

---

8 ـ لقد كانت اتحادية رؤساء البلديات قوة لا يقف أمامها اي مسؤول من الفرنسيين سواء في الجزائر أو في فرنسا نفسها .

9 ـ كانت جريدة الاسلام تصدر بالعاصمة باللسانين العربي والفرنسي أوائل القرن وبالضبط يوم الثاني أوت 1912 ، للصادق دندان ومحمد عز الدين القلال ولم تشر المصادر الى اية هوية لهذه الصحيفة (عن مجلة الثقافة عدد 42 ينساير 1978) .

Spielman) نشر جريدة « المنبر » (La Tribune) ثم أصدر « حبل الاتحاد » (Trait d'union) ان هذا الالزاسي البطل لا زلت أذكره بكل اعجاب ، انه كان معمرا من برج بوعريريج ، ولكنه تناول السلطة العمومية بكل شجاعة وشدة ، وشهر بكل حزم بسلب أراضي الجزائريين ، فقد كان من أكبر المدافعين عن قضيتنا » •

ويذكر أحمد توفيق المدني أن اسبيلمان هذا مناضل شريف ومقارع عنيد وعدو ألد للاستعمار والمستعمرين ، وكان نصيرا للأمير خالد ... ثم يذكر ان صلته توثقت به بعد أن عرفه وكان يظنه شيوعيا ماركسيا ولكنه صرح له بنفسه أنه ليس شيوعيا وأنه فوضوي من أتباع الزعيم الفوضوي (فرنسيسكو فارير) (10) •

ثم يضيف عباس : وفى ذلك الوقت شرع الجزائريون يفتحون النوادي والمدارس الحرة ويؤسسون الجمعيات الرياضية والكشفية » ثم يقول :

« وبالرغم من قرار شوطان » وزير الداخلية الفرنسي « فان العمال الجزائريين اندفعوا الى الذهاب لفرنسا معززين بكتلة من أرباب العمل فى فرنسا (11) وهكذا الطلاب أيضا فقد بدأوا يفرون من كليات الجزائر آخذين طريقهم نحو كليات فرنسا » •

ومن جهة أخرى ينقلنا فرحات عباس الى التعرف على بعض العوامل التي كانت أشعلت فى قلب الشباب الجزائري رغبة الكفاح والدفاع عن النفس ، فينقل عن مجلة افريقيا اللاتينية » (l'Afrique Latine) « التي يديرها لوي بيرتران » (Louis Bertrand) تحت عنوان : نحن الفرنسيين عند أنفسنا فى الجزائر • اذ يقول :

---

10 ـ حياة كفاح ، ج 2 .

11 ـ لقد اصدر شوطان ـ تحت رغبة الكولون للابقاء على الايدي العاملة الرخيصة لهم ، قرارا بتاريخ 10 سبتمبر 1924 يقضي بتحديد ذهاب العمال الجزائريين الى فرنسا . وفى يوم من الايام لما اكتشفت اثنتا عشرة جثة فى مخزن الفحم بباخرة سيدي فرج بمرسيليا ، الغي هذا القرار بتدخل من مجلس الدولة .

« نحن سادة هذه البلاد بفضل قوتنا ذلك لأن احتلال أي بلد لا يمكن الا بواسطة القوة ، ويلزم من هذا وجود غالبين ومغلوبين • على أنه « حينما قهرنا هؤلاء أمكننا تنظيم الوطن ، وهذا التنظيم أعطانا وحقق لنا « نظرية » : « تفوق الغالب على المغلوب » والرجل المتمدن على الرجل المتأخر الدنيء نحن اذن الملاك الأصليون لهذا الوطن » •

حقا ، ان المستعمرين فى الجزائر كانت تملؤهم هذه العقلية الخاطئة ، تقول الكاتبة الأمريكية ج • غليسبي :

« كان الكثير من المستوطنين الفرنسيين يريدون ابادة الجزائريين عن آخرهم ليجعلوا من الجزائر مستقرا هنيئا ودائما للنصرانية ، والاستغلال لخيراتها • وهذا الشيء ـ كما يصفه رئيس الوزراء الفرنسي جول فيري 1892 ـ من ضيق الأفق فهو يقول :

« لقد قمنا بدراسة نفسية المستوطنين دراسة دقيقة وثيقة •• فوجدنا أنه انسان محدود للغاية • ففي هذا المستوطن تتجسد كل صفات العامل المجد والانسان الوطني ولكنه لا يسلك ما يمكن للانسان أن يسميه بفضيلة الفاتح ، وهي التي تتمثل فى انصاف ما يمكن للانسان أن يسميه بفضيلة الفاتح ، وهي التي تتمثل فى انصاف الروح والقلب ••• ويقول من الصعب عليه أن يفهم أن ثمة حقوقا لأهل البلاد ••• »

وتقول الكاتبة غليسبي : ويصف الجنرال كانزو هؤلاء المستوطنين بأنهم يعيشون أكثر من غيرهم من الناس تحت سيطرة غريزتهم أكثر مما يعيشون وفقا لمتطلبات العقل وتأثيرات المثل العليا • وقد ظلوا على طريقة الوراثية الرجعية على النحو الذي كان عليه آباؤهم عندما ذهبوا الى افريقيا لاستيطانها ••• »

وتضيف الكاتبة : وكتب جان دانيال فى جريدة « لكسبريس » 1955 « يشترك هؤلاء المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر مع الجنوبيين فى الولايات المتحدة فى أكثر من صفة واحدة ، ولعل فى طليعة هذه الصفات :

الشجاعة ، واستمرار الحركة ، وضيق الأفق ، والاعتقاد المتأصل فى نفوسهم بأنهم خلقوا ليكونوا سادة وليكون غيرهم عبيدا » • (12)

وبعد أن يحقق فرحات أن المستعمرين كانوا عزموا على القضاء على الجزائريين بواسطة القهر وتجويع أبنائهم ، وبانتشارهم كالسرطان فى كل مكان من جسم الأمة ، ولكن هل يمكن قتل شعب كامل ـ يضيف :

« وفى كلمة واحدة ، فالشعب الجزائري عزم على استرداد وطنه ، واستعمل لذلك كل الوسائل للاستقرار بأرضه ، فأرضه هي همه الوحيد وحقه فى الحياة • لكن ـ بكل أسف ـ فان النظام الاستعماري لم يفتح فى وجهه أي أمل أو رجاء ، فالأفق كان مغلقا أمام مطالبنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وقوى الحكم كلها وضعت فى خدمة الاستعمار ، فلا تعرف الا السجن والقهر » •

ويضيف : أما نحن الذين جئنا من « البلاد » ـ يقصد داخل الوطن ـ ورؤوسنا عامرة بالبرامج ، فقد كانت اللواعج تدفعنا لتبديل واجهة الأشياء ما بين أروبا والجزائر ، لقد كان هناك خندق مليء بالظلم وبالأخطار ووجب علينا سده ، لقد كنا نعتقد بأهمية القيام بتحقيق هذه المهمة ، وكان بين المدينة والريف بعد قرون من الزمن يجب أن نقطعه ، ليس وحدنا ، ولكن مع الجماهير المسلمة •

ان هذا التأخر يمكن تلافيه ولكن بشرط أن يغير المستعمر من مقصده ومن وسائله ، بحيث يكون كلانا مقتنعا ، أو ذا قابلية لعمل مشترك عادل •

لقد كان من السهولة أن ندرك بأنه لا يمكن عمل شيء دائم ومتين الا اذا كانت جماهيرنا الريفية مستعدة فعليا للاشتراك فى اغناء وتحويل الوطن ، ومن هنا كانت دراستنا وتفكيرنا مرتبطين بمشاركة أولئك الذين تركناهم وراءنا ، محكومين بالظلم ، مجوعين ، مهملين ومذلولين ••• »

---

12 ـ الجزائر الثائرة ، ص 22ـ23 .

وبعد أن يتوجع فرحات في فقرات طـويلة مليئة بالخيال والعاطفة الشعرية ، عن أخيه الفلاح الذي لا يعرف حالته التعيسة أحد ، يقول :

« فى سنة 1927 كنت كتبت سلسلة مقالات نشرت بالجريدة الأسبوعية التي يصدرها الدكتور بن تامي « التقدم » وفى سنة 1930 جمعتها فى كتاب بعنوان « الشاب الجزائري » (Le jeune algérien) ، وقد تعرضت فيها لبعض القواعد السياسية التي رأيتها صحيحة وشرعية وهي :

1 ـ الاحترام المطلق للاسلام واللغة العربية والحضارة الاسلامية ، فان الاسلام فى الجزائر فى بيته فحضوره مدة أربعة عشر قرنا فى هذا الوطن أعطاه حق الخلود ، فهو مهما أحاطت به معاول الهـدم ، فقد انتصر عليها وارتفع عاليا . (13)

2 ـ التنازل عن خرافة التفوق الجنسي بكل صراحة ، فقد يوجد من الذكاء فى حشيشة أرجل بدوي ما لم يوجد فى مخيخ أروبي .

3 ـ ان سياسة « المساواة » فى الحقوق هي الوحيدة التي يمكن أن تفتح أملا في مستقبل مشترك ، أما الاحتفـاظ بسياسة الغالب والمغلوب فهي تؤدي الى الطلاق « وتؤدي الى الكارثة » .

4 ـ ان الشبيبة الجزائرية يجب أن تكون الخميرة التي تحول المجموعة الاسلامية العتيقة من حيث بعض النواحي الى مجموعة عصرية مسلحة تقنيا لتجاري المجموعة الأروبية .

5 ـ وتبعا لتجربة اليابان فان الشعوب العربية كلها يمكنها أن تتبع مدرسة أروبية دون أن تتخلى عن حضارتها وعن تقاليدها . وانما الشيء الذي يلزمها هو أمة أروبية تقبل منهم أن يكونوا صلة بين الماضي والحاضر ، من غير أن يقودهم هذا الى الاستعباد » .

---

13 ـ هذه عقيدة فرحات حينما كان يحمل حرارة الشباب واندفاعه ، وان تنازل عنها ـ ولو ظاهرا ـ حينما اتسع أفقه السياسي وظهرت شخصيته كاحدى الشخصيات القيادية فى ميدان الانتخابات والنيابة .

ان الشبان الجزائريين يتمنون أن تكون هذه الأمة الأروبية هي فرنسا ، وأن تكون الجزائر وباريس ملتقى للمثقفين العرب بقصد المساهمة في النهوض بالعالم الاسلامي • ان واجبهم أن يضطلعوا برسالة جر فرنسا للقيام بهذا الدور » •

« ان هذه العناصر الرئيسية التي حددتها قد كونت منها الخطوط العريضة لبرنامج جزائري يقود الى انجازات عملية ، بعد التحصيل على خطوة : المدرسة ، والطريق ، والعلاج الطبي » وكتبت :

وبفضل سياسة أفضل سنجد في يوم قريب جبالنا مغطاة بمساكن بيضاء ، وطرق معبدة ، وعيون يتدفق منها الماء الصافي • وسينهدم الكوخ ليصبح أثرا بدون رجوع •

وفي الدواوير ـ القرى ـ البعيدة حيث تربض « مشتى الديس والطين ـ مساكن الخوص ـ ستربض في مكانها حجرة ويرتفع البناء ، فتتكاثر الديار وتتعدد ، انها : المدرسة ، ومجلس الجماعة ، والمستشفى ، ودار البريد ، ومركز الدرك • وهناك تكون انصحة والعلاج ، والأمن • والأهالي يسرعون ، يتجمعون ويستقرون ، وتنشأ القرية » •

« وحيث المحراث يصنع ، والفكر يتثقف وينتظم ، واليد تقتني وتتلقى العنوان وتحت شمس افريقيا الذهبية ، واحترام وحب العمل والسلم تدخل جميع القلوب » •

هكذا ، وبعد هذه الجولة الطويلة يشرح لنا السيد فرحات عباس مقصده من هذا التنازل في سياسته ، وهو يعتقد ـ اذ ذاك ـ أنها أحسن وسيلة للتوصل الى المرغوب ، فيقول :

« وليعتقد من شاء أن فرحات عباس كان مغفلا لأن المذهب الذي كان أخذه عن الأستاذ : شارل أندري جوليان ، ليس الا صورة طبق الأصل • بل وأكثر من ذلك ان رجليه كانتا على أرض صلبة ، ذلك لأن اختياره للعمل في دائرة القانون الاستعماري كان اختيارا للطريق الأقرب ، لأن

حالة شعبه البئيسة التي كانت تتفاقم يوميا ، يجب أن تتداركـ بسرعة ، والانتظار سيؤدي الى الخطر المميت • (14)

انه يعتقد أن الفرنسيين فى الجزائر ليسوا كلهم سيئين بل منهم جماعة ــ ولو أنها قليلة ــ بدأت تشعر بحالة الجزائر التعيسة ، فطالبوا لنا بزيادة المدارس بالتكوين المهني وببعض الاصلاحات الاجتماعية والسياسية •

لا سيما وأن الحكومة الفرنسية كانت عينت سنة 1927 شخصية يسارية هو السيد موريس فيوليت ، حاكما عاما فى الجزائر ، وأحيا هذا بعض الأمل فى الأوساط الاسلامية • لقد كانت بواكير أيام الاحتفال القرني باحتلال « المستعمر » حيث صرح فيوليت أن سنة 1930 ستكون فاتحة لعهد جديد لسياسة أقل استعمارا وأكثر انسانية وأكثر واقعية • (15)

لكن وهل يمكن للمغلوب أن يحسب فيصدق فى الحساب ؟ وهل كان الاستعمار الفرنسي فى تاريخه الطويل واقعيا مع الجزائريين ولو يوما واحدا ؟

ان جميع الآمال تبخرت أمام صلابة « الكولون » وعنجهيتهم ورضوخ الادارة الفرنسية لارادتهم ، فقد استدعي م• فيوليت قبل موعد الاحتفالات القرنية وعين مكانه م • بيار بورد Pierre Bordes ووقعت الاحتفالات « بالجزائر الفرنسية » ، وكأنه لا يوجد بها من أهاليها سبعة ملايين تجب مجاملتهم ، فى جو طافح بالعنصرية مليء بالتحديات واثارة العواطف والأحقاد ، كما تقدم بيانه بتفصيل •

وهكذا تتحقق فى النهاية خيبة كتلة النواب التي كانت فى نظر المستعمرين تعتبر متطرفة ، بينما كانت تعتبر لدى الشعب معتدلة وأقل

---

14 ــ حقا لقد كنا ، نحن الذين بقينا مرابطين فى الوطن وخارجه نتعلم لغتنا العربية مقتنعين بأن تقدمنا وسعادتنا لا يكونان الا متى نتحرر من احتلال الأجنبي ، كنا نتهم بل نخون ــ تلك الكتلة التي نسيت أصالتها واندفعت تستظل تحت مبادىء المستعمر وضمن جنسيته ومدنيته الآلية الظالمة •

15 ــ ليل الاستعمار ، ص 121ـ122 • نقلا عن جريدة التقدم ، شهر ماي 1927 •

من معتدلة ، وتصبح أمام هذا الامتحان القاسي في حاجة الى اختيار جديد تسلكه في سياستها الوطنية •

بقي أن نعرف ما هو الاختيار الجديد الذي ستتفتق عنه عبقرية شباب هذه الكتلة ؟ ذلك ما سنعرفه بعد أن نذكر حادثة انقسام كتلة جمعية النواب الى ثلاث اتحاديات سنة 1930 : اتحادية قسنطينة وعلى رأسها الشريف سيسبان ، ثم اتحادية وهران برئاسة ابن عودة وأخيرا في التاسع نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1930 اتحادية الجزائر العاصمة برئاسة زروق محي الدين ، كما تقدم •

ان لظهور حركة اتحاديات النواب المسلمين سابقية كنا ذكرنا عنها شيئا فيما تقدم قريبا ، وهي تأسيس أول حركة اصلاحية منظمة على أنقاض حركة الأمير خالد التي تبنتها «النخبة» مع شيء من التغيير ، تلك هي جمعية ، أو اتحادية ، النواب المسلمين الجزائريين الموحدة ، التي تأسست في مدينة الجزائر يوم 18 جوان ـ حزيران ـ سنة 1927 م بزعامة الدكتور بن تامي •

ويعتبر برنامج هذه الجمعية ـ في الواقع ـ متواضعا كثيرا • فمحاربة «الكولون» المستعمرين لبرنامج الأميرخالد الذي كانت تبنته النخبةجعلت أصحاب الجمعية يتراجعون الى برنامج « عملي معقول » أي لدى المستعمرين • وقد تقدم بيان هذا البرنامج فليراجع •

الاختيار الجديد

لقد كان في هذه الفترة ابن جلول وعباس شابين مغمورين ، ريثما تخرجا من الجامعة أولهما طبيب والثاني صيدلي ، ولكنهما يمتلئان حيوية ، ويفيضان حماسا ، مما دفعهما الى المشاركة في الكفاح السياسي بكيفية أو بأخرى •

أما فرحات عباس فقد ابتدأ نشاطه بالكتابة في جريدة « التقدم » التي كانت تعتبر لسان حال « جمعية النواب » تحت ادارة الدكتور

ابن تامي ، فكتب فصولا طوالا ثم جمعها ــ كما تقدم ــ فى كتاب أسماه « الشباب الجزائري » وذلك عام 1931 ؛ وقد أثار هذا الكتاب ضجة ، خصوصا لدى المستوطنين الفرنسيين •

وأما محمد الصالح ابن جلول فقيل انه كان معجبا ببرنامج الأمير خالد وبعمله السياسي ، وهذا ما جعله يندفع الى نشاطات سياسية ، ويظهر بحيوية ممتازة فى الانتخابات المحلية وفى الصحافة • وما أزفت سنة 1933 حتى ظهر ابن جلول ليس بالشخصية العادية ، على رأس « اتحادية النواب المسلمين القسنطينية » ، وبدأت تظهر فيه ملامح الزعامة ، بسبب ما امتاز به من شجاعة فى نشاطاته الانتخابية واتصالاته بالادارات الاستعمارية وبمسؤوليها • لاسيما مع ما يعبر عنه ــ يومئذ ــ « بالرؤساء الأهالي » وهم الموظفون المسلمون الكبار من « الباش أغوات » و « الأغوات » و « القياد » •

فقد كان ابن جلول يتناول هؤلاء الموظفين ، فى اتصالاته بهم ، بكل شدة وبمنتهى الصلابة والاحتقار ، ويذهب لحد الصفع أمام الجمهور (16) •

وبما أن هؤلاء الرؤساء كانوا هم الواسطة القوية بالنسبة للادارة الاستعمارية ، فبواسطتهم تؤدى الضرائب المجحفة ، ويجند أبناء الجزائريين للخدمة العسكرية ، وبواسطتهم تتحكم الادارة فى الشعب ، وتطلع على الجليل والحقير من تحركاته ••• الخ فبسبب كل ذلك كانوا بغيضين لدى الشعب فى الوقت الذي كانوا رهيبي الجانب •

وجاء ابن جلول وعرف كيف يستغل هذه الوضعية لأنه ، فى اعتقادي، وكما يقول الأضداد ، عرف أن أي عربي مهما كانت قيمته لا يكبر فى أعين الفرنسيين ولا يجعله وظيفه العالي مكان احترام لديهم • وبخاصة

16 ــ لقد كانت هذه المواقف من ابن جلول يعتبرها البعض من أضداده تمثيليات مقصودة . والبعض الآخر يتهمه أنه ليس بشجاع ولكنه متواطىء مع الادارة فى واقع سياسته فهي تتغافل عنه لفعل ذلك مع موظفين عرب ، حتى ينجح فى الانتخابات .

عند الكولون ، وبيدهم الحل والعقد . فالمهم أن لا يعتدي عليهم وهم السادة ، أما اعتداء العربي على العربي ، وهم كلهم رعايا ، فهو لا يهمهم بل تارة يكون لهم مصدر لذة ومثار نكتة وفكاهة .

وهكذا يصبح ابن جلول الزعيم الأوحد ، والمجاهد الكبير ! وحتى أنه أصبح « ولي الله وحبيبه » ، فأرسل الملائكة يخدمونه ، وسخر له طائرة الهية ينتقل بها حتى لا تصيبه مكائد الكفار ..! حتى أن مؤامرات الرؤساء الأهالي التي يحيكونها ضده في كل مرة ، فلا يلبث أن يخرج منها ظافرا منتصرا .

واشتهر اسم ابن جلول ــ في أول الثلاثينات ــ وفشت أخبــاره وتعلقت محبته بكل قلب ، فقيلت فيه الأمثال وأنشدت الأغاني (17) ولم تفت هذه الفرصة التجار اليهود الذين كانوا مستولين على السوق، وهم يتقنون اغتنام الفرص لاستلاب الأموال فسموا أنواعا من الملابس والأقمشة باسمه : « محارم ابن جلــول » و « حرير ابن جلول » و « شلاغم ابن جلول » (18) وكانت بالفعل تجارة رابحة لليهود ، خاصة في الوسط النسوي ، فما من امرأة محترمة الا ويجب أن تكتسب هذه الملابس الممتازة .

هذا بالاضافة الى مواقفه السياسية الشجاعة ، والتي كانت تظهر ــ خصوصا لدى العامة ــ أنها منتهى المرغوب ، بمــا تقدم به من أسلوب ، وذلك مثل مطالبه الاقتصادية ومطلب المساواة ، ومثل تأييده لفكرة م . فيوليت ولبرنامجه الاندماجي .

وقد استعان على هذه المهام بالصحافة أيضا ، فقد كان لمدة مديرا لجريدة « الاقدام » مع الصادق دندان قبل أن يترك مكانه للفرنسي ج . فراندجان . وبها واصل دفاعه عن الفلاحين أثناء تلك الضائقة

---

17 ــ من الاغنيات التي أنشدت على شرفه :

اى لالــــي لالــــي ــ صالح بن جلول الزي الغالي

18 ــ المحارم : مناديل ، فولارات . الشلاغم : شوارب الرجل من الشعر .

الاقتصادية ، يضاف لذلك حسن اتصاله ببعض الشخصيات الحاكمة وتأثيره فى أوساطها أحيانا ... الخ .

ومما يحكي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان من المؤيدين لابن جلول من أول مرة بل من المدافعين والمشجعين له لدخول ميــدان الانتخابات ، بقصد أن يكون مقاوما لبعض النواب المتعاطفين مع الادارة ومع الطرقيين وعلى رأسهم النائب ابن علال (*) لأن هؤلاء كانوا وراء صدور قرارين من عامل عمالة الجزائر اللذين أصدرهما بتاريخ 16 و 18 فبراير ــ شباط ــ 1933 بامضاء م . ميشال الكاتب العام بادارة عامل العمالة ، واللذان يمنعان المنتسبين لجمعية العلماء من الوعــظ والارشاد في المساجد الحكومية . (19)

هذه بعض العوامل التي جعلت ابن جلول مؤهلا ليكون على رأس « اتحادية النواب المسلمين » لقطاع قسنطينة عام 1933 ويترشح هو وأعضاؤها لانتخابات المجالس العمالية « الولائية » سنة 1934 ، وتحوز الاتحادية على أغلبية الكراسي فى العمالة القسنطينية .

وقد فاز بجانبه السادة : فرحات عباس من سطيف ، الدكتور سعدان من بسكرة ، قهاريه الزين من سوق أهراس ، ابن خلاف من جيجل ، الدكتور اسماعيل الاخضري من قالمة ، ابن عبود الحاج محاته من عين البيضاء ، وعبد الكريم بو الصوف من ميله ، صراوي محمد الصالح من الخروب .

وقد ظهرت حركة اتحادية النواب القسنطينية فى عيــون المستوطنين حركة غير مرضية ، بل ربما ــ يقول عباس ــ أمام انتشارها وحزمها جعلت المستعمرين يتوجسون خيفة منها ، لحد أن أخذوا ؛ كعادتهم ، يصورون للحكومة المركزية خطورة الحالة ، ويحملونها مسؤوليتها أمام الخطر الداهم ... ! وكانت الاستجــابة من هذه الحكومة أسرع

(*) عن الشيخ محمد الصالح ابن عتيق (هيدوك) .

19 ــ راجع فى الشهاب المقال المتعلق بالقرارين (ج6-م9) ــ ماي 1933 .

ما يكون ! مستعملة عوامل من الخوف والاثارة ، وتارة الانتقام من الأهالي بواسطة الجهاز القمعي الاستعماري » •

بيد أن هذا القمع مع تأثير الجروح التي تركتها احتفالات القرن زادت جميع الحركات الوطنية تحركا ، وألهبت فيها روح المقاومة • فحركة « نجم الشمال الافريقي » المنحلة والتي كانت تعمل بصفة سرية ، قد استشاطت من جديد وظهرت تحت اسم « نجم الشمال الافريقي المجيد » Glorieuse étoile nord africaine سنة 1933 (20) كما تقدمت الاشارة ، وظهرت – كما يقول د• احسان حقي فى كتابه « الجزائر العربية » بشكلها الجديد الواضح ، وهو العمل فى نطاق عربي تحريري صرفا ، وأخذت جريدة « الأمة » الناطقة بلسان المنظمة (21) تدعو صراحة الى الثورة ، وتطالب باستقلال الشمال الافريقي بكامله •• » •

وجمعية العلماء المسلمين تحركت هي الأخرى للمطالبة بفصل الديانة الاسلامية عن الادارة الفرنسية – مثل الدينين المسيحي واليهودي – وبحرية التعليم الديني واقامة الاحتجاجات ضد قراري منع الوعظ والارشاد •

بينما اندفعت حركة اتحادية النواب بزعامة ابن جلول ، كما تقدم – ووجدت هذه الحركة تربة ممهدة ، لاسيما بالنسبة للأفكار المعتدلة المكتفية بطلب الحقوق فى ظل الأمة الفرنسية ، مما ساعد ابن جلول على المغامرة فى طريق تشبه طريق رجل سياسي حر ، كأحد أبناء فرنسا – ومكن له نجاحه فى الانتخابات سنة 1934 بجانب كتلة لا بأس بها ثقافة وحيوية من مؤيديه ذوي « الفكرة الليبرالية الاندماجية » – ان صح التعبير – • وانتهى ابن جلول بمواقفه الشجاعة الى أن يظهر على المسرح السياسي بصفة الزعيم المؤيد من الشعب ، وحتى من الله ! • كما تقدم بيانه •

---

20 – في ح–و–ج–لسعد الله سنة 1932 وهو غلط •

21 – صدرت جريدة الامة سنة 1930 وسيأتي الكلام عن جرائد هذا الحزب •

ومما رويته عن شاهد عيان كان موظفا بادارة الضرائب أن ابن جلول كان فى زيارة عمل بعين توتة وبريكة ، بناحية باتنة ، سنة 1936 وذلك بقصد الاطلاع على أحوال الناحية ــ بصفته نائبا ــ ؛ وبقصد جمع الأولاد المهملين اليتامى ليدخلهم فى « دار الميتم » بسيدي مبروك ضاحية قسنطينة ، التي كانت له يد فى انشائها ، وأثناء مقابلته مع حاكم الناحية م • لابورد Labordes فى عين توتة ، والحاكم مينتريت Meintrite فى بريكة ، وبمحضر « القياد » وجموع من الشعب ، ألقى كلمة فى التحريض على انقاذ الجيل الناشيء من الجوع والجهل والذل ، وبعد الكلمة تقدم اليه شيخ مسن من الشعب وبيده حبة من القريوه « تالغوده » (22) وقال له : هذه معيشتنا ووضعها فى فمه • فتكلم أحد القياد ناهرا ذلك الشيخ وأمره بالخروج • ولكن ابن جلول رد على القائد قائلا : ماذا تقول ؟ لماذا يخرج هذا الشيخ ؟ ان له كل الحق أن يتكلم عن حالته وحالة اخوانه السيئة » وأثناء مشادة بالكلام بينه وبين القائد ، أضاف ابن جلول مخاطبا ذلك القائد : « انهم ــ الفرنسيين ــ يلبسونكم كالعرائس ويقدمونكم للناس فى مظهر النساء » فرد عليه القائد ردا قبيحا ، فصفعه ابن جلول •

قال لي الزين ميسي ناقل هذه الحكاية : لقد كنت حاضرا وشاهدت الحادثة بعيني رأسي ، ثم ذهبت الى مقر عملي فى « ادارة الضرائب » فوجدت رئيس مصلحتنا القابض (Le Receveur) يقول لزميله اليهودي : « لقد رأيت الشماتات والوضاعات كثيرا فى عمري ولكني لم أر وضاعة ولا شماتة مثل العرب » • قال ميسي : ووقعت بيني وبينه مشادة كبرى أدت بي ــ للخروج من مأزق العزل ــ الى الاستقالة من منصبي » • اهـ

وهذه حكاية أخرى نقرؤها فى رسالة للدكتور ابن جلول ردا على جريدة الديبيش القسنطينية (La dépêche de Constantine) الاستعمارية على مقالها المغرض • (22)

22 ــ القريوه أو تالغوده بقلة نباتية يأكلها الفقراء فى سنوات المجاعة عوضا عن الحبوب لأن طحينها يشبهها ولكنها رديئة وضعيفة الغذاء .

23 ــ تعريب جريدة النجاح ، ع 1973 ــ 26 مارس 1937 .

يقول ابن جلول : « سيدي مدير جريدة الديبيش القسنطينية أتشرف بأن أتوجه الى لطفكم وبشاشتكم المعتادة لكي تنشروا على صفحات جردتكم جوابي على المقال الذي برز أمس فوق صحيفتكم ، وكان متعلقا بشخصي .

لقد شرحت الديبيش حادثة عين مليلة التي جرت يوم الجمعة 19 الجاري (مارس 1937) حين مرور لجنة البحث البرلمانية ، بأربع وعشرين ساعة متأخرة ... وكان من حق الديبيش أن تنشر الحادثة في اليوم الذي برز فيه البلاغ المتعلق بذكر أعمال اللجنة في عين مليله . واننا نتساءل عن هذا التأخير،سواء كان مرادم أو غير مراد ، هل أريد به خدمة نظرية ، أو رفع قضية ؟ وهل المراد منه « حصول طبخة جديدة » (24) .

أفلا يكون لنا الحق أن نفكر في أن المقصود هو السعي بتعظيم حادثة من دون قياس ولا ميزان ؟ لا لغاية نفس الحادثة بل لتحويل نظر أعضاء اللجنة ومحو التأثير العميق الذي حصل لهم من أجل التعاسة القصوى التي يعانيها عشرون ألفا من الأهالي رجالا ونساء وأطفالا كانوا يسرعون الخطى في أنهج القرية وهم على غاية من النحافة كالأشباح التي لا تزال حية ، وقد أسرعوا الخطى لينادوا أمام أعضاء اللجنة : « اننا نموت جوعا ولم نجد شيئا نأكله حتى جذور « تالغوده » « والحشيش » ، « اننا نفضل أن نموت أمامكم فدوسونا بسياراتكم ، فان القواد (القياد) والحاكم هم الذين صيرونا الى هذه الحالة القصوى (كذا) اذن فأي قلب بشري يبقى بدون احساس نحو هذه الضائقة ؟ لقد اختنقت بلاعمنا جميعا وسالت دموعنا من هذا المنظر ، ما عدا السيد الحاكم وقياده الفخورين بأشرطتهم الذهبية والفضية ، والذين تسببوا في هذه التعاسة القاسية ، فانهم بقوا بدون احساس ولا شعور ...

---

24 ـ بالفعل فقد حوكم ابن جلول بمحكمة التاديب بقسنطينة يوم الخامس ابريل 1937 وحكمت عليه المحكمة بشهر واحد سجنا وبفرنك واحد تغريما ، واستانف الحكم ليطلب حضور رئيس اللجنة البرلمانية «لاكروزبلير» كشاهد . وفي 30 ابريل اخرت المحكمة المحاكمة الى الرابع جوان بطلب من لاكروزبلير وفي هذا اليوم 4 جوان ، وبعد أداء لاكروزبلير شهادته المعتدلة ، ابقت على الحكم السابق وأدين ابن جلول فعلا .

اني رجل ـ يضيف ابن جلول ـ أتحمل مسؤولية فعلي ان عاملت الحاكم بقولي له : « لأنك ساقط الفرنسيين » كما تقول علي بلاغكم ، لأنني أعلم ـ ويا لحسن الحظ ـ انه لا زال يوجد الفرنسيون الأشراف حتى بالجزائر •

ثم يقول : في الوقت الذي يعبر فيه المسلمون عن معاضدتهم القلبية لفرنسا يقوم سقاط الفرنسيين بتسليط المجاعة واليأس والثورة (الاثارة) وربما بتسليط عداوة فرنسا ـ على المسلمين • واني لا أعترف بأن م • لوجار يمثل فرنسا بعين مليله رغم أشرطته » •

ويختم ابن جلول : أخيرا أقول ان حادثة عين مليله يجب أن تسفر عما ترجاه النواب المسلمون ومنوبوهم بفارغ صبر ، وانني أقـــدم للحكومة مسألة هي : اما أن يعهد الينا ـ نحن النواب المسلمين ـ ومن تحتنا رؤساء وأعضاء الجماعات الدوارية بادارة مقدرات الأحواز • واما أن تبقى تحت ادارة الشؤون الأهلية وتصرف الحكام والقياد ، ونكون نحن بمعزل عن ذلك •

ولاشك أنه ان عهد بادارتها للنواب وأعضاء الجماعات فان الوطن لابد أن يظفر بالعدل والسلام الاجتماعي والطمأنينة والرفاهية • وباسم النواب المسلمين أقسم وأضمن تحقيق هذه الأشياء ان جعلت الأحواز الممتزجة تحت تصرف النواب والجماعات » اهـ •

التوقيع : الحكيم ابن جلول

الى الوفـــاق

وهكذا تتطور الحالة الى ظهور اتفاق شـامل بين جميع الهيئـات الوطنية ، لا فرق بين الدينية منها والسياسية ، على المطالبة بتغيير الحالة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر ، كل حسب منهجه • وبخاصة لدى نشر الدعاية الانتخـابية ، التي يتمتـع ـ عـادة فيها الجزائريون بشيء من حرية الكلام . مما أدى الى وقوع حوادث عنف ،

وسقوط قتلى وجرحى برصاص القوات الاستعمارية • لا سيما في مناسبة الانتخابات البلدية عام 1935 •

يقول فرحات عباس : أثناء حملة انتخابات تجديد المجالس البلدية سنة 1935 تفجرت حوادث في قسنطينة وبجاية وسطيف وبصفة خاصة في بسكرة حيث وضعت الشرطة تحت تصرف رئيس بلدية فاشيستي ، وهو مدير لمصرف ، فأطلقت نار رصاصها على الجماهير المحتشدة فسقط ثلاثة من قدماء المحاربين المسلمين ، الذين كانوا في صفوف « الجيش الفرنسي » قتلى وعدد من الجرحى • لكن الأجهزة الحكومية التي كانت كلها بجانب الاقطاعيين الفرنسيين قد غطت على المجرمين ولم تعرف الا القمع والاعتقال للعرب ، وأغلقت مقاهي الأهالي ، وساقت أساتذة اللغة العربية الى المحاكم الزجرية ، وعزلت الموظفين المتعاطفين مع الحركة ، وخربت حالة التجار والفلاحين بتوظيف الضرائب المفرطة والغاء القروض الفلاحية ••• الخ • (25)

أما اتحادية رؤساء البلديات الفاشيين فقد طالبت بارسال بعثة من فيلق القناصة واستدعاء كتائب الجنود العرب الى فرنسا وتعويضهم بكتائب من الجنود السود • وطالبت أيضا بايقاف المشوشين واحداث فرق « الحرس المتنقل » Gardes mobiles • على أن المشوشين في نظرهم ليسوا الا النواب المسلمين الذين يطالبون بالمساواة في الحقوق في جمهورية موحدة «غير قابلة للتقسيم» (26) •

وفي تقرير رسمي موجه من نائب عمالة العمالة — رئيس الدائرة — في باتنة الى عامل عمالة قسنطينة بتاريخ 7 فبراير — شباط — 1935 تحت رقم 810 يقول :

« في عجالة رقم 2295 تاريخ 31 جانفي — يناير — الأخير ، كنتم رغبتم مني كثيرا اعطاء رأي في تنصيب فرقة من « الزواف » في باتنة استجابة للمطلب الملح من السيد النائب المالي ماغليولي Maglioli

25 — ليل الاستعمار ، ص 127 •

26 — نفس المصدر ، ص 128 ، والمراد بها طبعا هي الجمهورية الفرنسية •

لي الشرف أن أعرفكم بأن الأسباب التي ألجأت لهذا القرار كانت بعد أن عرضت أصوب عرض وذلك كما يلي :

1 — في مذكرة المجلس البلدي لمدينة باتنة بتـاريخ 19—10—1933 •

2 — في تقرير نائب العامل بباتنة يوم 28—7—1933 رقم 5124 •

3 — وفي تقرير هذا الأخير يوم 12—10—1933 رقم 6966 •

4 — في مذكرة المجلس البلدي بمدينة باتنة في 30—8—1934 •

5 — في تقرير نائب العامل بباتنة يوم 6—9—1934 رقم 6449 •

وفيما يخصني فانني أقدر ، عند عدم الشك في ولاء الأهالي العام وفي جدوى تجنيد الأهالي الشمال افريقيين ، أن الأسباب التي تقتضي ارسالية طابور من جنود غير مسلمين الى مركز الدائرة هي كما يلي :

« ان المجندين من الناحية نفسها ، كما هو الحال في الأسلحة الثلاثة : الخيالة ، والمشاة ، والمدفعية ، التي تجمع جيش باتنة • فان هذه لا يمكن أن تتدخل بصفة مجدية محققة لحفظ النظام في الظروف الخطيرة » •

« على أنه من الثابت وجود حالة مقلقة بسبب سرعة تأثـر الحالة النفسية للسكان الأهالي بما انتابها من تشويش وبلبلة بواسطة بعض المشوشين الذين ينصاعون بقصد أو بدون قصد ، لأوامر تأتي بدون شك من منظمات دعائية أجنبية ، ومن أحزاب ثورية ، مما أحدث في المنطقة حالة مشابهة لما حدث في خنشلة وبسكرة » •

« وعلى هذا فالوقوف بحزم لسد الطريق أمام أحداث ممكنة الوقوع جدا ، اجراء يجب اتخاذه بكل سرعة • وأضيف فانه منذ وقوع حوادث الثالث أوت — آب — بقسنطينة ، وحوادث الثاني فبراير — شباط — بسطيف ، فان السكان الأوروبيين والاسرائيليين ، والسكان الأهـالي المخلصين لفرنسا ، لا يشعرون كلهم باطمئنان بل أنهم أنفسهم يمكن أن يحدث منهم حالة يكون لها رد فعل خطير في جميع المجالات » •

ومن أجل كل هذه الحقائق ، زيادة على تمرسي بأحوال الناحيــة وســكانها مع السيد النائب البرلمــاني كيطــولي J. Cuttoli والنائب المالي م . ماغليولي وزميله الأهلي م . سيبسان ، ومع السيد رئيس بلدية باتنة ، فان ارسال الطابور المذكور ، وبكــل سرعــة ــ للمنطقة أمر لازم » .

ويختم التقرير بالتدابير التي تتعلق بتموين الطابور ونقــل الجنود الأهالي الى أماكن أخرى ... ا هـ

وأمام هذه التحذيات القاسية ، فقد وجه نواب الجزائر المسلمون نداء الى الأحرار في فرنسا يستنجدونهم ، ونداء الى رئيس الجمهورية والى رئيس الحكومة والى وزير الداخلية . وقام م . مــوريس فيــوليت العضو بمجلس الشيوخ بمناشدة الحكومة لمعالجة هذه الحالة الخطيرة . ولكن ــ مرة أخرى ــ تحبط الكتلة المستعمرة كل هذه المساعي .

ومما يدل على تفاقم الحالة في تلك الفترة ، وعلى تضييق الخناق على الأهالي ،: انفجار كل الأوساط في الشعب ، واندفاع كل بمــا لديه من وسيلة يصرخ أو يئن ، أو يحتج أو يتظاهر ، ماعدا اللجوء الى العنف وقوة السلاح فقد ودعها الشعب الجــزائري منذ الثورات التاريخية فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، غير أن جميع الوسائل ــ غير العنف ــ قد استعملها الشعب الجزائري . من عرائض ، ولوائح ، ووفود ، وشكاوي ، واضرابات ، ومظاهرات ، وصحافة . وحتى الشعر فانه تدخل في المعركة ، يئن تارة ويصرخ أخرى ، ويهادن أحيانا ويهجم حينا . وعلى رأس الشعراء ــ آنذاك ــ الــكاتب القــدير والشاعر المجيد المرحوم محمد السعيد الزاهري (27) يقول في قصــيدة طويلة مطلعها :

سلت عــلي صــوارم الاشفـار من بعــد ما ملــكت علي عذاري

---

27 ـ الشيخ محمد السعيد الزاهري اديب كبير وكاتب قدير ، وطموح بقدر جمله لا يثبت بارضية الا ليرتحل عنها الى سواها . نقدته الجزائر بسبب غلطة بعض المسؤولين في ثورة التحرير فحكم عليه بالاعدام واعدم سنة 1957 ، رحمه الله رحمة واسعة .

صار اليهود اليـــوم لم يستخدمـــوا في الدور غـــير بناتنـــا الابكـــــار
من بعـــد ما كانوا عبيـــد جـــدودنا من قبل ((قرن)) وسط هذى الدار

ابني الجـــزائر لا ارى في هـــذه ابـــدا لنـــا عـــذرا من الاعـــذار

افتبصـــرون عـــلى انتهـــاك حماكم من بعد ما كنتـــم عزيزي الجار ! ؟

ام انتم ما فيكـــم مـــن غـــيرة تحمي الحرائم من اذى وشنـــــار

ومنهـــــا :

عجبـــا لشعبي عاش قـــرنا كامـــلا بين الشعـــوب بـــذلة وصغـــــار
فابكـــوا عـــلى هذى الجزائر والالى كـــانوا بهـــا ، بالمدفـــع المدمـــار

تخـــذ الفـــرنجـــة واليهـــود المسلمـــين بهـــائم الاصـــواف والابـــــار

ملكـــوا سبيـــــل العيش فى ارض الجزائر دوننا فى البدو والامصـــار

لـــم يتركـــوا للمسلمين فلاحـــة لا .. لا .. ولم يبقوا على التجار
.... الخ

ويقول محمد السعيد الزاهري فى الامير خالد بعد نفيه الى مصر قصيدة بعنوان : الى الزعيم الجزائري بالاسكندرية مطلعها :

قضيت حيـــاتي مدلجـــا ومؤوبا ولكـــن كـــاني رمت عنقاء مغـــربا

الى ان يقول :

عجبت لمن يقضي الليالي ساهـــرا الى رشـــا عـــذب المـــراشف اشنبا
يباري لفرط الحمق من بات كادحا يحاول من فـــوق السماكين منصبا
كذلك ذو ((الاقدام)) كان بشعبه الى الفخريطويسبسباتمسبسبا(28)
رعى الله شعبـــنا بالجـــزائر كلما بدا شـــارق يهـــديه الا تحجبـــا
ولولا رعـــاع يخذلون هـــداتـــه لمـــا راح فى نار الهوان مكبكبـــا

انظر القصيدة كاملة فى شعراء الجزائر للهادي السنوسي ، ج 1 ، ص 76 .

وقال الشاعر الوطني مفدى زكريا رحمه الله بعنوان : الا فى سبيل المجد :

.. نزلت على حكم السلام فان اجد سلاما فعنـــد الله ذالك الـــدم الغالي

28 ـ ذو الاقدام : فيه تورية الى جريدته (الاقدام) .

الى ان يقول :

وقمت وسيف الحق في الكف ساطع	**لتهذيب ارواح وتقطيـــع اوصـــال**
فاضحى على هام الطغـــاة محكمـــا	**سوى بدماء النصـــر ليس بهطـــال**
رايت جنـــان الخـــلد تحت ظـــلاله	**فاضحى لي الحـــامي بحلي وترحالي**
والفيت ان المجـــد سبـــل خطـــيرة	**فقدمت دون المجد روحي واموالي**
فما المجد الا جنة دون وصلهـــا	**تناثر اعنـــاق وتمزيق آجـــال (29)**

انظر شعراء الجزائر الهادي السنوسي ، ج 1 ، ص 153 .

وقال أمير شعراء الجزائر محمد العيد آل خليفة رحمه الله ، بمناسبة حادثة العمال الذين احترقوا في باخرة « سيدي فرج » وهم مختفون في مخزن الفحم حتى ينجوا من الشرطة ليقطعوا البحر الى فرنســا حيث يريدون العمل الذي لم يجدوه بوطنهم ، وقد كانت الحكومة الفرنسية منعت ذهاب العمال الجزائريين فقال فيهم متحسرا :

عـــلام يظـــل دهـــرك مستريبـــا	**تســـائلـــه ويـــابى ان يجيبـــــــا**

الى ان يقول :

قســـا البلد الجريح وضاق ذرعـــا	**بهـــم فتيمموا البلـــد الرحيبـــــا**
وادرك ربعهـــم جـــدب مشـــت	**لهـــم فاستقبلوا الربـــع الخصيبـــا**
وقالوا ان في « بـــاريس » عيشـــا	**يـــروق غضـــاضـــة وبـــلد طيبـــا**
. . . السنا المخلصين لهـــا حضورا	**السنا المخلصين لها مغيبـــــا ؟ !**
محضناهـــا المحبـــة واغتدينـــا	**نطارحهـــا التغـــزل والنسيبا**
ولبينـــا مهيب الحـــرب لمـــا	**اهـــاب بنا فارضينـــا المهيبـــا**
دســـدت في وجوههـــم النواحي	**مسالكهـــا ولم ترحـــم حبيبـــا**
وقامت ضجة في الغـــرب كبـــرى	**تصب عليهـــم النقـــد المريبـــا**
فكـــم من قـــاتل اخشى وحوشـــا	**تدب بارض « باريس » دبيبـــــا**

الخ . . . شعراء الجزائر ، ج 1 ص 13–16 .

---

29 ــ الجنة تحت ظلال السيوف ــ حديث صحيح .

وقد سبق هؤلاء الشعراء الشيخ المولود بن محمد الزريبي الازهري رئيس تحرير جريدة « الصديق » فقال متصبرا :

اذا ما المـــرء اصبح فى خمــول   فمـن ذا عـن مكـارمه يـلود ؟
اذا الازهـــار اضحت فى ذبــول   فهـل ترجى اذا ما اخضـر عود ؟
اذا ما الشمس امست فى افــول   فهل ـيا ابن الجزائرـ لا تعود؟(30)

وقبل الزريبي اهتاجت عواطف شيخنا عمار بن أحمد العطوي «مهري» رحمه الله أمام مأساة شعبه بما ينزل عليه من الظلم والاجحاف ، فلجأ الى الخيال يخاطب « الحرية » في طيف عشيقة متمردة متجبرة عليه متكبرة ، ولكنه يلجأ ــ أمام الوضع الضيق ــ الى التعبير عنها باللغة العربية فهو يقول متململا في قصيدة طويلة مطلعها :

يا سالم الفكر ان الدمع مهطــول   والبــال والقلب مكسوف ومشغول
والجســم مني ذوى بحبهــا لغـــة   والوصل والهجر : حنظل ومعسول
سبت فؤادي ولكن عز ماخـذهـا   من لي بادراكهـا فالفكـر مكبـول
خاطبتهـــا حينمـا بدت برونقهـا   الا اسعفي انني بالصـــد مقتــول

الى ان يقول على لسانها :

يايها العاشق المغرور لست لـذى   جهـــالة بربري القـــول بهـلول
اني لاولى النهي والعلم من هجـروا   طيب الكرى رغبـة والغير معضول
فهل ترى حرة بالعبـد قد علقـت   كلا .. وانت من الاحرار مفصول !
انتـم عبيـــد لعجمـة وبـربـرة   وفكركم عن بنـات العرب معـزول
فلست كفؤا لنـا اذ كيف تعشقنا   والجهل دابا على الافكار مسـدول
فقلت اني عـريب ينتهي نســـبي   للعرب اصلا وحبل الاصل موصول
ســلي تواريخنا تنبيـك ان لنـــا   شعبـا عريبـا مضى اخفاه تحويل
قالت فـلو كنت ذا علـم وذا ادب   لم تفتخـر ، ليس ما للاصل مبذول
فالفرع اذ ما خلا من كـل منقبـة   للاصل ، متكلا عليـــه ، مخبـول

---

30 ـ يعلق الأخ الشيخ حسن الوارزقي الذي نقلت عنه هذه الابيات فيقول : ان الشيخ الزريبي قد قالها على شاطىء البحر بالعاصمة مرتجلا ، فى ليلة جميلة مقمرة ، وكنا معه جماعة من الأصدقاء ، فلما قال :

اذا ما الشـــمس امســت فى ذبول   فهل ـ يا ابن الجزائر ـ لا تعود ؟

قلنا جميعا بصوت واحد : تعود ... تعود ... تعود !.

الى ان يقول :

فدع تفاخركم بالاصل والفتخـــرن بما لديكم ، فمــا يغنيــك تعويل
ان اتكالك عن اصــــل وعن نسب جهل مبـــين وذلـــة وتعطيـــل
فقلت ايتهـا الحسنـــاء معتـــذرا ان فيك خاب الرجاء فالموت تفضيل
لا تهجري شعبك المحزون قاطعـة حبل الوصال فان الشـعب معـلول
حاقت به علــل شتـــى واعظمهـا جهـل وغي واشـــراك وتبـديـل

الخ . . . الخ

زيارة وزير الداخلية ريني

عفوا لقد أخذ بي الاستطراد الأدبي الى الخروج عن السرد لحوادث تلك الفترة المؤلمة الجارحة ، وفي الأدب ما يخفف من الألم ويبرىء من الجراح • لقد تفاقمت الحوادث تلك الأيام وتكاثرت الشكاوى وكادت تتطور الخصومة الى ما لا تريده الحكومة المركزية ، وتحسبا لتوقعات هذه الخصومة ، فقد أوفدت الحكومة في النهاية وزير الداخلية المسيو مارسيل ريني Marcel Régnier ليطلع بنفسه على الحالة السيئة التي يتخبط فيها الوطن ، وليقف عن كثب من الحوادث ويتحقق من المطالب المحقة التي قدمها النواب مشفوعة بالحجج الدامغة •

ولكن كل هذا لم يثن السيد الوزير عن الاستجابة لمطالب الكولون وتجاهل مطالب الشعب الجزائري بأكمله ، وذلك لسبب بسيط هو أن الكولون قابلوه بغضب شديد وملأوا الجو عويلا وتخـوفا من هذا الشعب المتوحش عدو فرنسا •••! وطالبوا بمضاعفة أجهزة القهر • فما كان من الوزير الا اصدار قراره الذي عرف باسمه

أما مطالب الشعب الجزائري فقد أصبحت غير ذات موضوع ، بالرغم من أن جميع الهيئات الجزائرية تقدمت له بمطالب مكتـوبة ــ حسب رغبته ــ بواسطة نوابها على اختلاف مجالسهم : البلـدية والعماليـة والمالية •

وكنموذج لما قدم لهذا الوزير أثبت فيما يلي نص عريضة قدمها نوابنا البلديون بمدينة وادي الزناتي • وقد اعتمدوني في تحريرها حسبمـا يتفق والشريعة الاسلامية فكتبتها لهم وترجمها الى الفرنسـية صديقنا

الشيخ عمارة مزيان الذي كان اذ ذاك ترجمانا شرعيا بمحكمة وادي الزناتي • وهذه فقرات من نص العريضة منقولة عن مذكراتي :

1 ــ ••• اذا ثبت ثبوتا لا يقبل النقيض ــ ان بروجي فيوليت لايمس بعوائدنا وتقاليدنا الدينية الاسلامية فاننا نقبله شاكرين فضل مقدمه للبرلمان الفرنسي ، وملاحظين من جهة أخرى على أنه نظرا لتعهد الجمهورية الفرنسية ــ ووعد الحر دين ــ بأنها تحفظ الجزائريين في دينهم وتقاليدهم القومية أيضا ــ أعني في معاهدة الاحتلال سنة 1830ــ فاننا نرجو من عدالتها أن تتعهد في البرنامج المذكور بمنحه دون أدنى تبديل ، لا في الجنسية ولا في الدين ، لا في الحال ولا في المآل •

2 ــ فاذا كان برنامج فيوليت حسب الصفة والشروط المتقدمة نرجو تنفيذه في أقرب وقت ، مع ملاحظة أن هذا البرنامج ليس هو أقصى أمنية الأهالي الجزائريين ولا بالشيء الذي له التأثير الكبير في ترضية الفكر العام الجزائري •

3 ــ وبكل رغبة نرجو من عدالة الحكومة الفرنسية العزم بمحاربة البطالة محاربة فعالة حتى تزول أو تخف التعاسة الضاربة أطنابها في جميع مناحي الحياة في الوطن الجزائري ، وذلك بتأسيس المصانع الوطنية والأشغال العامة الكبرى •

4 ــ قضية المساكن الأهلية ، ان قضية المساكن تعد أكبر آفة في انتشار الأمراض والأوبئة ، وتفاقم خطر الزمنى والعجزة الذين سيكونون عالة على المجتمع ، وتجب محاربة هذه الحالة ببناء مساكن صحية وتعميمها في جميع المدن والقرى ، في الوقت الذي يجب تعميم انشاء المصحات والمستشفيات بقدر اللازم •

5 ــ اعتبار اللغة العربية لغة وطنية لها قيمتها الكبرى في أعمال وأمور الدولة في الجزائر ، ويلزم من ذلك حرية الصحافة العربية التي تعبر عن ارادة الأهالي وعما تكنه أفكار ساستهم ومثقفيهم •

6 ــ الزيادة في عدد نواب المجالس البلدية والعمالية والمالية من المسلمين •

انتهى

وثيقة مطالب قدمت لوزير الداخلية

وها هو نموذج آخر ، ففي جريدة البلاغ الجزائري التي تعتبر لسان حال الطرقيين ، وحتى جمعية علماء السنة ، نجد في افتتاحية لها بعنوان : « ما ضر لو ينال المسلم حقوقه المدنية مع احترام شرعه وديانته ؟» (31) .

« تتوجه الجزائر اليوم بكامل الرغبة بما يطلبه الابن من أمه ، وليس طلبها هذا بجديد ... وتضيف :

« واليوم لا تريد أن تضيع فرصة وجود سعادة وزير الداخلية ــ ريني ــ بين يديها دون أن تعرض عليه أمنيتها وترغب اليه أن يكون خير وسيط لها في نيل هذه الأمنية غير قاطعة الرجاء من مصادفة ساعة الاستجابة » .

ان الجزائر الممثلة في أشخاص رجالها تقدم الى سعادة الوزير رغائبها بواسطة أبنائها وكلها أمل في سعادته أن يعيرها من اهتمامه وتأييده ما يحقق أملها . عساها تستنشق نسيم الحياة السعيدة في مستقبل أيامها الزاهرة ، فقد طالما توالت عليها الأزمات وتكاثرت عليها الصدمات حتى خيف عليها أن تصبح أثرا بعد عين .

لقد بلغت الأزمات الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر مبلغا ينذر بسوء مغبة مسلمي هذا القطر ، وحار المفكرون في كيفية الاهتداء الى ايجاد حل كاف لهذه الأزمات ، ولكن تكاثرت الآراء وتفرقت الأهواء ، والأزمات متزايدة وبلغت القلوب الحناجر ، وكره الناس الحياة في هذا الاستياء « القرني » ولم تبق لهم وسيلة يلجأون اليها عساها تخفف من ويلاتهم ، سوى استصراخ واستعطاف أم الوطن عساهم يجدون عندها ما تتشوف اليه نفوسهم وترتاح اليه خواطرهم ، فأجمعوا أمرهم على هذا وقدموه الى سعادة الوزير ليبادر الى اجراء اللازم تلافيا للحالة المخطرة التي اهتم لها هو ورفقاؤه الوزراء ، وها هو قد رأى بعينيه وحقق بنفسه . وليس من راء كمن سمعا » .

---

31 ـ البلاغ الجزائري ، ع 332 ـ 2 ذو الحجة 1353 هـ موافق 8ـ3ـ1935 م .

وبعد أن تذكر الجريدة اجتماع الوزير بطبقات الأمة والسماع لمختلف العروض تقول :

« بقيت مسألة لم نر أحدا منهم حام حولها ولو على طريق الاشارة ونحب أن لا تبقى مسكوتا عليها سواء من طرف المطالبين بالاصلاحات ومنح الحقوق أو من طرف غيرهم ، بل لا بد من بسطها أمام الأنظار ، الا وهي : « المحافظة على قانون الأحوال الشخصية » ، اذ لم يبق لنا من أحكام الشريعة الاسلامية التي هي أحكام ربنا الذي ندين بدينه سوى هذه الأحكام ، وليس في المحافظة على هذه الأحكام ما يثقل كاهل الحكومة من الوجهة السياسية أو الادارية أو القضائية ، فما ضر ، والحالة هذه ، أن ينال المسلم ما يتاح له من حقوق مدنية مع بقائه محافظا على قانون أحواله الشخصية ؟ .

« ان الأمة الجزائرية مجمعة على المحافظة على قانون أحوالها الشخصية ولا ترضى تغييره بحال ، اذ هو البقية الباقية من أحكام الشرع الاسلامي التي تنفذ في هذه البلاد . فليكن الوزير وكل من يهمه أمر المسلمين الجزائريين ويعطف على قضيتهم المعقولة ببال من هذه المسألة الهامة ــ مسألة المحافظة على قانون الأحوال الشخصية ــ فالدين هو الدين . ومن أراد أن يعرف مقدار محافظة الأمة على هذا القانون فليعمد الى اجراء استفتاء عام يجرى بكامل الحرية ، فانه يجد حينئذ الجواب الكافي » . اهـ .

لمحة عن ظروف تلك الفترة الحــرجه

كانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة : 1930 ــ 1936 في حالة سيئة ، زادت تأثيرا على الوضع العام • ففضــلا عن البلبلة السياسية التي أحــدثها المستعمــرون بتصرفاتهــم العنصرية ، وباغارتهم للصدور أثناء احتفالات القرن التي استمرت من سنة 1930 الى سنة 1936 ، حسب احتلال المدن الجزائرية كمــا تقــدم بيانه ، وبمناولتهم جميع الحركات الجزائرية بنفس الشدة والاحتقار ، سواء منها الثورية ــ « المتطرفة » في نظرهم ــ كنجم الشمال الافريقي ، أو الاصلاحية كاتحادية النواب المسلمين ، أو الدينيــة كجمعيــة العلماء المسلمين الجزائريين ، قلت زيادة على هذه البلبلة السياســية ، كانت الضائقة الاقتصادية تضرب بشدة ، سواء في الجــزائر أو في فرنسا نفسها •

ففي الجزائر توالت على الأهالي سنوات جــدب وبخس في أسعار منتوجاتهم لا قبل لهم بتحمل آثارها ، هذا زيادة على توقعات ارتفاع الضرائب التي كانت محل جدال كبير بين الأحزاب والكتل الفرنسية ، الأمر الذي أدى الى سقوط وزارة م • بول بونكور ، فعمــد رئيس الجمهورية م • لوبران الى تعيين المسيو دالادي الزعيم الراديــكالي خلفا له ، وحرر دالادي برنامجه المالي الذي يطالب بنحو العشرة ملايير فرنك (10•000•000•000) نصفها ضريبة على الدخل الشعبي ، وهو مبلغ ضخم ــ حينذاك ــ ستنوء به الأمة الفرنسية ذات الدخل المرتفع، فكيف بحال الشعب الجزائري الذي تهده الفاقة ؟!

فتنــــة الخمــور :

ويضاف لما تقدم ضائقة أخرى حدثت للفلاحين « الكولون » بسبب خلاف وقع بينهم وبين فلاحي فرنسا فيما يمكن أن نسميه « فتنــة

الخمور » بما لها من انعكاسات سيئــة على الفــلاحين الجزائريين والعمال . ففلاحو الجنوب الفرنسي الذين هم على ضفة البحر الأبيض الشمالية ، والذين ينتجون الخمور بكثرة كانوا أصيبوا بنكســة في أسعار خمورهم أمام خمور فلاحي الجزائر التي تعتبر أجود منها بكثير وأقل تكلفة . فلجأوا الى حكومتهم يستنجدونها أن تمنع دخول خمور الجزائر الى فرنسا ، أو ــ على الأقل ــ تحديده .

ويرد فرنسيو الجزائر : ان هذا الطلب غير قانــوني ، اذ لو طبقته الحكومة الفرنسية لوقعت في التفريق بين أبناء فرنسا ، أي بين أبناء الوطن الواحد والجنس الواحد . لأن ــ في عرفهم ــ أن الجزائر جزء من فرنسا لا يتجزأ وليست مستعمرة .

ويجيب فرنسيو فرنسا : بل ان الجزائر غير فرنسا ، وبالتالي فهي ليست جزءا من فرنسا بدليل استقلالها المالي وامتيازها بالمجلس النيابي المالي الخاص بها ، وغير ذلك ...

ويجيب فرنسيو الجزائر بأن الجزائر جزء من فرنســا وقطعة منها بدليل أنه تجري عليها نفس الأنظمة والقوانين التي تجري بفرنسا الأم ، وأن نفس وزارة الداخلية في فرنسا هي التي تشرف على الجــزائر ، وتعين عمال «ولاة» عمالاتها الثلاث وأنهم ــ أي المستوطنين الفرنسيين ــ في ساعة العسرة يصبحون في الخطوط الأولى من أبناء فرنسا ،ويقومون بقسطهم الوافر من النفوس والأموال في ميادين شرف الدفاع عن الوطن الأم .

بيد أنهم ــ أي نفس هؤلاء المستوطنين ــ ، ومن مفارقاتهم العجيبة ، يقفون في نفس الوقت موقفا مغايرا اذا حاول رجال فرنسا الأحرار أن يتكلموا في صالح السكان الأهالي الجزائريين ، مثل ما اصطلح عليــه في سياستهم « بالحريات الجزائرية » فهم يريدون أن تكون الجزائر ــ كوطن ــ قطعة من فرنسا لا تتقطع ، على أن تكون هذه الجزائر ــ ــ كشعب ــ ليست من فرنسا في شيء .

ومعني ذلك : حيازة الأرض وتجاهل سكانها وكأنهم لم يوجدوا في هذه الأرض ، تماما مثلما وقع اليوم في فلسطين ، فقد سلمت أرضها للصهيونيين حيث هرعوا اليها من جميع أطراف العالم وأقاموا بها دولة اسرائيل ، وتجوهل سكانها وكأنهم لم يكونوا فتشردوا في جميع أطراف المعمورة ! •

بل فالمستعمرون « الكولون » وبعد مرور قرن كامل على الاحتلال لا زالوا متشبثين باجراءات نزع الأراضي للاستعمار وتشريد أهلها • بحيث لما صرح الوالي العام في الجزائر المسيو كارد سنة 1933 بالعدول بتاتا عن سياسة نزع الأراضي من الجزائريين ، قامت قيامتهم ضد هذا التصريح واعتبروه مساسا بسيادتهم وخطرا على وجودهم •

يقول كاتب ركن « مسائل جزائرية » في مجلة الشهاب : وأثناء المناقشة والجدال في موضوع الخمور اكتشف الفريقان اكتشافا غريبا له في الموضوع أهميته ، وتزداد تلك الأهمية يوما بعد يوم • اكتشفوا أنه يوجد في الجزائر عنصر أهلي ••• وأدركوا أن هذا العنصر الذي وقع اكتشافه حديثا يمكن الاستفادة منه واعتباره حجة من حجج الاثبات ••• » •

ويحاول الفريقان أن يستفيدوا معا منه ، فرجال فرنسا يقولون في معرض الدفاع عن فكرة التحجير على خمور الجزائر : ان رجال الاستعمار الجزائري يستثمرون الجزائر لفائدتهم الخاصة ، ولا ينال الأهلي معهم الا نصيبا حقيرا ، وأن الخمور الجزائرية تعتمد ، في مزاحمتها للخمور الفرنسية ، على الأجور الطفيفة التي تدفع للعمال المسلمين ، بينما منتجو الخمور بفرنسا يدفعون أجورا عادلة للعمال الأوروبيين •

« اما رجال الاستعمار في الجزائر فقد أخذوا في وضع الأهالي بكفة الميزان لفائدتهم ، ويريدون أن يقنعوا الحكومة في باريس بأن قسما عظيما من الأهالي لا يعيش الا من عمله في الكروم ، فكل مساس بحرية الخمور الجزائرية يزيد في بؤس الأهالي وشقائهم » •

ومن هنا أخذت تنشأ احصاءات غريبة ، فمسيو « بارت » زعيم الطائفة المعارضة بفرنسا للجزائريين المستعمرين يحتج باحصاءات عن الأجور الضئيلة التي ينالها المسلمون مقابل عملهم في الكروم • والولاية العامة بالجزائر ، وهي مناصرة طبعا للمستعمرين الفرنسيين في الجزائر، تنشر احصاءات مبتكرة عن أهمية عمل المسلمين بتلك الكروم •

« وبين أيدينا ــ يقول الكاتب ــ الآن رسالة أجاب بها الوالي العام « م • كارد » عن سؤال موجه من «م•مورينو» نائب قسنطينة ، مختص بأهمية اليد العاملة الأهلية ــ عدديا ــ في خدمة الكروم » •

فمسيو كارد يقول : أن عدد العمال المسلمين في خدمة الكروم ، اعتمادا على نسبة المساحة المغروسة والمعلن بها عام 1931 يجب أن يكون هكذا :

عمال رسميون بعمالة الجزائر :	25.000 عاملا
عمال رسميون بعمالة وهران :	» 35.000
عمال رسميون بعمالة قسنطينة :	» 5.000
جملة العمال الذين لهم عمل دائم :	» 65.000 «
عمال وقتيون بعمالة الجزائر :	» 125.000 «
عمال وقتيون بعمالة وهران :	» 180.000
عمال وقتيون بعمالة قسنطينة :	» 25.000
جملة العمال الوقتيين :	» 330.000 «

فجملة العمال المسلمين الذين كانوا يعملون في الكروم عند المستعمرين ، سواء بصفة دائمة أو وقتية يبلغ ، حسب احصاء م • كارد 395•000 عامل سنة 1931 م ، ويقول م • كارد في رسالته : ان أعمال الكروم قد نشطت في السنتين الأخيرتين وانتشرت الغراسة • لهذا فجملة العمال المسلمين بالكروم يجب أن يكون الآن قريبا من 450•000 عامل ، جل حياتهم أو كلها من خدمة الكروم • أما ما يناله هؤلاء العمال من الأجور سنويا فهو يتراوح بين 475 مليونا وخمسمائة مليون فرنكا في السنة •

ويقول الكاتب : ونحن نرى أن في هذه الرسالة نقطة قوة ونقطة ضعف معا • فمن المحقق من جهة ، أن المستعمرين يستطيعون الاحتجاج بقولهم أن قسما كبيرا من الطبقة العاملة الأهلية سيصبح عاطلا اذا قررت فرنسا عرقلة أعمالنا • لكن مسيو بارت زعيم المعارضين للجزائريين لا يلبث أن ينتصر برسالة م • كارد نفسها قائلا :

« أرأيتم كيف أن المستعمرين في الجزائر يستخدمون اليد العاملة الأهلية بثمن بخس لا يكاد يذكر ؟ اذ لو فرضنا أن معدل ما يناله العامل في اليوم الواحد هو عشر فرنكات ، سواء كان وقتيا أو رسميا ، فان مقدار الأجور التي تبذل لمجموع العمال المسلمين يجب أن يكون مليارا وستمائة وعشرين مليونا في السنة (1•620•000•000) فأين هذا المقدار من الخمسمائة مليون التي يتكلم عنها مسيو كارد ؟ فمعدل ما يناله العامل الأهلي في اليوم ، حسب احصاء م • كارد هو نحو ثلاث فرنكات فقط لا غير ! » (1) •

الأزمة تنتشر

هذا ولم يقتصر تأثير الحالة الاقتصادية والسياسية على الجزائر والوطن الفرنسي فحسب ، بل تعدى حتى الى محميات فرنسا وموصياتها ، وعلى رأسها تونس وسورية الشقيقتان ، ففي بلاد تونس ، المحمية الفرنسية ، تنفجر أزمة اقتصادية شديدة بسبب الضائقة التي يعانيها الفلاحون المسلمون من جراء الديون التي تراكمت عليهم مع عجزهم عن أدائها نتيجة شدة الجدب الذي ضرب الايالة ، وتغافل الادارة الفرنسية (الحامية) عن انقاذهم ، مثل زملائهم من الفرنسيين، من الافلاس الذي أدى الى بيع مكاسبهم المتواضعة بالمزاد العلني •

وقد تطورت تلك الأزمة الى أزمات ثلاث : اقتصادية ، وسياسية ، ودينية ، تطورا أدى الى حوادث خطيرة ، كما سأبين بعضا منها فيما يأتي • الأمر الذي حدا بالحكومة الفرنسية الى ارسال بعثة تحقيق برئاسة م • طارد يو ، الا أن هذه البعثة ، بعد رجوعها الى فرنسا ،

1 ـ الشهاب ، ج5ـم9 ، ص 203ـ207 •

خيبت الآمال التي علقت عليها عندما أعلنت في تقريرها : أن الفلاحين التونسيين غير صادقين في دعواهم الفاقة والحاجة ، بل هم يدخرون الأموال ولا يظهرونها بقصد المبالغة في الشكوى واثارة القلاقل .

بل ان الأمر لم يقتصر عند هذا الحد فعند اجتماع المجلس الكبير وتفاوض أعضائه حول الميزانية التونسية للعام المقبل ، وكان المقرر قدم ميزانية مجحفة كثيرا بالشعب التونسي الذي تتأكله الضائقة الاقتصادية، فقد كانت في التقرير كفة المداخيل تزيد عن كفة المصاريف بمبلغ مدهش ورغم دفاع النواب التونسيين دفاعا مستميتا ، فقد أقر المجلس الميزانية حسب طلب المقرر الفرنسي .

ولم تقف التحديات عند هذا الحد فقد اغتنم المقيم العام م . بيروطون فرصة وقوفه أمام المجلس الكبير وبسط القول حول الحالة السياسية في داخل الايالة التونسية ، وتطرق الى وسائل العنف التي استعملها ، وكان من ضحاياها كثير من الزعماء التونسيين سيقوا الى المنفى ، وازاء مطالبة الشعب برجوع زعمائه وقيام مظاهرات واحتجاجات ، أعلن المقيم العام أنه لن يتخذ وسائل « الحلم » التي طلبها سمو الباي الا بعد سكون كل اضطراب ، ورغم استجابة الشعب التونسي الى الهدوء والسكينة في انتظار وعد م . بيروطون الا أن هذا بقي في تحديه متجاهلا الوضعية ، وأمر بحل الحزب الحر الدستوري .

ومن الطبيعي اذا أن يتحرك الشعب التونسي أمام هذا التجاهل القاتل لحالته الاقتصادية والسياسية ، فقام نواب الأمة (بالمجلس الكبير) وطالبوا دولة الحماية أن تنشىء مصرفا « بنكا » زراعيا رأسماله أربعمائة مليون فرنك ليقرض الفلاحين بفائدة معقولة ولينقذهم من جشع المرابين من اليهود والأوروبيين أصحاب الأموال الطائلة ، وبذلك تنقذ الزراعة الأهلية وتتمكن من النمو والازدهار .

كما طالبوا بارجاع المنفيين حتى ترجع السكينة الى القلوب ، غير أن الحكومة الفرنسية لم تستجب لهذا النداء المخلص المنطقي الذي أصدره نواب الشعب فاضطروا في أغلبيتهم الى الانسحاب من المجلس الكبير ،

احتجاجا على موقف اللامبالاة من الدولة الحامية ! ازاء شعب يسير برمته نحو هاوية الافلاس والفاقة •

واذا كـان رؤوس الاسـتعمار في الجـزائر التي يعتبرونها قطعة فرنسية ، كانوا دائما مثار فتن وأحقاد واذلال للجـزائريين ، فهم لم يقتصروا بشرورهم على الجزائر المنكوبة بهم وبعنصريتهـم ، بل انهم يزيدون فيتبرعون مرة بعد أخرى على الجيران ، فقد أقام ــ أثناء هذا الظلام الحالك الذي يخيم على الجزائر وتونس ــ رأس المستعمرين المفكر م • مورينو النائب بمجلس الأمة الفرنسي عن مقاطعة قسنطينة بتقديم طلب الى وزير الخارجية الفرنسي م • بونكور (2) أن يضغط على الحكومة التونسية لتصدر قرارا لتسهيل تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية ، حتى يزيد عدد الفرنسيين بتونس عن عدد الايطاليين بها ، فتكون لهم الأغلبية في جميع المجالات ، ووعده هذا بتنفيذ الأمر •

ولما شاع هذا الخبر عند التونسيـين قامـوا له وقعدوا وأبرقوا للحكومة الفرنسية بالمعارضة ، ثم تظاهروا أمام قصر الباي بمناسبة يوم عيد الأضحى ، ووعدهم الباي بأنه أحق من يدافع عن جنسية شعبه وعن دينه الاسلامي •

ولكن الاستعماريين الفرنسيين ــ كما هو معروف عنهم ــ أشد عنادا ثم هم أحق بمساندة القوة الحكومية ، فلما مات أحد المتجنسين أرادوا دفنه بالمقبرة الاسلامية بواسطة القوة ، ولكن المسلمين قاموا صفا واحدا أمام المقبرة ومنعوا دفن الميت المتجنس محتجين بفتوى من علماء الأزهر الشريف وفتوى من مفتي بنزرت التونسي ، واضطر أصحاب القوة ، أمام تصميم المسلمين ، الى دفنه بمقبرة « الجنود الصربيين » •

بيد أن استفزازات المستعمرين وتحريضهم للادارة أديا بهـذه الى اخراج قوات قمع من الجيش ، واخترق هذا بدباباته ومدافعه ورشاشاته

2 ــ ان قانون الحماية يوجب الاتصال بين الدولتين ــ الحامية والمحمية ــ بواسطة وزير الخارجية ذلك لأن تونس تعتبر دولة محمية بفرنسا ، بخلاف الجزائر فعلاقتها كانت مع وزير الداخلية مباشرة لكونها قطعة فرنسية فى نظر الفرنسيين .

مدينة تونس طولا وعرضا ، وهاجمت هذه القوات المتظاهرين وأسالت دماءا غزيرة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل استصدرت الادارة ، بالقوة والرهبة ، فتوى من شيخ الاسلام المالكي ، تعلن فيها جواز دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية ، اذا نطق المتجنس بالشهادتين قبل موته.. والغرض من هذه الفتوى ظاهر .

وتطورت القضية تطورا عجيبا وامتدت لزمن طويل ، ووصلت جميع أرجاء الوطن التونسي ، وكان جامع الزيتونة المعمور وفروعه فى كامل الايالة ، والمعهد الخلدوني ، القلب النابض والجناح الخفاق ، اذ عمد طلاب هذه المعاهد الذين يبلغون نحو ثلاثة آلاف ومن ورائهم كثرة من أساتذتهم ، الى اعتصابات واضرابات عامة كانت أشد وطأة على الادارة من كل تحرك .

وجاءت الحوادث تظاهر بعضها بعضا ، فما كادت تخمد هذه الحوادث حتى مات أحد المتجنسين ولحقت به زوجة رئيس جمعية المتجنسين ودفنتهما الادارة بالقهر والقوة فى مقابر المسلمين ، الأول فى مقبرة مدينة « فرفيل » قرب بنزرت والثانية فى مقبرة « الجلاز » بالعاصمة التونسية . وقامت المظاهرات والاحتجاجات ، وجاء القمع والزجر من الشرطة والجيش الاستعماري ، وتوصلت الكتلة الاستعمارية فى تونس الى استصدار قرار زجري بتاريخ السادس ماي ـ آيار ـ 1933 يشبه قرار « لانديجينا » فى الجزائر ذلك القرار العنصري الذي أقض مضاجع الشعب الجزائري ، ولكن قرار تونس أشد وقعا وأوسع مجالا ، ومن صلاحيته أنه يخول للحاكم النفي الاداري لكل من يشتبه فى أمره ولو من نواب الأمة أو وزرائها ، دون تمكينهم من رفع أمرهم أمام المحكمة العليا . الا أن رجال الحركة الوطنية فى تونس لم يأبهوا بهذا القرار الجائر وأعلنوا ـ متحدين له بكل ثبات ـ أنهم لن يرجعوا عن مطالبهم ولو نفوا جميعا . بل ان هذا القرار زاد الحركة الوطنية التهابا وأعطاها انتشارا وثباتا ، فما انعقد مؤتمر « الحزب الدستوري » حتى انضم اليه كل رجال الحركة الجديدة الشابة ، ومنهم رئيس الجمهورية

الحالي الحبيب بورقيبة ، وأصدر الحزب قرارات خطيرة بعد اجتماعه(3) منها وأهمها :

اعلانه أن سياســة المشاركة التي كان يعمل لها الحزب قد ظهــر فشلها وأفلست افلاسا تاما أمام تصلب المستعمرين ، وأنه لا سبيل بعد الآن الا المطالبة باستقلال القطر التونسي •

وهكذا الحالة فى سورية (الموصى عليها مؤقتا) والتي لازالت طموحة الى تنفيذ استقلالها المعترف به دوليا ، الا أن فرنسا ــ ربحا للوقت ــ أو « خيانة للعهد » بقيت تماطل وتثير فى وجه استقلال الوطن السوري المشاكل بصفة أو بأخرى •

وأخيرا ، وبعد تصريحات رئيس الوزراء م • دلادي المنعشة للآمال، جاءت الحوادث تخيب جميع المقاصد الوطنية للسوريين ، وظهرت نية الفرنسيين السيئة جلية أثنـــاء مفاوضات الحكومة السورية ورئيس جمهوريتها من جهة ، وبين ادارة المندوب السامي م • بونسو من جهة أخرى •

فقد كان المأمول أن تسفر هاته المفاوضات على ايجاد حل للمشكلة على أساس استقلال البلاد ووحدتها ، وضمان «مصالح فرنسا الشرعية»، حسبما كانت تدعيها ، بيد أن المفاوض الفرنسي ، لسوء نيته ، قدم شيئا لم يكن فى حسبان الوطنيين السوريين ، بل ان هذا الشيء فى الواقع هو الذي كان سبب مثار النزاع ومفتاح المشكلة ، ذلك هو « الوحدة السورية » •

اذ بينما كان السوريون مستعدين لتقديم جميـــع ما يملكون من تضحيات وجهود للمحافظة على وحدتهم الشعبية والترابية ، يعمد المفاوض الفرنسي الى أن يجعل تجزئة سورية الى دويلات وشعــوب ، شرطا

---

3 ـ الحزب الحر الدستوري هو الحزب القديم الذي أنشأه المرحوم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ثم انشطر الى شطرين :
1 ـ اللجنة التنفيذية للقدامي .
2 ـ والديوان السياسي للجدد .

أســـاسيا لكل تفاهم ، لأن هذه التجـزئة للشعب الواحد ، فى منطق الاستعمار ، هي فى صالح السوريين يا للعجب ! (4) •

وتتفاقم بسبب ذلك ــ الحالة فى سورية ، ويستقيل بعض الوزراء الوطنيين من الحكومة السورية ، وأدت استقالتهم الى انسحاب كل الأعضاء الوطنيين من مجلس الأمة ، محملين المسؤولية رئيس الوزراء وهو حقي العظم اذ ذاك ، وبقية أعضاء المجلس الذين لم يستقيلوا • وعندئذ اندلعت فى الوطن السوري الشقيق الاضرابات والمظاهرات ، وأغلقت المدن والقرى أبوابها ثم توقفت المفاوضات الى حين •

فماذا كان موقف الاستعمار الفرنسي ؟ لم يكن هذا الاستعمار فى كل المستعمرات الا ذلك الوفي المخلص لسياسة المراوغة حينا ، والقمع والقهر أحيانا • فقد عمدت الحكومة الفرنسية الى استدعاء المندوب السامي م • بونسو عام 1933 وتعيينه بالمغرب الأقصى ، وعوضته بسفيرها فى طوكيو ــ اليابان ــ تخلصا من الفضيحة ، وذرا للرماد فى العيون ، وكسبا للوقت من جهة أخرى •

وهكذا تبقى القضية السورية تدور فى فلك مهزلة استعمارية بحتة ، طيلة سنة ونيف ، يكتنفها جو وطني ساخن أدى الى أن يعلن المندوب السامي الجديد « الكونت دي مارتل » استحالة عمله مع مجلس الأمة الحاضر ، رغم أنه مجلس حكومي فى أغلبيته ، وذلك ــ فقط ــ لأن المجلس أحجم عن المصادقة على معاهدة م • بونسو ، ضد ارادة الشعب

---

4 ــ نعم انه لامر عجيب أثار شاعر سورية خير الدين الزركلي فقال :

اعلل او اعلر ، تساوى العلر والعلل ... النفس ثائرة والقلب مشتعل
أدولة في دمشق ذات انظمة ... ودولة فى « السويدا » امرها جلل ؟
ودولة فى ربى « لبنان » قائمة ... بين الكهوف يقيها الصادي الجبل
ودولة فى فلسطين ؟ وجارتها ... عمان ؟ حيث يضاع الرشد والخبل !
تلكم لعمري روايات ممثلة ... فى كل يوم يرى منها لها بطل
واصبع من وراء الستر تزجره ... فلا يحيد ، وتدعوه فيمتثل
ما ضاق بي بلد مما نزلت به ... وانما صغرت فى عيني الدول (*)

(*) ش ، ج 5ـم 9 •

بأسره . فما كان من مارتل الا أن عطل المجلس الى أجل غير مسمى فى خريف 1934 معلنا فى الوقت نفسه أنه يقبل أن يعمل مع الحكومة التي كان يرأسها الشيخ تاج الدين الحسيني ، ولكن ـ فحسب ـ فى المجال الاقتصادي والاجتماعي دون المجال السياسي ...

وهكذا تبقى فرنسا فى تزمتها الاستعماري ، واغلة فى تجاهل التطور الحتمي الذي وقع لشعوب مستعمراتها ، مثل كل شعوب عالم ما بعد الحرب الكونية الأولى . فلا هي تطورت فى سياستها حسب الظروف الداخلية والعالمية ، حتى ولو لقدر يسير تسكن به المخاض العاتي الذي يرج الشعوب ويدفعها نحو التململ أو التمرد ! ولا الشعوب التي تعيش تحت سيطرتها ، وخاصة الشعب الجزائري الذي أذاقته كل الذلة والهوان ، بقادرة على الصبر والرضى بالموجود المتعفن ، والخضوع لسيطرة النار والحديد .

على أن العجيب فى الاستعمار الفرنسي أنه بقي مستمرا على تزمته السياسي المريع الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ 1939 ـ 1945 م ـ التي أتت فعلا بتحرير جميع الشعوب ، ففي الوقت الذي تنازلت فيه أختها الاستعمارية الكبرى « بريطانيا العظمى » فمنحت مستعمراتها الحرية والاستقلال بمجرد مفاوضات واتفاقيات حافظت بها على شيء من مصالحها ، أقامت فرنسا حروبا استعمارية دامت نحو العشرين سنة ، خسرت بها كل شيء .

هذا ، وقد استحسنت هذا الاستطراد الخارج تقريبا على المقصود وذلك بقصد الالمام شيئا ما بالحالة العامة فى المستعمرات الفرنسية ، حتى يمكن للقارىء فهم الوضعية القلقة التي كانت تعيشها الجزائر ، هذه المستعمرة المنكودة التي ضمتها فرنسا لبلادها كقطعة منها وكجزء من الأراضي الفرنسية لا يتجزأ ... ثم وحتى يتبلور للناس قصد الاستعمار السيء فى معاملته للشعوب الضعيفة التي وضعها القدر ، بسبب سوء تصرفها ، تحت سيطرته . سواء بصفة الاحتلال ، أو الانتداب ، أو الوصاية الدولية ، أثبت بهذه النبذة المستطردة وبالتالي ليتلخص لدينا

بكل وضوح أن الاستعمار والاحتلال الأجنبي بما أن منطقه : «اللامعقولية وخلاف القانون» وبالأحرى فمنطقه وقانونه هي القوة والقوة وحدها . فليس له ــ اذن ــ من علاج الا من من نفس المنطق ، فلا قانون يجزيء معه ولا معقولية تقنعه ، وانما هي القوة ، والقوة وحدها هي التي تفرض عليه الاعتراف بحق الشعوب وبحريتها .

وهو ما حدث بالفعل بالنسبة للاستعمار الفرنسي ، وخاصة مع الجزائر وثورة فاتح نوفمبر 1954 الخالدة ، بعد هزيمته في الهند الصينية بواقعة « ديان بيان فو » التاريخية .

لمحة عن الأحزاب الجزائرية وردود فعلها

كانت التصرفات الاستعمارية الموغرة للصدور ، أثناء احتفالات القرن، ومقابلة كل تحرك من الجزائريين بالقمع والقوة ، أثارت فى الشعب وخاصة فى الحركة القومية بجميع اتجاهاتها ، تحركات كبيرة ، وألهبت فيها روح المقاومة ورد الفعل بصفة أو بأخرى كما أسلفنا ، فاندفع كل فيما اختاره لسياسته من وسائل الكفاح ، يطالب ، أو يحتج ، أو يتظاهر .

وبقطع النظر عما كان بين الأحزاب من تداخل فى برامجها أو اختلاف واتفاق فى بعض النقط ، فانه لا منـاص من تصنيف هذه الأحزاب والهيئات — على الأقل — الى ثلاثة اتجاهات :

1 — اتجاه ثوري ، وقد عبر عنه بعض المؤرخين « بالاتجاه اليساري » وهو « حزب نجم الشمال الافريقي » .

2 — اتجاه ديني ثقافي ، وقد عبر عنه أيضا « بالاتجاه الوسط » وهو « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » .

3 — اتجاه اصلاحي اندماجي ، وعبـر عنه أيضا بعض الكتـاب « بالاتجاه اليميني» وهو « جمعية النواب المسلمين الجزائريين» .

هذا عدا حركات أخرى تعتبر ثانوية . ومنها ما لم يدم طويلا ، وذلك « كجمعية علماء السنة الجزائريين المسلمين » ، ومنها « جمعية الطرق الصوفية » ومن أنشطها — على ضآلة اقبال الشعب عليها — الحزب الشيوعي . وسنذكر فيما يلي شيئا عن هذه الحركات .

1 ـ الاتجـاه الثـوري :

فأما حزب نجم الشمال الافريقي فقد اندفع من جديد ، بعد حله من طرف السلطة الفرنسية ، وظهر تحت اسم : « نجم الشمال الافريقي المجيد » كما قدمنا بيـانه ، وعقد مؤتمرا فى باريس يوم 28 ماي ـ آيار ـ 1933 م انفصل عن برنامج عبـر عنه بعـض المؤرخين « بالاعتدال » وهو ذو مرحلتين : مرحلة أدنى وهي ما عبر عنه : بالمرحلة الاصلاحية الوطنية ، ومرحلة أقصى وهي « ثورية استقلالية » •

فالقسم الأول من البرنامج يشتمل على المرحلة الأدنى ، أو المطالب المستعجلة ، وهو يشبه لحد ما مطالب « جمعية النواب المسلمين » ـ فيما عدا قضية الجنسية ـ ويتلخص فيما يلي :

أ ـ الغاء القانون الخـاص بالأهالي (لاندجينا) وكل التدابير الاستثنائية •

ب ـ منح الحقوق السياسية والثقافية للاهـالي مثل المستوطنين الفرنسيين ، فى اطارهم الديني والجنسي •

ج ـ العفو العام عن المساجين السياسيين •

د ـ حرية التنقل فى فرنسا وخارجها •

هـ ـ حرية الصحافة والاجتماع •

ـ الغاء نظام المجالس المالية Délégations Financières وتعويضها ببرلمان جزائري ينتخب انتخابا عاما من لدن المتساكنين بدون فرق فى الجنسية والدين •

ز ـ الغاء نظام « الأحواز الممتزجة والحـكم العسكري » (1) وتعويضه ببلديات منتخبة انتخابا عاما من لدن جميع السكان •

---

1 ـ ان المراد بالاحواز الممتزجة أو المختلطة Communes mixtes هي بلديات كانت تحت تصرف الحاكم الفرنسي مباشرة ، فهو الذي يعين أو يسمي نواب الشعب « الجماعة » .
اما الحكم العسكري فهو بجنوب الجزائر حيث كان الحكم المطلق للمكتب العربي : Bureau Arabe وما هذا المكتب الا الحاكم العسكري الذي له وحده الامر والنهي .

ح ــ المساواة فى توظيف الجزائريين مع المستوطنين الفرنسيين •

ط ــ تطبيق التعليم الالزامي وافساح المجال للطلاب المسلمين لدخول جميع المدارس والمستويات ، وجعل اللغة العربية رسمية فى الدوائر •

ي ــ المساواة فى الخدمة العسكرية والرتب ، مع النص على احترام تعاليم القرآن العظيم فيما يتعلق بمنع محاربة المسلم لأخيه المسلم •

وأخيرا : تنظيم قروض زراعية للفلاحين الأهالي ، وانشاء الطرق ، وتنظيم الري ، وتطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي •

أما القسم الثاني من البرنامج فهو يشتمل على المرحلة الأقصى وفيما يلي ملخص مطالبه :

أ ــ اقامة جمعية تأسيسية تنتخب على أساس الاقتراع العام من غير تفريق بين المتساكنين •

ب ــ حق الانتخاب والترشيح لكل المواطنين بلا فرق ، وتخرج جميع المجالس بواسطة الانتخابات الحرة •

ج ــ استخدام اللغة العربية كلغة رسمية •

د ــ تسليم جميع المرافق الاقتصادية ، والممتلكات للدولة الجزائرية بما فيها المصارف ، والمناجم ، والسكك الحديدية ، والموانيء ، والخدمات العامة •

هـ ــ استرجاع الأملاك الكبيرة واعادتها الى الفلاحين مع استعادة أملاك الدولة والغابات الى الدولة الجزائرية ، واحترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة ••

وهذا كله يبنى على :

1 ــ الاستقلال التام للجزائر •

2 ــ سحب جميع القوات الفرنسية •

3 ــ تأسيس حكومة وطنية ثورية ، وجيش وطني •

هذا ، وقد وشح هذا البرنامج بمقدمة هذا نصها :

« ها هو برنامجنا السياسي لنجم الشمال الافريقي المجيد ، وقد بحث بكل نضوج وحلل تحليلا عميقا بواسطة اللجنة الادارية المؤقتة ثم قدم وقرىء وصودق عليه من طرف كل أعضاء جمعيتنا الذين حضروا الاجتماع العام الذي انعقد يوم 28 ماي ــ آيار ــ 1933 م على الساعة الرابعة مساء في باريس 49 شارع بريطانيا » •

« ان مضمون فصوله بسيطة سهلة الفهم ، وخاصة لأنها تعبر عن أنفاس الشعب الجزائري • اننا نهيب كثيرا بالشعب الجزائري الى قراءتها بكل اهتمام والى تفهمها ثم تطبيقها ، فان مضمونها يجب أن يعتبر عندنا جميعا « كميثاق وطني » يربط جميع السكان المسلمين الجزائريين الذين يعملون بكل اخلاص وتجرد للدفاع من أجل مصلحتنا ومطالبنا المستعجلة ، ومن أجل استقلال وطننا » •

انه من أجل خلاصنا ، من أجل مستقبلنا ، من أجل حيازة مكانة شريفة تصلح بكرامة جنسنا بين أمم العالم ، اقسموا كلكم على القرآن العظيم وبالاسلام • اقسموا على العمل من أجل انتزاع حقنا بتحقيق هذا الميثاق وانتصاره النهائي •

ان برنامجنا هذا السياسي يشبه نصيبا برنامجي المغرب وتونس مع مراعاة الوضع العام لهذين القطرين ولدستورهما السياسي » (2) •

تعليــــق :

يقول الشلقاني:يخيل الينا أن هذا التناقض في البرنامج تناقض ظاهري أكثر منه حقيقي ، يرجع تفسيره الى طبيعة المرحلة التي كانت تجتازها

---

2 ــ ح ـ و ـ ج ـ كلود وجان روبير ، ص 51ـ53 •

الحركة الوطنية في الجزائر حين أنشئت جمعية النجم وحين صاغت برنامجها للكفاح » .

ويضيف : فالذي يبدو لنا أن الحركة الوطنية في مجموعها خاضعة لتيار المساومة في ظل السيادة الفرنسية ... وأن موقف جمعية النجم كان موقف أقلية صغيرة واعية ، وأن فكرة الاستقلال التام لم تكن قد انتشرت انتشارا واسعا بين الجماهير ... وأن المعركة العملية الدائرة بالفعل في الوقت الذي أنشئت فيه الجمعية ، وفي الوقت الذي صاغت فيه البرنامج أيضا ، كانت معركة « مساواة » أي انتزاع قدر متزايد من الحقوق من الحكم الفرنسي ... »

« ولم يكن أمام الجمعية ، للاشتراك في المعركة ، وللتأثير فيها الا أن تقسم برنامجها الى قسمين : برنامج أدنى أو برنامج قريب يمثل القدر الحقيقي للوعي الشعبي في تلك المرحلة ، وبرنامج أقصى أو برنامج بعيد ، تسعى الى تحقيقه بعد أن يكون الشعب قد اقتنع به من خلال خبرته في معارك المساواة » (3) .

ان تعليق الكاتب على برنامج حزب نجم الشمال الافريقي تعليق صحيح ، وقد أصاب حقيقة الوضع اذ ذاك تقريبا في الصميم ، بيد أن الشيء الذي يجب أن نلفت اليه الأنظار هو أن فكرة الحرية والاستقلال في الثلاثينات ، لم تكن فقط غير مفهومة لدى الجماهير ، بل كانت تعتبر فكرة غير ناضجة ، « وفكرة جنونية » حتى عند أكبر السياسيين وأكثرهم علما واطلاعا في القطر الجزائري ، وسنتفهم ذلك جيدا عندما نأتي على وضعية الاتجاهات الحزبية الجزائرية فيما يأتي ان شاء الله .

2 ـ الاتجاه الوسط :

وهكذا ، وأمام التحديات الاستعمارية وظروف التطور ، ينشأ رسميا الاتجاه المعبر عنه بالوسط وهو : « جمعية العلماء المسلمين » الموحدة سنة 1931 م . كما أسلفنا ثم انشطرت الى شطرين بعد سنة

3 ـ كتاب ثورة الجزائر ـ دار النديم ـ طبع دار الهناء ، ص 169ـ170 .

واحدة ، تبعا لاختلاف الأفكار ولأهداف مؤسسيها ، ونشأت « جمعية علماء السنة » كهيئة مستقلة من المحافظين والطرقيين ، ولم يتيسر لها نشاط كبير لأنها لم تعمر كثيرا ، بقطع النظر عما تطور عنها من مثل « جمعية الطرق الصوفية » وغيرها .

ولكن « جمعية العلماء المسلمين » التي أعيد تأسيسها ، أو واصلت مسيرتها ، على اتجاه جديد وصريح ، وظلت برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وعضوية المصلحين المتأثرين بدعوة محمد بن عبد الوهاب ومحمد عبده ، هي التي ثبتت في الميدان ؛ وتطورت أو ظهرت ، بالرغم من وضعيتها القانونية التي كانت دينية ثقافية ، الى هيئة شبه سياسية ، وأقلقت المستعمرين بنشاطها وحيويتها .

وبالرغم مما اتخذته من حيطة حتى لا تصطدم مع المستعمرين والقانون الاداري ، فهي تلتزم في قانونها الأساسي بعدم الخوض في الأمور السياسية وتبتعد من الأحزاب السياسية ، خاصة حزب نجم الشمال الافريقي الذي تناصبه العداء جهارا ، وبالرغم أنها لا تتأخر عند كل مناسبة عن ابداء ولائها لفرنسا ، فان المستعمرين ـ حسب جمودهم المعروف لم يأمنوا جانبها وراحوا ينصبون أمامها العراقيل ، ويحاربونها كهيئة سياسية خطيرة على نفوذهم .

وقد كان من مطالب جمعية العلماء :

1 ـ تحرير الدين الاسلامي ومحلاته من قبضة الادارة الفرنسية ، ومن موظفيها المسلمين الذين ترى فيهم أعوانا للادارة ضدها .

2 ـ حرية تعليم اللغة العربية ونشر الدين الاسلامي .

3 ـ تحرير القضاء الاسلامي الذي يتعلق بالأحوال الشخصية للمسلمين . (4)

4 ـ سيأتي نشر تقرير مطالب الجمعية بتفصيل ، مقارنا بمطالب ودادية موظفي الديانة الاسلامية القدامي .

وقد أنشأت الجمعية صحافة تتكلم باسمها فأصدرت جرائد : « السنة » ، « فالشريعة » ، « فالصراط » ، « فالبصائر » • ولم يثبت في الميدان الا هذه الأخيرة •

وقد كان نشاط الجمعية منصبا نحو : تأسيس المساجد الحرة وتعميرها بالوعظ والارشاد ، وانشاء المدارس الابتدائية القرآنية لتعليم النشء لغته العربية ومبادىء الدين الاسلامي ، وبصفة عامة نشر الاصلاح الديني والعقيدة الاسلامية على أساس : « الرجوع الى الكتاب والسنة » •

وبما لهذه الأصول من ارتباط بالقومية والوطنية « العربية الاسلامية» ــ بالدرجة الأولى ــ فقد ظهرت الجمعية في أعين المستوطنين ان هي الا منظمة سياسية مغلفة بغلاف من الدين • ولا سيما لما شوهد بعض أعضائها بجانب بعض الهيئات السياسية ابان الانتخابات ، كما شاركت الجمعية في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد سنة 1936 بعاصمة الجزائر بسعي من جمعية النواب المسلمين والدكتور ابن جلول ، بل ان الجمعية كانت لها اليد الطولى في المؤتمر ، وكان رئيس الجمعية ابن باديس أحد أعضاء الوفد الذي حمل قرارات المؤتمر ومطالبه الى باريس •

3 ـ الاتجاه اليميني الاندماجي :

كان هذا الاتجاه استقر تقريبا في « اتحادية النواب المسلمين » ولا سيما فرع قسنطينة ، أثناء الثلاثينات ، نظرا لنشاط عضويها الشابين الطموحين : الدكتور محمد الصالح ابن جلول والصيدلي فرحات عباس • الأول بمواقفه النشيطة الشجاعة • والثاني بفصاحته الخطابية ونشاطه الدؤوب ، وقد برزت هذه الاتحادية على السطح وان لم تأت سياسيا بشيء مفاجيء أو جديد ، فقد ظلت تتبع طريق المطالب الاصلاحية الاندماجية التي كانت قدمتها « جمعية النواب المسلمين الجزائريين منذ سنة 1927 م •

والشيء الذي حدث بعد 1930 وظهر جديدا هو الحيوية والنشاط من جهة ، وظهور حركة قلمية مركزة من جهة أخرى ، من هذه صدور

كتاب « الشباب الجزائري » لفرحات عباس ، وهو عبارة عن مجموع مقالات كان كتبها في جريدة « التقدم » أثناء سنة 1927 ، والتي طرح فيها آماله كلها وستأتي كما تقدمت الاشارة لبعض منها •

كما صدر كتابان آخران منعشان لسياسة كتلة النواب المسلمين • وهما لشخصيتين فرنسيتين : الأول كتاب « هل تعيش الجزائر ؟ » لموريس فيوليت L'Algérie vivra-t-elle والثـاني « المآل المحزن للأهالي المسلمين فى الجزائر Le triste sort des indigènes musulmans en Algérie » لـ « جان ميليا » (5) ، هذان الكتابان اللذان كانت لهما وطأة كبيرة ضد الهياكل «البنيات» الاستعمارية •

ولئن كان كتاب فرحات عباس اعتبر لدى المستوطنين خطوة جريئة وقحة ، فان الوطنيين اعتبروه ــ على الأقل ــ ضعفا سياسيا ، ان لم يكن استسلاما مهينا ، الى الاستعمار الأبدي •

وفيما يلي بعض الفقرات أثبتها المؤلف نفســه في كتــابه « ليــل الاستعمار » الذي أصدره عام 1962 م جاء فيها : « لقد عرضت بكل وضوح في كتابي « الشباب الجزائري »
بعض المبادىء للسياسة الجزائرية ، والتي رأيتها صالحة وهي :

1 ــ احترام الاسلام واللغة العربية والحضارة الاسلامية ، لأن الاسلام في القطر الجزائري هو في بيته ، فان حضوره أربعة عشر قرنا في هذا الوطن أعطاه حق الخلود ، فكل محاولة لمحاربته انما هي تضييع للوقت ، وســيبقى موجودا مهما تعــاورت عليه معاول التخريب •

2 ــ الرجوع بكل خلوص النية عن خرافة « التفوق العنصري » •

3 ــ سياسة المساواة في الحقوق هي السياسة الوحيدة التي تفتــح الطريق نحو مستقبل مشترك ، والمحافظة على سياســة الغالب والمغلوب لا تؤدي الا الى الانفصام والكارثة •

---

5 ــ جان ميليا كان يومئذ رئيس ديوان الوالي العام بالجزائر بعد أن كان مديرا للمفوضية العليا بسورية •

4 ــ الشبيبة الجزائرية هي التي يجب أن تكون الخميرة التي تقوم بتحويل المجموعة الجزائرية المسلمة ... الخ . (6)

ويعترف عباس بأنه ــ لعمل تكتيكي ــ صرح بتصريحه المشهور بانكار الأمة الجزائرية تاريخيا . ومع ذلك فالذي يتتبع كلامي ــ يقول عباس ــ فانه يجده منقوضا بمثل قولي : ان الشعب الجزائري موجود فعليا ، فتفقيره واستعباده لا يدلان على انعــدامه ... ويضيف : فالمطالبة ــ اذن ــ بالأشياء التي تنقذه من الانقراض ، مثل المدرسة للناشئة ، والثقافة العربية ، والحق في الوظيف والعمل ... تظهــر لي أنها أولى من المطالبة بحق الوجود القانوني ... (7) .

الوفد الجزائري للمشاركة فى احتفال تقدير م . فيوليت

وتجيء مناسبة ذهبية للسياسيين الجزائريين فيقيــم ســكان مدينة « درو » ومقاطعة « أورلوار » بفرنسا احتفالا يوم 14 ماي 1933 على شرف م . موريس فيوليت بانقضاء خمسة وعشرين عاما على دخوله الميدان السياسي ، و م . فيوليت ليس بالشخصية المجهولة في الجزائر، فقد كان بها واليا عاما ، وهو نائب في مجلس الأمة الفــرنسي وفي مجلس شيوخها ، وهو رئيس حزب وأتباع كثيرين ، وفوق ذلك كانت له مواقف مشكورة في ميدان المطالبة بحقوق الشعب الجزائري ، حتى صار يعبر عنه « بحبيب الجزائريين » ولكل ما تقدم كان من المستحسن، بل من الواجب أن تشارك الجزائر بوفد معتبر في هذا الاحتفال .

وفي مجلة الشهاب : وكان حقا على الجزائر العربية المسلمة أن تضرب في هذا الميدان بسهم مصيب ، وأن تظهر بهذه المناسبة عواطفها وتبدي امتنانها لذلك الرجل الذي دافع عنها دفاع الأبطال ، وبعث في أنفس رجال السياسة منها الهمة والعزم ، وأظهر ما تعانيه من آلام ، وما تقاسيه من أسقام ، وما فيها من حيف وجور ، وما تصبو اليه أنفس أهلها من

6 ــ ليل الاستعمار ، ص 121 .

7 ــ ليل الاستعمار ، ص 129ــ130 .

عدل وحرية ، وعناية واهتمام وحقوق ومساواة ، ومن ذا الذي يقرأ كتابه « هل تعيش الجزائر » ولا يقنع بانصاف ذلك الرجل ؟ (8)

فلهذا قرر النواب الجزائريون وأعيان مدينة الجزائر أن يرسلوا وفدا يمثلهم بذلك الاحتفال اعرابا عن الجميل ، ونكران الجميل ليس من خصال العرب . وسافر الوفد مؤلفا من السادة :

زروق محيي الدين رئيس اتحاد النواب المسلمين بالقطر الجزائري .
الحكيم محمد الصالح ابن جلول رئيس اتحادية النواب بقسنطينة .
حمود شكيكن العضو بالمجلس العمومي ونائب شيخ مدينة الجزائر .

محمد بن الباي من أعيان العاصمة ونائبا عنهم .

وقد خطب في هذا الاحتفال السيد حمود شكيكن مهنئا وشاكرا م . فيوليت ، ولم يقتصر خطابه على ذلك بل اغتنم الفرصة ليتكلم عن القضايا الجزائرية المعلقة بمحضر شخصيات من كبار المسؤولين ومنهم وزير الداخلية م . كامي شوطان .

وتحت تأثير خطاب شكيكن فقد تكلم وزير الداخلية شوطان ـ أثناء خطابه ـ على القضية الجزائرية بما يحيي بعض الآمال ، الأمر الذي حدا بالوفد الجزائري أن يطلب مقابلة الوزير . وأثناء المقابلة شرح السيد شكيكن باطناب عن الحوادث التي وقعت أثناء تلك الأيام بسبب منع الشيخ الطيب العقبي من القاء دروسه بمساجد العاصمة . وتكلم أيضا الحكيم ابن جلول فشرح بكل تفصيل حالة الفلاحين المسلمين بأرض الجزائر ، وما يقاسونه من ضنك وشدة ، وما يهددهم من فاقة ومجاعة .

بيد أن الوفد في هذه المقابلة لم يتكلم عن المسائل السياسية لأن هذه ستكون من خصائص الوفد الجزائري الكبير الذي توجه بعد ذلك الى فرنسا . وسنتكلم عنه بعد تلخيص شيء عن الحوادث المشار اليها قريبا نتيجة منع الشيخ العقبي من التدريس .

8 ـ الشهاب ، ج 7 ـ م9 ص 285 .

مظاهرات ضد منع العقبي من التدريس في المساجد

هاته الحوادث التي وقعت حولها ضجة صحافية امتدت زمنا ما وشغلت كثيرا من الوقت والأفكار ، واستغلتها الصحافة الاستعمارية طبعا للمزيد من تمتين سيطرتها ، وكتبت جريدة « لاديبيش ألجريان » اليومية ، وهي أكثر الجرائد الاستعمارية اعتدالا في الجزائر ، عن هذه الحوادث ما يلي تحت عنوان : « المسلمون في النهج ــ الأمة العالمة بالحقائق تنضم الى الحكومة » •

« شاهد الجزائريون يوم الجمعة حركة هائلة تجمهر فيها عدد وافر بدائرة ساحة الجامع وبطحاء الحكومة ــ الجامع الجديد وساحة الشهداء ــ وهي حركة غير مقبولة ، وقد فرق رجال الأمن ذلك اللفيف المجتمع ، وألقى القبض على البعض منهم • وعلم قراؤنا أمس التاريخ ــ 4 مارس 1933 ــ أسباب هذه الحركة التي حمدت عقباها بسديد رأي رجال من العنصرين الفرنسي والعربي ، المطلعين على الأمور » •

« وتفرق أولئك المشوشون الذين لعب بعقولهم بعض السياسيين من غير أن يتأملوا في عاقبة الأمر » •

وتمضي الجريدة فتقول : اننا مطلعون على السبب الذي دعا الحكومة الى ذلك المنع ــ تعني منع الشيخ العقبي الذي تطلق عليه اسم الأجنبي •! ــ وهو أن أجنبيا من غير داع معقول ، ولم تكن له أية رخصة تخول له المحاضرة ، صار حسب ظنه يعظ الناس ويرشدهم في المساجد ، وتمضي الجريدة الفرنسية فتقول :

« فالمفتي يحافظ على الدين ، وعامل العمالة يحافظ على النظام ، والأجنبي لا ينبغي له أن يحاضر • فمن أجل هذا تجمهر نحو الألفين (2000) نفرا سيئي التعليم ، في الأزقة ••• »

وبعدما تبين الجريدة أنها اتصلت بكثير من الأهالي المسلمين بمدينة الجزائر فاستخلصت منهم الحقيقة تقول : « هناك انسان نجهل فكره

وغايته دخل الوطن الجزائري ــ وكنبت بين جرتين ــ لماذا سمح له بالدخول ؟ لنشر الدعاية الوطنية تحت ستار الدين • ان الدعاية لا تنشر بهذه الكيفية ، ولا سيما ، ماذا يراد بدعاية وطنية في الجزائر ؟ وما هو الوطني في القطر الجزائري ؟ » • (9)

وتضيف الجريدة على لسان مواطن ، حسب دعواها ، « أن هناك من حاول ايهام بعض المسلمين في أن أمر المنع الصادر من ادارة العمالة ماس بمشاعرهم الدينية • وهو ادعاء باطل ؛ والحقيقة أن هذا الأمر صدر بمنع محاضر يبث دعاية وطنية غير مقبولة ، ووطنيـــة اسلامية لا مبرر لها » •

وتمضي الجريدة في تكهناتها ، وتنسب هذه الحركة الى تحريك شيوعي اثر مقال نشرته جريدة « لومانيتي » الشيوعية الباريسية •

وهكذا تعلق على مقال « لاديبيش أ» جريدة « الاخلاص » لسان حال « جمعية علماء السنة الجزائريين » فتقول : ان جريدة « لاديبيش ألجريان » تسمي هذه الحركة وطنية ، واسلامية أيضا • وليتها دعتها « وهابيـــة » قصد بها نشر المـــذهب الوهـــابي بين مســـلمي الوطن الجزائري ، حيث أن رؤساءها دعاة ذلك المذهب الجديد » (10) •

وعلق فرحات عباس بجريدة « لافوي ديزنبل » في مقال طويل أنقل منه الفقرات التالية ، مرجئا الكلام عن هذا الموضوع بتفصيل الى مكانه الذي سيأتي ان شاء الله :

« نشرت جريدة « لاديبيش ألجريان » المظاهرات التي وقعت في الجزائر ، بعد مضي ثمانية أيام عليها ؛ الشيء الذي ينبيء عن فداحة الحادث • ولا نعتبر ما قالته وعلقت عليه الجريدة المذكورة في هذا

---

9 ــ ان هذه الجريدة المعتدلة تضرب في كتابتها على نغمة «الجزائر فرنسية» و « شعبها فرنسي » فليس هناك ــ اذن ــ وطنية جزائرية . وما أشد على المستعمرين اذ ذاك كلمة الوطنية !.

10 ــ جريدة الاخلاص ، عدد 12 تاريخ 8ــ3ــ1933 .

الموضوع ، فلقد أذاقتنا الصحافة الجزائرية الاستعمارية من مر حقدها وفادح جورها ما يمنعنا أن نمنحها حظ الاهتمام . ففي غير هذا المقام بينت فكري فيما تكتب وتمليه البطون المنتلئة والأمراء المرتكزون . وليس بيننا وبينهم وجه شبه ، ولنول الوجه شطر الحادث الأهم وهو قرارا عامل العمالة بالجزائر المؤرخان في 16 و 18 فبراير ـ شباط ـ سنة 1933 م » .

وبعد أن يكذب فرحات ادعاء الجـريدة أن المظاهـرات تحريك شيوعي ، وأنه لم يحدث في الجزائر تهريج شيوعي مثلما هو واقع في فرنسا نفسها ، بل اذا وجدت الشيوعية في الجزائر على قلتها ، فانما هي تصدير أوروبي الينا مثل المسكرات وداء السل ... ثم يشرح الحالة السيئة التي يعانيها الجزائريون اقتصاديا وسياسيا ، والتي أدت الى جزع أمة كاملة خدرتها الفاقة والافلاس والطرقية وفساد الأخلاق ، يقول :

« في هذه الحالة الوخيمة أبيح لنا أن نفكر في تحسين تربيتنا ـ مثلما هو جار عند الكاثوليك اليوم ـ ولهذا قام رجال من ذوي الهمة والارادة لتحقيق هاته الحقيقة ، فألفوا « جمعية العلماء » التي يمثلها الشيخ العقبي » .

ويذهب في الدفاع عن الجمعية وأنها بعيـدة عن السيـاسة وعن المساس بالسيادة الفرنسية ، وانما موضوعاتهم : القرآن وتحريم الخمر، القرآن والمرأة ... الصلاة في الاسلام ... ولا يخرجون عن مسائل الدين . ثم يقول :

وانما ادارة العمالة بالجزائر تظاهرت بانقلاب غير مفهوم . وأصبحت تعبد ما كانت حرقته بالأمس ، وكأنها تقول اليوم : لا أحسن من التمسك بالمرابطين وبالعوائد القديمة ، ولا ينبغي للاسلام أن يتعدى هذا الطور الخالد حرصا على هناء الطرق ... ا هـ (11) .

---

11 ـ الشهاب ـج6ـم9 .

وفــد الآمــال العريضــة

كان النواب الجزائريون بصفة عامة قرروا توجيه وفد يمثل جميع اتحاديات جمعية النواب وحتى بعض الشخصيات المعنية ، وذلك ليحمل رغبات الشعب الجزائري الى الحكومة الفرنسية • وقد كانت آمال عريضة علقت على هذا الوفد ، خصوصا بعد هذه التوطئات الهامة التي مهدت للوفد السبيل الى النجاح في مهمته • يضاف الى ذلك شيء جديد ظهر أنه أكبر عامل لنجاح المطالب الجزائرية البسيطة التي يحملها الوفد ، ذلك هو مشروع م • قرنوت النائب بمجلس الأمة الفرنسي ـ ونائب رئيس « جمعية الدفاع عن حقوق الانسان » •

والمشروع يشتمل على مطالب يراها م • قرنوت ستمكن الجزائريين أن يترقوا وينالوا ما يرجونه من حقوق • ونلخص هذه المطالب فيما يلي:

1 ـ مساواة الجزائريين مع الفرنسيين في ترشيح وانتخاب أعضاء المحاكم التجارية ، والمساواة في التقاضي أمام هذه المحاكم •

2 ـ الغاء قانون الوضع تحت المراقبة الذي يخوله قانون « لانديجينا » وهو قانون يخول الوالي العام أن يحكم بالنفي الاداري لمدة سنتين على كل مسلم جزائري يراد الانتقام منه لأعماله السياسية •

3 ـ الغاء المحاكم الجنائية المخصوصة بالأهالي ، والتساوي مع الفرنسيين في التقاضي أمام محاكم « الكورداسيس » •

4 ـ المساواة بين المسلمين والفرنسيين في مدة الخدمة العسكرية •

5 ـ تخويل كل أعضاء مختلف المجالس النيابية الجزائريين تعيين نائب عنهم لمجلس الأمة الفرنسي عن كل عمالة ، بحيث يكون للجزائريين ثلاثة نواب بمجلس الأمة •

وقد قدم م • قرنوت مشروعه لنواب مجلس الأمة فأمضاه نحو 190 نائبا غالبهم من النواب اليساريين • (12)

ويماثل هذا المشروع ، ويزيد عنه ، مشروع م • فيوليت الذي قدمه قبل لمجلس الأمة ولا يزال ينتظر •

كل هذه المواقف زادت الجزائريين تشجيعا وأحيت فيهم الأمـل ، فتوجه وفد كبير من نواب جميع العمالات الثلاث يشتمل على ستة عشر عضوا ، منهم اثنان صحافيان •

لقد كان سفر هذا الوفد الى فرنسا مسبوقا بتجمـع بالعاصمـة الجزائرية ، فجاء أعضاء الوفد من أطراف البلاد مدينة الجزائر يوم 16 جوان ـ حزيران ـ 1933 م واستقبلتهم المدينة بحفاوة بالغة ، وأقيمت لهم مأدبة كبرى بنادي الترقي ؛ حضرها مع الوفد كثير من أعيان المدينة، وألقيت فيها الخطب الحماسية ، وتبودلت الأحاديث في مهام الوفد والمطالب الجزائرية ، فكان الاتفاق شاملا ، وكان الأمل معقودا على مجهود هذا الوفد الكبير والذي يحمل آمال شعب كامل •

ويوم السبت 17 جوان ـ يونيو ـ 1933 غادر الـوفد عاصمة الجزائر متوجها الى عاصمة فرنسا باريس وكانت هـذه تسمى « أم الوطن » وقد تبعت الوفد الى ميناء الجزائر تظاهرة فرح ووداع مليئين بالأمل ، كان الوفد يتركب كما يلي :

من عمالة «ولاية» الجزائر السادة :

1 ـ حمود شكيكن نائب عمالي ونائب رئيس بلدية الجزائر •

2 ـ زروق محيي الدين رئيس اتحاد جمعية النواب الجزائريين •

3 ـ الحكيم عبد النور تامزالي نائب بالمجلس المالي •

---

12 ـ سئل م . فيوليت عن مشروع قرنوت فقال : ان قرنوت وكذا ميليا يتحدان في الفكرة ، فمشروع غرنوت قيمته « شيء في الجملة خير من لا شيء » ويضيف : ان الاحسن اتخاذ اسلوب آخر لاشراك الجزائريين في السيادة الفرنسية » . الاقدام ، عدد 39 يوم 25-11-1933 .

4 ـ الصادق دندان صاحب جريدة الاقدام • (13)

ومن عمالة قسنطينة السادة :

1 ـ الدكتور ابن جلول النائب بالمجلس العمالي ورئيس اتحادية جمعية النواب بقسنطينة •

2 ـ الدكتور محمد زرقين طبيب الأسنان عضو مجلس بلدية قسنطينة •

3 ـ الدكتور بومالي عضو بالمجلس العمالي بعين البيضاء •

4 ـ السيد ابن خلاف عضو بالمجلس العمالي بجيجل •

5 ـ السيد قهاريه الزين عضو المجلس العمالي بسوق أهراس •

6 ـ السيد قاضي عبد القادر رئيس جماعة أهلية باتنة •

7 ـ السيد محمد الصالح صراوي عضو ببلدية الخروب •

8 ـ السيد الزناتي صاحب جريدة الصوت الأهلي

ومن عمالة وهران السادة :

1 ـ السيد ابن عودة باش تارزي رئيس اتحادية جمعية النواب بوهران •

2 ـ الأستاذ حسين بوقلي عميد المحامين بتلمسان •

3 ـ السيد لالوت محمد عضو بلدي ونائب رئيس اتحادية النواب بوهران •

4 ـ السيد عبد السلام بوصالح مندوب عن أعيان مدينة تلمسان • (14)

---

13 ـ كانت جريدة الاقدام تصدر تحت ادارة الصادق دندان وابن جلول ثم خلف ابن جلول م • غراندجان G. Grandjean كريس تحرير في سلسلة جديدة •

14 ـ الشهاب ، ج8 ـ م 9 •

لكن أنى للشعوب المستعمرة أن تحسب فتصدق في الحساب ، وأنى للمكبل بالسلاسل أن يخطو فتمتد خطواته ، وخاصة مع الاستعمار الفرنسي المتحجر ، الجامد ، الحاقد !

فما أن تألف الوفد وعزم على الذهاب الى فرنسا حتى قامت ضجة حامية الوطيس من المستوطنين المستعمرين ، ومضوا يستعدون الوالي العام « كارد » ويضغطون عليه ــ وهم المدللون ــ حتى وقف ضد الوفد بكل قواه ، فذهب الى حد أن طالب الأوساط الرسمية بفرنسا بعدم استقباله .

ولكن الوفد ذهب معتمدا على الجو الذي كنا تكلمنا عنه آنفا ، وعلى الشخصيات التي كانت متعاطفة مع الوفد السابق . مثل شوطان وزير الداخلية ، وفيوليت ، وقرنوت وغيرهم ، بيد أن الجو الذي استجد من جراء حملة المستوطنين والوالي العام بالجزائر ، كان أشد متانة وأكثر ثقلا ، بحيث تكسرت على صخرته العاتية كل الرؤوس ، وتبخرت تحت ظلامه الدامس كل الآمال ،ووجد الوفد نفسه ، بباريس ، في عزلة تامة من الهيئات الرسمية ، ورفض استقباله من جميع الأطراف المسؤولة ، حتى من وزير الداخلية شوطان الذي كان فتح أحضانه ومكتبه ــ منذ أيام قلائل ــ لمدة ساعتين كاملتين لوفد « الولاء » الذي ذهب لحضور الاحتفال الذي أقيم على شرف فيوليت . ولم يستقبل حتى من لجنة مجلسي الأمة والشيوخ التي يعتبر أعضاؤها زملاء لرجال الوفد الجزائري .

واكتفى وفد الجزائر باستقبال بعض الهيئات الغير الرسمية والتي تطوعت بقبوله بقصد الاطلاع فقط . وذلك مثل لجنة الحزب الراديكالي ، ولجنة الحزب الاشتراكي ، وجمعية الدفاع عن حقوق الانسان ... ورجع الوفد الجزائري يحمل الخيبة مكتفيا من الغنيمة بالاياب .

وأمام هذه الخيبة المريرة لم يجد الشعب الجزائري ، وعلى رأسه نوابه في مختلف المجالس النيابية ، وسيلة يعربون بها عن استيائهم غير الاحتجاج والتشكي والبكاء . ولكن ... لمن ؟ !

أي نعم ، فما أن رجع الوفد يحمل الخيبة والهزيمة حتى قامت حملة بالدعوة الى استقالة كل النواب الجزائريين ، وكان على رأس الدعوة ابن جلول واتحادية النواب بقسنطينة • ونطق لسان الحال :

« من استغضب ولم يغضب فهو حمار ! »

وبدأت بالفعل استقالات جماعية عمت ـ تقريبا ـ جميع الوطن ، خاصة بالشرق الجزائري • ولكن الادارة الاستعمارية ، بما لها من قوة ورهبة ، سيطرت في النهاية على الوضع ، تـارة بالتـرهيب وأخرى بالترغيب ، وتوقفت حملة الاستقالات وتراجع النواب المستقيلون عن استقالاتهم ، مكتفين بهذه الحملة التي أعربوا فيها عن استيائهم وغضبهم مع اخوانهم وزملائهم الوفديين ، وعن عدم قبولهم للسياسة الفرنسية المتحجرة •

وهكذا أوحت ـ حينئذ ـ الادارة الى الصحافة الجزائرية مستعملة وعودا كاذبة لتوقيف الحملة وصرف النظر الى تصاريح المسؤولين • وقد كان صرح وزير الداخلية بأنه ، ان كان لم يمكنه قبول الوفد بسبب اعتراض الوالي العام م • كارد فانه ، لا محالة ، سينظر في المطالب الجزائرية بكل ترو • وقال الوالي العام أيضا من جهته : انه سيسجل اسمه لا محالة في سجل الاصلاحات الجزائرية •

وكتبت الصحافة على ضوء هذه الوعود تخفف من وطأة الخيبة وتدعو الى التعقل في انتظار تحقيق الوعود • فنجد في صحيفة «الحارس» (15) تحت عنوان « موعظة وذكرى » مقـالا يدعو الى التروي في العمل والاعتدال في السير ، ومما جاء فيه :

« وليس في استطاعة شعب فقد كل مميزاته أن يسير سيرا حثيثا • اذ العامل في وسط كهذا كموجد أمة من العدم وخلق القوة من الضعف ليس بالهين حتي على ذوي الأيدي الحديدية » •

15 ـ صحيفة الحارس اصدرها السيد عبد الرحمن غريب بتاريخ 4 اوت 1933 وشعارها : جريدة انتقادية أخلاقية اخبارية ، ولم يصدر منها الا أربعة اعداد وصودر العدد الخامس فى المطبعة .

ويختم : فهل يتفطن قادتنا ورجالنا ويدركوا نتيجة السير المعتدل ؟ ان لم يكن الكثير منهم أدركوا •

وهكذا يأتي أيضا على وصف لرجـوع الوالي العـام من باريس فيقول :

عاد سمو الوالي العام جول كارد من باريس بعدما مكث هناك عدة أسابيع بسط فيها الحالة الجزائرية أمام أرباب الحل والعقد ••• وقد اقتبله بالمرفأ خلق كثير من قواد وآغوات ونواب ماليين و و •••

وفي اليوم التالي من رجوعه دعا كل من اقتبله الى قصره الكبير ـ قصر المصيف ـ وأقام لهم مأدبة تكريم ••• وخطب خطابا قيما كان على رواد الهدو وطلاب الحقوق الواجبة في دائـرة المفاهمـة ، بردا وسلاما •

ثم يقول : ولقد أحسن الوالي في خطابه ذلك كل الاحسان ، اذ أظهر أن كل أبناء الجزائر أبناؤه ، وأنه لا يعتبر الفوارق والمميزات ، وأن ما يقوم به بعض المشوشين ليس الا سحاب صيف لا يلبث أن يزول ، وأن الأمة والحكومة في تفاهم لأن الأمة لم تطلب الا حقا معقولا والحكومة وعدتها قبل أن تطلب وواجب الوعد الوفاء ••• »

وكتبت مجلة الشهاب داعية الى الهـدوء والطمأنينـة وكأنها تقدم شروطا في لباقة واغراء :

••• والأمر المحقق الذي لم يبق فيه شك ولا ريب هو أن مجلس الأمة الفرنسي سيقرر في أول عهده بالدورة الجديدة ، خـلال شهر أكتـوبر ، اصـلاحات جزائرية عـديدة أهمها المسـاواة في الخدمة العسكرية ، والغاء المحاكم الاستثنائية والنيابة الخاصـة في البرلمان مجلس الأمة الى غير ذلك • (16)

---

16 ـ العجيب أن كل تلك التصريحات تبخرت ، بل انها تطورت في النهاية الى الضد ، وذلك بصدور القرار المشهور بقرار ربني المتقدم الذكر .؟

وتضيف الشهاب : فنرجو من الأمة الجزائرية أن تنتظر هذه الاصلاحات بهدوء واطمئنان كما هي عادتها ، وتجتنب كل تشويش اذ كل شبه هيجان يقع في الجزائر من شأنه أن يؤثر تأثيرا على سير الاصلاحات ، ويجعل أنصار الحالة الحاضرة يحتجون بالهيجان الموجود لصد الاصلاح المنشود • وهذا لا يمنع رجال الحركة من عمل ما يفرضه عليهم الواجب ضمن السكينة والقانون • (17)

وهكذا تبقى ــ في هذه الفترة ــ سياسة « الاصلاحات »الجزائرية بين المد والجزر ، وتبقى كتلة النواب أو « جمعية النواب » على الأصح متشبثة بمطالب « المساواة » معتقدة أنها السبيل الوحيد للتوصل الى المرغوب • ولكن المستوطنين الفرنسيين بقوا دائما غير مستعدين للتنازل عن أي شيء يخفف من تفوذهم المطلق ، ولو يكون ذلك الشيء « مجرد خبزة » تحفظ حياة بشرى ! ••• وندرك هذه الحالة من كلام فرحات عباس اذ يقول :

« ان أضدادنا قد قرروا ــ يعني الفرنسيين ــ أن يضعوا قضيتنا في بوتقة دعوى ، قد ظهرت لهم أنها أفضل شيء يحافظ على تفوقهم وامتيازهم ، خلاصتها : « كل الجزائريين وطنيون وأعداء » فلو أن فرنسا فتحت الطريق لهؤلاء أعداء فرنسا ، الى المساواة في الحقوق ، ستطرد من الجزائر « ان سيطرة الأوروبي ــ يقولها عباس فرضا ــ يجب أن تبقى خالدة بدون أي تغيير • بل أنهم يقولون أن فرحات عباس أكبر خطرا من مصالي الحاج » • (18)

وختاما ، لتحليل سياسة جمعية النواب ــ أثبت فيما يلي ارتسامات للشلقاني في كتابه « ثورة الجزائر » ••• والذي يسترعي النظر في مواقفهم ــ رجال التيار اليميني ــ ، كما يعبر عن جمعية النواب ، أمران : الأول ، أنهم هــذه الفترة ، ينكرون وجــود الأمة الجزائرية أشد الانكار • فهذا عباس فرحات يصدر كتابا عن ذلك باسم « الشباب

17 ــ شهاب ، ج9ـم9ـص380 ــ 382 •

18 ــ ليل الاستعمار ، ص 130 •

الجزائري » ويعنونه عنوانا آخر هو « من مستعمرة الى مقاطعة » فيقول : « الجزائر أرض فرنسية ، ونحن فرنسيون لنا أحوال شخصية مسلمة •• ونأمل أن تتحول من مستعمرة الى مقاطعة ، ولا يوجد شيء في القرآن يمنع الجزائري من أن يكون فرنسيا طيبا من الناحية الوطنية، وانما المانع هو الاستعمار » •

ويضيف : وهو واخوانه من أمثال ابن جلول ينفون عن أنفسهم ، وبشدة ، الصفة الوطنية وكأنها تهمة خطيرة ألصقت بهم • (19)

ويضيف الشلقاني : ويكتب عباس عن الوطن الجزائري فيقول : « قد سألت التاريخ ، وساءلت الأحياء والأموات ، وزرت المقابر ، ولكن أحدا لم يحدثني عنه » •

ثم يقول الشلقاني : والأمر الثاني الذي يسترعى النظر هو مفهوم هذا التحرير السياسي والاقتصادي ، فهو لا يخرج ــ كما ذكرنا ــ عن فكرة المساواة ••• فاذا أنت قلبت النظر في كتاب عباس فرحات فستجد شعورا بالكرامة المجروحة ، واعتزازا بالجــزائر والاسلام ، ودفاعا حارا عن المدنية الاسلامية ثم لا يزيد ••• وفي ذات الفترة التاريخية أيضا التي تكونت فيها جمعية النجم ، ينظم النواب أمورهم وتتكون لهم اتحادات من أهمها أو أنشطها اتحادية قسنطينة حيث يوجد الدكتور ابن جلول وعباس فرحات والدكتور سعدان •

ويختم : وهكذا تتكامل في هذه الفترة التيارات الثلاثة السياسية التي تستمر بعد ذلك : تيار اليسار (ويعني به الحركة الوطنية الثورية) الذي يطالب بالاستقلال ويهاجم الاصلاحيين ويســعى الى الثورة •

وتيار الوسط (وهو جمعية العلماء) الذي يؤمن بالاستقلال وينكــر الثورة • وتيار اليمين (وهو جمعية النواب) الذي ينكر الاستقلال

19 ـ ليس المقصود انهم ينفون وطنيتهم الجزائرية ، فهذا ما لم يقل به اي جزائري ولكن المراد من نكرانهم للوطنية هو انتسابهم لحركة نجم الشمال أو حزب الشعب التي كانت تعرف ـ وخاصة لدى الفرنسيين ـ بالحركة الوطنية . فاذا قالوا هذا وطني فمعناه اتهامه بحزب الشعب الممنوع

والثورة معا . وهي لذلك فترة خصبة من تاريخ الجزائر تمتلىء نشاطا فكريا وثقافيا ، وتنظيما ، وتعد للمرحلة القادمة حيث تتصارع هذه التيارات في ظل حركة شعبية تأخذ في النمو والاتساع . (20)

« وجمعية علماء السنة ... » :

ولكي نستكمل ما عبر عنه « بالتيارات الشعبية » يجب أن لا نهمل جانب الحركة الطرقية أو جمعية علماء السنة المحافظة ، وكلتاهما رافدان من منبع واحد هو : المحافظة السلفية .

فمن خلفيات الاحتفالات القرنية أيضا ، قيام تحرك ذي بال في صف المحافظين من جمعية علماء السنة والطرقيين ، وعلى ضوء التفجرات المتبادلة بين الأحزاب والادارة الاستعمارية ، بما التفت حولها من مطالب وبرامج سياسية ألجأت الأشخاص والهيئات الى الاعلان عن مواقفها .

في هذه الأعاصير تحركت هذه الهيئة لتعرب هي الأخرى عن وجودها ، أو عن موقفها الذي يوجبه عليها الدين والشعب من جهة ، والحكومة من جهة أخرى . فعقدت جمعية علماء السنة اجتماعا يوم التاسع نوفمبر – تشرين الثاني – 1933 ، وهو عبارة عن اجتماعها العام السنوي ، وقررت في هذا الاجتماع ما قررت (21) ولم يمض زمن قصير حتى رأى الناس اجتماعا آخر يمكن أن نسميه :

مؤتمر جمعية علماء السنة والزوايا الطرقية

استمر اجتماع هذا المؤتمر أسبوعا كاملا وصف بأنه أنجزت فيه أعمال جليلة . وفيما يلي بعض المعلومات عن هذا المؤتمر : (22)

« ... وقد أسفر المؤتمر عن نتيجة محسوسة ، وهو حقا اجتماع فريد استغرق أسبوعا كاملا أنجزت في خلاله أعماله جليلة ... وبعد

---

20 – ثورة الجزائر للشلقاني ، ص 176–177 ، طبع دار الهناء ، القاهرة .

21 – طالع جريدة البلاغ الجزائري عدد 315 يوم 3–11–1933 .

22 – البلاغ الجزائري يوم فاتح ديسمبر – كانون الاول – 1933 .

فراغ المؤتمر من الأعمال التي تخص مشروع « جمعية علماء السنة » ، والأعمال التي تكون نهضة الزوايا والأمة الجزائرية ، أعد المؤتمر العدة اللازمة فشكل وفداً من أعضائه يبلغ خمسة وعشرين نفرا من رؤساء الزوايا ، ومهمته مقابلة جناب الوالي العام «م•كارد» ليقدم له عريضة تشمل المطالب والرغائب والاصلاحات التي طالما تعطشت اليهـا الأمة الجزائرية ، فحظي الوفد بمقابلة جناب م • كارد يوم 10 نوفمبر الحالي على الساعة الرابعة بقصر المصيف •

وبعد ترحيب جنابه بالوفد والاعراب عن سروره بهذا المنظر الخلاب ، قام أحد الموفدين هو حضرة الشيخ مصطفى القاسمي ــ رئيس زاوية الهامل ــ فألقى بالنيابة عن الوفد خطابا بليغا آلم فيه بالاعراب عن مقاصد الأمة الجزائرية ورجال معاهدها العلمية التي يمثلها جنابه تمثيلا حقيقيا عادلا ، وعرج فى خطابه على أن رؤساء الزوايا بطبيعة نشأتهم أحباء للنظام والهدو ، وسياسة التقارب والأخوة بين جميع العناصر ••• عملا بما توجبه عليهم مناصبهم ••• وتمسكا بتقاليد أسلافهم الداعية للخير العام تحت ظل النظم الحكومية القائمة ، واعتمادا على أن هذا العصر عصر التسامح ، وهو لذلك لا ينبغي فيه احياء المشاغبات الدينية الجزئية حيث أنها لا تتفق مع رو حالتسامح الذي هو من منشآت هذا العصر • بل ومن أصول الدين الاسلامي » •

ثم تقول الجريدة : الى أن وصل الخطيب فى أثناء تلاوة العريضة الى نقطة الاصلاحات ، فرجا رجاء أكيدا من جناب م • كارد السماح لهم أن يطلبوا منه السعي الحثيث فى اتمام الاصلاحات الجزائرية المنوى انجازها • وبالأخص أن لا يكون فى ذلك مساس بالدين الذي هو أعظم مقدسات الأمة الاسلامية الجزائرية • وبعد أن يشير الخطيب الى أن الاصلاحات المرجوة هي اتمام لما بدأ فيه الوالي وما أنجزه من كل من شأنه أن يرفع من مستوى الأهلي الجزائري ، يختم •

هذا ومهما اختلفت نظريات العلماء وتغايرت الأمم فى أصل الانسان ونشوئه فلم يبق هنا أدنى ريب فى أن الانسان هو أرقى المكونات فى الوجود وهو المظهر الأكمل للمبدع الحكيم ، وقد جهزه بمواهب وقوى

ممتازة لا يوجد مثلها فى سائر المخلوقات ، ليرقى بتنميتها الى أوج التكامل ويكون سيد العالم • ومع كل ذلك فهذا المخلوق الممتاز قد أهمل نفسه ولم يعطها حقها من التهذيب والرقي والاعتلاء عن مستوى الحيوانات ، واننا لنرى آثار هذا الاهمال ظاهرة فى سير الدنيا الحاضرة التي لا يعرف أربابها من الحياة الا ما يجدونه من المادة ، فالمادة لديهم هي كل شيء » (23) •

والحزب الشيوعي :

وهكذا كانت هذه الضجة السياسية والاجتماعية جعلت فرع الحزب الشيوعي الفرنسي فى الجزائر يحس بعزلته عن الجماهير الجزائرية ، وعن تطلعاتها الحقيقية الأمر الذي أدى بهذا الحزب الى مراجعة وضعيته فى الجزائر ، وانتهى به الأخذ والرد الى التنازل للشيوعيين الجزائريين •

وبعد جولة قصيرة فى الجزائر لمبعوث الحزب م • اندري فرات : André Ferrat رئيس تحرير جريدة « لومانيتي » السابق ، فى ربيع 1934 أعلن فيها عن سياسة تعريب الفرع الجهوي الجزائري للحزب الشيوعي حتى يجد متنفسا لسياسة محلية تتناسب ورغبات الجزائريين •

وفى شهر أكتوبر 1934 حيث أجريت الانتخابات العمالية « الولائية » تمكن للشيوعيين فى الجزائر أن يعلنوا عن سياسة ـ وان كانت أقرب للأوروبيين فى الجزائر منها الى الجماهير الأهلية ـ فهي أحسن من ذي قبل • وفيما يلي خلاصة عن المطالب المعلنة فى برنامج الحزب الانتخابي :

1 ـ العمل ضد الضغط والقهر وذلك لالغاء « قانون لانديجينا » والعمل على المساواة فى الحقوق السياسية والنقابية ، وعلى فصل الدين

---

23 ـ الذي يوجد فى مذكرتي وفى ذاكرتي ايضا نقطتان هامتان فى هذا المؤتمر :

1 ـ ان المطالب كانت مرتكزة على برنامج فيوليت وهل هو يتوافق مع أحكام الدين الاسلامي ؟ فوقع الوفاق على قبوله بالأغلبية .

2 ـ ان خطاب الشيخ القاسمي كان «ضربة معلم» للاستعمار المادي ولكنها فى قالب اديب يتوافق مع صفة أعضاء الوفد الذين كلهم يمثلون « التصوف الاسلامي » هذا التصوف الذي هو عدو الماده والبهيمية البشرية .

الاسلامي عن الحكومة وعلى حرية الصحافة والهجرة للعمل الى فرنسا ...

2 ــ ضد الحرب والضغوط الامبريالية والفاشية والمنظمات الفاشية . والدفاع عن الاتحاد السوفياتي وطن جميع العمال المقهورين ، وضد حرب المغرب لسحب الجنود الفرنسيين ، والعمل على تحرير ضحايا القهر الامبريالي ...

3 ــ الدفاع عن العمال ومطالبهم ، المحقة ، وعن الفلاحين الصغار والخماسين ، وعن صغار الصناع والتجار ضد الضرائب المجحفة بهم ... الخ .

وهكذا يذهب الحزب الشيوعي فى العمل على جلب النظر اليه بالنسبة لمطالب الجزائريين ، ففي 17 سبتمبر ــ أيلول ــ 1935 نزل بالجزائر الشاب الياس بارطال (Alias Barthal) الذي كان كاتبا لفرع الحزب بجهة باريس ، أوفده الحزب ليكون على رأس فرع الجزائر كمرشد Instructeur ، وبدأ هذا عمله بتوجيه رسالة طويلة الى جميع المسؤولين فى فروع وخلايا الحزب ، افتتحها بما يلي :

« بمجرد قدومي من فرنسا لأخذ مسؤولية الأمين العام المرشد للحزب فى الجزائر ، قد وجدت الحالة جد سيئة ، ولكن لا زال فى الامكان اصلاحها بسرعة بشرط تعاون جميع الشيوعيين فى عمل جدي » .

ثم يقول : فى هذه الرسالة أريد أن أتصل أولا بجميع المناضلين الجزائريين على أمل التعارف بعد مع الجميع أثناء جولة واسعة نحن بصدد تحضيرها » وبعد أن يلوم الفرع المحلي على تقاعسه فى تنوير المناضلين بالأوامر الحزبية ، يعد بأن كل شيء سيتبدل ، وأشار الى أن ادارة مهمة قد كونت للحزب فى مدينة الجزائر من شخصيات انتدبت خصيصا للقيام بتسيير الفرع سيرا حسنا .

ثم يبين أن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يمكن له قبل أن يعالج الحالة فى الجزائر نظرا لأن الوضعية فى الجزائر غير الوضعية بفرنسا ، ففي فرنسا كانت الأعمال تدور حول الكفاح ضد الفاشيست وأصدقاء الفاشيست ،

فكل تدابير الحزب الشيوعي الفرنسي تدور حول هذا العمل ، بينما الوضعية فى الجزائر شيء آخر • نعم انه بالنسبة للفرنسيين وبصفة عامة الأروبيين في الجزائر ، فالقضية اجماليا شبيهة بفرنسا ، لكنها بالنسبة للسكان الأهالي فالقضية ليست مع الفاشية ولا أضداد الفاشية ، بل هي فى الأصل قضية « الامبريالية وضد الامبريالية » ••• (24)

هكذا ، وبعد ما استكملنا الكلام على هذه الحلقة من الحركات أو التيارات الحزبية الجزائرية ، والتي يمكن أن نطلق عليها ، بكل موضوعية :

الحـركـة الشعبيـــه

بقي علينا أن نرى الوجه الحقيقي لهذه الحركة من خلال مسيرتنا مع الأحداث •

حقا ان بتكامل التيارات السابقة يمكن ن نعترف أو نزعم بوجـود « حركة شعبية » لها خصائص جميع الحركات الشعبية عند أمم العالم ، لكن عندما نقر وجود حركة شعبية فليس على الأسلوب ، أو فى الاطار الذي اختاره « الشلقاني » أي أسلوب كاتب يساري ذي « ايديولوجية » معينة • بل على أسلوب أو فى اطار وطني يعطينا حقيقة خاصة ووضيئة عن تاريخ هذه الفترة المدروسة • وسنرى الوجه الحقيقي لهذه الحركة الشعبية عبر مسيرتنا مع الأحداث •

انه بالرغم من توجه التيارات السابقة كلها بمطالبها لفرنسا بالحقوق . بشكل أو بآخر حسب اتجاهاتها السياسية ، وبالرغم من اتحادهـا فى الاشمئزاز من مواقف المستعمرين وتعنتهم الذي أثار الأحقاد وحرك حتى العواطف الخامدة ، فقد كانت العلاقات فيما بينها متباعدة ، وتارة متضاربة لحد بعيد •

1 ــ فجمعية العلماء المسلمين تناصب العداء لجمعية علماء السنة وتعمل على افتكاك القيادة الروحية من أهل الطرق الصوفية التي كانت تقريبا .

24 ــ راجع هذه الرسالة الطويلة فى الحركة الوطنية الجزائرية لكاود وجان روبير ، ص 54 ــ 60 •

من خصوصيتهم لمدة قرون ، وتنازع موظفي الديانة الاسلامية التقليديين ، وتسعى بكل جهد لانتزاع المساجد والتعليم الديني ، والقضاء الاسلامي • وتنعت الطائفتين بالخرافيين والجامدين ، وأعوان الاستعمار ، بل وتذهب لحد بعيد فى تحقيرهم وتنفير الشعب منهم •

ويرد هؤلاء بقوة وجرأة ناسبين لأولئك الالحاد والمروق من السنة النبوية ، ويحذرون الشعب والحكومة منهم • ويتطور هذا الخلاف الديني فى ظاهره الى مهاترات شخصية ، وتحزبات سياسية أو انتخابية ، تطورت حتى الى حوادث دموية بتدخل الادارة الاستعمارية ، لا سيما بعد عزم جمعية العلماء على احتلال المساجد التي كانت تسمى « حكومية » لأن القائمين عليها موظفون لدى الحكومة •

فقد جاء الشيخ الطيب العقبي رحمه الله ، الى الجزائر العاصمة وفتح دروسا بالجامع المسمى « بالجديد » بساحة الشهداء ــ ساحة الحكومة سابقا ــ ورأى رجال الدين الاسلامي التقليديون ، وعلى رأسهم مفتي العاصمة الشيخ محمود كحول ابن دالي رحمه الله ، أن دروس العقبي خارجة عن السنة والجماعة ، وذات طابع الحادي ، وبالتالي ذات أغراض حزبية مخربة، لأنها تتناول رجال الدين بأقذع الأوصاف وأخطر الاتهامات ، فسعوا لدى الادارة مستعملين السلطة التي تخولها لهم قوانين الدولة الحاكمة تجاه الشؤون الدينية الاسلامية ، ومنها قانون فصل الدين عن الدولة سنة 1905 ــ 1907 ، وخاصة قرار شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ 1932 م الذي يعطي حق التصرف فى تنظيم المساجد وما يتعلق بها ، لرجال الدين التقليديين • ثم استصدروا قرارين من دار عمالة الجزائر ، كما تقدمت الاشارة اليهما ، ويخول هذان القراران لرجال الدين أو « اللجان الدينية » منع أي انسان من التدريس فى المساجد الا برخصة من هذه اللجان ، مصادق عليها من طرف الادارة الفرنسية •

وبواسطة هذا الاجراء منع الشيخ الطيب العقبي من القاء دروسه فى المسجد المذكور • وأعقبت ذلك المنع مظاهره احتجاج ضده بعاصمة الجزائر ، سبق أن أثبتنا عنها ما نشرته جريدة « لاديبيش الجريان » •

جمعية العلماء ورجال الدين الرسميون

وتقدمت جمعية العلماء المسلمين محتجة مطالبة بحرية الديانة الاسلامية ، وحرية التعليم الديني والقضاء الاسلامي المختص بالأمور الشخصية للمسلمين • (1) مستعملة ومحتجة بنفس قانون « فصل الدين عن الدولة » المتقدم الذكر • وبرزت مشكلة أثارت « زوبعة فى كأس » بين الجمعيتين ، ثم بين فئتين كبيرتين من المسلمين كادت تعم الشعب كله •

وتطورت المشكلة من دينية الى سياسية ، أو شبه سياسية أقضت مضاجع الفئتين ، وأثرت على وحدة الشعب • وان أثلجت صدور المستعمرين ! • وجالت فيها أصابع الادارة فتشعبت والتوت ، وآلت الى معركة كلامية ذخيرتها الشتم والقذف ، ومعداتها الزمارة والدف !••

وجاء الحكم « الادارة » لتوعز الى مفتي قسنطينة أن يوافيها بتقرير عن المسألة ، حيث أن المفاتي ــ وقد كانت مراكزهم بقسنطينة والجزائر ووهران ــ كانوا يعتبرون المسؤولين الأولين عن الشؤون الدينية • وقد عثرت على تقرير مفتي قسنطينة الشيخ المولود ابن الموهوب رحمه الله ، بمجلة الشهاب ، معلقا عليه تعليقا يعطي ضوءا عن الخلاف المستحكم يومئذ بين الفئتين • وفيما يلي بعض ما به الحاجة من التقرير الطويل الذي لا يقتصر على اضاءة حقيقة المشكلة فحسب بل يعرض حلولا يراها جذرية للمشكلة •

---

1 ــ كانت محاكم القضاء الاسلامي مختصة بالزواج والطلاق والميراث فقط ، وتسمى الادارة الفرنسية هذه الأمور الثلاثة «الأحوال الشخصية للمسلمين » .

يقول الشيخ المفتي : كلفتني « لجنة الاصلاحات الأهلية » التي أنشأها السيد الوالي العام للقطر الجزائري (2) أن أعرض فى تقرير جامع الاصلاحات والتغيرات التيمن المستطاع مباشرتها فيما يتعلق بتنظيم « الجمعيات الدينية الاسلامية » وبتعيين من يقوم بشؤون المساجد ، وأن أشير ، بعد السعي فى الكشف عن سائر العيوب ، الى ما يذهب بها ويزيلها .

« الايمان أمر مقدس ، والأمم تحترم الدين غاية الاحترام وتسمح بتأدية ما سنه وفرضه بالرغم من كونها « لادينية » فان حكومة الجمهورية الفرنسية تعتني بذلك الى حد حملها على القيام نحو رعاياها المسلمة بواجب المحافظة التامة على عقائدها وأخلاقها وعوائدها حتى فيما يخص الحياة المدنية . وهذا التسامح الاحساني قد رفعت شأنه الى درجة القانون فليس فى مقدورنا أن نقول لها كم هي أهل لأجمل شكرنا ، وكم هي عميقة محبتنا لها .. » .

ويضيف : ... واليوم نرفع نداءنا لفخامة الوالي العام راغبين منه أن يساعدنا على العمل الذي تناولناه بجهوده الثمينة ، وأن يضيف الى مساعينا تلك المساعي الجليلة التي قام بها كلما اقتضت الظروف تحسين حالة الأهالي ، فنتقدم له راجين منه مشاطرة أمانينا ، ببضعة اقتراحات بدت لنا لياقتها بتنظيم الجمعيات الدينية . وقد اختصرنا مضمنها كما يــلي :

الفصل الاول

لا يسوغ للجمعية أن تتعدى الى حقوق غير التي تمنحها اياها الحكومة، ولعل هذا النهي يجعلها بعيدة عن انتقاد كل شانيء ، ويزداد به أعضاؤها مكانة واحتراما .

---

2 ـ هي اللجنة التي يشير اليها تعليق الشهاب الآتي « بلجنة ميرانت » وميرانت هو مدير الشؤون الأهلية فى الولاية العامة ـ اذ ذاك ـ فهو تقريبا المتصرف المطلق فى شؤون المسلمين .

الفصل الثاني

تؤسس بكل عاصمة عمـالية جمعية تدير وحدها بالمدينة (حيث مركزها) وبالعمالة ، شؤون الدين وأموره •• »

الفصل الثالث

يتكلم فيه عن كيفية تأسيس الجمعية وأعضائها •

الفصل الرابع

بعد تأسيس الجمعيات ـ حسب النمط الآنف الذكر ـ تعترف الحكومة بوجودها رسميا ، وتعضدها عند أولي الأمر الذين هم ينيطونها بسائر فصول التصرف فى مساجد الدولة •

الفصل الخامس

فى الامتحانات •

والسادس والسابع فى ترتيب الفائزين فى الامتحانات وحقوقهم •

الفصل الثامن

لا يسوغ لأي مواطن ديني أن يرغب فى نيابة سياسية ، أو يتدخل فى المسائل السياسية ، أو يبذل جهدا ما ••• سواء بنفسه أو بواسطة غيره في المعارك الانتخابية،أو يعمل على فوز أي مترشح ولو كان من ذويه ،كما أنه ممنوع على كل رجل من الساسة والشخصيات البارزة ما له من المكانة والسلطان ليجبر الموظف الديني على الانتصار لفكرته وآرائه • ومن خالف ذلك من أعضائها ، فللجمعية أن تجري عليه العقوبة التي استحقها•

الفصل التاسع

حفظا للنظام واجتنابا لكل حادث من شأنه أن يمس بحرية الدين فان أعضاء الجمعية الدينية : الأئمة بنوع عام ، والمفتيين خاصة ، لهم أن يتفقدوا سير الأمور الدينية بالمساجد ، وأعمال المكلفين بذلك ، فيستطيعون اسناد ما لهم من التصريف الى من يعينهم رئيسهم • وعليه فلا يسوغ لغيرهم أن يعظ أو يؤسس درسا ، أو يلقي خطابا ، بأي

وجه كان ، اللهم الا اذا كان بيده اذن خصوصي من طرف أولي الأمر . وعند الحاجة يجب على الحكومة أن تتلقى من المفتي رأيه بعد اطلاعه على موضوع الخطاب أو الدرس المأذون به ، كما ينبغي لها أن تتمكن من موافقة عضوين على الأقل من الجمعية » (3) .

الفصل العاشر

يتكلم عن القرآن العظيم وقيمته لدى المسلمين ويطلب من السلطة أن تحافظ عليه وعلى اللغة العربية بترك الحرية للمسلمين في تعلمهما ...

الفصل الحادي عشر

يطلب من الحكومة أن تزيد فى مرتبات موظفي الديانة الاسلامية الصغار ، وتقرر حق المنحة العائلية لهم مثل زملائهم المفتيين والأئمة . ثم يذكر الوالي العام بما كان قدمه من ولاء لرئيس الجمهورية السابق والذي هو رئيس الوزراء الحالي « غاسطون دوميرق » ، أثناء زيارته الجزائر يوم السابع ماي 1930 ونصه :

سيدي رئيس الجمهورية أتشرف بأن أقدم لكم ، بالنيابة عن أصحاب الوظائف الدينية ، تحياتي الاحترامية ، فهي عواطف أملاها علي الدين الاسلامي الذي فرض على معتنقيه الانقياد لكل حكومة تحترم عقائدهم وعوائدهم وأخلاقهم ، وتعمل بما أمكنها من الجهود لتهذيبهم بالتربية والتعليم ... الى أن يقول :

ومن هذه الوجهة يجب على المسلمين أن يمدوها بما يستطيعون من اعانة ومساعدة ... ثم يختم : هذا وان مسلمي الجزائر ، رغبة فى المثابرة والاستمرار على العمل السعيد المشروع ـ أي الذي تقوم به فرنسا منذ الاحتلال ـ يتشوقون الى السعي فى زيادة المدارس الفرنسوية والعربية والمدارس الصناعية ، وتأسيس التعليم الاجباري ، وتجديد

3 ـ يظهر لي أن المراد من العبارة الاخيرة هو كما يلي : فان لم يكن المفتي فعلى الحكومة أن تتمكن من موافقة عضوين ...

نظام المدارس « الفرنسية العربية » (4) وزيادة عدد البورصات ــ المنح الدراسية ــ وتحسين حالة أهل الشرع الاسلامي واعانة واسعة للديانة الاسلامية التي هي تحت سلطان الحكومة الفرنسية ، تلك أماني التي أتشرف بعرضها عليكم • « لتحيى فرنسا ! لتحيى الجزائر الفرنسية » اهـ (5) •

وفيما يلي تعليق مجلة الشهاب :

« أعظم مسألة اهتزت لها الأمة الجزائرية هي مسألة تحجير المساجد على العلماء ، وقد أعربت عن استنكارها لذلك بالمظاهرات أقامتها فى القطر كله لما حاولت «لجنة م • ميرانت» المعروفة ، أن تجعل ذلك التحجير قانونيا من الحكومة العليا بباريس • وها نحن اليوم نعرض على الأمة ما يحاوله صاحب هذا التقرير من زيادة التضييق والتحجير والاستبداد ببيوت الله فى فصله التاسع ، حتى انه يريد أن يجعل اذن الحكومة غير معتبر الا بموافقته هو ومثله • وقد علمنا أن أكثرية لجنة الاصلاحات كانت ضده ، وأن بعضهم اشتد فى الانكار عليه • ونحن لا نرى الحكومة ــ بعد ذلك ــ الا معرضة عن تقرير غير عاملة به ، وذلك هو صالح الجميع (6) •

هكذا ، وينتصر لجمعية العلماء بعض المثقفين باللغة الفرنسية من الشباب المتطور ، فتنشر له جريدة « صوت المتواضعين » (La voix des hembles) ردا على المقال الذي نشر بجريدة « لاديبيش الجريان » فى كتابها عن حادث المظاهرات التي وقعت فى مدينة الجزائر بسبب منع الشيخ الطيب العقبي من التدريس كما تقدمت الاشارة •

ومقال صوت المتواضعين كتبه السيد فرحات عباس الصيدلي بمدينة سطيف • وهذه صفته التي كان يعرف بها يومئذ والمقال ذو شقين :

---

4 ـ المدارس الفرنسوية العربية Lycée franco-arabe هي المعروفة بالمدارس الثلاث التي كان يتخرج منها رجال الشريعة الاسلامية : القضاة والباش عدول ...

5 ـ تعريب مجلة الشهاب ، ج12ـم10 نوفمبر 1933 .

6 ـ ان العمل بهذا التقرير هو الذي ثبت كما سيأتي لنا وكما تقدم آنفا .

7 ـ جريدة «لافوى ديزنبل» كانت لسان حال المعلمين المسلمين باللغة الفرنسية .

شق يتعلق بالاتهامات التي كتبها « شارل كولمب » صاحب مجلة « تطور الشمال الافريقي » الذي وصفه فرحات بعدو المسلمين المشهور ، وقد كتب عن حادث المظاهرات فى مجلته واستخلص من الحادث أن « حركة » ناشئــة فى الجزائر تتمثــل فى « العصبية الاسلامية » والوهابية ، والشيوعية • ويتخوف ــ فى خبث ــ منها على الأهالي الجزائريين الذين ينعتهم بالكسل ولكنهم مخلصون ••

ويرد فرحات عباس عن هذه الافتراءات ــ خاصة ادعاء الشيوعية ــ بأنها اذا كانت موجوده بفرنسا وبألمانيا حيث تتصارع أمتهم صراعا عنيفا ، فان الجزائر خلو من هذه الحركة ولا تعرف لها وجها ، ومع ذلك فالقراران اللذان أصدرهما م • ميشال الكاتب العام بدار الجزائر ، بتاريخ 16 و 18 فبراير ــ شباط ــ 1933 بقصد منــع العقبي من دروسه لا يقضيان على الشيوعية ، ان وجدت شيوعية فى الجزائر ، وانما الشيوعية تحسم بمواقف من الحكومة تقضي علىّ القوانين الجائرة الخاصة بالأهالي ، وعلى الجهل والفقر •• (8) •

وفى الشق الثاني من المقال يتوجه فرحات رأســا الى الدفاع عن « جمعية العلماء » فى شخص العقبي ويقول : « ان الذي علمنا اياه أساتذتنا من الفرنسيين فى المكاتب والكليات « أن الاسلام الموجود فى الجزائر ما هو الا صورة اسلام فقط ، وأن عبادة الأولياء انقضى دورها فى القرون الوسطى المظلمة • فلم يكن الأستاذ العقبي ليعطينا هذه الحقائق ، ولا الوهابية • وانما أخذناها ــ يقول فرحات ــ من أفواه وكتب المفكرين الفرنسيين • فعبادتنا الدينية ــ وان شئت قلت حركاتنا الظاهرة والباطنة ــ لا تفي بالمقصود •

ثم يجمل الكاتب : اننا نتخبط فى أزمة أخلاقية سيئة لم تحل بأمة قبلنا ، ذلك لأننا أهملنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت ضغط

---

8 ــ لقد كان المقال فى شقه الاول شديد اللهجة على المستعمرين ، فان فرحات كان شابا يتقد حماسا ويمتلىء طموحا غير انني لم انقل منه الا ما به الحــاجة فى موضوعنا .

يد الموبقات ، مثل الربا والخمر والسرقة ، والكذب ، وأمهات المفاسد : الجهل والفقر .. ! ولم يكن فى استطاعة برامج التربية والتعليم العتيقة أن تفي بالمقصود ، خصوصا لما أهمل أهل الزوايا زواياهم ، وولوا وجوههم شطر النيابات السياسية لجمع المال الوفير والنياشين » .

وأمام هذه الوضعية أبيح لنا أن نفكر فى تحسين تربيتنا وادخال النظام عليها مثلما هو جار عند الكاتوليك اليوم ، فقام رجال من ذوي الهمة والارادة فأسسوا « جمعية العلماء الجزائريين » التي يمثلها الشيخ العقبي والتي يشير اليها القرار الاداري » .

على أن هذه الجمعية لم يكن لها أي مرمى سياسي خلافا للطرقيين . فكثيرا ما حضرنا مسامرات وخطب رجال الجمعية فلم نسمع منهم كلاما ضد السيادة الفرنسية ، فهم لا يخرجون عن المسائل الدينية وتفسير القرآن الكريم . لكن الادارة ظهرت بشيء جديد وأصبحت « تعبد اليوم ما كانت تحرقه بالأمس » وكأنها تقول : لا أحسن اليوم من التمسك بالمرابطين ـ أولياء الله ـ وبالعوائد القديمة ، ولا ينبغي للاسلام أن يتعدى هذا الطور ، حرصا على هذه الطرق الصوفية زيادة أن الديانة يلزم أن يكون لها ممثلون يقودون الأرواح الى طريق النجاة مثلما هو سائر عند الكاتوليك » .

وفى نهاية المقال الطويل يقول السيد عباس : فنشكر السيد السكرتير العام على هذا التفسير الجديد لديانتنا ، فلقد تشرف الاسلام بمفسر له جديد : « سيدي ميشال » أو القوة المسلحة وراء هذا التفسير .. ثم يضيف : فهذا التطاول ماس بديننا وبحرية ضميرنا ، ونحن نحتج بكل قوانا ضده ... ونحن معشر الشباب مع العلماء وضد الطرقيين . والمساجد لله وتبقى مفتوحة لكل واحد منا ، والاسلام للمسلمين لا لرجال ادارة من الادارات » .

ويضيف : فادارة عامل العمالة لا تتدخل في شؤون الكنيسة ولا البيعة فلماذا تضع يدها على المساجد ؟ يجب أن يقودنا فى مهيع ديننا

رجال ذووا قدرة وعرفان كالأستـــاذ عبد الحميد بن باديس والأستاذ العقبي .

اما ما يخص شخصيتي فاني لم أعرف من هو الخارج عن طريق الصواب وأترك الكلام لنوابنا طالبا منهم أن يقومـــوا بالواجب أو يقدمـــوا استعفاءهم » . ا هـ (9)

وأمام هذه الحالة نجد الشيخ الطيب العقبي يتنازل ليصرح مرارا : « نحن لا نحارب فرنسا ، لسنا ضد فرنسا ، ولكن نحارب الجهل مثل فرنسا ومع فرنسا . اننا مسالمون لأن الاسلام دين السلام » . (10)

وجمعية علماء السنـــة

ولكن لكل فئة فكرة ، ولكل فرقة منطق خاص ، ولكل نظره السيء فى الجانب الآخر ، فبينما رأينا كيف كان موقف جمعية العلماء فى هذه القضية وأنصار جمعية العلماء ، الذي يصور للشعب وللفكر الجزائري والحكومي ، منتهى الاسفاف والحقارة ، والجمود والأنانية ، بل وحتى الخطورة ... فى جانب المحافظين من العلماء ورجال الدين والطـــرق الصوفية ، نرى جمعية علماء السنة وأنصار جمعية علماء السنة يردون الكيل كيلين والصفعة صفعتين ، فهم ينزلون بهؤلاء الأدعياء المسمون « المصلحين » الى درجة « المفسدين » والالحاديين ، والشياطين ... زيادة على ما فيهم من تشويش على الهدوء والنظام ... ونأتي لهذا ببعض الفقرات من مقال نشر بجريدة الاخلاص بمناسبة المظاهرات المتقدمـــة الذكر ، وردا أيضا على المقال الذي نشر بجريدة «لاديبيش ألجريان» كما تقدم وأثبتنا منه فقرات . ومما جاء فى مقال « الاخلاص » تحت عنوان (محاولة فاشلة) :

« كلمتنا الى اللاعبين بالنار ، كلمتنا الى الأمة الغافلة ، كلمتنا الـــى الحكومة الفخيمة » ! حقا أن الجاهل يفعل بنفسه أكثر مما يفعل العدو

---

9 ــ الشهاب ، ج 12ــم10 .

10 ــ Justice فى 3 مارس 1935 .

بعدوه ، وأن من لا عقل له مسكين ... وأن الجنون فنون ... ولكن جنون « حزب الطيش » ... لم يكتف حزب الطيش بالمهزلة التي مثل دورها يوم الجمعة الماضي على مسرح العموم ، وما جناه يومئذ من نتيجة « تمثيلية » ذلك ... مما هو في معلوم العموم .

« وحيث أن الاحبولة العنكبوتية المدبرة بليل ، والتي حبك خيوطها هواة الفتنة وقادة حركة الفساد و « الافساد » وأعوانهم المصابين بمرض الهيام بحب الرئاسة الكاذبة ، والظهور ولو بالصعود على رؤوس الابر ... أرادوا اعادة ذلك الدور بصورة أشنع وأفظع من السابقة حسبما أوعزوا الى بعض أذنابهم الذي عرفنا ميوله من قبل فأرسل ذلك المنشور المسموم لجريدة « النجاح » فنشرته دون أدنى ملاحظة ، وعلقوا نظيره على جدران المنازل والمساجد ، جريا على عادة الفوضويين ...

ثم يضيف : ولكن «رؤوس» الخطايا المحركين لدولاب هذه الفتنة في نفوس عوام الأهالي لا يريدون أن يظهروا بأنفسهم أمام الجيش الذي هيأوه ليمثل ذلك الدور الجنوني ، بل هم يريدون أن « يأكلوا الشوك بفم غيرهم » ... ولا تأخذهم رأفة ولا شفقة على الأمة المسكينة التي هم أعداؤها الحقيقيون ...

وبعد أن يصفهم بالجبن حينما يرسلون العوام الغفل ويسوقونهم الى الموت وهم ينظرون ، ثم يختفون حيث يلهون في سياراتهم وفي قصورهم ويرقبون عن كثب الحركة ، ثم لا تأخذهم رأفة حينما ينزل النكال والوبال على هؤلاء المساكين ، يناديهم :

« يا هؤلاء « الرؤوس » اتقوا الله في الأمة التي أخذتم تلعبون بالنار حول حماها فيوشك أن تضطرم نار الفتنة فيه بأيديكم ... » ثم يرمي شخصا مجهولا ، غالب ظني أنه الشيخ العقبي فيقول عنه :

« ... نحن نعرف أن هذا الفريق الذي تعتمدون عليه لبث دعايتكم السيئة هو الذي سبب الفتنة والتفرقة والشحناء ، والبغضاء بين أفراد الأمة وجماعاتها قبل أن يمت اليكم بسبب ، ونظرا لتلك الفتن التي أحدثها

فى الأمة كان جزاؤه أن قابلته الأمة بالمقت والسخط ، وأصبح مهما حل محلا الا وجد فيه السخط عليه ... » .

وبعد أن ينصح الأعوان المفتنين « الافساديين » بطرح الفتنة شفقة على الأمة ، ويحذرهم من عقاب الله وبطشه يقول :

« وهل تطهير الحكومة الجزائرية للمساجد الاسلامية من داء الوهابية ، وحلق القذف والشتم فى أعراض المؤمنين أحياء وأمواتا ، وخدمة الأغراض الانتخابية فى المساجد الدينية تعتبرونه اساءة الى الدين ؟ ...

ثم يتوجه المقال بنصيحته الى الأمة ، ويصفها بالغافلة المسكينة ، وهي حقيقة مسلمة فى تلك الفترة ، بما فى الأمة كثير حتى من قادتها ! ... ويمضي فيقول : ... الأمة التي يحاول هؤلاء « المفسدون » العبث بكرامتها والحاق الاهانة والضرر بها ، وقد قامت الدلائل بأن مساعي هذا الفريق لا تجر لها الا الوبال والنكال . فلتعرهم ما هم له أهل من المقت والازدراء والاعراض عن طيشهم وحماقتهم ، كما هو دأبها معهم منذ ظهور جرثومتهم فى هذا الوسط ...

وفى الأخير يتوجه المقال الى السلطة بالنصيحة الآتية :

« نصيحتنا الى الحكومة الفخيمة التي رأيناها فى الجمعة السابقة والأخيرة تقف موقف الحزم فى المحافظة على الأمن العام بمنتهى الشدة والصرامة ، حيث اضطرت فى الجمعة الثانية الى اخراج الجنود السود « سينغال » بلباسهم الحربي ، والخيالة ...

ويمضي ... أيتها الحكومة الفخيمة ان مبدأ الاخلاص يوجب علينا النصح الخالص والصراحة النزيهة ، وقد تعرفين رؤوس الفتنة حق المعرفة مثلما نعرفهم نحن ، فاعتبريهم وحدهم المسؤولين عن ذلك التشويش ، وباداتهم تعود السكينة الى البلاد كما كانت قبل ظهور هذا الفريق الزائغ وانضمامه الى أرباب المطامح الانتخابية ..

ويختم : أما جمهور الأمة ، وهم عقلاؤها ، فانهم مستاؤون أيما استياء من هذا الجنون ويعتبرون هذه المناوآت من هذا الفريق الزائغ من أكبر أسباب الاعتداء على كرامة الأمة واذايتها فى دينها ومقدساتها » • (11)

بعض ارتسامات

وهكذا نتوقف عند هذا الحد من المهاترات التي كانت بين الجمعيتين وأنصارهما ، لأننا لو تتبعنا ما وقع من مهاترات بينهما لضاقت بها المجلدات واستغاثت الكائنات • على أنه ان كان الفريقان يتنابزان برمي بعضهما البعض بالتدخل فى السياسة والانتخابات ــ والمراد بها سياسة الانتخابات فقط ــ وكلاهما يظهر براءته منها ، فالحقيقة أن كلا الفريقين متورطان بصفة أو بأخرى فى المعارك الانتخابية ، فلكل أحباؤه وأنصاره ، ولكل مؤيدون ومؤيدون (بالكسر والفتح) من النواب المتخرجين ، فلجمعية العلماء من النواب بعض من الشبان كابن جلول ، فى أول أمره ، وفرحات عباس والدكتور سعدان وغيرهم ، وبعض آخر من جمعية النواب الأولى التي كانت امتدادا لحركة « النخبة » •

ولجمعية علماء السنة بقية النواب ، وخاصة المستقلين والمقربين لدى الادارة الفرنسية ، والمنتسبين للطرق الصوفية • ولنرجع هنا الى « الحركة الشعبية وتياراتها » :

2 ــ أما اتحادية النواب القسنطينية : « وهي التي يمكن أن نعدها في جانب الحركة الشعبية يومئذ ــ وهو التيار الثاني ــ فقد شقت طريقها فى هذه الفترة 1933 ــ 1936 ، وأصبحت حركة سياسية يحسب لها حساب • الا أنها كانت فى منظور النخبة الشعبية الوطنية موضع ارتياب بسبب سياستها الاندماجية المندفعة ، وهذا الوضع حمل رجالها على التودد لجمعية العلماء فوجدوا بجانبها متنفسا لدى بعض أعضائها ، فساعدهم ذلك في سياستهم الاندماجية ، بما وجدوا من سند ديني متطور ، فقد كانوا يحتجون بموقف العلماء معهم أمام تهجمات نجم الشمال الافريقي

---

11 ــ جريدة الاخلاص ، عدد 12 يوم 11 ذو القعدة 1351 هـ موافق 8 مارس 1933 م •
1933 م •

الذي يتهمهم ببيع الجزائر لفرنسا بثمن بخس • وكذا أمام بعض رجال الدين والعلماء المحافظين المتمسكين بالروح الدينية الاسلامية ، لما يرون فى الاندماج بأمة مسيحية من المروق عن الاسلام • وكان من هؤلاء شيخنا عمار بن أحمد العطوي والشيخ قبيوع امام جامع الخروب قرب قسنطينة رحمهما الله برحمته الواسعة •

وذهبت العلاقة بين اتحادية النواب وجمعية العلماء بين مد وجزر ، تجتمع حينا وتفترق آخر ، وتتقارب أياما فتتعانق بالأبدان والطقوس ، لتبتعد أياما أخرى ، فيحيي بعضهم البعض بتحريك الرؤوس •••! وربما آل الآمر يوما آخر الى سوء التفاهم فالتخاصم ، فتسارع العقول الراجحة والقلوب المتسامحة الى رأب الصدع واستصلاح الوضع •

ولقد وقع سوء تفاهم خطير سنة 1943 أدى الى جفاء ثم الى قطيعة بين الفريقين ، ولكن بسعي من العقلاء من كلا الطرفين رجعت المياه الى مجاريها بعد اجتماع وتلاؤم أدى الى تصالح الى حين • ونشرت مجلة الشهاب عن هذا التصالح مقالا بعنوان : (12)

« بين اخوة » رجال من جمعية العلماء ورجال من جمعية النواب »

« ومما جاء فيه : أثارت رياح نتناء ، من نفوس فقراء ، سحابة سوداء ، فأظلمت منها بعض نواح من جو الأخوة بين بعض رجال الجمعيتين ، وتحركت بعض الحشرات التي لا تعيش الا فى الظلام تطلب قوتها ، وما قوتها الا زقوم الفرقة وحنضل الخلاف (13) وما كادت تصل الى بغيتها حتى أرسل الله ريحا طيبة بددت السحاب وعطرت الجو ، وأنعشت النفوس فبدت شمس الوداد مشرقة فى سماء المودة بين أولئك الاخوان ، فرقصت القلوب وتعانقت الأبدان ، وتصافحت الأيدي ، وديست تلك الحشرات بالأقدام » •

12 — الشهاب ، ج12—م10—ص 558 .

13 — يشير الكاتب الى مقال واشاعة نشرت بجريدتي النهضة التونسية والنجاح القسنطينية .

ويمضي : لا أعرض للبداية التي تسوء ولكنني أعرض للنهاية التي تسر • ثم يذكر أن الشيخ محمد خير الدين كان سبب لقاء الاخوة ، ويذكر أسماء المجتمعين من الطرفين ثم يقول : فكان تلاؤم وكان تفاهم ، وكان ما صفى القلوب وربطها على المحبة والتعاون ــ كل فى ناحيته ــ على فعل الخير ••• » اهـ

واذا كان هناك من نشاط لجمعية النواب « فيدرالية قسنطينة » يستحق الذكر فهو ما ظهر فى اتجاهين : اتجاه اجتماعي واتجاه سياسي • ففي الاتجاه الاجتماعي لا ينكر أحد أن هذه الهيئة متمثلة فى رئيسها الدكتور ابن جلول كانت ذات منفعة تذكر فتشكر ، فقد دافعت عن التعليم ، وكافحت فى سبيل تحسين الحالة الاجتماعية والاقتصادية للفلاحين ، وأسست ملاجيء ومدارس لايواء الأيتام وأبناء الفقراء ، لا سيما وقد كانت هاته الفترة 1930 ــ 1936 تسودها أزمة اقتصادية خانقة وعالمية ، نالت الجزائر منها الشطر الأسود والمؤلم ، فالجفاف قضى على الحقول والمواشي ، وأسعار المنتوجات الفلاحية الضعيفة هبطت الى حد مريع بحيث أن سعر الحبوب هبط فى بعض الأحيان الى نسبة الربع من قيمتها الأصلية ، والادارة الاستعمارية لا يهمها افلاس الفلاحين الأهالي ، فليس لهؤلاء حق ثابت فى القروض التي يعطاها الفلاحون الأروبيون بدون حدود ، وليس لهم رصيد كالفلاحين الأروبيين •

وزيادة على كل ذلك فالمسؤول عن الضرائب المتنوعة لا يرحم الأهالي ، فجباة المغارم أشد ما يكونون غطرسة وقساوة عندما يباشرون المسلم الجزائري ، وأصحاب الديون لا ينتظرون ، أو ينتظرون مقابل فوائد فادحة • وأكثر الدائنين يهود ، واليهودي يعطيك أجلا جديدا للدفع ــ وهذه أمنيته ــ ولكن الأجل الجديد بالفائدة ، والفائدة التي يطلبها اليهودي لا تقل عن 50٪ ، فما يمر على الفلاح الذي يسقط بين أيديهم ــ وكثير ما هم ــ أربع أو خمس سنوات حتى يفقد أرضه ، فتباع بالمزاد العلني بأبخس الأثمان •

ففي هذه الضائقة المستحكمة كانت جمعية النواب ، بفضل نشاط رئيسها ، خففت شيئا من الكارثة التي أحاطت بالفلاحين تارة بالحصول

على شيء من القروض من الدولة ، وعلى الانتظار بدفع الضرائب ، وأخرى بالحصول على شيء من الصدقات والاعانات سواء من الدولة أو من صناديق الاحسان ، وحتى من أغنياء الأهالي الجزائريين ، خاصة فيما يتعلق بتسيير الملاجيء ، مثل « ميتم سيدي مبروك » •

ومن حسنات هذه الجمعية تلك « السوق الكبرى » التي عرفت عند العامة بسوق ابن جلول والتي أقيمت بقلب مدينة قسنطينة لصغار التجار والصناع الذين تحسنت بها حالتهم كثيرا عن ذي قبل • الا أن تلك السوق ، لسوء الحظ تهدمت بعد نحو سبع سنوات فقط تحت وطأة تراكم الثلوج •

أما اتجاه الجمعية السياسي فقد استقر فى المطالبة بالحقوق والمساواة فى ظل العلم الفرنسي والجنسية الفرنسية ، مستعملا (برنامج فيوليت) السابق الذكر ، جاعلا مطالبه ، التي سنبينها فيما يلي بتفصيل ، كخطوة حكيمة مرتكزة على سند قوي وهو (برنامج فيوليت) •

وقد كان هذا البرنامج بالنسبة للمستوطنين عبارة عن سيف مصلت سوف يقطع رقابهم اذا ما سمحت به الحكومة المركزية ، فلهذا كانوا يحاربونه بكل شـــدة واستماتة وكان الجزائري الذي يظهر بمساندة هذا البرنامج يعتبر عدوا لدودا لهم ، ومن أجل ذلك ظهرت « جمعية النواب » فى نظرهم ، أخطر حركة سياسية فى الجزائر • وقد قال فرحات عباس : ان المستعمرين كانوا يقولون « ان فرحات عباس أخطر من مصالي الحاج » • ويعنون بمصالي الحاج « حركة نجم الشمال الافريقي وحزب الشعب » لأن هذه الحركة كانت انفصالية ، فلاحظ لها لدى الحكومة المركزية فى التوصل الى أدنى مطالبها ، على خلاف جمعية النواب •

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد ظهر الدكتور ابن جلول فى نظر الشعب زعيما مقداما وسياسيا محنكا ، لاسيما وقد ظهر فى مظهر رجل الساعة المتحدى للاستغلال والفاقة اللذين يتمثلان لدى الرجل الشعبي

فى (الكولون) هذا الكولون الأناني المتعجرف الذي يعتقد أن الجزائر وشعب الجزائر خلقا من أجله ولخدمته الى الأبد ! •

ويعطينا فرحات عباس عقلية المستعمر الكولون منقـولة عن وزير الداخلية الفرنسي « م • صارو » صارحه بها أثناء مقابلته له • يقول الوزير : « قد قابلت هذه الأيام النواب البرلمـانيين الجزائـريين ـ الفرنسيس ـ وقد تحادثت معهم فيما يتعلق ببرنامج فيوليت أكثر من ساعة ، وقد كنت مقتنعا بنفس النظريات التي سمعتها منك الآن ـ يعني فرحات عباس ـ وحاولت أن أقنعهم متوجها الى وطنيتهم الفرنسية والى عقولهم والى قلوبهم ، ولكنني أثبت أن هؤلاء السادة ليس لهم لا وطنية ، ولا عقل ، ولا قلب ، وانما هم عبارة عن « أنبوب ابتلاع جشع » •

ارتســـــامات

لقد امتد التعاطف ، وتارة التعاون ، بين جمعية النواب بقسنطينـة وجمعية العلماء من سنة 1930 الى سنة 1937 ، حيث ظهر أول خلاف بين الشيخ باديس وابن جلول ، وقد كان من ثمرة ذلك التقارب نشوء حركة « المؤتمر الاسلامي » الذي سيأتي الكلام عنه مفصلا ، والتعاون فى ظل تلك الحركة لفترة غير قليلة ، اذا أضيفت لها فترة التحضير للمؤتمر، هذا المؤتمر الذي جمع أكثر الحركات والهيئات نشاطا ، وأقربها تعاطفا مع سياسة الاندماج ، ولكن كل هيئة عرفت كيف تستغل الظرف لصالحها، فاتحادية النواب اندفعت بكل حماس فى تأييد مطالب برنامج فيوليت ، مضيفة له بعض مطالبها ، ومتنت صفها ونظريتها السياسية ، مستغلـة ذلك التجمع الكبير الذي يمثل جل العناصر الأهلية ، سياسيا ، ودينيا ، واجتماعيـا •

فجمعية العلماء تمثل النظرة الدينية ، والحـزب الشيوعـي يمثـل ايديولوجية اجتماعية وسياسية ، والمنظمات التابعة للمؤتمر مثل « شباب المؤتمر » ولجانه المنبثة فى سائر القطر ، والكشافة ، وغيرها تمثل القوة المحركة النشيطة وهي مؤهلات عظيمة ظهرت كلها فى خدمة سياسـة الاصلاحات والاندماج التي يرتكز عليها سير اتحادية النواب •

أما جمعية العلماء فقد استغلت تلك القوات نجانبها فى مطالبها المشهورة، وهي فصل الدين الاسلامي عن الدولة ، وحرية التعليم الاسلامي العربي وحرية القضاء الاسلامي .

أما الحزب الشيوعي الذي لم يكن له قبل أي صيت فى الوسط الجزائري المسلم ، فقد أصبح حركة وطنية جزائرية وتنازل ، فى سبيل ذلك ، عن سياسته الخاصة الى سياسة الاصلاحات والمساواة . على أن حركة النقابات الفرنسية ـ ولا يوجد غيرها اذ ذاك ـ مثل C.C.T. و C.F.T.C. و C.G.T.U. لم يكن لها ولا لفروعها فى الجزائر أي نشاط سياسي ، ما عدا الأخيرة (C.G.T.U.) فقد كانت تتغافل عن اشتراك مناضليها مع الحركة الجزائرية الوطنية العامة .

فأما حركة نجم الشمال الافريقي ، التي كانت من أكثر الفترات فى الواقع القانوني غير موجودة ، فقد كانت معارضة لسياسة المؤتمر من أول يوم انما قد استغلت المشاركة لتقيم اجتماعات ونشاطات للمعارضة عبر أنحاء الوطن منادية بسياسة الاستقلال والجزائر العربية المسلمة . وان أدى ذلك الى حلها نهائيا بتاريخ 26 جانفي ـ يناير ـ 1937 م .

أما بقية الهيئات التي كان يعبر عنها بالحكومية فقد ظلت تتأرجح بين هذه الأحزاب والشعب الذي ظل يرزح تحت عوامل الذلة والفاقة ، مندفعا تحت تأثير الدعايات الحزبية تارة الى اليمين وتارة الى الشمال ، فى معارك انتخابية تفتح له كل أبواب الآمال ، لكن ما ان تمر حتى يرجع كل شيء الى نصابه المعتاد ، ويرى الشعب حالته فيرى الخيبة لا زالت ولن تزال جاثمة بكلاكلها على كل آماله . تلك كانت أدوار الحركات الشعبية المذكورة فى هذه الفترة المرتبكة .

حوادث الخامس اوت (آب) 1934

وفى هذا الظلام الدامس من الفاقة والاحتياج وأنواع الضغط التي يعيشها الأهالي المسلمون يتحرك حتى اليهود الذين كانوا لا يدعون المسلم حيث كانت وضعيته الا بكلمة « سيدي المشلم » تحركوا بعد اذ أحسوا بالهوان الذي انصب على المسلمين من جميع النواحي ، فجاء

يهودي يدعى (الياهو خليفي) فى حالة سكر ، كما أشيع ، وان كان هو نفسه تفى حالة السكر تحديا للمسلمين ، وبال على جدران جامع « سيدي لخضر » القريب من حي اليهود بمدينة قسنطينة ، ثم أطل من نافذة « الميضأة » دورة المياه ، فوجد جماعة من المسامين يتوضأون ، وبدأ يسب ويشتم لأنهم ـــ كما ادعى ـــ عرى العورات وما كان المسلم أبدا ليكشف عورته وقت الوضوء ، وقال لهم : « يلعن دينكم وصلاتكم وجامعكم وكبراءكم » • وتغافل عنه المسلمون وردوا عليه ببرودة : « اذهب فانك سكران ولا كلام لنا مع السكارى » • ولكن اليهودي يتغطرس ويجيب : بل أنا لست سكرانا ، وأنا عسكري فى الجيش ، ومضى يسب ويلعن •

وغضب المسلمون الذين كانوا فى الميضأة غضبا شديدا وخرجوا ليردوا اليهودي الى صوابه بما يستحقه من تأديب ، ولكنهم وجدوا شرطيين حيث خلصاه من الورطة ، وأمراه بالدخول الى مسكنه القريب ، وصرفا المسلمين مهدئين لهم بأنه ستقام عليه العقوبة انقانونية • ولكن اليهودي ـــ وقد كان الوقت ليلا ـــ لم يلبث أن أطل على الناس ومعه زوجته من نافذة مسكنهما وشرعا فى السب ورمي القاذورات ، والكوانين ، والأواني المكسورة على المسلمين • وخرج جيرانهم من اليهود وشرعوا هم أيضا يسبون ويرمون • وبالرغم من أوامر الشرطة لليهودي بالكف والاستسلام لها للبحث والاستنطاق أبى وامتنع امتناعا كليا ، وتفاقم الأمر وجاءت كوكبة من الشرطة العسكرية فاستعانت بها الشرطة المدنية ولكن دون جدوى • كل ذلك نتيجة احساس اليهودي بأن الادارة ستكون من جانبهم ، كما هي العادة •

ومهما يكن فقد تدخل بعض عقلاء ونواب المسلمين وهدأوا اخوانهم فى تلك الليلة ، الا أن اليهود ـــ وقد كانوا يتوفرون على السلاح الذي خولتهم اياه القوانين بصفتهم فرنسيين ـــ تنمروا وظنوا أن المسلمين ، بما فيهم قادتهم ونوابهم ، قد جبنوا • فاسترسلوا في تعدياتهم بالسلاح فى منعة من تدخل الادارة التي ربما تغافلت قصدا عن اليهود حتى يؤدبوا المسلمين الذين طالما تضايقوا من نشاطهم • وأمام هذه الحالة تفاقم الأمر

شيئا فشيئا ، وما جاء يوم الأحد الخامس من شهر أوت ــ آب ــ حتى اندفع المسلمون كالسيل الجارف يقتحمون بيوت اليهود تحت وابل من الرصاص ، فيقتلون ما وجدوا فيها من رجل أو امرأة ، ثم اندفعوا الى متاجرهم التي كانت مغلقة فى يوم العطلة الأسبوعية ، يخربون ويحرقون البضائع ويمزقون الأقمشة الثمينة ، وكان يوم الخامس أوت 1934 يوما تاريخيا فى مدينتي قسنطينة وعين البيضاء ، أظهر فيه الشعب الجزائري اباءه الضيم مهما كان مصدره ، ومهما كانت حالته ، وعبر عن نقاوته الأصيلة •

فقد رأينا الرجل الشعبي يدخل متجر اليهودي ــ ومتاجرهم كانت أفخم وأغنى المتاجر ــ مناديا : الله أكبر •• الله أكبر ! فيحرق ويمزق كل ما فيه من بضائع ، ويأخذ ما وجد من الأوراق المالية من مئات الآلاف فيحرقها هي الأخرى على أعين الملأ ، وذلك كي لا يتهم بأن عمليته كانت من أجل الطمع وليست غيرة على دينه أو كرامته • وسأثبت فيما يأتي خلاصة تقرير صور الحادث وتابعه يوما فيوما ، وساعة فساعة •

وتحركت ــ طبعا ــ الادارة الاستعمارية لتكون فى ظاهرها حيادية ساعية للصلح بواسطة أعيان ونواب الطائفتين ، ولكنها فى الواقع كانت فى نصرة اليهود ، ووقفت موقف نفاق كان لا ينبغي أن يكون من دولة تحترم نفسها ، وتعتبر جميع السكان من رعاياها ، فقد آل موقفها الى اعتبار الحق ، فى النهاية فى جانب اليهود ، بينما اعتبرت كل الباطل فى جانب المسلمين • فانه ، ما ان مرت تلك الأيام وهدأت الحالة حتى رأينا الادارة الاستعمارية تتحرك فى اتجاه غير الاتجاه الذي كان ينتظره الجزائريون والعالم كله • فعوض أن تعاقب اليهودي المعتدي ، وجيرانه الذين كانوا سبب الفتنة ، التفتت الى المسلمين وبدأت تعتقل وتحاكم وتعاقب •

وينبغي أن نشير هنا الى أن المستعمرين الفرسيين كانوا عندما يختلون بالمسلمين يظهرون أنهم يكرهون اليهود ويمقتونهم ، وهي حقيقة ثابتة لها ما يبررها • ذلك أولا ــ لأن اليهود مسيطرون على كل شيء بواسطة

أموالهم الطائلة ، وما توفر لديهم من حظوة لدى فرنسا بفضل الشخصيات اليهودية التي لهـا قيمتها فى تسيير دفة الدولة الفرنسية ، سياسيا ، واقتصاديا ، واعلاميا •

ثانيا ـ فان اليهود كانوا فى الجزائر ، حتى بعد الاحتلال الفرنسي يعتبرون من الأهالي الجزائريين ، ولما ألحقوا بالجنسية الفرنسية بقرار يسمى : « قرار كريميو » سنة 1871 م كره المستوطنون الفرنسيون ذلك وزادوا حقدا على حقدهم التاريخي على اليهود ، ولكن حقدهم على اليهود لا يبلغ مبلغ حقدهم على الاسلام والمسلمين • فقد كان الحقد على الاسلام يجمع دائما بين النصارى واليهود ، ولو على كره منهم ، وذلك من العهد القديم •

وصدق الله العظيم اذ يقول فى القرآن الكريم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » (1) •

وهكذا تجيء هذه المناسبة لتظهر « جمعية النواب » من جديد فتلعب دورا بارزا ، ومثيرا أحيانا ، بواسطة رئيسها الدكتور ابن جلول فيظهر أثناء الحوادث وبعدها ، زعيم الموقف ، والمدافع الأمين والشجاع ، على شعبه المظلوم ، وتزيده هذه الحوادث ظهورا وتألقا •

1 ـ سورة البقرة : آية 120 .

خلاصة تقرير حوادث 5 اوت 1934

وهذه خلاصة تقرير حوادث الخامس اوت ببعض تصرف (2)

يوم الجمعة 3 اوت ـ ليلة السبت

بينما كان الناس فى ميضاة الجامع الأخضر اثر صلاة العشاء ليلة السبت ، وعددهم نحــو الاثنى عشر ــ اذ: باليهودي الياهو خليفي يفاجئهم مطلا عليهم من نافذة الميضاة مدعيا عليهم كشف العورة عند الوضوء ، ومبادرتهم بقوله : « يلعن دينكم وصلاتكم وجامعــكم وكبراءكم » فأجــابه بعض الحاضرين : نحن لا نكشف عورتنا عند الوضوء وديننا ينهانا عن كشف العورة دائما ، ولا نلومك لأنك سكران فأجابه : لا ... بل انني بعقلي وانني عسكري ويلعن دين نبيكم . وخرج الناس فى غاية الاستياء فهدأهم قليلا قيم المسجد ونصحهم بتقديم شكوى الىمحافظة الشرطة (الكوميسارية) القريبة من المسجد فامتثلوا .

وذهب معهم شرطيان مسلمان ودقا عليه الباب وأمره باستجابة دعوة محافظة الشرطة فأبى أن يجيبهم بكلمة ، ومرت فرقة الشرطة العسكرية المتجولة . فطلب الشرطيان منها مساعدتهم على اخراج الجاني ، ولكنه لم يمتثل أيضا لهذه كما لم يمتثل للشرطيين . وعمد الشرطيان الى مجمع المسلمين وأمراهم بالتفرق على وعد أن تقوم محافظة الشرطة بعقاب الجاني .

---

2 ـ هذا التقرير نشر بمجلة الشهاب ، ج10ـم10 وهو لا شك من انشاء الشيخ باديس وكتب قصدا بلغة مفهومة . ولا يخفى ما فيه من تلطيف بقصد ابعاد بداية المسلمين بالظلم خوفا من الادارة المتحيزة مع اليهود .

وما أن ذهب الشرطيان حتى وقف اليهودي وزوجته بالنافذة وأخذا فى السب مثل السب الأول واضطر الناس لأن يرسلوا قيم المسجد الى المفتي ليقوم بكف عادية المعتدي بواسطة الحكومة ، وانتظر الناس على أحر من الجمر • ولما رجع الشرطيان وجدا جمهورا كبيرا فأبلغهما أن اليهودي عاد الى السب كما تسمعان ، وكان هو وزوجته اذ ذاك لازالا فى النافذة وكان غيرهما من اليهود قد شاركهما فى السب • وأمام حنق المسلمين خاف الشرطيان من اندفاعهم الى اليهودي فوقفا أمام بيته لحراسته •

فى هذه الساعة ابتدأ اليهود المجاورون برمي الكوانين و « البيادين » ــ ماعون من القصدير ــ فأجابهم المسلمون برمي الحجارة ، فشرع اليهود فى الرمي بالرصاص • وأثناء هذه المدة وصل المفتي ووقف يهديء المسلمين باذلا غاية جهده ولكن دون جدوى ، بل أسمعه بعض الحاضرين كلمة لوم ، بأن « هذا من برودتكم » (3) •

واثر هذا وصل الدكتور ابن جلول فوقف هو الآخر يهديء الناس والرصاص مازال ينصب من نوافذ اليهود • واستطاع بعد الجهد الجهيد أن يسكن غضبهم ويفرقهم وانتهت المصيبة حوالي الساعة الثالثة صباحا » •

استنتاجات من حوادث هذه الليلة

1 ــ رغم ما سمعه المسلمون من سباب اليهودي لم يهتاجوا وأجابوه بكل تعقل لأنه سكران • ولكنه يجيب بنفي السكر ، واعتز بأنه عسكري وأعاد السب • وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يقول ويفعل ، وعلى اغترازه بالحرمة العسكرية ، والاغترار بالحرمة أمر مشاهد دائما من عامة اليهود عند معاملتهم للمسلمين •••

3 ــ ان كلاما مثل هذا واتهامات خطيرة كانت تجري على ألسنة البعض نحو المفتي وابن جلول وكل الشخصيات التي كانت تسعى للتهدئة والتوسط •

2 ــ امتثل الناس لقيم المسجد وقدموا شكواهم للمحافظة وهذا دليل على أنهم لم يكونوا يريدون أن ينتقموا وانما يريدون أن يتوصلوا لحقهم على يدي العدالة •

3 ــ امتناع اليهودي المعتدي من اجابة الشرطة ومن اجابة الفرقة العسكرية ، دليل على تمرده حتى على رجال الحكومة المدنية والعسكرية، وما تجرأ على هذا الا لعلمه بأن قضيته مع المسلمين • وقد تعود هو وأمثاله أن تعدياتهم على المسلمين فى الغالب توضع على الرف •

4 ــ لما أمر الشرطيان الناس بالتفرق تفرقوا وهذا دليل على احترامهم لأوامر دائرة حفظ الأمن ، ودليل على أنه لم يكونوا يفكرون فى الانتقام بأنفسهم •

5 ــ بعد عودة اليهودي للسب ، هو وزوجته ، من نافذة دارهما لم يفعل المسلمون شيئا غير ارسالهم للمفتي ، وهذا دليل آخر على ضبطهم لعواطفهم فى انتظار الانصاف من طرف الحكومة •

6 ــ شارك المعتدي غيره من يهود الحي بدل أن يكفوه ، وهذا دليل على الروح المتفشية فى عوام الطائفة اليهودية من التمالؤ على اذاية المسلمين واستهانتهم •

7 ــ الشرطيان اللذان وقفا أمام بيت اليهودي ليحرساه كانا مسلمين• وهذا دليل على ما يتحلى به المسلم من احترام واجبه دون الانقياد للعاطفة •

8 ــ رغم ما سمع المسلمون وما رأوه فقد استمروا ملازمين السكوت حتى ابتدأهم اليهود برمي « البيادن » والكوانين • وهذا دليل واضح على تحمل اليهود المسؤولية بالقول والفعل •

9 ــ استطاع الدكتور ابن جلول بعد ما بذل جهود الأبطال أن يسكن ثائرة الناس ، وهذا أول مواقفه العظيمة فى اطفاء هذه الفتنة وهو دليل على مكانته عند الأمة ••• »

صبيحة يوم السبت 4 اوت

جئت الى ادارة الشهاب الساعة الثامنة فعلمت بالواقعة ووجدت استدعاء من طرف مدير الشرطة م . فيزورو مثلما استدعي غيري ، واجتمعنا عنده فطلب منا أن نساعده على استتباب الأمن ، فقلت له أنا ــ بترجمة السيد يحيى أحمد ــ : ان فطرتنا الاسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة كل هذه تحملنا على مساعدتكم ، ولكن بمزيد من الأسف أن الدين الذي نهذب به الناس ونربيهم ... قد وصلت الاهانة والتعدي اليه ، ومع ذلك فاننا سنبذل مجهودنا .

ورأى الجماعة أن يقابلوا القائم مقام « عامل العمالة » فطلب لهم محافظ الشرطة مقابلته وذهبنا كلنا لدار العمالة . خرج علينا م . لنديل القائم مقام العامل فألقى خطابا طويلا فحواه : « التأسف على ما وقع والتوصية بلزوم الهدوء ، وتهوين التعدي الذي وقع من اليهودي السكران . ووعد بأن العدالة ستقتص منه « فأجبته : ان هذا الاعتداء ليس هو الاعتداء الأول من نوعه واننا نحب السلم ولكن المسلمين لا يستطيعون الصبر دائما ، خصوصا عندما يهانون فى دينهم ، فان الأمر عندئذ يصعب علينا . على أن اليهودي المعتدي ، اذا سلمنا بأنه سكران ، فزوجته وجيرانه ليسوا بسكارى قطعا ، وقد شاركوه فى السب والضرب . وأبنت له أن الذي جرأ اليهود على هذا الموقف هو السلاح الذي يحملونه مع علمهم بانعدام هذا السلاح عند المسلمين.

ولهذا فما داموا يحملون السلاح ويطلقون الرصاص لأدنى شيء فان الشر لا ينتهي وطلبت منه نزع السلاح من اليهود فاعتذر لأنهم (سيطوايان) مواطنون فرنسيون . لكن انه كلم كبراءهم ، وها هو يزيد فيستدعيهم بحضورنا .

وجاء بعد حين أعيانهم ونوابهم وحبرهم ، وخطب القائمقام على الجميع بلزوم التسامح والنسيان لما مضى . فابتدرته وقلت مما قلت :

« ان المسامحة الحقيقية لا تقع الا بعد العقاب المبني على الحقائق الواقعة ، ثم توجهت الى جماعة اليهود فذكرتهم باعتداءاتهم المتكررة

التي من أقربها اعتداء أولادهم علي وعلى مدير مجلة الشهاب السيد أحمد بوشمال • ثم ، وكم من مرة اجتمعتم مع المسلمين بدار العمالة لمعالجة التعدي وفى كل مرة تعدون بكف سفهائكم ولكن دون نتيجة ، مما دلنا اما أن عامتكم لا تحترمكم ولا تنقاد اليكم ، واما لأنكم أنتم لم تكونوا صادقين فى تهدئتكم وكفهم عن الشر ، واذا كانت عامتكم لا تنقاد اليكم ، والحكومة لا تنزع منها السلاح فمن الذي يكفها ويوقفها عند حدهــا ؟ • وانتهى المجلس كالعادة بالوعود والتصافح والتصافي •

مســاء يوم السبت 4 اوت

« اجتمعت بالدكتور جلول فاتفقنا على أن نخطب فى الناس لتهدئتهم ورأينا وجوب المبادرة بذلك قبل دخول الليل وأرسلنا مناديا ينادي فى المدينة ليجتمع الناس بالجامع الكبير على الساعه السابعة وامتلأ الجامع بمختلف الطبقات رغم ضيق الوقت ، وكان الناس فى حالة هيجان كبير وتأثر بالغ ، لأن اليهود ضربوا فى ذلك المساء بعض أفراد من المسلمين • وقبل أن أصعد لمنبر الخطابة نادى جماعة بأن اليهود لازالوا يحملون السلاح لقتلنا وقد أطلقوا النار بالفعل فى هذا المساء وجرحوا منا • فبادرت بالكلام واستطعت ــ بحمد الله ــ التغلب على تلك العواطف الثائرة •

ثم صعد الدكتور ابن جلول فألقى خطابا مؤثرا فازداد الناس قبولا ، وخرجت تلك الآلاف هادئة مهدئة • تفرق الناس بعد جهد جهيد وخلت منهم الطرقات ونزل الهدوء التام وباتت المدينة فى أمن وأمان ، وسهرت أنا والدكتور جلول وبعض النواب الى منتصف الليل نتجول فى بعض الشوارع فشاهدنا بأنفسنا هدوا شاملا » •

استنتاجات من حوادث يوم السبت وليلة الاحد

1 ــ ان الذين قالوا عند اجتماعنا فى الجامع بأن اليهود ما زالوا يحملون السلاح لقتلنا ••• دليل على ما كان لبقاء السلاح عند اليهود من الأثر السيء فى ادخال الرعب فى القلوب ، مما يقوى فى النفس غريزة

الدفاع ... ودليل على أن عودة اليهود الى الضرب بسلاحهم فرغ منه صبر المسلمين .

2 ـ ان هدوء المسلمين بعد أن سمعوا منا دليل على انقيادهم لمن يكون على ثقتهم وتمسكهم بأسباب العافية حتى فى أحرج الأوقات » .

يوم الاحد 5 اوت 1934

أصبح الناس يوم الأحد على أحسن حال لا فرق بين هذا اليوم وسائر الأيام ، وأصبحت المعاملات التجارية جارية بين المسلمين واليهود كعادتها . كنت مارا أمام دار البلدية حوالي الساعة الثامنة ونصف فلقيني رجل من الشرطة السرية « سي سليم » فسألني هل عندكم اجتماع هذه الصبيحة فى « الصنوبر » ـ غابة محطة القطار ـ فقلت لا ... ان اجتماعنا قد مر أمس عشية بالجامع الكبير وحصل المراد من التهدئة . ولما وصلت الى ادارة الشهاب جاء من أخبرني أن بعض الناس اجتمعوا فى الصنوبر ثم افترقوا حينا وكانوا غالطين » (4) .

« ونحو الساعة العاشرة ذهبت الى جمعية التربية والتعليم لألقي محاضرتي على أعضائها فما كدنا نشرع حتى جاءنا المخبر أن اليهود أطلقوا الرصاص ، فمكثنا كلنا بالجمعية الى الساعة الثانية عشرة حيث أطلقنا سراح التلامذة ولم أتمكن من الرجوع الى مسكني الا تحت حراسة كوكبة من الجند » .

---

4 ـ الواقع أن الاجتماع الموميء اليه وقع عن قصد وليس غلطا ، وكانه معارضة لاجتماع الجامع الكبير حيث أن الشعب ضاق ذرعا ممن يدعون الى الهدوء واليهود يطاردونه بالسلاح وبرمي القاذوزات . وفى هذا الاجتماع تقرر رد فعل بالقوة وبدأ العمل فعلا فى ذلك الصباح بعد تفرق المجتمعين مباشرة . ولا يخفى ـ اذ ذاك ـ أن حظ الذين يدعون الى الهدوء كان ضعيفا لسببين :

أولا : أن اليهود لا زالوا يتحرشون بأي عربي ، وأن جذوة الانتقام للمقدسات والشرف لم تنطفيء بعد .

ثانيا : بسبب ما انتشر من دعاية بأن الذين يدعون الى الهدوء هم بجانب الادارة وعملاء اليهود . على حين كان حظ الأضداد أقوى فاعلية . اذ لا يعقل أن المسلم الذي كان لا ينظر الى اليهودي الا أنه الجبان المستسلم لاي ذل المتقبل لكل مهانة ، يتعدى عليه هذا اليهودي وعلى مقدساته الدينية ثم يذهب معنا فى الظلم والاستهتار الى حد رمي القاذورات على المسلمين واطلاق الرصاص ، ثم يهدأ هو ويذهب لمصافحة هذه اليد الأثيمة . ان هذا لمن رابع المستحيلات .

كيف ابتدات الفتنة وكيف انتهت ؟؟

« لاشك أن الفتنة ابتدأت بسبب اطلاق (أولاد الزاوي) اليهود ، الرصاص على المسلمين ، وكلما زاد اطلاق الرصاص من اليهود الا ازداد هياج المسلمين كما كتبته الجرائد ، حتى الجرائد الباريسية ومنها جريدة (لاكسيون فرنسايز) » .

« حضر الدكتور ابن جلول لرحبة الصوف (5) والفتنة على أشدها فدخل المعمعة يهديء الناس من ناحية ، ويضمد الجراح من ناحية أخرى، وكانت حالة الناس ـ وهم يسمعون دوي الرصاص ويشاهدون الجرحى تتساقط منهم ـ أعظم من أن تهدأ . ومع ذلك فقد استطاع ابن جلول أن يرد المهاجمين على حي اليهود المسمى « الشارع » وانتشر الخبر فى أنحاء المدينة وماجت الأنهج بالناس ، وتفــاقم من اليهود اطلاق الرصاص من نوافذ مساكنهم على المارة والمتجمهرين . واندفع الناس حينئذ نحو متاجر اليهود يكسرون أبوابها ويمزقون ما فيها من قماش ويهشمون ما فيها من أثاث ، ويمزقون الأوراق المالية ويحرقون بعضها ، وقتلوا نيفا وعشرين من اليهود . وما هدأت المعركة الا على الساعة الثانية بعد الزوال » .

استنتاج وتعليـــــل

« 1 ـ فتح أسواق الخضر الاسلامية كعادتها ، وتعاطي المسلمين البيع والشراء مع اليهود واليهوديات دليل قاطع على أن المسلمين كانوا قد اطمأنوا ودليل على أنهم ما كانوا عازمين على شيء من الشر نحو اليهود » .

2 ـ ابتداء « أولاد الزاوي » الصائغي بضرب الرصاص ، ورؤية المسلمين السلاح بيد اليهود والرصاص يتهاطل من نوافذهم ، وهم عزل

5 ـ رحبة الصوف سوق فى مدينة قسنطينة يقع قريبا من الحي اليهودي ولكن الغالبية من سكانه وتجاره عرب .

من السلاح ، بعث فيهم الرعب والحنق فاندفعوا ذلك الاندفاع القوي السريع المحطم » •

3 ـ غريزة الدفاع عن النفس فطرية فى الانسان ، بل فى جميع الحيوان ••• فالانسان الأعزل من السلاح ، عندما يرى خصمه مسلحا ويشاهد الرصاص منطلقا يحس بخطر محقق فتتحرك فيه غريزة الدفاع فينبعث على غير وعي وينقض على خصمه انقضاض المستميت ربما قضى عليه رغم سلاحه • هذا فى الفرد من الناس أما فى الجموع منهم فان المسألة تكون أروع ، لأن الجماعة لا تعمل بفكر وانما تعمل عن عاطفة • فاذا اندفعت بغريزة الدفاع فانها تأتي بما لا تتصوره العقول » •

« بهذا التقرير العلمي النفسي نعلل مـ اكان وقع من الجماعة المسلمة العزلاء من السلاح أمام اليهود المسلحين • ولعلمنا بهذه الحقيقة العلمية النفسية كنا حريصين أمام القائمقام على نزع السلاح من اليهود • وقد أمرت السلطة أعوانها بنزع السلاح من المارة فى الشوارع ولكن بعد فوات الوقت (6) •

نعم ، كان المسلمون يسمعون دائما الاهانات وسب دينهم وخاصة من النساء اليهوديات ويتألمون لذلك أشد الألم ولكنهم كانوا يعلمون أن اليهود لهم السلطة الكبرى ولهم الغلبة حتى على الفرنسيين الأصليين ولذلك ما كانوا يردون الفعل وفضلوا الاستسلام للواقع • ولكن هذه المرة كانت غريزة الدفاع عن النفس أمام الخطر المحقق ، وقتل من اليهود بضع وعشرون نفسا كان منهم خمس نسوة وستة من الصبيان • وكان المسلمون ، لما يشتد الرمي بالرصاص من النوافذ ومن أيدي بعض النساء ، يصعدون للمنازل تحت وابل الرصاص فيبطشون بمن

6 ـ الحقيقة أن الأمر الصادر بنزع السلاح من المارة انما يطبق على المسلمين ، أما اليهود فلا يوجد منهم واحد بالشارع ، فمن المستحيل أن يتشجع اليهود على الخروج للمسلمين ولو بأيديهم السلاح ، ولذا فهم انما كانوا يطلقون النار مر نوافذ بيوتهم وهذا ما يجعل الأمر غير مطبق على اليهود عمليا . والادارة تعرف هذا والا ما كانت تصدر الأمر بنزع السلاح ، بدليل موقف القائمقام مع ابن باديس .

فيها عن غير تمييز • والاسلام معلومة أحكامه يمنع قتل النساء والصبيان حتى فى الحرب المشروعة » (*) •

المصائب على الجانبين

« اذا كانت دكاكين اليهود قد أصيبت بما أصيبت فان دكاكين المسلمين التي فى حومة اليهود قد أصيبت كذلك ، وان كانت خسائر هذه قليلة فذلك لأنها قليلة ولأنها ضعيفة كأصحابها الضعفاء ؛ بخلاف دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة لأنها هي كثيرة ولأنها قوية كأصحابها الأقوياء •

قومت المحلات التي أصيبت بالحرق والنهب بمائتين وعشر محلات (210) من بينها مائة وسبع محلات (107) عرف أربابها رؤوس أموالهم فكانت كما يلي : خمسمائة وثلاثة وستين ، وثمانمائة وواحد وثمانين ألفا وأربعة ملايين فرنك (4ر881ر563ر00) أي ما يعادل نحو خمسمائة مليون دينار جزائري سنة 1976 •

واذا كان القتلى من اليهود نيفا وعشرين ومن المسلمين اثنين ، فالفضل لمسدسات اليهود التي خانتهم عند الضرب بالمطر الوبيل من الرصاص الذي نزل من مسدساتهم وما قصدوا به الا القتل وازهاق الأرواح بلا فرق بين من فى الأنهج من رجال ونساء وشيوخ وصبيان وجنود • وقد جرحوا بالفعل نحو الأربع من الصبيان ، وجرحوا جنديين أو ثلاثة • فلو صحت من اليهود فى الرمي زنودهم كما صحت فى القتل قصودهم لكان القتلى من المسلمين ــ كبارا وصغارا ــ يعدون بالمئات ••• أما عدد الجرحى فقد كان متساويا أو متقاربا فكان من الجانبين نيفا وعشرين وكان كثير من جرحى المسلمين بسلاح الجند ••• مما يدل على أن الجنود ، وان لم يطلقوا الرصاص لعدم الاذن لهم بذلك ، فقد دفعوا الناس بالسلاح الأبيض » •

(*) ـ هذا الحكم ما لم تشارك المراة فى القتال والا جاز قتلها فهي محاربة . والواقع ان اساءة اليهود الى المسلمين كانت من صبيانهم ونسائهم أكثر من رجالهم ، فمن هو من المسلمين مريحيي اليهود (الشارع) ولم يرمه الصبيان بالحجارة والنساء بالقاذورات من نوافذ مساكنهن .

ليلة الاثنـين ويومها 6 أوت 1934

« أعلنت حالة الحصار ومنع المرور الا باذن خاص وفى مساء يوم الاثنين ــ وقد وقعت حــوادث مماثلة فى بلـــدة عين البيضاء شرقي قسنطينة ــ رغبت مني ادارة عامل العمالة أن أذهب الى عين البيضاء لتهدئة الناس ، ولما كان هذا من أعمال الخير التي وقفت لها نفسي أجبت الطلب وصحبني السيد عمر بن الموفق ليباشر هو الناحية الادارية ورجالها بينما أباشر أنا ناحية الأمة ، ولما وصلنا لعين البيضاء فى منتصف الليل ذهب رفيقي الى دار البلدية وبعد نحو ساعة رجع الي ليخبرني أن بعض النواب المحليين يرون أنهم قد قاموا بتهدئة الناس وان تدخل غيرهم ربما يشعر بتقصيرهم فى واجبهم فقفلنا راجعين » •

وقد علمنا بعد ذلك فى حوادث عين البيضاء أن شرطيا يهوديا أطلق الرصاص على ولد صغير مسلم فجرحه وحمل الى مستشفى قسنطينة حيث توفي به • وأن النائب العمالي بومالي قدم استعفاءه لعامل العمالة احتجاجا على تكليف غيره بتهدئة السكان المسلمين •

هذا ، ومن العجيب أن الهيجان لم يمتد الى بقية المدن التي يوجد بها يهود ، حيث اقتصر على قسنطينة وعين البيضاء • ماعدا مدينة عنابة التي امتد اليها الرشاش يوم الثلاثاء 21 أوت بسبب رمي طاولة خشب من نافذة منزل يهودي فجرحت مسلما وأوقعت تهيجا كبيرا فى الجماهير المسلمة التي توجد بقرب الحادث ، ولكنه أطفيء لحينه بفضل تدخل بعض العقلا ••

ويضيف الشيخ باديس فى تقريره :

« فى ليلة الاثنين جدد اليهود اعتداءاتهم بقسنطينة . وعلى بيت من بيوت الله وهو مسجد « سيدي الكتاني » هذا المسجد يقع فى رحبة « سوق العصر » فى وسط حي اليهود ، فهاجمه اليهود وكسروا أربعة أو خمسة من نوافذه ، وهشموا التخاريب التاريخية الجميلة التي على أحد أبوابه ، وأثبتت ذلك ادارة الأمن بتقرير رسمي •

استنتاجات وملاحظات

1 ـ أجبنا دعوة الحكومة لما دعتنا الى فعل الخير ••• فهل علمت من ذلك أننا دعاة خير وسعاة احسان ؟ • وهل هي بعد ذلك تستطيع أن تخلي بيننا وبين ما نقوم به مما هو أصل كل خير الا ••• وهو نشر العلم والدين ؟! •

2 ـ أما النواب الذين زعموا ذلك الزعم (7) فأحسب أن الأنانية حالت بينهم وبين فهم التعاون والا فان القائم بواجبه ، مهما كان مقدار قيامه لا يأنف من اعانته فيه • محبة فى تحقيق ذلك الواجب على أكمل وجه •••

3 ـ وأما النائب الذي قدم استعفاءه (8) وتحمس هذا التحمس ، فاننا كنا نود أن لو كان عنده هذا الحماس وهذه الغيرة والحمية فى مواطن أخرى كان فيها حضرته باردا ومبردا ••• !

4 ـ قتل اليهودي الشرطي ، فى عين البيضاء ، ولدا صغيرا رميا بالرصاص !! وهل يحتاج بعد هذا الى دليل على روح العداء والتعدي ؟ ومن الثابت أيضا أن بعض الشرطة اليهود بقسنطينة أطلقوا الرصاص ، وأن شرطيا اسمه « علوش » سكر وقال سأضرب وأفعل •• وأفعل •• وأذكر هنا كيف وقف الشرطيان المسلمان أمام دار اليهودي (الياهو) أصل الشر والبلاء يحرسانه ؟ وقس بين الروح والروح ••• » •

صبيحة الثلاثاء 7 اوت 1934

« 5 ـ استدعى الوالي العام ـ م • كارد ـ وفدا من المسلمين وألقى عليهم خطابا ـ دل على موقفه موقف الحاكم العادل ـ الذي يريد أن يعرف الحقيقة ذاتها • وأذن للجماعة بالكلام فقدموا الدكتور جلول

---

7 ـ لا شك أن الشيخ يقصد النواب الذين اشمأزوا من كثرة التعاون مع الحكومة وهي غير مخلصة مع المسلمين ، ثم لا يخفى ما كان من تنافس بين السياسيين الانتخابيين يومئذ .

8 ـ النائب المستقيل هو الدكتور بومالي نائب ناحية عين البيضاء وهو من المقربين الى الادارة .

فألقى خطابا جامعا صور فيه الواقعة تصويرا فوتغرافيا ، نظن أنه أبلغ وأصدق ما سمعه الوالي العام عن صورة الحالة » .

« وسأل الوالي العام الدكتور جلول عن سبب اجتماع الناس فى « الصنوبر » صبيحة الأحد ، فأجابه الدكتور « بأن هؤلاء كانوا سمعوا بالاجتماع على الساعة السابعة وهو الذي عقد بالجامع بعد صلاة المغرب .. فظنوه على السابعة صباحا ، أي محض غلط »

« ثم قدموا الأستاذ مختار حاج سعيد المحامي ، فألقى خطابا بليغا .. ثم تكلم النائب المالي السيد محمد المصطفى ابن باديس فوافق على كل ما قال الخطيبان قبله . ثم طلب الوالي العام من الوفد أن يعده بكف المسلمين عن اليهود . فأجابه السيد محمد المصطفى بأن المسلمين منكفون بالفعل وأننا نستطيع أن نكفهم ولكن بشرط أن ينكف اليهود الذين قد تكرر منهم الاعتداء . فأجاب الوالي بأنه سيجتمع مع اليهود مثلما كلمهم ، وأنه يعتمد عليهم » .

وفاء الوفد بوعده

« خرج ذلك الوفد الاسلامي المتركب من النواب والأعيان وبعض أهل العلم (9) فارتأوا أن يبادروا بالعمل وفاء بالوعد وبدأوا يتجولون فى الشوارع ويعلمون الناس بمقابلتهم للوالي وما طلب منهم وما التزموا به عن اخوانهم المسلمين . وكلفوني ـ يقول باديس ـ أن أقوم خطيبا فى كل موقع نقف فيه ، فوقفت بضعة عشر موقفا ألقيت فيه خطابا أعلمت فيها المسلمين بما اوقع عليه الاتفاق بين الوفد والوالي العام وأدعوهم الى الهدوء والسكينة وأذكرهم بآداب الاسلام .. »

« وقد عملت تلك الخطب ـ باذن الله ـ عملها فى قلوب كانت متفرقة فاتحدت ، وأرواح كانت متناكرة فتعارفت . وأخيرا ختمنا جولتنا بكلمة ألقيتها عند مكان الافتراق أمام عيادة الدكتور ابن جلول » .

9 ـ كان من اعضاء الوفد السادة : محمد المصطفى ابن باديس ، وابن جلول ؛ واسماعيل ابن المقون ، ومحمد الصالح امزيان ، وعلاوه ابن جلول ، وحموش ابن حفيظ ، والدكتور محمد زرقين ، وتوام شعبان ، وابن شراد ، وكلهم اما نواب ماليون وعماليون أو نواب بلديون ، ومختار حاج سعيد المحامي .

يوم السبت 11 اوت 1934 (10)

« قابل وفد المسلمين ــ صبيحة السبت ــ عامل العمالة ، الذي قدم من فرنسا أثناء الأسبوع ــ ودار الحديث فى الحوادث التي وقعت ورأينا من عاملنا الجديد رجلا يحمل روحا فرنسية لطيفة ويتحلى بآداب الموظف العالي • أبدى تأسفه أن وجد قسنطينة أول قدومه فى هذه الفاجعة وأظهر رغبته فى رجوع الأمور الى مجاريها (11) •

وتكلم ابن جلول والطبيب زرقين وغيرهما ثم تكلم النائب المالي ابن باديس فذكر للسيد « العامل » أن الأمن من ناحية المسلمين قد استتب بالفعل ، واستطاع نواب وأعيان المسلمين ، على كثرة هؤلاء ووجودهم فى جميع أطراف المدينة ، أن يهدئوا اخوانهم • لكن أعيان اليهود ، فهم على قلتهم ووجودهم تقريبا فى جهة واحدة من المدينة فانهم لم يقوموا بشيء وتجددت منهم حوادث خطيرة منها جرح طفل كان يبيع الجرائد ، وصب المادة الملتهبة (الفيتريول) على طفل آخر ، واطلاق الرصاص على رجل بشارع « فرنسا » وكان هذا ما بين يومي الأربعاء والسبت » •

وفى فصل تنظير بين المسلمين واليهود وموافقتهم يقول الشيخ ابن باديس مقارنا بين نشاط وشجاعة وتعقل ابن جلول ومن معه من النواب ، وبين موقف نائب اليهود (لولوش) الذي كان فى مقدوره أن يوقف الشر ــ فقط ــ بادخال المجرم (الياهو) الى السجن . ولكنه مضى تارة يكذب وأخرى يتعجب ، ولم يكتف بذلك بل انه فى تقريره الى الحكومة صار يتهجم حتى على الحكومة ويتقول بالباطل على المسلمين •• »

ويضيف ابن باديس : وهكذا حالة رجال الدين ــ مقارنا أيضا ــ فمفتي المسلمين بمجرد ما سمع بالحادثة هرع الى مكانها وهدأ الناس

10 ــ بدا فى هذا اليوم والذي قبله القاء القبض على المسلمين دون أن يعاب اي يهودي بالقبض .

11 ــ اسم عامل العمالة الجديد : (م.لابان) والامين العام م.لاندال ، ورئيس ديوانه م . سان بسبارج .

ببذل كل جهوده (12) بينما لم يتحرك حبر اليهود من مكانه ولم يبعث حتى واحدا من طرفه • وهكذا رجال الشرطة المسلمون واليهود والشعب. فالمسلمون استمعوا لنوابهم وأعيانهم ولم يقع منهم بعد يوم الأحد أي حادث بينما اليهود استرسلوا فى تحدياتهم الشريرة • وحتى دفن القتلى، فقد التزم المسلمون الهدوء والعمل بأمر الادارة فلم تشيع جنائزهم بأي مظهر أو تجمع ، بينما شيعت جنائز اليهود فى مشهد حافل بالخطب •

ويختم التقرير بقوله : كتبنا هذا التقرير عن الحالة كما شاهدناها فيما شاهدنا وكما تحققنا فيما بلغنا من الثقات عندنا • واننا بعد ذلك نأسف ونألم على ما يصيب الانسان من أخيه الانسان ، وعلى أن تجري هذه الحوادث بين عنصرين ساميين ابراهيميين عاشا قرونا فى وطن واحد دون أن يشهدا مثلها •• » اهـ

ذيـول هـــذه الحـــوادث

1 ـ هكذا ، وكالعادة بدأت المكائد تترى على العرب ، وراحت الادارة تشدد وتلقي القبض على المئات من العرب وحدهم ، وذهبت الصحافة الاستعمارية تهول الأحداث وتخلق المكائد • ونشرت جريدة « الديبيش القسنطينية » اليومية نص رسالة ادعت أنها أرسلت من تونس الى المسيو مورينو النائب البرلماني وشيخ مدينة قسنطينة هذه بعض فقراتها :

« جناب ايميل مورينو ـ بمناسبة الحــوادث التي كانت مدينـة قسنطينة مسرحا لها ، يسوغ لنا ، نحن القسنطينيين المقيمين بتونس أن نصرح أنك « أخمج الجنسية الفرنسية » وأنك « أخمج الجنسيـة اليهودية » جدا •• جدا »

وتذهب الرسالة كلها فى التهديد والوعيد وتقول : ان كل ما نترجاه ••• هو أن نشاهد يوما ـ ما ـ فى قسنطينة مأساة مورينو الخامج الأكبر فنرى عنقك مقطوعا وبدنك فرش النهج العام •• »

---

12 ـ المفتي كان يومئذ الشيخ المولود ابن الموهوب •

وقد نشر تكذيب لهذه الرسالة بجريدة النجاح عدد 1599 فى 15 أوت 1934 ، بامضاء الشيخ ابن باديس ، تحت عنوان : « رسالة مفتعلة موجهة من طلبة قسنطينة الذين يقرأون بتونس الى مورينو تهدده بالقتل » .

2 ــ وفى الواقع أن العرب كان فى مقدورهم أن يستأصلوا الجنس اليهودي كله فى القطر الجزائري ، بما يتوفر عليه العرب من شجاعة واقدام ، وكثرة عددية ، على خلاف اليهود الذين كانوا أجبن خلق الله وأخوفهم من الموت ، فى حين أن عددهم قليل جدا لا يتجاوز 03ر1٪ ، فاليهودي قد يكون بيده « الرشاش » فاذا رأى العربي مقبلا عليه فى غضب فشلت أصبعه على الزند ، وقد يقع من يده الرشاش تماما ، وهو ما وقع بالفعل فى حوادث الخامس أوت (أغسطس) 1934 ، فأكثر القتلى من اليهود ماتوا بسلاحهم الذي كان فى أيديهم ، قد يحمل كلامي هذا على المبالغة ولكن هي الحقيقة بدون (روتوش) .

لكن ــ والأسف ملء الجوانح ــ أن العربي الشعبي ، تحت النظام الاستعماري ، كان يحس بالضعف من جميع النواحي ، فبقطع النظر عن شجاعته الخلقية الجبلية التي دفعته على اليهودي المسلح ، فافتك منه السلاح وقتله وهو فى حالة غضب ، ومثل هذا شاهده الفرنسيون كثيرا فى ثورة التحرير ثورة نوفمبر 1954 حينما كان يهجم الجزائري على الدبابة ويحرقها . وحتى صار الفرنسيون يعتقدون أن الجزائري لا يعرف خطر الموت لأنه متوحش ، فانه حينما يرجع الى واقعه ويسترجع عقله يجد نفسه مكبلا بعدة عوامل . فالادارة الحاكمة تقف ضده دائما ، وتعتبره مجرما سفاكا للدماء ولو أنه المسفوك دمه . وهذا ما وقع بالفعل بعد هذه الحوادث ، فجميع العقوبات الادارية والشرعية نزلت على العرب وحدهم ، بينما لم يصب اليهود بشيء . ناهيك أن اليهودي (لياهو) الذي أثار الفتنة لم يحكم عليه الا بيومين سجنا وخمسة عشر فرنكا خطيئة لأنه تسبب فى « حركة هرج وسباب .. ! » .

3 ــ والوضعية المادية ترهق العربي الشعبي بالخصوص وتجعله دائما يقدر العواقب ، فالمال بين أيدي اليهود ، وهم مرجع العربي الوحيد

عند الحاجة فهو محتم لأن يتعامل معهم ولو بأشط الفوائد ، سواء فى فلاحته أو تجارته ، أو فى جميع وسائل معاشه ، لأن الأبواب المالية في البنوك موصدة ومغلقة في وجهه وأخيرا طيبة العربي المسلم وسهولة اغتراره ، وذل اليهودي وخبثه عندما يريد من العربي حاجته ولا حاجة له الا نهب المال •

وقد وقعت قطيعة كبرى ، بعد هذه الحوادث ، بين العرب واليهود حتى أن التجار العرب الذين كانوا أكثر وأكبر زبناء التجار اليهود قد قاطعوهم مقاطعة تامة ، وتحرك بعض المواطنين المسلمين من التجار الميزابيين ، فأسسوا شركة تجارية لتحل محل الشركات اليهودية ، كما تحرك بعض التجار المسلمين للبيع بالجملة الذي كان تقريبا مقصورا على اليهود ، فقصدهم التجار العرب من كل ناحية وازدهرت حالة هذه الشركة والتجار المسلمين زمنا ما •••

بيد أن اليهود لهم اليد الطولى فى جميع النواحي، فهم ــ كما تقدم ــ يتوفرون على الأموال الطائلة ، فالبنوك والمصارف تحت تصرفهم ، والادارة بين أصابعهم ، وحتى الحكومة المركزية فى خدمتهم • فبفضل هذه الوسائل الهائلة ، مضافا اليها ما يتوفرون عليه من استخذاء ، وتودد ، ومغريات ، استطاعوا أن يقضوا على كل مشروع اقتصادي يقوم به الأهالي المسلمون أو يضعفوه على الأقل • بل انهم قادرون على أن يجعلوا جميع التحركات الأهلية ، سواء كانت تجارية أو فلاحية أو صناعية أو اعمارية تحت ضغط رأس المال اليهودي هنا أم فى فرنسا •

وباضافة هذه القوى المادية لما يتحملون من هوان نفساني أمام حب المال ، فقد استطاعوا فى ظرف سنة واحدة ارجاع المياه لمجاريها وانتهت مقاطعة العرب للتجار اليهود ، واستعاد هؤلاء شيئا فشيئا سلطتهم المالية المطلقة • بل وطمعوا أن يقوموا برد الفعل ، خاصة ازاء الطائفة الميزابية التي كانت أكبر منافس لهم فى الميدان التجاري والتي كانت أول من قام بتأسيس الشركة التجارية للأقمشة السالفة الذكر ، ولكن دون أن يسترسلوا فى رد فعلهم الذي لم يجدوا له أرضية صالحة ، وذلك

لسببين : أولا ــ لأن الأهلي الجزائري لا يمكن أن ينصر اليهودي على أخيه المسلم فهي حطة لا تستساغ • ثانيا ــ لأن الميزابيين أنفسهم يعتبرون من أكبر حرفاء اليهود ، وبين أيديهم التجارة الكبرى فى البيع بنصف الجملة وبالتفصيل ، بينما اليهود ــ فى أكثريتهم ــ يقتصرون على البيع بالجملة • وبخاصة فى ميدان الأقمشة (13) •

حكاية طريفة

كم يعجبني أن أذكر هنا حكاية طريفة حكاها الأستاذ أحمد توفيق المدني ، وقد وقعت له يوم أن نزل مدينة الجزائر مبعدا من تونس ، يقول توفيق : كنت هاتيك الأيام سنة 1927 أحاور صديقا من أكبر أصدقائي وأعزهم على قلبي الوطني المسلم الصادق الزاوي الحاج صاحب معمل العطور الشهير ، حول قضية اليهود فى الشرق ، وتفاقم خطر الصهيونية ••• وبعد أن يذكر ما لحق العرب من ذلة ومسكنة فى فلسطين ، وتفرقهم المهين وأطماع الاستعمار والصهيونية يقول :

« وجرنا الحديث الى ذكر يهود الجزائر وما أصبحوا عليه ، بعد قانون كريميو الصادر سنة 1871 (14) والذي ألحقهم بالعائلة الفرنسية ••• ثم يضيف : « قلت ولا أدري ماهو تأثير ذلك على المسلمين فى الجزائر ، والى أي مدى يصل نفوذهم الأدبي فى البلاد وكيف يراهم المسلمون ؟

قال لي : أنا أكره اليهود عنصريا ودينيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا• لكن المسلمين عامة يتحملونهم ولا يكرهونهم ، ويرون فيهم « الرعايا » الذين كانوا فى البلاد منذ قديم العصور ، لا يؤذونهم اطلاقا ، انما لا يعطونهم ــ مهما علا شأنهم ــ أي قيمة » (*) •

---

13 ــ لقد كنت يومئذ تاجرا فى الاقمشة وبعد رجوعنا الى اليهود حاولوا يوما معي ، بمغريات دامغة ، لأنوم بمحاربة التجار الميزابيين فى بلدي ، وهم يقدمون جميع التسهيلات والمساعدات ولما راوا مني اشمئزازا من عرضهم نطق احدهم ، وكانه غير موافق على عرض صاحبه قائلا له : يا فلان ان الشمس لا بد أن تطلع على جميع الناس ولا أحد يقدر على الوقوف دونها . وحسم الموقف بذكاء .

14 ــ قرار كريميو يذكره العقاد فى كتاب المغرب العربي انه سنة 1870 .

(*) ــ الواقع أن العرب فى اي مكان كانوا لا يحقدون على اليهود ولا يكرهونهم وانما تصرفاتهم العنصرية ونفاقهم المتفاقم هما اللذان جعلا العرب يحذرونهم ولا يثقون فيهم . وكان المسلم ــ كما صوره الزواي يتحمل اليهودي ولكنه يحتقره .

« فاستربت الأمر ورأيت فيه تناقضا وقلت له : لازلت فى شك من ذلك مريب • قال لي سأريك ذلك عيانا فى تفس هذه اللحظة ، أترى ذلك اليهودي السمين الجالس حـول المائدة القصوى ؟ وكان بمقهى « قلاصي » أمام ساحة الحكومة ـ ساحة الشهداء الآن ـ انه سمسار ثقة ، على مقدار ما يستطيع اليهودي السمسار أن يكون ثقة • وهو هنالك ينتظر حرفاءه ، ويتمتع بحبهم • فانظر الآن •• ونادى بأعلى صوته أحد الصبية ماسحي الأحذية ، وكان لا يتجاوز العاشرة الا قليلا ودعاه اليه فلبى الصبي الدعوة جذلا ، وجاء بصندوقه كي يمسح الحذاء ويتناول 20 صنتيما • قال له الزاوي : أتريد أن تكسب خمس فرنكات حالا ؟ فبهت الصبي وكاد أن يغمى عليه تأثرا ، فهو منذ خلقه الله لم ير خمس فرنكات مجتمعة لديه • وقال له فى جذل وحبور : وماذا يجب أن أصنع ؟ قال له الزاوي : أمر بسيط جدا ، اذهب لذلك اليهودي الجالس على الحافة ، وقبل يده وقل له : هل تريد يا سيدي أن أمسح حذاءك ؟ » •

« وفى الحين ، فى لحظة واحدة رأيت الصبي قد أصبح ماردا رأيت الآدمي الصغير الحقير ، الحافي القدمين ، المهلهل اللباس ، قد انقلب كعفاريت ألف ليلة وليلة عملاقا • وقد احتقن الدم فى وجهه وكادت أعصابه تنفجر غيظا وألما واحتقارا • وبادر الأخ الزاوي بسيل دافق من الشتائم المقذعة والسباب الفاحش ، مما تعلمه من أمثاله من أبناء الأزقة ، وقال له : أنا يا كلب أبوس يد يهودي وأقول له سيدي ؟ لو أعطيتني الجزائر كلها ما فعلت ذلك أبدا ولا يفعله غيري أبدا ، ولو مات جوعا • فأنا سيده وابن سيده ، وهو الذي يبوس يدي ، ولست أنا الذي أبوس يده » •

قال المدني : كنت أتتبع المنظر باهتمام ، فهو على بساطته ذو دلالة عظيمة ، بينما كان الزاوي يغرق فى الضحك ويقول لي : أرأيت ؟ هذه هي الجزائر العربية تتكلم ، ولا فرق بين ما يقوله هذا الولد وما يقوله الباش آغا وما يقوله أي كبير وصغير من الشعب وقد فهم الصـبي

بما وهبه الله من ذكاء طبيعي أن فى الأمر سرا ، فسكت وانتظر ، ونفحه الزاوي بالفرنكات الخمس بعد أن قبله وأثنى على همته ...

ويختم المدني : وفهمت أنا من ذلك أن اليهودي عاش على هامش الجزائر لا فى داخلها . لم يندمج فيها أصلا ، ولم يعتنق فكرتها ، ولم يؤمن بوجودها عاش فيها عددا من القرون دخيلا وخرج منها عند الاستقلال مع الدخلاء . كان المسلم ـــ وهذه حقيقة ـــ يتحمله ويحتقره، بينما كان هو يعيش وينتهز الفرص » (15) .

حكـــاية اخرى :

وأعرف حادثة أخرى وقعت من أحد المواطنين فى بلدتي « وادي الزناتي » حوالي سنة 1926 ، فقد كان أحد التجار الأثرياء بالبلدة يدعى محمد بن الحاج عمار ، يلجأ ـــ كسائر اخوانه المسلمين ـــ عند الحاجة الى أحد اليهود المرابين بمدينة قالمة فيستدين منه ، ولما بدأ أمر محمد بن الحاج عمار يضعف صار يتخلف عن دفع ديونه فى مواعدها المقررة ، وكان من طبيعة اليهود أنهم يتساهلون فى انتظار الدائنين ولكن مقابل فائدة تذهب أحيانا الى 100 فى ٪ وآل الأمر بهذا التاجر الى الافلاس ، فذهب الى اليهودي يرجو تجديد ـــ أي تأخير ـــ أجل الوثيقة الى سنة أخرى فأجابه اليهودي : ان « الكاغط » ـــ الوثيقة ـــ مكتوب عليها : « لا نجدده » فقال ابن الحاج عمار: اذن أكتب عليه « لا نسلكه »

وطالبه اليهودي شرعيا فوجده مفلسا ، ومضى الزمن وجاء محمد بن الحاج عمار مدينة قالمة فجلس فى مقهى « النادي » Cercle وكان بقربه يجلس أحد الشخصيات بلباسه الأروبي الفخم ، وما لبثت تلك الشخصية أن بدأت تنظر اليه شزرا وترسل السباب والشتم ثم البصاق ... وتحقق محمد بن الحاج أن هذا الشخص ، لامحالة ، يقصده . فاستفهمه بالفرنسية : أأنت تقصدني ؟ فقال له : نعم أقصدك ! يا سارق يا نصاب ! ولم يعرفه ابن الحاج لأنه صار يلبس لباسا أروبيا . وكان

15 ـ حياة كفاح ، ج1 ص139 ـ 141 .

اليهود قبلا يلبسون لباسا قوميا عربيا . فلما تقدم بهم الوضع صاروا يلبسون اللباس الأروبي بما فيه القبعة .

عندئذ انتفض ابن الحاج عمار مغاضبا واندفع نحو ذلك « الرومي » يمرغه ويسبه ويلعنه . فنطق اليهودي خائفا : « أماه ! » وهي كلمة يطلقها اليهود كلما أحسوا بالخطر . فعرفه حينئذ ابن الحاج وقال له : الآن عرفتك يا خبيث ! ، لقد ضربتك وأنا أحسبك رومي « أروبي » فكيف وقد ظهرت يهودي ، الآن أقتلك . وصار اليهودي يتضرع اليه ويستغيث ... فكف عنه .

من اين جاء اليهــــود وكيف كانت وضعيتهم ؟ قبـــــل الاحتــــــلال الفرنسي وبعــــده

أرى من المفيد ، بهذه المناسبة ، أن أتعرض لشيء من تاريخ اليهود فى هذا الوطن وأشرح من وضعيتهم الوجودية والاجتماعية فى الجزائر ، فتاريخ وجود اليهود بالجزائر خاصة ، وبالشمال الافريقي عامة يرجع — كما زعم بعض المؤرخين الأجانب — الى مجيء أول فوج منهم مع الفينيقيين ، ثم بدأت جموعهم تتلاحق من مصر ومن بلاد الرومان ، ولاسيما بعد حركتهم التي سماها بعض المؤرخين « بثورة عــام 70 ميلادي » والتي قمعها الرومان بكل شدة ، ورجعوا على اليهود بالقتل والاضطهاد الجسدي والديني . ونشأت من ذلك الوقت جالية يهودية تفرقت على مدن وقرى الشمال الافريقي كله .

وعقب الفتح الاسلامي لحقت جموع منهم من جميع نواحي المعمورة واستوطنوا المدن الكبيرة . ويقول جان ديبوا Jean Depois لأن المسلمين كانوا أكثر تسامحا مع اليهود من أباطرة رومة وبيزنطة .

واذا مشينا على هذا التاريخ فانه يثبت لدينا أن اليهود مثل سكان الشمال الافريقي كلهم ، فمنهم من هم من السكان الأصليين من البربر الذين كانوا اعتنقوا دين الجالية الأولى التي جاءت مع الفينيقيين ، ومنهم الشرقيون والغربيون وقد طاب لهم المقام فى هذا الشمــــال ، خصوصا بعد الفتح الاسلامي ، فقد وجدوا فى ظله الراحة والاطمئنان

على نفوسهم ودياناتهم لقاء دريهمات يدفعونها للدولة مقابل الحماية ، كما وجدوا من جهة أخرى مرتعا خصبا لاكتساب المال من التجارة والصناعة ، وقد كانوا ولازالوا بارعين فيهما ، على أنه ـ كما يشهد جميع المؤرخين ـ أن اليهود كانوا يضطهدون حيثما ذهبوا الا حيث يوجد الحكم الاسلامي • وهذا ما جعلهم يرحلون جماعات ووحدانا حينما سقطت الدولة الاسلامية فى الأندلس وجاء الحكم الأسباني •

وقد دامت هجرتهم من أسبانيا الى الشمال الافريقي نحو ثلاثة قرون من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر • اذن فمن الثابت أن اليهود فى الجزائر كانوا خليطا من هذه الأمم شرقيها وغربيها ، جمعهم الدين الموسوي ، فهم يحسون من هذه الروح الدينية بتقاربهم المتين دينيا وجنسيا ، وان تفرقت أجناسهم ، بينما هم على خلاف ذلك مع سائر الأمم التي يعيشون معها ويقاسمونها المواطنة ، ولهذا نجدهم أكثر انعزالا فى مساكنهم ومعاشهم •

ان لهذه الانعزالية سببا تاريخيا ، دينيا عقيديا أنقله بنصه من كتاب : « بروتوكولات صهيون » • وقد نقل هذا النص عن المؤرخ الانكليزي (جيبون) فى أول مقدمة الكتاب • وهذا نصه :

« ••• وتتجلى هذه الحقيقة فى حلم النبي « نحميا » فى منفاه ببابل ، فقد رأى « أورشليم » وفى وسطها « صهيون » ••• وأصبح تحقيق هذا الحلم أمنية يسعى اليها كثير من اليهود • وتبلورت هذه المحاولات فى الدعوة المعروفة بالصهيونية ، وهي حركة تسعى الى ارجاع اليهود الى صهيون واقامة دولة فيها • ولقد عزز هذا الأمل وقوى الاندفاع الى تحقيق الحلم الصهيوني ما يخشاه اليهود من الانقراض والذوبان فى الأمم التي يساكنونها •••

ويضيف الكاتب : لذلك حاول اليهود الاعتزال والانفصال فى الأمكنة التي سكنوها بين جميع الأمم حتى أصبح من السهل تمييز اليهودي من غيره بمجرد القاء نظرة فاحصة على سحنته ومظهره ••• فاذا سكن

اليهود بلدا وكثرت جماعتهم فيه لم يلبثوا أن يثيروا حولهم شعورا عدائيا ... » (16) .

« وكان اليهود فى الشمال الافريقي ، كما هي حالهم فى كل بلاد العالم ، يسكنون حيا خاصا بهم يسمى « المحلة » أو « الحارة » أو « الملة » وهم مازالوا فى بعض بلاد العالم الى يومنا هذا يعيشون بمعزل عن غيرهم طوعا أو كرها وتكون هذه الأحياء ، ولاسيما ما كان منها فى الشمال الافريقي عامة ، نموذجا للقذارة وفساد الجو وسوء العيش » (17) .

وهكذا بعد الاحتلال الفرنسي ، فقد ظل اليهود يمثلون طرفا متميزا وان كانوا يعتبرون من أهالي الوطن ، بل فلقد كان من أسباب الاحتلال المباشر هما اليهوديان بوشناق وباكري اللذان كانا من كبار التجار ويتعاملان مع فرنسا فيصدران لها الحبوب الجزائرية : القمح والشعير وغيرهما بكميات كبيرة ، وتجمدت بذمة فرنسا ديون ثقيلة لليهوديين المذكورين ، وألحا عليها فى الدفع ، فاستنجدت بالدولة الجزائرية ، التي كانت تعتبر حينئذ حماية تركية ، لتتولى اليهوديين فى دفع هذه الديون ريثما تتيسر لها الأحوال . وتطورت قضية هذه الديون الى قضية سياسية كما هو معلوم فى قصة « المروحة » .

وجاء الاحتلال الفرنسي للجزائر يوم الخامس يوليو — تموز — 1830 م وظل اليهود بعد الاحتلال جزائريين أهالي Indigènes الى أن صدر قرار 22 أكتوبر 1871 ، ويعرف بقرار « كريميو » فأعطى لليهود الجنسية الفرنسية الجماعية مع ما يتبعها من حقوق وواجبات الفرنسيين أصالة وقبلوها متنازلين عن أحوالهم الشخصية » .

---

16 — يجب أن نشير الى ان كتاب «بروتوكولات صهيون» بني على عقيدتهم بانهم « شعب الله المختار » وان حكم الخليقة لا بد ان يكون بين أيديهم وحدهم بحيث أن هذا الكتاب يقول فى ختامه : « ولن يعرف المستقبل الا مليكنا — الذي ينحدر من نسل داوود — ومعلموه الثلاثة » .

17 — الجزائر العربية للدكتور احسان حقي ، ص 116—119 .

يقول الدكتور حقي : « وأصبحوا ـ اليهود ـ منذ ذلك التاريخ افرنسيين ولم يخسروا شيئا بل صاروا ، كعادتهم ، افرنسيين مع الفرنسيين، ويهودا مع اليهود ، وجزائريين مع الجزائريين • وزادوا على ذلك الآن بأنهم أصبحوا اسرائيليين مع دولة اسرائيل ، وكثير منهم يحمل الجوازين والجنسيتين » •

وهي حقيقة ثابتة بالنسبة لليهود فى جميع العالم ، وان كانوا بالنسبة للجزائريين ، ابتداء من قرار كريميو ، قد بدأوا يحسون شيئا فشيئا بتفوقهم على العرب بعد ما كانوا يعتبرون أنفسهم رعية لهم • والسبب فى ذلك هو الحظوة التي منحها لهم المستعمرون دون العرب •

على أن من عوامل هذا القرار أيضا تزايد عددهم بسبب هجرة أعداد كثيرة من يهود المغرب الأقصى وتونس وغيرهم طلبـا للانضمام الى الجنسية الفرنسية التي فتحت لهم الأبواب فى السلطة الادارية والمالية وغيرها • بعد ما كان عدد اليهود فى الجزائر سنة 1830 م لا يتجاوز 34 ألفا أصبح فى سنة 1950 مائة وثلاثين ألفا (130 000) • ومن أكبر مراكزهم فى القطر الجزائري : قسنطينة ، الجزائر العاصمة ، عين البيضاء ، تبسة ، عنابة •

وقد وقفت على احصاء بالنسبة لأعمال اليهود فى الشمال الافريقي يثبت أن 40٪ منهم تجار وموظفون فى أعمال تجارية ومصرفية • و 36٪ صناع وعمال صناعة • ولا يعمل منهم فى الفلاحة أو الأعمال الشاقة الا عددا ضئيل (18) •

أما فى القطر الجزائري فان اليهود لهم مكانة خاصة لدى الفرنسيين وذلك لسببين : أولا : ـ كونهـم قانونيا فرنسيين فهـم ، وان كان المستوطنون ـ الكولون ـ يكرهونهم ، فانهم يحذرونهم ويهابونهم ، ذلك لأن لهم من جهة نفوذا كبيرا فى فرنسا « الأم » ، اداريا واقتصاديا ، وحتى سياسيا • ومن جهة أخرى ، لأنهم يجدونهم عند الحاجة فى جانبهم

18 ـ نفس المصدر ، ص 118 .

ضد العرب ، وكذا أثناء الانتخابات • ثانيا ــ لأن اليهود ، فى نظر الفرنسيين عامة ، أقرب اليهم من العرب ، وأخلص رعية ، وأسلس انقيادا ، وأقدر على القيام بأعمال عنصرية • فهم مستعدون للجوسسة على العرب ، وأسرع اجابة للقيام بأي شيء يضعف العرب ويبقيهم آلة مسخرة ويدا رخيصة للعمل عند الفرنسيين ، فلذلك نجـد هـــؤلاء يساعدونهم بكل الوسائل الادارية والسلطوية ، حتى ان اليهود كانوا من أكبر الأسباب لتفقير وافلاس العرب ليبيعوا أراضيهم التي كان لا يفوز بها الا (الكولون) لأن اليهود كانوا لا يتعاطون الزراعة والفلاحة فالأرض لا تهمهم ، لأنهم لا يسكنون الا فى المدن •

لقد ذكرت حوادث شهر أوت ـ آب ـ 1934 بشيء من التفصيل لما لها من أهمية تاريخية ، اذ أنها تدخل فى مجال كفاح الشعب الجزائري ضد الظلم والاستعمار ، ثم لما لها أيضا من علاقة باتحادية النواب ، هاته الهيئة التي برغم حذر الشعب منها ، فقد دأبت على سياستها الاصلاحية والاجتماعية ، موغلة فى العمل على اقناع الشعب والمنظمات الوطنية السياسية والاجتماعية والدينية ، برجاحة فكرتها ونضوجها ، وتلاؤمها مع الظروف الاستعمارية القاهرة ، وتمكنت من جر جمعية العلماء المسلمين الى العمل معها على جميع بقية المنظمات بمختلف اتجاهاتها فى اجتماع مشترك لبحث « برنامج فيوليت » الذي تراه أفضل حل يجمع بين المصالح المشتركة بين المسلمين والدولة الحاكمة ، ويرضخ له المستعمرون (الكولون) • وهكذا ينعقد أكبر تجمع وطني فى « المؤتمر الاسلامي » سنة 1936 م كما سنقف على تفاصيله ان شاء الله •

حركة نجم الشمال الافـريقي

3 ــ ونأتي الى التيار الثالث ويتمثل فى « نجم الشمال الافريقي » وهي الحركة التي يمكن أن نطلق عليها « الحركة الشعبية الثورية » فهاته الحركة التي سبق أن عرفنا عنها أنها ما ان تستقل على ساقيها ساعية نحو هدفها المرسوم حتى تحطمها السلطة الاستعمارية بصفة أو بأخرى ، ولكنها تمضي فى تنويع كفاحها بتغيير أسمائها كعمل تكتيكي يخوله القانون الفرنسي • ومع ذلك فان أعمـــالها في نطـــاق القانون

لا تلبث أن يوقفها الاستعمار كما وقع مرارا . وأخيرها لا آخرها سنة 1934 حيث تقدمت الحركة بمطالبها من جديد ، وقد كانت لا تختلف فى شيء عن برنامج مؤتمر باريس سنة 1933 السابق الذكر ، فقد قامت الادارة الاستعمارية بحل الحركة أيضا ومحاكمة زعيمها مصالي ورفاقه والحكم عليهم بالسجن والتغريب .

ولما أفرج عن مصالي سنة 1935 بعد رفع قضيته لمحكمة النقض والابرام ، فقضيت ببراءته ، استأنف نشاطه من جديد ، ولكن الشرطة الفرنسية حاولت القبض عليه ففر هاربا الى جنيف (سويسرا) واستقر بها الى أن اعتلت الجبهة الشعبية سدة الحكم فى فرنسا سنة 1936 فسمحت له بالرجوع الى فرنسا .

ولئن كان لهذه الحركة من عمل أثناء فترة 1933 — 1936 فانما كان سريا ومحدودا ، مثلما كان حالها من سنة 1929 — 1933 أو أشد . فالضغط المتزايد عليها من الحكومة الفرنسية قد أضر بمناضليها أنفسهم ، وسد أبواب تأييد الشعب أمامها ، بحيث أن مناضليها لم يتجاوزوا سنة 1936 نحو الأربعة آلاف (4000) ومعظمهم فى فرنسا حيث يجدون متنفسا ما ... لفكرتهم .

وأمام ضيم القوة الاستعمارية — يمينها ويسارها على السواء — وأمام خذلان حتى أولئك الذين كانت تعدهم من أنصار الحق والديمقراطية والحرية ، استشاط يوما أحد أعضائها المسؤولين فقام ، مهتبلا فرصة اجتماع للعمال الفرنسيين فى باريس وصرخ فى وجوههم : « .. اننا وطنيون أحرار متحررون .. ولسنا كما وهم زملاؤنا الفرنسيون أصحاب وطنية شعوبية أو عنصرية . ان للعامل الجزائري عدوين لا زائد عليهما : الرأسمالية الاستغلالية ، والاستعمار الذي كان ولايزال أبشع صور استغلال الانسان لأخيه الانسان » .

« أيها الرفاق الفرنسيون ! أعينونا على قهر الاستعمار الغاصب ، فهو علة جميع مصائبنا ، فانكم لو فعلتم تعينون أنفسكم ، ذلك أن

القضاء على الاستعمار فيه قضاء على فرع من أهم فروع الرأسمالية .. فتحررنا هو تحرركم وانتصارنا فيه انتصاركم .. » (19) .

وبعد قيام الجبهة الشعبية ، كماتقدم ، ورجوع مصالي من المنفى الى فرنسا سمح له أيضا بالدخول الى وطنه الجزائر ، وذلك فى شهر أوت 1936 حيث أمكن له أن ينقل نظام الحركة ـ من منفاه ـ الى الوطن بصفة ظاهرة ، وبدأ يتجول فى أنحاء الوطن . وقد افتتح نشاطه باقامة اجتماع عام بعاصمة الجزائر ، ثم توسعت « حركة نجم الشمال الافريقي » وانضم اليها عدد كبير من المناضلين داخل الوطن بحيث بلغ عددهم أكثر من أحد عشر ألفا (11000) فى واحد وستين فرعا (61) بمختلف أنحاء الوطن ، بعدما كان لا يتجاوز أربعة آلاف (4000) فى فرنسا ضمن سبعة فروع بعضها فى الجزائر » .

الا أن سياسة « النجم » رغم ذلك ، بقيت متصلبة ويعمل مناضلوها ضد سياسة الاندماج ، مقتنعين بأن هذا البرنامج ـ برنامج بلوم فيوليت لعنة من لعنات الاستعمار، وخديعة مغلفة للقضاء نهائيا ، رسميا واختياريا، على وجود أمة تدعى « الأمة الجزائرية » .

وكانت الحركة ، بالطبع وبالتالي . ضد بقية الأحزاب والهيئات الجزائرية التي اتفقت تقريبا على قبول « برنامج فيوليت بلوم » . وظهر فى أعين هذه الهيئات القومية ، وحتى الجبهة الشعبية الفرنسية ، أن مصالي الحاج رجل جاهل وخيالي . أو هو قصير النظر .. فى أحسن التقديرات . وعند آخرين أنه خائن .. لأنه يعارض برنامج فيوليت ، لاسيما وقد كان المستوطنون (الكولون) ضد هذا البرنامج ، كما تقدم تفصيله ، فبدأ وكأنه أقصى أمنية الجزائريين .

هذه لمحات عن « الحركة الجزائرية الشعبية » الناشئة بعد احتفالات القرن ، متجسمة في اتجاهات ثلاثة : جمعية العلماء المسلمين ، جمعية النواب الجزائريين ، وحزب نجم الشمال الافريقي . وقد ظهرت كلها

---

19 ـ ث ج ، شلقاني ، ص 166 .

تدعي العمل لخير الأمة الجزائرية ، كل حسب اتجاهه كما قدمنا • ومن هنا حق أن نطلق عليها « الحركة الشعبية » •

لكن ••• الى أي حد ستبقى هذه الهيئات متفرقة الرؤية ، متنافرة الخطى ؟؟ وأي سبيل ستسلكه في النهاية لبلوغ الهدف المتفق عليه ؟ وبأي وسيلة يتوصل لهذا الهدف العزيز ، وهو تحرير الجزائر ؟ • تلكم هي القضايا التي سوف تتدرج شيئا فشيئا ، ابتداء من الدعوة الى اجتماع عام يضم جميع الاتجاهات على أساس تأييد « برنامج بلوم فيوليت » (20) الذي ستطرحه الجبهة الشعبية الحاكمة على البرلمان الفرنسي •

عهـــد التبلـــور

يتمثل هذا العهد في حوادث متعددة ، منها عالمي ومنها محلي أو داخلي ، ومن خلال هذه الحوادث تتبلور الأشياء ، وتتطور الأفكار والسياسات ، وفي بودقة عواملها ، أو أعاصيرها تغور هذه أو تنجد ، وتلبد أو تنطلق ! •

ومن الحوادث التاريخية « الداخلية » ، بالنسبة للكفاح الوطني في الجزائر ارتقاء « الجبهة الشعبية الفرنسية Front populaire » دست الحكم في فرنسا ، والجبهة الشعبية عبارة عن تجمع أحزاب اليسار : الاشتراكية بأنواعها ، والحزب الشيوعي • فقد كانت حركة المطالبة بالحقوق التي ظهرت بظهور الأمير خالد ، بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، مرورا بسياسة « النخبة » وجمعية النواب الجزائريين التي انتهى نشاطها الأكبر الى « اتحادية النواب الفسنطينية » • وقد ارتبطت في سياستها ــ في النهاية ــ بسياسة « برنامج فيوليت » التي ظهرت في أوائل الثلاثينات ، كما تقدم ، وعلقت عليها جميع آمالها ، بأن هذا المشروع أحسن وسيلة للتوصل الى الحقوق • فلما انتصرت الجبهة الشعبية في الانتخابات وتولت الحكم وعزمت على تقديم البرنـامج

---

20 ــ منذ تولي الجبهة الشعبية الحكم برئاسة ليون بلوم اليهودي ، سمي البرنامج « برنامج بلوم فيوليت » لأن الجبهة تبنت البرنامج وقدمته للبرلمان الفرنسي .

للبرلمان الفرنسي ، دعا ابن جلول ، بمساعدة الشيـخ باديس جميع الاتجاهات الوطنية الجزائرية الى اجتماع سمي « المؤتمر الاسلامي » •

وقبل أن نتكلم على هذا المؤتمر التاريخي يحسن ، في رأيي أن نعرف مقدما « برنامج فيوليت » بالتفصيل ، ثم نعرج على بعض الآراء التي قيلت فيه قبلا • وفيما يلي بعض الفصول من هذا البرنامج :

برنامج بلوم فيــوليت (1)

الفصل الأول ــ يتاح للأهالي الجزائريين الفرنسيين بالعمالات الثلاث بالقطر الجزائري (2) الذين تتوفر فيهم الشروط المبينة بالفقرات الآتية ، التمتع بالحقوق السياسية التي للفرنسيين بدون أن ينتج عن ذلك أي تغيير في حالتهم الشخصية أو في حقوقهم المدنية وهذا بصورة نهائية ، ماعدا تطبيق التشريع الفرنسي الخاص بزوال الحقوق السياسية :

أولا ــ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين بارحوا الجيش برتبة ضابط .

ثانيا ــ الأهالي الجزائريون الفرنسيون من صغار الضباط الذين بارحوا الجيش برتبة « باش شاوش » أو برتبة فوقها بعد أن خدموا العسكرية مدى خمسة عشر عاما ، وبعد أن خرجوا منها وبأيديهم شهادة حسن سيره .

ثالثا ــ الأهالي الجزائريون الفرنسيون الذين قضوا خدمتهم العسكرية وحصلوا جميعا على الوسام العسكري وعلى صليب الحرب .

رابعا ــ الأهــالي الجزائريون الفرنسيون الذين بأيديهم احــدى الشهادات العليا الآتية : شهادة التعليم العالي ، وبكالوريا التعليــم الثانوي ، وشهادة البروفي العليا والبروفي الثانوية ، وشهادة الدروس الثانوية وشهادة المدارس ، وشهادة التخرج من مدرسة وطنية للتعليم

---

1 ــ ترجمة الشهاب ، ج3ـم13 .

2 ــ التعبير «بالعمالات الثلاث» يفيد الحاق الجزائر بفرنسا كجزء لا يتجزا منها ، وقد جعلت هذه العمالات بعد تحت ارقام 91 ــ 92ـ93 ــ مضافة الى 90 عمالة في فرنسا « الأم » ...!

الصناعي أو الفلاحي أو التجاري • وكذا الموظفون الذين وقع انتخابهم في وظائفهم بمسابقة •

خامسا — الأهــالي الجزائريون الفرنـسيون المنتخبون بالحجــرات التجارية والفلاحية • أو المعينون من طرف مجلس ادارة جبهة اقتصادية ومن طرف الحجرات الفلاحية بالقطر الجزائري ، على الشروط المبينة بالفصل الثاني •

سادسا — الأهالي الجزائريون الفرنـسيون الأعضاء بالمجلس المــالي وبالمجالس العــامة Conseil général والمستشارون البلديون المباشرون لمهمتهم ، ورؤساء الجماعات الذين باشروا وظيفتهم خلال مدة المهمة •
سابعا — الأهالي الجزائريون الفرنسيون الباش آغوات والآغوات ، والقياد الذين باشروا وظيفتهم مدة لا تقل عن أربعة أعوام •

ثامنا — الأهالي الجزائريون الفرنسيون المحرزون على الصنف الثاني من وسام « الليجيون دو نور » — وسام الشرف — ، أو الذين أحرزوا على أحد أصناف ذلك الوسام بالطريقة العسكرية •

تاسعا — العمال الذين أحرزوا على وسام الشغل ، وكتاب نقابات العمال المعنيون بصورة نظامية بعد مباشرة وظائفهم مدة عشرة أعوام •

الفصل الثاني : ان مجلس ادارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعين باحدى دوراته التي ستعقب تطبيق هذا القانون مائتي تاجر (200) أو صانع ، أو عامل ، من كل عمالة جزائرية ، وعندها تعطى لهم الحقوق السياسية الممنوحة بالفصل الأول من هذا القانون ، بقرار من الوالي العام • وستعين الحجرات الفلاحية الثلاث بالقطر الجزائري ، كل واحدة على نفس الشروط ولنفس الغاية مائتي فلاح (200) بالدورة الأولى من كل سنة من السنوات التي ستعقب تطبيق هذا القانون •

وأن مجلس ادارة الجبهة الاقتصادية بالقطر الجزائري سيعين على نفس الشروط آنفا خمسين (50) تاجرا أو صانعا أو عاملا ، من كل عمالة ، وأن الحجرات الفلاحية الثلاث ستعين كل واحد على نفس الشروط خمسين فلاحا •

الفصل الثالث : ان الأحكام المنصوص عنها بقانون الثاني فبراير 1852 م بفصليه 15 و 16 وكذلك كل عزل وقع ازاء أصحاب الوظائف المنصوص عليها بالفصل الأول بالمادتين 6 و 7 وكذلك تشطيب الاسم من قوائم الأوسمة الشرفية والوسام العسكري ، تقضي بكامل الحق تشطيب الاسم من القوائم الانتخابية •

الفصل الرابع : يمكن بالنسبة لكل أهلي جزائري فرنسي متمتع بنصوص هذا القانون أن يسحب منه التمتع بالنصوص المذكورة آنفا بتطبيق ما تضمنه الفصل التاسع ، والفقرة الخامسة من قانون 10 أوت 1927 م •

الفصل الخامس : ليس لما تضمنه هذا القانون أي مفعول فيما مضى ، ولا ينطبق الا على الأهالي الجزائريين الفرنسيين الذين تتوفر فيهم الآن ، أو ستتوفر فيهم فى المستقبل الشروط المبينة •

الفصل السادس : ستتحقق نيابة الجزائر بمجلس الأمة بنسبة نائب واحد لكل سبعين ألف ناخب (70 000) مرسومة أسماؤهم أو (قسم عشرين ألف 20 000) (هكذا) انتهى •

الـزوبعــة الكـاسية

على ضوء فصول هذا البرنامج ، على ما فيه من بعض الغمــوض والاقتضاب ، يمكن تقسيم هذا التكرم الفرنسي ، أو هذه « المنحة الفيوليتية » التي أقامت فرنسا والجزائر وأقعدتهما ، وأقضت مضاجع المستوطنين فى الجزائر وألهبت عنصريتهم ، فراحوا يرفعون عقيرتهم ضد هذا السيل الجارف الذي سيكتسحهم ، ويصرخون مولولين متباكين من هذا المستقبل العابس •

وفرح بهذا البرنامج من فرح من نواب وهيئات «حسنة النية» مرنة الخطى •

بينما رأى الراسخون فى العلم المشفقون اذ ذاك من وطأة المستقبل ، أنه البيع بالمجان للأمة الجزائرية المسلمة الى المسيحية العالمية ، وانه المسخ المهين لأمة عربية كريمة ماجدة •

ثم رأى الجميع بعد أن هذا البرنامج الذي كان أثار « زوبعة فى كأس » انما يصدق عليه المثل العامي الجزائري « المندبة كبيرة والميت فار » • وكم يذكرنا هذا البرنامج بعرض الجنرال ديغول ، بعد ربع قرن ، لحل القضية الجزائرية أثناء حرب التحرير ! •• (3) فجمود الفرنسيين فى سياستهم الاستعمارية ضرب به المثل ، فقد ظلت سياستهم طول القرن لم تتغير ولم تتراجع الى أن استنفدت جميع مجهودات الأمة الفرنسية ووطنها بما قدمت من خسائر جسيمة فى الأرواح والعتــاد والأموال لحروبها الاستعمارية ثم انتهت الى أن فقدت جميع المستعمرات مع فقد صداقة شعوبها •

وهل نحن فى حاجة الى أن نعيد الى الأذهان تلك المشادات البليدة التي وقعت بسبب هذا البرنامج ؟! فاذا كان هذا من المفيد فلا أعدو أن أذكر قليلا من كثير ، أو بعض « بعرة من بعير » ! كما يقول المثل العربي •

فمن المقالات التي أثارت الفكر العام الفرنسي ، ووقعت فى الوسط الجزائري كفتيل فجر الأفكار والقلوب ، هي مقالة جريدة (الطان) الباريسية الصادرة يوم 21 فبراير ــ شباط ــ 1936 م • ان هذه الجريدة الاستعمارية ــ وقد هالهــا أن يدخل الجزائري (البيكو) البرلمان الفرنسي ــ ولو ببيع جنسيته ، ودينه وشرفه • وراحت توغر الصدور ، وتغري السلطة الفرنسية بهذا الشعب الجزائري العدو اللدود الذي يريد أن يستبدل الحكم الفرنسي الرحيم •• ! الديمقراطي •• ! بانقلاب اسلامي عنصري جامد •• ! ويقضي على النظام الفرنسي البناء ليعوضه بنظام حركات هدامة •• أتت من الخارج •• الخ •

---

3 ـ ان حكاية عرض الجنرال ديغول متمثلة فيما اشتهر « بعرض سلم الابطال » والمراد ان يضع جيش التحرير الجزائري سلاحه اولا ثم يتقدم الى الجنرال ديغــول كبطل ..! يطلب منه حقوق الجزائريين او تقرير المصير ..!

وفيما يلي مقتطفات من هذه المقالة المغرضة :

« عندما ألقى م • لوبو الوالي العام تقريره على مسامع م • صارو رئيس الحكومة ، أثناء الأسبوع السالف ، عزم فجأة على استدعاء « اللجنة العليا للبحر المتوسط » ذلك أنه فى أيام قليلة ، تغير الطقس السياسي فى الكثير من الجهات الجزائرية ، وكأنما هذا التغير وقع بناء على أمر ورد من الخارج ، فالمهيجون الذين نعرفهم من زمن بعيد ، والذين كنا نعتقد أنهم وقفوا عند حدهم اثر الانذارات التي تلقوها من م • ريني Reigner أثناء جولته بقطر الجزائر سنة 1935 ، قد عادت اليهم الجرأة ، ولعلهم يهيئون الجماهير الأهلية للقيام بتحرك رهيب ، كالذي لاتزال آثاره عالقة بأذهان سكان قسنطينة (4) •

وبعد أن يذكر المقال رؤوس المهيجين ، ومنهم الدكتور ابن جلول ويؤيده الشيخ ابن باديس والشيخ العقبي ، ويتهمهم بارادة تحطيم النفوذ الفرنسي على أساس ديني وعنصري مصدرهما من الجامعة العربية (5) والذين يدينون بفكرة «شكيب أرسلان••»وبعدأن يتهم هؤلاء بدعوة الفلاحين لعدم دفع الضرائب باستعمال وسائل دينية وعاطفية ، كاستعمال ذكرى وفاة الأمير خالد ، يتهم أيضا ــ كما عبر عنه ــ « حزب الثورة » ويقول :

« هذا الحزب الذي هو فى الحقيقة من الأممية الثالثة « الشيوعية العالمية » مستعملا رجالَ « جمعية نجم شمال افريقيا » فيدعون العمال بالسكك الحديدية والموانى ، وبقية الشغالين الى الانضمام الى نجم شمال افريقيا ومقاومة الفاشيستية ، من غير أن يظهروا وجههم الشيوعي •• » •

4 ــ لعله يقصد ذلك الاستياء العام الذي حدث بعد الاحتفالات القرنية كما تقدم ، وبعد مجيء وزير الداخلية ريني سنة 1935 ، او بالاحرى يقصد حوادث اوت 1934 مع اليهود المتقدمة الذكر .

5 ــ يقصد فكرة « الوحدة العربية » لان « منظمة الجامعة العربية » لم تنشا الا سنة 1945 .

ويختم المقال : .. فهؤلاء يبثون فى الأوساط الاسلامية أفلامـــا سينمائية تمجد أعمال الشيوعية . فناحيتا قسنطينة وتبسة القريبتان من تونس والتي يمكن للدعاة التحرك فيها بسهولة ، وكذا تلمسان وهي مركز التعصب الديني القومي . هذه هي النواحي التي تحوم حولها الشكوك بكثرة والتي تسهر الولاية العامة على مراقبتها ، حسبمـا سيبسطه م . لوبو أمام أعضاء « اللجنة العليا للبحر المتوسط » اهـ .

وأشاعت جميع الجرائد الاستعمارية هذا المقال بما يحمل من تهم خطيرة لتكون سدا منيعا أمام « اللجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط » التي ستبحث فى الحقوق الجزائرية على ضوء برنامج بلوم فيوليت . وكان الوالي العام م . لوبو Le beau هو المستند الوحيد للجريدة في هذه الاتهامات .

وثار الرأي العام الجزائري ، أمام هذا المقصد الخبيث فى التعرض للحقوق ، ـ لاسيما لدى المعتدلين فى سياستهم ـ واحتجت هيئاتهم ومنظماتهم احتجاجات ساخطة ، فجمعية العلماء بعثت برقية الى الوالي العام بالجزائر جا ءفيها :

« ان ما رمت به صحيفة الطان الأمة الجزائرية جمعاء قد استاءت له جميع طبقاتها وهي تعلن لسموكم براءتها من تلك التهم واستياءها من كل ما يورث حكومتها سوء الظن بها ، وترجو من سموكم أن تبرئوا ساحتها من تلك التهم الباطلة » . وأرسلت الجمعية أيضا احتجاجا لنفس جريدة الطان .

واحتج النواب والأعيان بعاصمة الجزائر ببرقية الى رئيس الوزراء بباريس . ومما جاء فيها :

« المسلمون الجزائريون تأثروا كثيرا واستاءوا من الاختلاقات المرجفة التي يدل أسلوبها على أنها موعز بها ونشرتها (الطان) Le temps .. انه لا يوجد دعاية وهابية ، ولا جامعة عربية ، ولا دعوة لعدم دفع الضرائب ، ولا استغلال لموت رجل عظيم .. انما هناك شعب خابت آماله فى الوعود العلنية .. شعب يتألم من أزمة اقتصادية لا نظير

لها فى التاريخ • فاذا وقعت قلاقل فمسؤوليتها تقع على سياسة التفريق التي تسلكها بعض مكاتب الحكومة ولها أعوان •• يريدون أن تنقل الى بلاد الجزائر سياسة « الظهير البربري » وفى ذلك سبة لأمواتنا ومساس بسمعة فرنسا » •

واجتمع بأمر من نواب بلدية عاصمة الجزائر نحو ثلاثة آلاف منتخب (بالكسر) ووافقوا على نص برقية وجهت الى الوالي العام للقطر الجزائري • واحتج الدكتور ابن جلول ببرقية طويلة الى جريدة الطان نفسها ، ومما جاء فيها :

« نشرت الجرائد الجزائرية نبذة من فصلكم الذي اتهمتم فيه اتهاما فظيعا مسلمي الجزائر ونوابهم الأحرار بأنه وقع الرجوع الى التهم القديمة التي وجهت نحونا فى السنوات الماضية ، فوصفنا غلطا بالهيجان الملي ، والدعوة الى عدم دفع الضرائب ، والاتصال بالهيئات الاسلامية الأجنبية وبعض أحزاب أقصى اليسار » •

« اننا بكل شدة نقاوم هذه المفتريات •• ونريد أن نقدم للجنة البحر الأبيض المتوسط العليا شاهدا جديدا على ارتباطنا الدائم مع فرنسا • وذلك بأن نطلب منها تقرير حق النيابة للمسلمين بمجلس الأمة الفرنسي••

وبعد التبرؤ من تهمة الاساءة الى نظام الدولة الفرنسية أو الوالي العام أو عامل العمالة وهما صديقان ويتمتعان بثقتنا واحترامنا ، يبين مقصد مقال جريدة « لانطانط » الذي لا يتعدى بيان الحالة السيئة الاقتصادية التي يتخبط فيها الشعب ويرجع مسؤوليتها على المسؤولين المحليين ، يقول :

« أما ما يزعم من اتصال حركتنا ببعض الهيئات الاسلامية الخارجية فتلك خرافة كانت شائعة سنة 1935 فقضى عليها حضرة وزير الداخلية ريني أثناء زيارته للجزائر » •

وبعد أن يستنكر ابن جلول بقية التهم يقول : « اننا كتبنا فى جريدة (لانطاط) فصلا في عدد 244 تاريخ 24 أكتوبر جاء فيه : « اننا كلما

دعتنا هيئة متطرفة للعمل معها رفضنا دعوتها رفضا باتا • وقلنا : ان الشيوعية بعيدة عنا ولا نقترب لها ، وطرقها العنيفة تتصادم مع طرقنا الهادئة ، ودينها اللاوطني يتصادم مع عاطفتنا نحو الوطن •• فسياستنا مستقيمة ليست فيها شبهة ونريد أن تسير دائما داخل منطقة السيادة الفرنسية الدائمة » (6) •

وهكذا تمضي الحملة على جريدة (الطان) وتتسع آفاقها ، وتبرز من الغد الصحافة الفرنسية فى الجزائر ، وحتى العربية • وذلك مثل « لاديبيش الجريان » وليكود الجي « والنجاح » • وكلها تندد بجريدة الطان • كما علقت صحافة الوطن الفرنسي عليها ، كل حسب مشربها وحزبيتها • وحتى الطائفة اليهودية بعاصمة الجزائر ، نشر رؤساؤها الدينيون بيانا يبرئون فيه ساحة المسلمين مما نسبته اليهم الجريدة المذكورة •

وكتب أحد الكتاب الأحرار م • زينيت الفرنسي افتتاحية بجريدة « لاديبيش ألجريان » دافع فيها عن المسلمين الجزائريين ، كما نشرت هذه الجريدة وغيرها برقيات ورسائل الاحتجاجات التي صدرت عن مختلف المجالس النيابية ، سواء المتقدمة الذكر أو غيرها •

وهكذا تظهر تصريحات أخرى لأحد رجال « الجبهة الشعبية » م • أوبو أثارت هي الأخرى حركة كبرى فى المجالس العمالية Conseil général ومما جاء عنها فى مجلة الشهاب : (7)

« لقد أثارت التصريحات المزعجة التي فاه بها مسيو أوبو اثر سياحته بالقطر الجزائري زوبعة من الاستياء العميق ، وكادت تذهب بصفة نهائية بالبقية الباقية لدى الناس من الأمل فى عدالة حكومة « الواجهة الشعبية » واحترامها لوعودها وعهودها ، وقد كانت المجالس العمالية ــ الولائية ــ مسرحا لحوادث ومناقشات هامة حول هذا الموضوع » •

---

6 ــ البصائر ، عدد 9 يوم 28 فبراير 1936 •

7 ــ ج 3 ــ م 13 •

« فرجال الملية الضيقة من الفرنسيين اعتبروا هذه التصريحات نصرا مبينا لهم على خصومهم وحاولوا استثمارها الى أقصى حدود الاستثمار، وصمد لهم النواب المسلمون فى ذلك ، وقاموا بواجب الاستنكار الشديد . ففي مجلس عمالة قسنطينة وقع ما يعرف الجميع من انسحاب النواب المسلمين من الجلسة . وفى مجلس عمالة الجزائر كانت المناقشة أهدأ ، الا أن المذاكرة كانت أهم ، وجرت المناقشة المسيو فينمان الى التصريح بأنه توجد فى الجزائر « حركة ملية اسلامية » .. ورد النواب عليه ردودا مختلفة » .

وكم يعجبني رد النائب الدكتور عبد النور تامزالي بالرغم أنه من النواب المعتدلين اذ قال : « انه لا يتعجب من وجود هذه الحركة الملية الناشئة ، بل يعجب العجب كله من الذين يستنكرون وجود مثل هذه الحركة . فاذا كانت البلاد تشمل حزبا شيوعيا ، وحزبا اشتراكيا ، وحزبا مليا فرنسيا . فلم لا تشمل الى ذلك حزبا مليا اسلاميا ؟ . ويقول : ان المسلمين انما هم ينظمون أحزابهم أسوة بالأحزاب الفرنسية . فلماذا يستنكر م . فينمان وجود حركة ملية اسلامية ؟ والحال أنه هو نفسه من رجال الحركة الملية الفرنسية . وما ازدادت الملية الفرنسية قوة وبأسا الا وازدادت الملية الاسلامية مثل تلك القوة والبأس . ويمضي تامزالي ليقول : فالسير في طريق الوئام والوفاق الذي اختطه م . فيوليت يخفف من حدة المليتين .. »

انها لكلمات منطقية صادقة ومفحمة ، فهي — وان قدمت في معرض نصيحة للحكم القائم وفى سبيل التفاهم والتقارب بين العنصرين — فهي دون شك نفثات حرى فى وجه استعمار لئيم بليد لا يفهم حتى نصيحة أصدقائه . ان كان بقي فى الجزائر له أصدقاء .

وفى هذا المجال تعلق مجلة الشهاب بما يأتي :

« ونحن لا نزيد على كلام الدكتور تامزالي الا قولنا بأن الشهاب معتز بخطته ، ثابت على مبادئه ، وهو يتشرف بأن يكون ممثلا للقومية الاسلامية الجزائرية التي لن تفنى ولن تزول . ليست بالحركة الهدامة ولا هي بالحركة المثيرة المهيجة كلا . بل ، انما هي حركة أمة تريد أن

تحفظ نفسها وتصون ذكرى أسلافها وتحتفظ بمميزاتها وتراثها العتيق ، وتمديد الصداقة والولاء والانعطاف والارتباط المتين لدولة الجمهورية ، ان هي مدت لها يد الولاء والانعطاف ، وعاملتها معاملة الصديق لصديقه، أو الأخ لأخيه أو الوالد لابنه • لا معاملة السيد لعبده أو المخدوم لخادمه » •

ويختم التعليق : فان كانت لغيرنا كرامة فلنا نحن أيضا كرامة ولنا شرف رفيع العماد • نصون شرفكم وصونوا شرفنا ، ونمد أيدينا بالتضحية العظمى عند الحاجة ، ومدوا أيديكم لنا باجابة رغائبنا • وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعيش فوق هذه الأرض الجزائرية متآخين متساوين متعاونين فى السراء والضراء الى ما شاء الله » (8) •

وعلى كل حال فاقتراب أجل عرض برنامج بلوم فيوليت على البرلمان الفرنسي أثار ردودا مختلفة ، كان بعضها صريحا ، وكان بعضها مترددا مضطربا حسب قوة وضعف الشخصية أو الهيئة المصرحة • وبكلمة صريحة كانت جميع الشخصيات والهيئات ، سواء منها السياسية والدينية قابلة وممتنة لبرنامج بلوم فيوليت ، ماعدا حركة نجم الشمال الافريقي فانها — بالرغم من أنها كانت منحلة قانونيا ، كانت معارضة للبرنامج ولكل مطلب اندماجي بكل شدة وبكل صراحة ، وقد أوعزت لجميع مناضليها ، سواء فى الجزائر أو فى فرنسا ، أن يعملوا ضد البرنامج فى دعايتهم •

ومن ردود الهيئات والشخصيات الجزائرية بيان « جمعية علماء السنة » الذي صدر بعد اجتماع عقد خصيصا للموضوع ، فالبيان يعلن قبول البرنامج ويشكر صاحبه على خطوته التي ستنزل الوئام والصفاء بين المتساكنين • ولكن البيان يشترط الاحتفاظ بالأحوال الشخصية للمسلمين فى كل حال •

نعم كانت وقعت فى الاجتماع معارضة شديدة من بعض العلماء المحافظين ، والذين يرون وجوب رفض « برنامج فيوليت » مادام

---

8 — المصدر السابق ، ج3م13 .

يشترط الجنسية الفرنسية للحظوة بالحقوق الفرنسية ، ويرون أن الذي قبله عن رضى ، ولو بالمحافظة على الحالة الشخصية ، يعتبر مرتدا عن دين الاسلام ، محتجين بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (9) •

وبقوله عليه الصلاة والسلام : « من انتمى لغير أبيه وانتسب لغير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عــدل » (10) •

ومن هؤلاء ، كما تقدم ، شيخنا وقدوتنا عمار بن أحمد العطوي (مهري) رحمة الله عليه ، وان كان غير حاضر في الاجتماع اذ ذاك ولكنني كنت أحمل توصيته • فقد كان يصف م • فيوليت « بعدو المسلمين » في الوقت الذي شاعت تسميته على الألسنة وفي الجرائد العربية الجزائرية « بحبيب المسلمين » ولكن شيخنا انتقل الى رحمة الله سنة 1933 م فلم يحضر المعركة الكبرى نحو هذا البرنامج •

ومنهم صديقنا الشيخ الطاهر قربوع العطوي امام وخطيب جامع الخروب قرب قسنطينة ، فقد كان الشيخ طاهر وظل الى النهاية ، أكبر معارض بل مناضل ضد هذا البرنامج • فكم له من صولات ضد النواب المتحمسين له والهيئات ، وكم أثار من خصام في مختلف المجالس الخاصة والعامة • كذا •• وكم سلقته الألسن الحداد ورمته اتهامات الجهالة

---

9 ـ سورة المائدة : الآية 51 .

10 ـ في صحيح الباخري ومسلم نص الحديث كاملا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (المدينة حرم ما بين عير الى ثور فمن أحدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم . ومن ادعى الى غير أبيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله ... الحديث .

(بخاري ج 4 ـ ص 112 ، مسلم ، ج10 ، ص150 .

عن غير بينة ! (11) فما لان له جانب ولا هدأ له بال . ولسان حاله ينشد : الا في سبيل الله ما لقيت ! وصدق عليه قول الشاعر :

بذلتهم نصحي بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

ومما أذكره عنه ، وكنت شاهد عيان ، أننا كنا يوما بالجزائر وقد خرجنا من جلسة كانت طرحت فيها قضية البرنامج بحديث ساخن ثم افترقنا . وكانت جماعة منا ركبت الحافلة فلما نزلنا بشارع زيغود يوسف « شارع الجمهورية » سابقا ، وجدنا ضابطا فرنسيا ويده فى يد امرأة غجرية «عدايسية» من الناظرات في الكف «قزانة» وكانت طبعا تلبس ثيابها القومي التقليدي ، فصرخ الشيخ طاهر فى الجماعة أ قفوا .. انظروا .. انظروا بارك الله فيكم ، انظروا لهذه المرأة كيف أنها أخضعت هذا الضابط الفرنسي ورقصته .. لسبب واحد : « لأنها احتفظت بقوميتها » .

وأخرى : كنا بدار المرحوم عمر أبي حجر أحد الأعيان بناحية الخروب. وكنت أنا ليومي رجعت من الجزائر العاصمة بعد حضور اجتماع قرر فيه الوفاق ـ بالأغلبية ـ على برنامج فيوليت وذلك سنة 1933 ، وسألني اذا كنت من الموافقين . فأجبته : لا .. ولكن ماذا عسى أفعل وأنا شاب صغير ؟ وما عسى يبلغ صوتي بين فطاحل العلماء والسياسيين ؟

قال : اجهر برأيك عاليا فان قبلوه والا اخرج .. !

فقلت : وماذا ينفع رأيي بين رجال علماء وزعماء ونواب أمة ؟ وهل يؤثر خروجي شيئا ؟ ولكنه مع كل هذا لم يعذرني وألح علي بلائمة مؤلمة لشبابي ، بالرغم أنه علم أنني كنت مع الرافضين ، وقال : يا عبد الرحمن ! .. لقد كنت ولازلت أثق فيك ثقة كبرى ، فما كان من حقك أن تحضر مجلسا يوافق فيه على تكفير أمتنا الاسلامية ! »

ومهما حاول الجماعة الحاضرون اقناعه بالتراجع عن لومي وعن مؤاخذتي عما ليس فى طوقي ، لم يتراجع وغضب غضب المؤمن الصادق

---

11 ـ كان يومئذ كل من يعارض برنامج فيوليت يعد خائنا .

وظهر تبرمه مني . ولكنني أكبرت موقفه لأن غضبه انما هو كان لله ، و لله وحده لا يخشى فيه لومة لائم رحمه الله تعالى .

وهكذا بقي الشيخ طاهر رافعا لواء المعارضة لا يقر له قرار حتى أحبط برنامج فيوليت فى البرلمان الفرنسي ، فتنفس الصعداء واعتبر ذلك انتصارا للاسلام على الكفر ، ونجاحا للأمة الجزائرية على أعدائها .

ومن الردود التي يعجب بها المرء حين يطلع عليها رد للشيخ محمد البشير الابراهيمي رحمه الله ، لخصه هو نفسه فى الفقرات التاليات فى بيان معجز وبلاغة لا تجاريها الا بلاغة الابراهيمي ! واليكها منقولة من جريدة البصائر بنصها وفصها ، لاهجة بلسان حـال الجزائر العربية المسلمة (12) .

اي ابنائي ! اني انا الام الولود المنجبه
للطرف الغر الحسان المعجبه
فلم غدت محاسني محجبـه ؟!

« ولدت الغر الميامين ! من آبائكم الأولين ، فأوسعوني برا وتكرمة ، وكافؤوني وفاء واحسانا . وفد علي الاسلام فكنت له حصنا ؛ ووفدت معه اللغة فقلت لها حسنا ؛ ثم اتخذتهما مفخرتي دهري ، ووضعتهما بين سحري ونحري ، وأقسمت أن أتلقب بهما طول عمري » .

« ألا لستم لي حتى ترعوا عهدي برعاية عهدهما ، وتحققوا وعدي بالاستماتة فى سبيلهما . أنا الأم ، ومن حق الأم أن تسمي ولدها وقد سميتكم « العرب المسلمين » وأشهدت التاريخ فسجل ، فلستم مني ان عققتموني بتبديل الاسم أو تفريق المسمى » (13) .

---

12 — لقد قال الابراهيمي هذه الكلمات بمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي وكانه — خوفا من اتهامه بالخيانة ، يعارض — مكبوتا — الوفاق الذي يكاد يكون اجماعيا بقبول البرنامج .

13 — يشير الى برنامج بلوم فيوليت الذى يسمى الجزائريين « مسلمين فرنسيين » او « جزائريين فرنسيين » .

« اني قريرة العين بيومكن هذا اذ وسمتموه بوسمي ، وسميتموه باسمي ، وشرفتموه بالاسلام ، وزنتموه بالعروبة » (14) •

ردود وردود • • •

وهكذا نجد ردودا أخرى منها المتردد المتأرجح ، والمتفائل المتسامح • ومنها المتحذلق الملتوي • وقليل منها الصارم الصريح ! • فنقرأ من ذلك فى مجلة الشهاب ما يلي : (15) •

« مما يدهش حقا أن الكثيرين من الناس فى وطننا لايزالون يجهلون الى هذه الساعة كنه برنامج مسيو فيوليت ، الذي أصبح اليوم يدعى « برنامج الحكومة » والذي قامت حوله هذه الزوابع والأعاصير التي كادت تقلب الأرض الجزائرية ظهرا على عقب ، وكان هذا البعض يعتقد أن هذا البرنامج هو دستور اصلاح عام يشمل كافة نواحي الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي •• ويمضي : ولكن الحقيقة غير ذلك ، فبرنامج فيوليت الذي قدمته الحكومة لمجلس الأمة وللرأي العام ، لا تعلق له الا بمسألة تمثيل الناخبين المسلمين الجزائريين بمجلس الأمة الفرنسي•• على طريقة اندماج الناخبين ••

ويضيف : ويرى مسيو فيوليت أن هذا البرنامج أضمن للاتحاد بين العنصرين وأسرع الى حصول الاندماج التام بينهما •• ثم يقول : ثم ان مسيو فيوليت اقتنع بأن المسلمين لا يرضون أبدا ــ ومهما كلفهم الأمر ــ بالتنازل عن ميزتهم الدينية وحالتهم الشخصية التي يحتكمون فيها الى القضاء والى كتاب الله (16) ، فقرر أن الطبقة المتنورة من الأمة والتي تشارك الفرنسيين فى الانتخابات لا تلزم بالتجنيس التام (17) •

---

14 ـ يشير الى اسم المؤتمر « المؤتمر الاسلامي » وكانت المداولات فيه باللغة العربية . وانه لانين كان يساور كل خبير بالمكيدة وكل مسلم صميم ا.

15 ـ ش ـج 3 ، م 13 .

16 ـ ان الحالة الشخصية الت كان المسلمون يحتكمون فيها الى كتاب الله عند القضاة المسلمين لا تتعدى الزواج ، والطلاق ، والميراث ، وهي التي تركها البرنامج للمسلمين كما كانت .

17 ـ قد احصيت ـ اذ ذاك الطبقة التي يطلق عليها «المتنورة» والتي يمكن لها ان تشارك الفرنسيين فى الانتخابات فى صندوق واحد ، كما تعطى الحق فى الترشح ، تتراوح بين العشرين والخمسة والعشرين الفا .

ويضيف : فالمسلمون الذين قبلوا برنامج الحكومة وأيدوه وتحمسوا فى تأييده ، انما فعلوا ذلك قصد تقرير المبدا ، أكثر مما فعلوه قصد التحصيل على ورقة الانتخاب • انما هم يريدون أن يقرر مجلس الأمة بأن المسلم الجزائري يمكنه أن يتمتع بالحقوق والحريات الفرنسية ، كما يقوم بسائر الواجبات والتكاليف ، دون أن يشترط عليه لذلك الخروج عن تعاليم دينه ، فى الاحتكام فى حالته الشخصية الى قضاة المسلمين • فان تقرر هذا الأمر فانه يكون كسبا ثمينا للمسلمين » •

وهكذا يمضي مقال الشهاب فيعلق أملا على قبول البرنامج فى البرلمان الفرنسي ليفسح المجال بعدئذ الى الخوض فى المطالب والاصلاحات التي حررت فى مؤتمر 7 جوان ـ حزيران ـ 1936 م والتي شاهد رجال لجنة البحث مدى اجماع الأمة حولها » (18) •

ويتحمس فى هذا الجو الغامر النائب الشاب ـ اذ ذاك ـ السيد فرحات عباس ليعرب عن اخلاصه للبرنامج ، وليرد على المستعمرين الذين اتهموه بعداوة فرنسا ، ردا رآه سلاحا يقطع جهيزة المستعمرين (الكولون)

وان استقبله الشعب بصرخات الاستياء والانتقاد التي ماكان يترجاها • ونجد هذا الاستياء ممثلا فى مقال بعنوان : « كلمة صريحة » نشر فى مجلة الشهاب نقتطف منه ما يلي (19) •

« حقا اننا نعيش فى وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته ، فمن فوضى فى الدين ، الى فوضى فى الأخلاق ، الى فوضى فى الاقتصاد •

---

18 ـ المراد بلجنة البحث هي اللجنة التي ألت الجزائر برئاسة (لافروزيلبير) وتقدم الكلام عنها وليست « اللجنة الوزارية الاسلامية » التي سيأتي الكلام عنها قريبا .

19 ـ لقد ظل الناس منذ عام 1936 م يعتقدون أن هذا المقال « كلمة صريحة » ومقال « حول كلمتنا الصريحة » الجزء الأول مجلد 12 وما بعده ، للشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ولكن الأستاذ أحمد توفيق المدني اثبت فى كتابه (حياة كفاح) الصادر سنة 1977 انه هو كاتب المقال وهو الذي أشار بكتابته على ابن باديس ، ولو أدى ذلك الى مكروه لهما أو للمجلة ، فوافقه ابن باديس وكتبه هو بقلمه . ولكن ضجة صحفية كبرى حدثت حينما قرأ الناس الكتاب وما حمله من ادعاءات مبالغ فيها . بل كذبها الاقربون للشيخ باديس بتاتا وخاصة بعض أعضاء جمعية العلماء ، ومنهم الشيخ حمزه بوكوشه والشيخ محمد الصالح رمضان والسيد محمد طاهر فضلاء الذين نشرت مقالاتهم فى الصحافة الوطنية الجزائرية .

وزادتنا الأيام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضات وأشدها تأثيرا على حياة الأمة ، ألا وهي فوضى التكلم باسم الأمة .. » .

ويضيف : ولو أنهم ـ المتكلمون باسم الأمة ـ اقتصدوا فى القول .. وقالوا اننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا ، أو باسم الهيئة التي ننتمي اليها . أو باسم الجماعة التي نحن منها ، أو باسم الذين يشاركوننا فى الرأي والتفكير ، لكان قولهم أصوب ورأيهم أصلح .. » .

ثم يقول : واننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع اثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الأمة على مجابهة جريدة « الطان » بها ، واثر اجتماع اللجنة الوزارية الاسلامية بباريس » (20) .

قال البعض من النواب المحليين ومن الأعيان ، ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد : « ان الأمة الاسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها الا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها الا الاندماج الفعلي التام فى فرنسا . ولا أمل لها فى تحقيق هذه الرغبة الا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام » بل لقد قال أحد النواب النابهين : انه فتش عن القومية الجزائرية فى بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر . وفتش عنها فى الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر » (21) .

« وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فاذا به يصيح : « فرنسا هي أنا » حقا . ان كل شيء يرتقي فى هذا العالم ويتطور ، حتى التصوف . فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين : « فتشت عليك يا الله * وجدت روحي أنا الله » .

---

20 ـ اللجنة الاسلامية هي هيئة كونتها حكومة الجبهة الشعبية من شخصيات اسلامية جزائرية ، واستقرت بباريس كلجنة استشارية ترجع اليها الحكومة عند البحث فى الحقوق الجزائرية وخاصة برنامج فيوليت .

21 ـ النائب هو فرحات عباس وقد سبق ان ذكرنا رايه واعتذاره عن هذا التصريح ، وسياتي رده على الشيخ باديس عن هذا المقال نفسه .

واليوم يقول المتصوف فى السياسة « فتشت عليك يا فرنسا ✱ وجدت روحي أنا فرنسا » .

ثم يقول : فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصري على التطور والاختراع ؟ » .

وبعد أن يخطيء الكاتب هؤلاء المتكلمين باسم الأمة ، لأنهم في واد وأمتهم في واد ، ويريدون أن يوجهوا السلطة الفرنسية الى واد آخر يقول : لا .. يا سادتي نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة ، بل ندعي أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة ، فنقول لكم ولمن يريد أن يسمعنا ، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا ، ان أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء آكام الخيال ، نقول لكم انكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، ولا تعبرون عن شعورنا واحساسنا . اننا نحن فتشنا فى صحف التاريخ وفتشنا فى الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة فى الدنيا » .

ويمضي الكاتب : « ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها ، وفى دينها . ولا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة .. »

« ثم ان هذا الوطن الجزائري الاسلامي صديق لفرنسا مخلص ، واخلاصه قلبي لا اخلاص ظاهري ، يخلص لها اخلاص الصديق لصديقه لا اخلاص التابع لمتبوعه ، فهو فى حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته ، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته وأخلاقه .. » .

« أما في حالة الأزمات العالمية ، وحين اشتداد الخطب ، واذا تكلم الرصاص وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب ، فالمسلم الجزائري يهب كالليث من عرينه للدفاع عن الأرض الفرنسية كما يدافع عن أرضه الجزائرية ، وعن حريمه وأطفاله •• » اهـ (22) •

الـــرد الجميـــل

وينطلق السيد فرحات عباس ـ وهو الكاتب القدير والمفوه الخبير ـ ليرد على مقال الشهاب ، أو ليعتذر ، وبالتالي ليبين مقصده من تلك الكلمات الخطيرة النابية التي أثارت ضجة في مختلف الأوساط الجزائرية، حتى عند أنصاره • ولكن بيانه يعجز وبلاغته تتعثر فلا يقدر الا أن يقول في مقالة نشرها بجريدة الدفاع الفرنسية اللسان :

« عندما أجبت على مقال جريدة « اللطان » وعلى التهم التي وجهتها الينا الصحافة الاستعمارية ، رفعت مستوى البحث كي أقرر نقطة مبدئية تتعلق بسياستنا •• » •

وبعد ما يبين أن تلك الأفكار كانت موجهة للفرنسيين ـ لا للجزائريين أهلي ـ وذلك ليقرؤوا منها درسا ان لم يقرأوا دروس الماضي من الأمم السابقة التي مرت بهذا الوطن ، يضيف :

« لقد استعملوا كثيرا وأسرفوا في كلمة « الجزائر أرض فرنسية » لأن أقلية صغيرة من مستعمرين ومتوظفين أروبيين تريد أن تذكر بسيف فرنسا في استثمارها للأهالي » •

وبعد أن يشير فرحات الى أن الفرنسيين واهمون وأنهم يخدعون أنفسهم اذا حسبوا أن مدنيتهم في الجزائر تبنى بمواد أجنبية عن الوطن • وكلمة الجزائر امتداد لفرنسا التي يريدون فرضها بالقوة بتجاهل ستة ملايين من العرب البربر الذين لم يتذوقوا أو يتأثروا بالمدنية الفرنسية ، وبصفة عميقة ، لا يمكن أن تتحقق ، لأن بناء يبنى بمواد غربية على

---

22 ـ الشهاب ، ج1ـم12 ، ص 42 •

حساب المادة الأصلية انما هو بنيان على أساس من الرمال • وليس من سنن الكون أن ثمانمائة ألف نسمة تحظى بكل شيء بينما ستة ملايين لا تنال أي شيء ! •• وبعد أن يغوص في منطقية فحواها : أنه يجب أن يكون الانسان ، في هذه الحالة ، عديم الفكر فاقد المدارك ، حتى يعتقد أن بنيانا على هذا الأساس ــ الأساس الرملي ــ يستطيع أن يقاوم الأعاصير ، ثم اذا قامت هذه الملايين التي تسكن تحت هذا البناء لتلاحظ ما في البناء من شقوق وما به من اعوجاج ، يتبجح كاتب ، ولو كتب بجريدة « الطان » الباريسية ، ويرفع صوته مدعيا : أن أعمالنا مضادة لفرنسا وأنها أعمال تنم عن ملية شعواء ••

يقول : « فاذا أنا أجبت عن هذه الحملات الطائشة بقولي : « فرنسا هي أنا » فلا يجب أن يفهم صديقي أبو الزهرة أنني أستعمل هذه الكلمة بصفة تملق ، أو أريد أن ألعب دور الوطني الفرنسي المتطرف لكي أنال حظوة عند أولي الأمر • ان موقفا كهـذا ليس من خصالي ولا من صفاتي •• » •

ثم يضيف فرحات : فأنا لم أنس الاجحاف الاجتماعي الذي هو ميسم نظامنا الحاضر ، ولم أنس أني لست فرنسيا ، انما أنا رعية فرنسا ، ولم أنس أي جزء من جزئيات المظالم المتعددة » •

وبعد أن يذكر كثيرا من المظالم ، وبعد أن يعرض الحلول الطبيعية يعلن أنه لازال واثقا من المستقبل كما لازال واثقا بأعمال فرنسا في هذه البلاد ، فهو ينتظر منها في آخر الأمر أعمال تحرير واتفاق وسلام في الميدان السياسي والاقتصادي وسيكون هذا العمل ليس فخرا لفرنسا وحسب بل يكون المظهر الوحيد لنجاحها •

وبعد كل هذا يدعو فرنسا أن تتنازل عن المسابقة التي تقودها الأنانية والفخفخة العنصرية ، والتي صال وجال بها في هذا الوطن فارسان قبلها فأدت الى انقسام ظهرهما • وذلك لتقدم مثالا عاليا لدول أروبا المتسلطة ، فتربط أمام العربة الجزائرية جوادين هما : « العدل والحرية » اهـ (*)

(*) ــ لا شك انه يقصد بالفارسين الرومان والبيزنطيين •

هذا ، ولم يكن فرحات عباس وحده الذي حيرته مقالة الشهاب التي لا أشك أنها بقلم الشيخ باديس (23) بل انها ــ أيضا ــ أقامت ضجة فى مختلف الأوساط الفرنسية والجزائرية ، الأمر الذي جعل ابن باديس يرجع فيكتب مرة أخرى بعنوان : « حول كلمتنا الصريحة » مقالا طويلا نقتطف منه ما يلي : (24)

« لقد أحدثت الكلمة الصريحة التي نشرناها بالعدد الأخير من الشهاب أثرها المطلوب ، وكان لها الدوي العظيم الذي كنا نتوقعه لها ، فتلك كانت أول مرة ، فيما نعلم ، جوبهت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة هي عين الحقيقة التي تعتقدها الأمة ، وفيها بيان لعواطف واحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائري » •

وبعد أن يشكر الذين طهرت سرائرهم وتقبلوا الكلمة بالرضى والتحبيذ ، وينحي باللائمة على الذين فى قلوبهم مرض ففزعوا من كلمة الحق كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق نور الفجر ، فانتقدوا وأفحشوا وأقذعوا فى التقول ، ونسوا ما لهذه الأمة من مجد ومن تاريخ حافل ، وما لها من ذاتية ومميزات ، فحساب هؤلاء يكله الكاتب الى أمتهم لتصفعهم صفعة البغيض ، يخلص ليقول :

« ان كلمتنا الصريحة قد وضعت الكثير من الرجال على المحك ، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون ، ومنهم من انطوت جوانبه على حما مسنون •• »

« واننا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم ، بهذه المناسبة ، الهمة العالية ، وشرف النفس ، وطهارة الضمير ، الأستاذ فرحات عباس الصيدلي والعضو البلدي والعمالي بسطيف » •

---

23 ـ هذه عقيدتي قبل ، وقد سبق التعليق على دعوى توفيق المدني التي ربما تكون صحيحة ، وهو شيء لا ينقص ولا يزيد فى الموضوع شيئا •

24 ـ ش ـ ج3 ـ م12 ، ص 141ـ146 •

« كان الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا « كلمة صريحة » وهو الذي آخذناه عن مقاله « فرنسا هي أنا » وعلى سياسة الاندماج والتجنس التي قلنا له ولغيره انكم عندما تسعون وتحبذون هذه السياسة لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا .. فالسيد فرحات عباس لم يتألم ولم يتكدر ، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد وينصاعون لكلمة الحق، فزار ادارة الشهاب ، وأكد لنا تقديره لجهودها ، وجرت له محادثة مع صاحب الشهاب دلت على سمو أدبه وعلو كعبه فى عالم السياسة والتفكير » .

ويمضي المقال فيرد على جريدتي « النجاح » و« صدى الصحافة الأهلية » اللتين اتهمتا مجلة الشهاب أو صاحبها بأوصاف بذيئة ، وأوصاف خطيرة تجعله فى عين الحكومة الفرنسية رافعا للعصيان ، ومناديا بفصل الجزائر عن فرنسا من الآن ، وينسب هذا الاتهام الى طبيعة أسئلتهم التي وجهوها اليه والتي تحتم عليه المباحثة على بساط الاستقلال ، ثم يقول صاحب المقال : وظنوا أنهم يحرجوننا بكلمة الاستقلال ، حتى اذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس استنزلوا علينا نقمة الحكومة وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين ، وأن نذهب ضحية قوانين « روني » وما سبقها ..

ثم يأتي بشيء من أسئلة الصحيفتين ويجيب عنها . ومن الأسئلة : « متى كانت حدود الجزائر على ما هي عليه الآن ؟ ومتى كانت الجزائر مستقلة ؟ وما هي وحدة اللغة التي تكلمنا عنها ؟ ..

ويجيب صاحب المقال بأجوبة بالغة فى الدقة والتحدي ، ومبينة بكل وضوح الحقيقة التاريخية التي تتمتع بها الجزائر ، خاصة فى أصالة انتمائها للعروبة والاسلام ، وثبوت استقلالها وحريتها عبر أجيال وأجيال، وبخاصة أثناء الحكم الاسلامي . وصدق الأمة الجزائرية فى عروبتها فى احتفاظها وتشريفها باللغة العربية التي كانت ولازالت اللسان الوطني النبيل ثقافة ونطقا بحيث لا يشذ فى جهلها الا واحد فى المائة حتى الأمازيغ ـ البربر ـ وهي حالة لا تتمتع بها أي أمة ضمن وحدتها اللسانية .

ويختم : « ان الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون : ان حالة الجزائر الحاضرة ستدوم الى الأبد ، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ . وليس من العسير ، بل انه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المــادي والأدبي وتتغير السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة ، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك انكلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب افريقيا ، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا ، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحــر » .

« هذا هو الاستقلال الذي نتصوره لا الاستقلال الذي يتصوره خصومنا المجرمون : استقلال النار والدماء . وهذا هو الاستقلال الذي نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت وباعانة فرنسا وبارادتها » .

الوفاق التاريخي الذي تخطى كل الاعتبارات

عندما نستنطق خلاصة ردود الفعل عن تحديات الاحتفالات القرنية ، وازاء « برنامج فيوليت » التي ذكرنا منها نتفا لا بأس بها ، ولكنها خلاصة مخلصة عن الاتجاهات التي كانت سائدة على سطح السياسة الجزائرية من سنة 1930 الى سنة 1936 م . نستخلص بدون أي عناء أن الأغلبية الساحقة كانت ، بصفة أو بأخرى ، فى جانب القومية الجزائرية ضد الاندماج ، ولو بصفة محتشمة ، وحتى ضد برنامج فيوليت فى أغلبيتها ، الى ما قبل شهور قلائل من عقد المؤتمر الاسلامي ، لاسيما موقف حزب النجم ، وموقف جمعية العلماء المسلمين ، وموقف جمعية علماء السنة . بقطع النظر عن حركة الحزب الشيوعي الجزائري الذي من شأنه التكيف مع ظروف سياسته ، زيادة على ضآلة صوته ــ حينئذ ــ وضعف تأثيره .

ولكن الحقيقة التي عشتها شخصيا والتي فسرتها المواقف المتلاحقة والظروف المتشاكسة ، كانت ــ للأسف الشديد ــ لا تشرف الساسة الجزائريين اذ ذاك . فقد تبخرت أمام براعة رجال الجبهة الشعبية الفرنسية وبعض رجالنا المتغربين ، مع ضعف الشجاعة الأدبية فى رجالنا ، تبخرت كل العنتريات القوميــة والدينية والسياسية التي هيــأت لها ظروف « السياسة النوع تحررية » لحكومة الجبهة الشعبية من جهة ، ودفعت بها عنصرية وجمود وعناد المستعمرين فى محاربتهم للاندماج ، من جهة أخرى أن تتخلى عن احتشامها وتظهر بتلك الصراحة الغير المألوفة عند أكثر ساستنا . وانخدع أو لما انخدع ــ أو اغتنم الفرصة السياسيون المغرمون بالحياة الأروبية والمتشبعون بالثقافة الفرنسية ــ وتمكنوا من اقناع جمعياتنا الدينية وهيئاتنا وشخصياتنا الشعبية ، فظهرت الفتاوي

الدينية ، والحكمة السياسية ، وحتى الخوف أمام الرأي العام الشعبي من معارضة البرنامج (1) وانجرت الأغلبية الساحقة وراء « برنامج بلوم فيوليت » وأصبح هذا البرنامج في نظر المجموع : المفتاح الذي يفتح فوهة الماء العذب الزلال للعطاش المرموضين ! والخطوة التي تقود الى السعادة والنعيم المقيم •• وظهرت في هذا الجو المتفائل أفكار مبنية على تقديرات يظهرها أصحابها ببراعة في منتهى الحكمة والنظر البعيد الايجابي •

فنجد مثلا فكرة الحزب الشيوعي « الجزائري » الذي كان يدل على تعديل موقفه الأصلي أو تراجعه ليكون بجانب الوسط بما يلي :

« •• واذا كنا نرغب في تحطيم أغلال الاستحواذ والاضطهاد التي تكبل الجزائر الى فرنسا الاستعمارية ، فما ذلك الا لنبدلها بروابط متينة من الأخوة تجمع في حرية بين شعبنا وشعب فرنسا العظيم • ولكي نحقق وحدة في المصالح ننشيء جزائر حرة سعيدة بجانب فرنسا حرة سعيدة » •

ويقول من جهة أخرى : اننا نعرف أن هذا الموقف من الحـــزب الشيوعي يؤدي الى القطيعة بينه وبين « جمعية النجم » فجمعية النجم جمعية وطنية لا جدال فيها ، ولكن قيادة الجمعية ، أو مصالي الحاج بالذات يندفع تحت تأثير الوطنية المتطرفة ، فلا يقدر الخطر الفاشي حق قدره » (2) •

ومثل هذا المنطق اندفع اليه كل السياسيين ، وحتى رجال الدين الذين انجروا الى الميدان باستثناء القليل ، ولم يبق لهم من رأي سوى أن يصرحوا تصريحات باهتة مبحوحة ، يحيطها الخوف والحذر ، فلم

---

1 ـ لقد شاهدت بنفسي خلال الاجتماع الذي سبق ذكره لجمعية علماء السنة ، وكانت فيه معارضة قوية أدت الى الحكم بتكفير الراضي بهذا البرنامج ، شاهدت أن الحجة الوحيدة التي تمسك بها الداعون الى البرنامج هي : خوف اتهام الجمعية بممالاة « الكولون » المستعمرين والسير في خطتهم التي هي ضد البرنامج وتحاربه محاربة مستميتة .

2 ـ ثورة الجزائر ، شلقاني ، ص 184 .

يبق لهم سوى أن ينادوا « بالمحافظة على الحالة الشخصية » : الزواج ، والطلاق ، والميراث •

أما القومية ، أما التراث ، أما الحضارة العربية الاسلامية فقد صارت غير ذات موضوع ، وأصبحت تشبهها مواقف رجال الدين والوطنية الاسلامية العربية ــ فى يومنا هذا ــ يخاف من التصريح بها أمام قوة الالحاد والتحلل والتقليد لأصحاب المبادىء الهدامة المستوردة • وصدق علينا ــ حينئذ ــ ما صدق على زعماء وعلماء المملكة المغربية أمام « الظهير البربري » (3) الذي فرضته فرنسا الحامية يومئذ على سكان الريف المغربي ، الذين قال فيهم المرحوم « أمير البيان والعروبة والاسلام شكيب أرسلان » :

« ••• ولو انحصرت هذه الأمور فى العوام والجهلاء ، لعذرناهم بجهلهم ، وقلنا أنهم لا يدرون الكتاب ولا السنة ، ولا السياسة الدنيوية، ولا الأحوال العصرية ، وانهم انما يساقون كما تساق بهيمة الأنعام الى الذبح » •

« ولكن الأنكى هو خيانة الخواص ، مثال ذلك الوزير المقري الذي هو أشد تعصبا لقضية رفع الشريعة الاسلامية من بين البربر ، من الفرنسيين أنفسهم • ومثله البغدادي باشا فاس الذي طرح نحو مائة شخص من شبان فاس وجلدهم بالسياط لكونهم اجتمعوا فى جامع القرويين وأخذوا يرددون دعاء : « يا لطيف ألطف بنا فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » ومفتي فاس الذي أفتى بأن الغاء الشرع الاسلامي من بين البربر ليس باخراج للبربر من الاسلام • وهلم جرا » •

3 ــ الظهير عبارة عن القرار الذي يصدر عن السلطان فى المغرب الأقصى ، وقد استصدرت الدولة الفرنسية هذا الظهير الذي أطلق عليه « الظهير البربري » بعد الحرب العالمية الأولى من السلطان مولاي محمد بن يوسف تحت الضغط والقوة من جهة ، وبفتاوي دينية من جهة اخرى ، وذلك بقصد نزع سكان الريف المسلمين من يد السلطة الوطنية وجعلهم تحت يد السلطة المحتلة مباشرة وذلك بواسطة تجنيسهم بالجنسية الفرنسية لتجري عليهم القوانين الفرنسية ليكونوا جزءا لا يتجزأ من الامة الفرنسية .

ومن نتائج هذا الظهير البربري ــ يقول شكيب فى تعليقه فى الكتاب ــ ... وقد منعوا (أي الفرنسيون) الوعاظ فى شهر رمضان من الذهاب الى بلاد البربر . وكانوا يحبسون من يخالف هذا الأمر ، وقد أقفلوا مئات من الكتاتيب القرآنية ، مثلما فعلوا فى الجزائر فقد أغلقوا « دار الحديث » فى مدينة تلمسان بالقطر الجزائري .. » (4) .

هكذا ، وفى هذه اللحظة الحاسمة المليئة بالأمل ، تتجه الأنظار الى دعوة جمعية النواب بزعامة رئيسها الدكتور محمد الصالح ابن جلول ، بتوجيه أو تأييد الشيخ عبد الحميد ابن باديس الى عقد مؤتمر يشمل جميع الاتجاهات السياسية والدينية ، لكي يمثـل الشعب الجزائري أحسن تمثيل وأشمله (5) .

وفى هذا المؤتمر يبحث بحثا صحيحا ونهائيا « بروجي بلوم فيوليت » كما تبحث فيه المطالب الشعبية الجزائرية التي ستقدم لحكومة الجبهة « أو الواجهة الشعبية » التي أظهرت استعدادا للنظر فى القضية الجزائرية نظرة جدية ، خاصة فى تقديم برنامجها الى البرلمان الفرنسي للتصديق عليـه .

ويجيء بذلك عهد « الفرز » الذي سيكون أول موضوع لنا فى الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله .

تم الجزء الاول بانتهاء الفترة الاولى

ويليه الجزء الثاني

4 ـ كتاب « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » لشكيب ارسلان ، ص 57ـ59 .

5 ـ نذكر هنا بالنداء الذي وجهه الشيخ باديس يدعو الى وحدة الأمة ، هذه الوحدة التي هي الضمان الوحيد للنجاح ، وذلك قبل ظهور الجبهة الشعبية ونشر البيان بجريدة «الأديفانس» العدد الثالث ، جانفي ـ يناير 1936 . ومن هنا يمكن أن نقول أنه من أسباب نجاح انعقاد المؤتمر الاسلامي الهامة هذا النداء التاريخي .

فهـــرس الجزء الاول

* * *

فهـــرس الصـــور

* * *

كتب للمؤلف :

1 ـ **من وراء القضبان** تاريخ الثورة الجزائرية فى سجن وسجناء .
طبعة ثانيـــة

2 ـ **القول الفصل فى تنظيم النسل .**

طبعة اولى

3 ـ **اطوار (ديوان) شعراء الجزائر .**

طبعة اولى

4 ـ **تاريخ الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر .**
طبعة اولى

5 ـ **مخطوطات شعرية ونثرية .**

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الطبع المتعددة
ورشة احمد زبانة
الجزائر – 1984



هــذا الــكتــاب

ان هذا الكتاب باجزائه الثلاثة امتداد حي لمذكرات او حوادث عاشها المؤلف منذ سني الشباب ، او اخـذها عمن عاشها وتذوق حلوها ومـرها ، وجاب اغوارها وانجادها ، او نقلها من مصـادرها التي لا تتهم عقليا .

وقد التزم المؤلف ان يكون دائما مع الحقيقة التي تصحح مسيرة غالطة ، او تكشف تزيفا مغرضا ، مبتعدا عن الممالات الشخصية او الحزبية ، غير متأثر برغبة او رهبة .

فالكتاب يحمل في طياته تاريخ فترة مهمة تعتبر زبدة وخلاصة الكفاح القومي والسياسي الجزائري بكل نزاهة واخلاص لا سيما في الحفاظ على الأمانة التاريخية والتباعد عن العواطف النفسية والتيارات الحزبية المغرضة ، حتى ازاء « حزب الشعب » الذي ينتسب اليه سياسيا .

اما الأخ صاحب الكتاب فقد قال في ديوانه الشعري «اطوار» (شعراء الجزائر) : انه عاهد الله منذ نعومة اظفاره أن لا يعيش في حياته موظفا لدى المستعمر ، فتقلب من تاجر الى فلاح الى غيرهما ، حيث كانت مهمة التربية والتعليم العربي – وهي وظيفه الأصلي – لا تفي بلوازم العيش ، فاتخذها عملا تطوعيا ، وتحمل لذلك مضايقات المستعمر والسـجون والمعتقـلات اثناء الكفاح السياسي لفكرته الثورية في حرب الشعب الجزائري .

ولم تنته مضايقات المستعمرين له الا بعد أن تمكن من الافلات من رقابة ومتابعة الشرطة الاستعمارية ، بعد انفلاته من السجن سنة 1956 ، حيث كلفته « جبهة التحرير الوطني » بتمثيلها في الشرق العربي ، ثم استقر به المقام كسـفير في الأردن للحكومة المؤقتة أثناء حرب التحرير ثم للحكومة الـوطنية بعد الاستقلال .

بيد ان حنينه لمهمته في التربية والتعليم حمله على الرجوع الى السلك التعليمي ليستكمل حياته كأستاذ للغة العربية والأدب العربي ، وليواصل بعد ذلك تطوعه في التوجيه الاسلامي مع اخوانه في المجلس الاسلامي الاعلى .

السعر في الجزائر : 86 د.ج